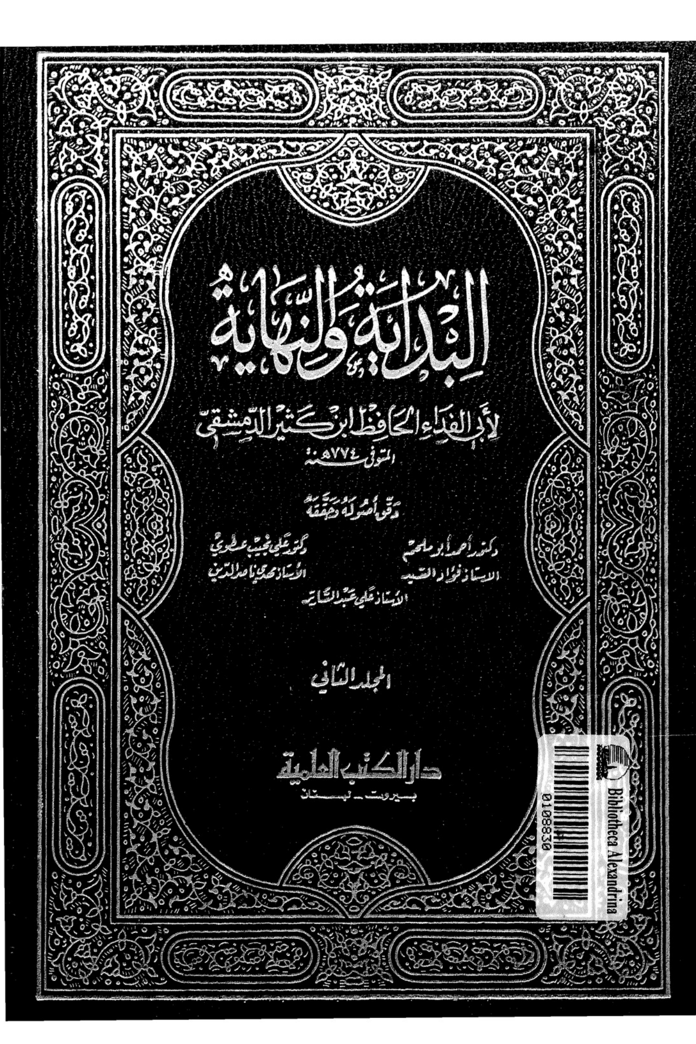


البداية والنهاية
لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤هـ
دقق أصوله وحققه
دكتور أحمد أبو ملحم
دكتور علي نجيب عطوي
الأستاذ فؤاد السيد
الأستاذ مهدي ناصر الدين
الأستاذ علي عبد الساتر
المجلد الثاني
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0108830

البداية والنهاية

تأليف

أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية

دقق أصوله وحققه

دكتور أحمد أبو ملحم
دكتور علي نجيب عطوي
الأستاذ فؤاد السيد
الأستاذ مهدي ناصر الدين
الأستاذ علي عبد الساتر

المجلد الثاني

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

بِسْم الله الرَّحمٰن الرَّحِيْم

بـاب كيف بدأ الوحي

إلى رسول الله ﷺ ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم

كـان ذلك ولـه ﷺ من العمر أربعـون سنة . وحكى ابن جـرير عن ابن عبـاس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثا وأربعين سنة .

قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها . انها قالت : اول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق[1] الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث[2] فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء . فجاءه الملك فقال اقرأ . فقال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنـا بقـارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : ﴿ إقرأ بْسم ِ ربكَ الذي خلق .خَلَقَ الانسانَ منْ عَلَقٍ ، إقرأْ وربُّكَ الأكرَمُ. الذي عَلَّم بالقَلَم ِ .علَّم الانسانَ ما لم يعلمْ ﴾[3] فرجع بها رسول الله ﷺ يـرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : « زمِّلوني[4] زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة ـ واخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصلِ الرحم وتقري الضيف . وتحمل الكَلّ ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة : يا ابن عم ! اسمع منَ ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس[5] الذي كان ينزل على موسى ، ياليتني فيها جـذعا ، ليتني أكون حياً ، إذ يخرجك قومك . فقال رسول

---

(١) فلق : اشقاق .

(٢) يتحنث : يتعبد .

(٣) سورة العلق الآيات ١-٢-٣-٤-٥ .

(٤) زملوني : ضعوني على البعير .

(٥) الناموس : السر .

اللهﷺ : « أوَ مُخْرِجيّ هم ؟» فقال : نعم . لم يأت احد بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً . ثم لم يَنْشَب ورقة ان توفي وفتر الوحي[1] فترة . حتى حزن رسول اللهﷺ : ـ فيما بلغنا ـ حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه . فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك . قال فاذا أوفى بذورة جبل تبدى له جبريل فقال له : مثل ذلك هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخاري. قال ابن شهاب : واخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله الأنصاري قال ـ وهو يحدث عن فترة الوحي ـ فقال في حديثه : « بينا أنا امشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض. فرعبت منه . فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني فأنزل الله : ﴿ يا أيُها المدثر، قمْ فانذِرْ ، وربَكَ فكبِرْ، وثيابَكَ فطهِّرْ ، والرجزَ فاهجر ﴾[2] فحمى الوحي وتتالع . ثم قال البخاري تابعه عبد الله ابن يوسف ، وأبو صالح، يعني عن الليث ، وتابعه هلال بن داود عن الزهري، وقال يونس ومعمر : ـ بوادره . وهذا الحديث قد رواه الإمام البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولاً في اول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي اسناداً ومتناً ولله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومعمر عن الزهري كما علقه البخاري عنهما ، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته ولله الحمد وانتهى سياقه الى قول ورقة : انصرك نصراً مؤزراً .

فقول أم المؤمنين عائشة . أول ما بديء به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، يقوي ما ذكره محمد بن اسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثي ان النبيﷺ : قال : « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت ما اقرأ ؟ فغتني ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم ارسلني » وذكر نحو حديث عائشة سواء ، فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرَّحا بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني : في كتابه دلائل النبوة حدثنا محمد بن احمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا جناب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح عن ابراهيم عن علقمة ابن قيس. قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده .

عمره (ﷺ) وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود بن ابي هند عن عامر الشَّعْبي ان رسول الله

---

(١) الى هنا رواية البخاري مع اختلاف في الالفاظ لا يغير المعنى .

(٢) سورة المدّثر الآيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥

ﷺ : نزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة ، فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشراً بمكة وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة . فهذا اسناد صحيح الى الشعبي وهو يقتضي ان اسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا ينافي هذا فانه يجوز أن يكون أول أمره الرؤ يا . ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً إلى أن جاءه جبريل ، فعلمه بعدما غطّه ثلاث مرات ، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحكِ ما جرى له مع اسرافيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل .

وقال الإمام احمد حدثنا يحيى بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس انزل على النبيﷺ : وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً . ومات هو ابن ثلاث وستين ، وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيب ثم روى احمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث رسول اللهﷺ : وأنزل عليه القرآن ، وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد ابن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أقام النبيﷺ : بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول اللهﷺ : يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك مافي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول اللهﷺ : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » انتهى كلامه .

وانما كان رسول اللهﷺ : يحب الخلاء والانفراد عن قومه ، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة ايحاء الله اليه صلوات الله وسلامه عليه . وقد ذكر محمد بن اسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن ابي سفيان بن العلاء بن حارثة ـ قال : وكان واعية ـ عن بعض اهل العلم قال : وكان رسول اللهﷺ : يخرج الى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسكّ فيه . وكان من نّسك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة . هكذا روى عن وهب بن كيسان انه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وثــورٍ ومَــن أرْسَى ثَبِـيراً مكانَه ... وراقٍ لِيَرْقَــي في حِراءَ ونازِلِ

وهكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي

رحمهم الله ، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرى في حر ونازل ـ وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم .

وحراء يقصر ويمدّ ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة اميال منها عن يسار المار الى منىً ، له قلة[1] شرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤ بة بن العجاج :

فَــلا وربِّ الآمِنــاتِ الـقُطَّنِ[2] ورب رُكنٍ من حِراءَ مُنْحني

وقوله في الحديث : والتحنث التعبد ، تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنث من حنث البنية[3] فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظاً قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث اي خرج من الحنث وتحوب وتحرج وتأثم وتهجد هو ترك الهجّود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقذر اوردها ابو شامة. وقد سئل ابن الاعرابي عن قوله يتحنث اي يتعبد . فقال : لا اعرف هذا انما هو يتحنف من الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام. قال ابن هشام : والعرب تقول التحنث والتحنف يبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا جدف وجذف كما قال رؤبة :

لو كان أحجاري مع الأجـداث[4]

يريد الأجداث . قال وحدثني ابو عبيدة ان العرب تقول فُمَّ في موضع ثمَّ. قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين وفومها ان المراد ثومها .

وقد اختلف العلماء في تعبده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع ام لا ؟ وما ذلك الشرع فقيل شرع نوح وقيل شرع إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى . وقيل موسى، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت انه شرع عنده اتبعه وعمل به ، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع اخر في اصول الفقه والله اعلم .

وقوله حتى فجأه الحق وهو بغار حراء أي جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى : ﴿ وما كُنْتَ تَرْجُوأن يُلقى اليكَ الكتابُ إلا رحمةً من رَبكَ ﴾[5]الآية . وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي : ﴿ اقرأ باسم ربكَ الذي خَلَق خَلَقَ الإنسان من علق اقرأ وربُّكَ الاكرمُ الذي علَم بالقلم علَّم الانسان مالم يعلمْ﴾[6] وهي اول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك في التفسير وكما سيأتي ايضاً في يوم الاثنين كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة ان رسول الله ﷺ : سئل عن صوم يوم الاثنين ، فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم انزل عليّ فيه» وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد ﷺ : يوم الاثنين ، (ونبيء) يــوم الاثنين وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء: انه عليه الصلاة والسلام أوحي إليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك في شهر ربيع الاول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام ، في الثاني عشر من ربيع الاول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به الى السماء ،والمشهور انه بعث عليه

---

(١) قلة : رابيه .
(٢) القطن : الحمام .
(٣) كذا في الحلبية وفي المصرية .
(٤) الاجداث : جمع جدث وهو القبر .
(٥) سورة القصص الآية ٨٦ .
(٦) سورة العلق الآيات : ١-٢-٣-٤-٥ .

الصلاة والسلام في شهر رمضان، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ، ومحمد بن اسحاق وغيرهما .

قال ابن اسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : ﴿ شهرُ رمضانَ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ هُدىً للناسِ ﴾[1] فقيل في عشره . وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر انه قال : كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ : يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل في الرابع والعشرين منه .
قال الإمام احمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله ﷺ : قال : « أنزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لستٍ مضين من رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وانزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » وروى ابن مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، الى ان ليلة القدر ليلة اربع وعشرين .

وأما قول جبريل (اقرأ) فقال : « ما انا بقارىء » فالصحيح ان قوله «ما انا بقارىء » نَفْيٌ أي لست ممن يحسن القراءة وممن رجحه النووي وقَبْلَه الشيخ ابو شامة . ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد لأن الباء لاتزاد في الأثبات . ويؤيد الأول رواية ابي نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله ﷺ : ـ وهو خائف يرعد ـ « ما قرأت كتابا قط ولا احسنه وما اكتب وما أقرأ » فأخذه جبريل فَغَتّه[2]غتـاً شديداً . ثم تركه فقال : له أقرأ . فقال محمد ﷺ : « ما ارى شيئاً اقرأه ، وما أقرأ، وما أكتب » يروي فغطني كما في الصحيحين وغتني ويروي قد غتني أي خنقني » « حتى بلغ مني الجهد » يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع . وفعل به ذلك ثلاثا .

قال ابو سليمان الخطابي : وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتماله ما كلفه به من اعباء النبوة ، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتأخذه الرحضاء اي البهر والعرق . وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمور : منها ان يستيقظ لعظمة ما يلقى بعد هذا الصنيع المشق على النفوس . كما قال تعالى : ﴿ إنَّا سَنُلْقِي عليك قولاً ثقيلا ﴾[3] ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الابـل ويتفصـدّ[4] جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد .

وقوله فرجع بها رسول الله ﷺ : إلى خديجة يرجف فؤاده . وفي رواية : بوادره ، جمع بادرة قال أبو عبيدة : وهي لحمة بين المنكب والعنق . وقال غيره: هو عروق تضطرب عند الفزع وفي بعض الروايات ترجف بآدله واحداتها بادلة . وقيل بادل . وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الثدي. وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك .

فقال : «زملوني زملوني » فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة : « مالي ؟ اي شيء عرض لي »؟ واخبرها ما كان من الأمر . ثم قال : « لقد خشيت على نفسي » وذلك لأنه شاهد امراً لم يعهده قبل ذلك

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٢) غث : خنق .

(٣) سورة المزمل آية ٥ .

(٤) يتفصد : يسيل .

، ولا كان في خلده . ولهذا قالت خديجة : ابشر ، كلا والله لا يخزيك الله أبداً . قيل من الخزي ، وقيل من الحزن ، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه ان كان متصفاً بصفات الخير لا يخزى في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : إنك لتصل الرحم وتَصْدُق الحديث ـ وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق ـ وتحمل الكلَّ اي عن غيرك تعطي صاحب العيلة ما يريحه من ثقل مؤنة عياله ـ وتكسب المعدوم اي تسبق الى فعل الخير تتبادر الى اعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك . ويسمى الفقير معدوما لأن حياته ناقصة . فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم :

ليسَ مَن ماتَ فاستراحَ بميْتٍ ... إنما الميْتُ ميِّتُ الاحياء

وقال ابو الحسن التهامي، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم :

عدّ ذا الفقرِ ميِّتاً وكساهُ ... كَفَناً بالياً ومأواه قبرا

وقال الخطابي : الصواب (وتكسب المعدم) اي تبذل اليه او يكون تلبس العدم بعطية مالا يعيش به . واختار شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي ان المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى ، اي يعطي المال لمن هو عادمه . ومن قال إن المراد انك تكسب باتجارك المال المعدوم، او النفيس القليل النظير ، فقد أبعد النجعة[1] واغرق في النزع وتكلف ما ليس له به علم ، فان مثل هذا لا يمدح به غالباً، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله اعلم .

وتقري الضيف ـ اي تكرمه في تقديم قراه ، واحسان مأواه . وتعين على نوائب الحق ويروى الخير ، أي إذا وقعت نائبة لأحد في خير اعنت فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش او قواماً من عيش ، وقوله : ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . وقد قدَّمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله . وأنه كان ممن تنصَّر في الجاهلية ففارقهم وارتحل الى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش فتنصّروا كلهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك الى الحق ، إلا زيد بن عمرو بن نفيل فانه رأى فيه دخلا وتخبيطاً وتبديلاً وتحريفاً وتأويلا . فأبت فطرته الدخول فيه ايضاً، وبشّروه الأحبار والرهبان بوجود نبي قد أزفّ زمانه واقترب أوانه ، فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن اخترمته[2] المنية قبل البعثة المحمدية . وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله ﷺ :كما قدّمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له ، وما هو منطوٍ عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات ، ولهذا لما وقع ما وقع اخذت بيد رسول الله ﷺ : وجاءت به اليه فوقفت به عليه . وقالت : ابن عم اسمع من ابن أخيك، فلما قص عليه رسول الله ﷺ : خبر ما رأى قال ورقة : سُبُّوح سُبُّوح[3] . هذا

---

(١) النجعه : طلب الكلأ في مواضعه .

(٢) اخترمته : اهلكته .

(٣) سُبُّوح : صيغة فعول من سبَّحَ .

الناموس الذي انزل على موسى ، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام، ونسخت بعضها من الصحيح من قول العلماء. كما قال ﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بعضَ الَّذي حُرِّمَ عَلَيكُم ﴾[1] قول ورقة هذا كما قالت الجن : ﴿ يا قومَنَا إنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ منْ بَعْدِ مُوسى مصدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ يهدي الى الحَقِّ وإلى طَرِيقٍ مستَقيم ﴾[2] ثم قال ورقة : ياليتني فيها جذعا . اي ياليتني اكون اليوم شابا متمكنا من الايمان والعلم النافع والعمل الصالح ، يا ليتني اكون حياً حين يخرجك قومك يعني حتى أخرج معك وانصرك ؟ فعندها قال رسول الله ﷺ : « او مخرجي هم ؟ » قال السهيلي وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : نعم ! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يُدْرِكْني يومك أنصرك نصراً مؤزراً أي أنصرك نصراً عزيزاً أبداً . وقوله : « ثم لم ينشب ورقة أن توفي » أي توفي بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضي عنه ، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي ونية صالحة للمستقبل .

وقد قال الإمام احمد حدثنا حسن عن ابن لهيعة حدثني ابو الاسود عن عروة عن عائشة . أن خديجة سألت رسول الله ﷺ : عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بياض » . وهذا اسناد حسن لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلاً فالله أعلم وروى الحافظ أبو يعلى عن شريح بن يونس عن اسماعيل عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ : سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في الجنة وعليه السندس » . وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال «يبعث يوم القيامة امة وحده» وسئل عن أبي طالب فقال : «أخرجته من غمرة من جهنم الى ضحضاح[3] منها» . وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض واحكام القرآن ـ فقال : « أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قَصَب لاصَخَب فيه لا نصب » اسناد حسن ولبعضه شواهد في الصحيح والله أعلم .

وقال الحافظ ابو بكر البزار : حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول ﷺ : « لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة او جنتين » وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة وهذا اسناد جيد . وروي مرسلاً وهو أشبه .

وروى الحافظان البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما دلائل النبوة من حديث يونس بن بكير عن يونس ابن عمرو عن ابيه عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله ﷺ : قال لخديجة : «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء! وقد خشيت والله ان يكون لهذا أمر» . قالت : معاذ الله ما كان ليفعل ذلك بك فوا الله

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٠ .

(٢) سورة : الاحقاف الآية ٣٠ .

(٣) ضحضاح : الماء اليسير او القريب القعر/ الدرك الأسفل .

إنك لتؤدي الأمانة ، وتصل الرحم ، وتَصْدُق الحديث. فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرت له خديجة فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد الى ورقة. فلما دخل رسول الله ﷺ : أخذ بيده ابو بكر فقال: انطلق بنا إلى ورقةفقال: « ومن أخبرك ؟ » قال خديجةفانطلقا اليه فقصّا عليه. فقال رسول الله ﷺ : « إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد يا محمد فانطلق هارباً في الأرض ». فقال له لا تفعل. إذا اتاك فاثبت ، حتى تسمع ما يقول لك ثم ائتني فأخبرني. فلما خلا ناداه يا محمد قل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ الحمدُ للّهِ ربِ العالمين ﴾ حتى بلغ ﴿ ولا الضالين ﴾[1] قل لا إله إلا الله . فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : ابشر ثم ابشر . فأنا اشهد إنك الذي بشّر بك ابن مريم، وإنك على مثل ناموس موسى، وإنك نبي مرسل، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن ادركني ذلك لأجاهدن معك . فلما توفي . قال رسول الله ﷺ : «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدقني » يعني ورقة. هذا لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل وقد قدمنا من شعره ما يدل على اضماره الايمان وعقده عليه وتأكده عنده ، وذلك حين اخبرته خديجة ما كان من امره مع غلامها ميسرة وكيف كانت الغمامة تظلله في هجير القيظ. فقال ورقة في ذلك اشعاراً قدمناها قبل هذا ، منها قوله :

لججتُ[2] وكنتَ في الذّكرى لجوجاً ... لأمرٍ طالما بعث النشيجا[3]
ووصفٍ من خديجة بعدَ وصفٍ ... فقد طالَ انتظاري يا خديجا
ببطنِ المكّتَيْن على رجائي ... حديثَكِ أن أرى منه خَروجا
بما خبرتِنا من قولِ قَسٍ ... من الرهبانِ أكرهْ ان يعَوجا
بأنَّ محمداً سيسودَ قوماً ... ويخصم من يكونُ له حَجيجا
ويضهرُ في البلادِ ضياءُ نورٍ ... يقيم به البريّةَ أنْ[4] تعُوجا
فيلقى من يحاربُهَ خَساراً ... ويَلقى من يُسالمهُ فلوجا[5]
فياليتني إذا ما كانَ ذا كم ... شَهِدتُ وكنتُ أوّلَهُمُ وُلُوجا[6]
ولو كانَ الذي كرهتْ قريشٌ ... ولو عَجَّتْ بمكّتِها عَجيجا[7]
أرجّي بالّذي كرِهوا جَميعاً ... إلى ذي العرشِ إذ سَفَلوا عَروجا
فإنْ يَبقوا وأبقَ يكنُّ أُموراً ... يَضِجُّ الكافرونَ لها ضجيجا

وقال ايضاً في قصيدته الأخرى :

وأخبارِ صدقٍ خبَّرتْ عن محمدٍ ... يخبِّرها عنهُ إذا غابَ ناصحَ

---

(١) سورة الفاتحة بكاملها .
(٢) لججت : الحيت .
(٣) النشيج : البكاء .
(٤) وردت في سيرة ابن هشام : أن تموجاً .
(٥) فلوج : ماء .
(٦) ولوج : دخول .
(٧) العجيج : الصوت المرتفع .

بـأنّ ابنَ عبـدِ الله أحمـدَ مـرسـلٌ إلى كلِّ من ضُمّتْ، عليه الأبـاطـح[1]
وظني بـه أنّ سـوفَ يُبْعَثُ صـادِقـاً كمـا أرسِلَ العبـدان هـودَ وصـالـح
ومـوسى وابـراهيم حتى يُـرى لـه بهـاءٌ ومنشـورٌ من الـحقِّ[2] واضـح
ويـتـبـعُـه حيّـا لـؤيّ بنُ غـالـبٍ شبـابُهُم والأشيَبونُ الجحـاجـح[3]
فـإن ابقَ حتى يـدركَ النـاسُ دهـرهُ فـإني بـه مستـبـشـرُ الـودِّ فـارح
وإلا فـإني يـا خـديجـةُ فـاعـلمي عن أرضِكِ في الأرض العريضةِ سائح

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال ورقة :

فـان يكُ حقـاً يا خديجـةُ فاعلمي حديثَـكَ إيّانـا فأحمـدُ مرسَل
وجبـريلُ يأتيه وميكالُ معْهُما من اللّهِ وحـيٌ يشـرحُ الصّدرَ مُنْزَل
يفـوزُ به مَن فازَ فيهـا بتوبةٍ ويشقي به العـانـي[4] الغريرُ المضلَّل
فريقـان منهـمْ فرقـةٌ في جِنانهِ وأخـرى بأحـوازِ الجحيمِ تَعلَّل
إذا ما دَعوا بالـويلِ فيهـا تتابعتْ مـقامـعُ[5] في هاماتهـمْ ثمّ تشعل
فسُبحـانَ من يُهـوي الـرياحَ بأمره ومـن هو في الأيام ما شاءَ يفعل
ومـن عرشُـه فوق السمـواتِ كلِّها واقضـاؤه في خَلْقِـه لا تُبدَّل

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجـالِ وصَـرْفِ الدهـر والقدرِ ومـا لشـيء قضـاهُ اللّـهُ من غيرَ
حتـى خديجـةُ تدعونـي لأخبرَها أمـراً أراهُ سيأتـي النـاسَ من أخر
وخبَّرتنـي بأمـرٍ قد سمعـتُ به فيما مضـى من قديم الدهـرِ والعُصُر
بـأنّ احمـدَ يأتيه فيخبرُه جبـريلُ انّـكَ مبعـوثٌ الـى البَشَر
فقلـتُ علَّ الـذي ترجين يُنجِزُه للكِ الإلـهُ فرجّـي الخيرَ وانتظري
وأرسـليه إلينـا كي نُسائلهَ عن آمـرِهِ ما يرى في النـوم والسَهَر
فقـالَ حين أتانـا مَنطِقـاً عَجَباً يقفُ منـه اعالـي الجلـدِ والشعرِ
إنـي رأيتُ امينَ الله واجَهَني في صورةٍ أُكملتْ من أعظـم الصور
ثـم استمـر فكاد الخـوفُ يُذْعِرني ممـا يسلِّـم مِنْ حولـي من الشجر

(١) الاباطح : السيل الواسع .
(٢) في الحلبية : من الذكر واضح .
(٣) الجحاجح : الكرام .
(٤) العاني : الشقي التعب .
(٥) مقامع : خشبة او حديدة يُضرب بها الانسان لِيُذل .

فقلـتُ ظَنّـي ومـا ادري أيصدقني   ان سوفَ يُبعَثُ يتلو مُنْـزَل السُّور
وسـوف يبليك ان اعلنـتَ دعوتَهُم   من الجهـادِ بلا منٍ ولا كَدَر

وهكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل وعندي في صحتها عن ورقة نظر والله اعلم.

وقال ابن اسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ـ وكان داعية ـ عن بعض اهل العلم ان رسول الله ﷺ : حين اراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجة ابعد حتى يحسر الثوب عنه ويفضي الى شعاب مكة وبطون اوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله . قال فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان قال ابن اسحاق وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد كيف كان بدومَا ابتدأ به رسول الله ﷺ : من النبوة حين جاءه جبريل قال فقال عبيد وانا حاضر ـ يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس ـ : كان رسول الله ﷺ : يجاور في حراء في كل سنة شهراً يتحنث قال وكان ذلك مما يحبب به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر فكان رسول الله ﷺ : يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل ان يدخل بيته فيطوف بها سبعاً او ما شاء من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما اراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها وذلك الشهر رمضان خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه اهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى قال رسول الله ﷺ : « فجاءني وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ ؟ قلت ما أقرأ ؟ قال فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما أقرأ ؟ قال فغتني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني ، فقال أقرأ فقلت ما أقرأ ؟ قال فغتني حتى ظننت به الموت ثم أرسلني . فقال اقرأ قلت ماذا اقرأ ما أقول ذلك ألا اقتدا منه ان يعود لي بمثل ما صنع بي فقال : ﴿ أقرأ باسم ربكَ الذي خَلَق خَلَقَ الانسان من علقٍ اقرأ وربُكَ الأكرمُ الذي عَلَّمَ بالقَلَم علَّم الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَم ﴾[1] قال فقرأتها ثم انتهى وانصرف عنى وهببت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتاباً . قال فخرجت حتى اذا في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي الى السماء فأنظر فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت اصرف وجهي عنه في آفاق السماء فما انظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً الى اهلي حتى اتيت

---

(١) سورة العلق الآيات ١-٢-٣-٤-٥ .

خديجة فجلست الى فخذها مضيفا اليها فقالت يا أبا القاسم اين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي ثم حدثتها بالذي رأيت . فقالت ابشريا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فاخبرته بما اخبرها به رسول الله ﷺ : فقال ورقة : قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وأنه لنبي هذه الأمة ، وقولي له فليثبت . فرجعت خديجة الى رسول الله ﷺ : فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله ﷺ : جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال يا ابن أخي اخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن انا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه ، ثم ادنى رأسه منه فقبل يافوخه[1] ثم انصرف رسول الله ﷺ : إلى منزله ». وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلتئذ ويحتمل أنه كان بعده بمدة والله اعلم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال وكان فيما بلغنا اول ما رأى يعني رسول الله ﷺ : ان الله تعالى أراه رؤ يا في المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت ابشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيراً ثم إنه خرج من عندها ثم رجع اليها فاخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان قالت هذا والله خير فابشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فاجلسه على مجلس كريم معجب كان النبي ﷺ : يقول اجلسني على بساط كهيئة الدرنوك[2] فيه الياقوت واللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن رسول الله ﷺ : فقال له جبريل اقرأ فقال كيف أقرأ فقال : ﴿ إقرأ باسمِ ربكَ الذي خَلَقَ خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ إقرأ وربُكَ الأكرم الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ عَلَمَّ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[3]. قال ويزعم ناس أن «يا أيها المدثر» أول سورة نزلت عليه والله أعلم . قال فقبل رسول الله ﷺ : رسالة ربه واتبع ما جاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف منقلبا الى بيته جعل لا يمرُّ على شجر ولا حجر إلا سلم عليه فرجع الى أهله مسروراً موقناً انه قد رأى امراً عظيماً دخل على خديجة قال أرأيتك التي كنت حدّثتك أني رأيته في المنام فانه جبريل استعلن إليَّ أرسله إليَّ ربي عز وجل وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً وأقبل الذي جاءك من أمر الله فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقاً. ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من اهل نينوى يقال له عداس

---

(١) يافوخه : مقدمة جمجمته .

(٢) الدرنوك : نوع من البسط او الثياب له خمل .

(٣) سورة العلق : الآيات ١-٢-٣-٤-٥ .

فقالت له يا عداس أذكرك بالله إلا ما اخبرتني هل عندك علم من جبريل فقال : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الارض التي اهلها اهل الأوثان. فقالت : اخبرني بعلمك فيه . قال فانه امين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام . فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة ابن نوفل فذكرت له ما كان من امر النبي ﷺ : وما القاه اليه جبريل. فقال لها ورقة : يا بنية اخي ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر اهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل، وأقسم بالله لإن كان إياه ثم أظهر دعواه وانا حيٌّ لأبلين الله في طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر . فمات ورقة رحمه الله . قال الزهري فكانت خديجة اول من آمن بالله وصدق ورسوله ﷺ : قال الحافظ البيهقي بعد إيراده ما ذكرناه والذي ذكر فيه من شق بطنه يحتمل ان يكون حكاية منه لما صنع به في صباه يعني شق بطنه عند حليمة ويحتمل ان يكون شق مرة اخرى ثم ثالثة حين عرج به الى السماء والله اعلم . .

وقد(1) ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة باسناده الى سليمان بن طرخان التيمي. قال : بلغنا ان الله تعالى بعث محمداً رسولا على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان اول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم في حراء وكان يفر اليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله ﷺ مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وطهر قلبه ، يا محمد ابشر ! فانك نبي هذه الأمة . اقرأ فقال له نبي الله : وهو خائف يرعد ـ ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ فأخذه جبريل فغتّه غتّاً شديداً ثم تركه قال له اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ الآيات ثم قال له لا تخف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف وأقبل على رسول الله ﷺ همه فقال كيف أصنع وكيف أقول لقومي ثم قام رسول الله ﷺ وهو خائف فأتاه جبريل من امامه وهو في صعرته فرأى رسول الله ﷺ امراً عظيماً ملأ صدره فقال له جبريل لا تخف يا محمد جبريل رسول الله جبريل رسول الله الى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله فانك رسول الله فرجع رسول الله ﷺ لا يمر على شجر ولا حجر الا هو ساجد يقول السلام عليك يا رسول الله : فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغير لونه فأفزعها ذلك ، فقامت اليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم فقال يا خديجة أرأيت الذي كنت ارى في المنام والصوت الذي كنت اسمع في اليقظة واهال منه فانه جبريل قد استعلن لي وكلمني واقرأني كلاماً فزعت منه ثم عاد الي فأخبرني أني نبي هذه الأمة فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلن السلام عليك يا رسول الله .

---

(1) من هنا والى قال البيهقي حدثنا ابو عبدالله الحافظ ساقط من النسخة المصرية .

فقالت خديجة : أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً وأشهد أنك نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيرى الراهب وأمرني أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل برسول الله ﷺ حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها . قال : مالك يا سيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلت اليك لتخبرني عن جبريل فقال سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكر في هذه البلاد التي يعبد أهلها الأوثان جبريل أمين الله ورسوله الى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى ، فعرفت كرامة الله لمحمد ثم اتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عداس فسألته فاخبرها بمثل ما اخبرها به الراهب وأزيد . قال : جبريل كان مع موسى حين اغرق الله فرعون وقومه ، وكان معه حين كلّمه الله على الطور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذي أيده الله به . ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألها ما الخبر فأحلفته ان يكتم ما تقول له فحلف لها فقالت له إن ابن عبد الله ذكر لي وهو صادق احلف بالله ما كذب ولا كذب انه نزل عليه جبريل بحراء وأنه اخبره أنه نبي هذه الأمة وأقرأه آيات أرسل بها . قال : فذعر ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الارض لقد نزل على خير اهل الأرض وما نزل إلا على نبي وهو صاحب الانبياء والرسل يرسله الله اليهم وقد صدقتك عنه فارسلي إلى ابن عبد الله اسأله وأسمع من قوله وأحدثه فاني أخاف ان يكون غير جبريل فان بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلهاً[1] مجنوناً . فقامت من عنده وهي واثقة بالله ان لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قاله ورقة فانزل الله تعالى : ﴿ ن والقلمِ وما يَسْطُرُوْنَ ما أنْتَ بِنِعْمَةِ ربكَ بمجنونٍ ﴾[2] الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل فقالت له أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله ان يهديه فجاءه رسول الله ﷺ : فقال له ورقة هذا الذي جاءك جاءك في نور أو ظلمة فأخبره رسول الله ﷺ عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه اليه . فقال ورقة : أشهد ان هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أمرك بشيء تبلغه قومك وانه لأمر نبوة فان أدرك زمانك أتبعك ثم قال ابشر ابن عبد المطلب بما بشّرك الله به . قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله ﷺ فشق ذلك على الملأ من قومه قال وفتر الوحي. فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قلاه فانزل الله والضحى وألم نشرح بكمالهما . .

وقال البيهقي حدثنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو العباس حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني اسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله ﷺ فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوّته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك. فقال نعم ! فقالت : إذا جاءك فاخبرني . فبينا رسول الله ﷺ عندها إذ

---

(١) مدلهاً : متحيراً ومدهوشاً .

(٢) سورة القلم : الآيات ١ـ٢ .

جاء جبريل فرآه رسول الله ﷺ فقال : يا خديجة ! هذا جبريل فقالت ! أتراه الآن قال نعم ! قالت فاجلس الى شقي الايمن فتحول فجلس فقالت أتراه الآن قال نعم ! قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها فقالت هل تراه الآن قال نعم ! فتحسرت[1] رأسها فشالت خمارها ورسول الله ﷺ : جالس في حجرها فقالت هل تراه الآن قال لا قالت ما هذا بشيطان ان هذا لملك يا ابن عم فاثبت وأبشر ثم آمنت به وشهدت ان ما جاء به هو الحق .

قال ابن اسحاق فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال قد سمعت امي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أني سمعتها تقول ادخلت رسول الله ﷺ : بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام . قال البيهقي : وهذا شيء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً . فأما النبي ﷺ فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ تسليما .

وقد قال مسلم في صحيحه حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه . ان رسول الله ﷺ قال : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » . وقال ابو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : «إن بمكة لحجراً كان يسلم عليّ ليالي بعثت إني لأعرفه إذا مررت عليه ». وروى البيهقي من حديث اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عباد بن عبد الله عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه . قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله . وفي رواية لقد رأيتني ادخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليكم يا رسول الله وانا اسمعه .

فصل :

قال البخاري في روايته المتقدمة ثم فتر الوحي حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك . وفي الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال سمعت ابا سلمة عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء فجثيت منه فرقاً حتى

---

(١) تحسرت : خلعت ما على رأسها .

هويت الى الأرض فجئت اهلي فقلت زملوني زملوني فانزل الله : ﴿ يا أيُّها المدثرُ قُمْ فَأنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ والرِجْزَ فَاهْجُرْ ﴾[1] قال ثم حمى الوحي وتتابع فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقا، ذاك قوله : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ وقد ثبت عن جابر أن اول ما نزل ﴿ يا أيها المدّثر ﴾ واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه في سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذي عرفه ثانياً بما عرفه به اولاً اليه . ثم قوله : يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الايحاء والله اعلم . وقد ثبت في الصحيحين من حديث علي بن المبارك وعند مسلم والاوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن أي القرآن أنزل قبل . فقال : ﴿ يا أيها المدّثر ﴾ فقلت ﴿ واقرأ باسم ربك ﴾ فقال سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل فقال ﴿ يا أيها المدّثر ﴾ فقلت ﴿ وأقرأ باسم ربك ﴾ فقال قال رسول الله ﷺ : « إني جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت[2] الوادي فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر شيئاً ثم نظرت إلى السماء فاذا هو على العرش في الهواء فاخذتني رعدة ـ او قال وحشة ـ فاتيت خديجة فامرتهم فدثروني فانزل الله : (يا أيها المدثر) حتى بلغ (وثيابك فطهر)ـ وقال في رواية ـ فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه » وهذا صريح في تقدم اتيانه اليه وانزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله اعلم . ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة : ﴿ والضُّحَى والَّليْل إذا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾[3] إلى آخرها . قاله محمد بن اسحاق . وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله ﷺ في أولها فرحاً وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح من ان اول القرآن نزولا بعد فترة الوحي: ﴿ يا أيهاالمدثّر قم فانذر ﴾ ولكن نزلت سورة والضحى بعد فترة اخرى كانت لليالي يسيرة كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث الاسود بن قيس عن جندي بن عبد الله البجلي . قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين او ثلاثا فقالت امرأة ما أرى شيطانك إلا تركك فانزل الله ﴿ والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ﴾ وبهذا الأمر حصل الارسال الى الناس وبالاول حصلت النبوة . وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريبا من سنتين او سنتين ونصفا . والظاهر والله أعلم أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبي وغيره ، ولا ينفي هذا تقدم ايحاء جبريل اليه اولاً ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ثم اقترن به جبريل بعد نزول ﴿ يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ﴾ وثم حمى الوحي بعد هذا وتتابع ـ اي تدارك شيئاً بعد شيء ـ وقام حينئذ رسول الله ﷺ في الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا الى الله القريب والبعيد ، والاحرار والعبيد ، فآمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد ، فكان أول من بادر إلى

---

(١) سورة المدثّر الآيات : ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ .
(٢) استبطن : نزل المكان المنخفض .
(٣) سورة الضحى الآيات : ١-٢-٣ .

التصديق من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق، ومن الغلمان علي بن أبي طالب ، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام ، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم . وتقدم الكلام على ايمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي ومات في الفترة رضي الله عنه .

فصــــل :

﴿ في منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفا واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق ﴾ .

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه ان حجبهم عن السماء كما قال الله تعالى : إخباراً عنهم في قوله : ﴿وأنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وشُهباً . وإنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ للسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ له شَهَاباً رصداً ، وأنَّا لا نَدْري أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ في الأرضِ أن أرادَ بهم رَبُّهُمْ رُشْداً﴾[1]. وقال تعالى : ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِيْنُ وما يَنْبَغي لهم وما يَسْتَطِيْعُونَ إنَّهُمْ عنِ السمعِ لَمَعْزُولُوْنَ﴾[2] قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد . وهو الطبراني ـ حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن ابي مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن سعيد بـن جبير عن ابن عباس . قال : كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحي فاذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فتكون باطلاً ، فلما بعث النبي ﷺ منعـوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمي بها قبل ذلك فقال لهم ابليس هذا لأمر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قـائمـاً يصلي بين جبلين فاتوه فاخبروه فقال هذا الأمـر الـذي قد حدث في الأرض . وقال ابو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله ﷺ واصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم ؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : ﴿إنَّـا سَمِعْنَـا قُرآنـاً عجبـاً يهدي إلى الرشدِ فآمنا به ولنْ نُشْرِكَ بِرَبنَا أحداً﴾[3] فاوحى الله إلى نبيه ﷺ : ﴿ قُل اوحى اليَّ انـهُ استَمعَ نَفَرٌ من الجنِ ﴾[4] الآية . أخرجاه في الصحيحين وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فاذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتا كصوت الحديدة ألقيتها على الصفا ، قال اذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رؤوسهم حتى ينزل فاذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال

---

(١) سورة : الجن الآيات : ٨-٩-١٠ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢١٠ .

(٣) سورة الجن الآيات : ١-٢ .

(٤) سورة الجن الآية الأولى .

ربكم ؟ فان كان مما يكون في السماء قالوا : الحق وهو العلي الكبير ، وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب او موت شيء مما يكون في الأرض تكلموا به فقالوا يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على اوليائهم فلما بعث النبي محمدﷺ دحروا بالنجوم فكان اول من علم بها ثقيف فكان ذو الغنم منهم ينطلق الى غنمه فيذبح كل يوم شاة وذا الابل فينحر كل يوم بعيراً فاسرع الناس في اموالهم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فان كانت النجوم التي يهتدون بها وإلا فانه لأمر حدث فنظروا فاذا النجوم التي يهتدى بها كما هي لم يزل منها شيء فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا وانطلقت الشياطين الى ابليس فاخبروه . فقال : هذا حدث حدث في الأرض فأتوني من كل ارض بتربة فأتوه بتربة تهامة فقال ههنا الحدث . ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب. وقال الواقدي : حدثني اسامة بن زيد بن اسلم عن عمر بن عبدان العبسي عن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمى بها فرأت قريش امراً لم تكن تراه فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون ارقاءهم يظنون انه الفناء ، فبلغ ذلك من فعلهم اهل الطائف ففعلت ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى . ؟ قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء فقال إن افادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا وانظروا فان تكن نجوما تعرف فهو عندنا من فناء الناس وإن كانت نجوما لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف فاخبروه فقال الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبي . فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله فجاء عبد يا ليل فذاكره أمر النجوم فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدَّعي أنه نبي مرسل فقال عبد ياليل فعند ذلك رمى بها . وقال سعيد بن منصور عن خالد بن حصين عن عامر الشعبي . قال : كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله ﷺ فسيبوا انعامهم واعتقوا رقيقهم . فقال عبد ياليل : انظروا فان كانت النجوم التي تعرف فهو عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف . قال : فامسكوا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي ﷺ وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه . فلعل مراد من نفى ذلك انها لم تكن تحرس حراسة شديدة ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في الحديث من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رمى بنجم فاستنار فقال : «ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا »؟ قال كنا نقول مات عظيم ، وولد عظيم فقال : «لا ولكن ». فذكر الحديث كما تقدم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في اول بدء الخلق ولله الحمد .

وقد ذكر ابن اسحاق في السيرة قصة رمي النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم: إن كانت اعلام السماء او غيرها ولكن سماه عمرو بن أمية فالله اعلم . وقال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ

قداتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من امر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبيا رجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا : هلك اهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون ارقاءهم ويسيبون مواشيهم . فقال لهم عبد يا ليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر اهل الطائف امسكوا عن اموالكم وانظروا الى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة في امكنتها فلم يهلك اهل السماء وإنما هو من ابن ابي كبشة ، وإن انتم لم تروها فقد اهلك اهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة فاتوا ابليس فقال ائتوني من كل ارض بقبضة من تراب فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله ﷺ في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم اسلموا فانزل الله امرهم على نبيه ﷺ . وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن ابن ابي حكيم ـ يعني اسحاق ـ عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله ﷺ أصبح كل صنم منكساً فأتت الشياطين فقالوا له ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً ، قال هذا نبي بعث فالتمسوه في قرى الأرياف فالتمسوه فقالوا لم نجده فقال أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودى عليك بجنبة الباب ـ يعني مكة ـ فالتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب فخرج الى الشياطين فقال : إني قد وجدته معه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : نزين الشهوات في عين اصحابه ونحببها اليهم قال فلا آسي إذا . وقال الواقدي حدثني طلحة بن عمرو عن ابن ابي ملكية عن عبد الله بن عمر وقال ما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب فجاؤا إلى ابليس فذكروا ذلك له فقال : امر قد حدث هذا نبي قد خرج عليكم بالارض المقدسة مخرج بني اسرائيل قال فذهبوا الى الشام ثم رجعوا اليه فقالوا ليس بها احد فقال ابليس انا صاحبه فخرج في طلبه بمكة فاذا رسول الله ﷺ بحراء منحدراً معه جبريل فرجع الى اصحابه فقال قد بعث احمد ومعه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحببها الى الناس قال فذاك إذا . قال الواقدي: وحدثني طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس . قال : كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد ﷺ منعوا فشكوا ذلك الى ابليس فقال : لقد حدث امر فرقي فوق أبي قبيس ـ وهو اول جبل وضع على وجه الأرض ـ فرأى رسول الله ﷺ يصلي خلف المقام . فقال : اذهب فاكسر عنقه . فجاء يخطر وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا فولى الشيطان هارباً . ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيري كلاهما عن رباح بن أبي معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن .

فصــل :

في كيفية اتيان الوحي الى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفية ما جاء جبريل في اول مرة ، وثاني مرة ايضاً وقال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله كيف يأتيك

الوحي ؟ فقال : « أحياناً يأتيني مثل صلصة[1] الجرس - وهو أشده عليّ - فيفصم عني وقد وعيت ما قال، واحياناً يتمثل لي الملك رجلاً يكلمني فأعي ما يقول ». قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيتهﷺ : ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد[2] عرقاً أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به ورواه الإمام احمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة نحوه . وكذا رواه عبدة بن سليمان وانس بن عياض عن هشام بن عروة ، وقد رواه ايوب السختياني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله ﷺ فقلت كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة . وفي حديث الأفك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه . فاخذه ما كان يأخذه من البرجاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي نزل عليه . وقال الإمام احمد حدثنا عبد الرزاق اخبرني يونس ابن سليم قال املي على يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل ، وذكر تمام الحديث في نزول (قد افلح المؤمنون) وكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائي: منكر لا نعرف احداً رواه غير يونس بن سليم . ولا نعرفه. وفي صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت . قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وتربّد وجهه - وفي رواية وغمض عينيه - وكنا نعرف ذلك منه . وفي الصحيحين حديث زيد بن ثابت حين نزلت ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين ﴾[3] فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (غير أولى الضرر) . قال وكانت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي وأنا اكتب فلما نزل الوحي كادت فخذه ترض فخذي . وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى عن عطاء عن يعلى بن أمية . قال قال لي عمر : ايسرك ان تنظر الى رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه ؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى اليه بالجعرانة ، فاذا هو محمر الوجه . وهو يغط كما يغط البكر .. وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سودة خرجت بعد ذلك الى المناصع ليلاً ، فقال عمر : قد عرفناك يا سودة . فرجعت الى رسول الله ﷺ فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده ، فاوحى الله اليه والعرق في يده ، ثم رفع رأسه فقال: «﴿ إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحاجَتِكُن ﴾ . فدل هذا على انه لم يكن الوحي يغيّب عنه احساسه بالكلية ، بدلّيل أنه جالس ولم يسقط العرق ايضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه . وقال ابو داود الطيالسي حدثنا عباد بن منصور حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ اذا أنزل عليه الوحي تربّد لذلك جسده ووجهه وامسك عن اصحابه ولم يكلمه احد منهم . وفي مسند احمد وغيره من حديث

---

(١) صلصة : الصوت القوي .

(٢) يتفصد : يسيل .

(٣) سورة النساء الآية : ٩٥ .

ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ قال «نعم اسمع صلاصل ثم اثبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت ان نفسي تفيظ منه » . وقال ابو يعلى الموصلي حدثنا ابراهيم بن الحجاج حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم بن كليب حدثنا أبي عن خاله العليان بن عاصم . قال : كنا عند رسول الله ﷺ وأنزل عليه ، وكان اذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل، وروى ابو نعيم من حديث قتيبة حدثنا علي بن غراب عن الأحوص بن حكيم عن أبي عوانة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. قال : كان رسول الله ﷺ اذا نزل عليه الوحي صدع وغلّف رأسه بالحناء. هذا حديث غريب جدا . وقال الإمام أحمد حدثنا ابو النصر حدثنا ابو معاوية سنان عن ليث عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد . قالت : إن لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذ نزلت عليه (المائدة)[1] كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة . وقد رواه ابو نعيم من حديث الثوري عن ليث ابن أبي سليم به . وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني جبر بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال : أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها . وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل عن عاصم الأحول حدّثتني أم عمرو عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها . وهذا غريب من هذا الوجه . ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية ، وهو على راحلته ، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله اعلم . وقد ذكرنا انواع الوحي اليه ﷺ في أول شرح البخاري وما ذكره الحليمي وغيره من الأئمة رضي الله عنهم .

فَصــل :

قال الله تعالى﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لتعجَل بِهِ إن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرآنهُ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ ولا تَعْجَلْ بالقرآنِ منْ قَبْلِ أن يقْضَى اليك وحْيُهُ، وقُلْ ربِ زِدْنِي علماً ﴾[3] وكان هذا في الابتداء ، كان عليه السلام من شدة حرصه على اخذه من الملك ما يوحى اليه عن الله عز وجل ليساوقه في التلاوة، فامره الله تعالى ان ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي ، وتكفل له ان يجمعه في صدره ، وان ييسر عليه تلاوته وتبليغه، وان يبينه له ، ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه . ولهذا قال : ﴿ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل انّ يُقْضَى اليك وحْيُهُ وقلْ ربِ زدني علماً ﴾ وقال : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه ﴾ اي في صدرك ﴿وقرآنه ﴾ اي وان تقرأه ﴿فاذا قرأناه ﴾ اي تلاه عليك الملك ﴿فاتبع قرآنه ﴾ اي فاستمع له وتدبره ﴿ثم إن علينا بيانه ﴾ وهو نظير قوله ﴿ وقل رب زدني علما ﴾. وفي الصحيحين من حديث موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير

(١) المقصود سورة المائدة .
(٢) سورة القيامة الآية : ١٦ .
(٣) سورة طه الآيات : ١١٤ .

عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة؛ فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ قال جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ فاستمع له وانصت ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ قال فكان إذا اتاه جبريل اطرق ، فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

فصـــل :

قال ابن اسحاق: ثم تتابع الوحي الى رسول الله ﷺ وهـو مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله ـ على رضا العباد وسخطهم ـ وللنبوة اثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاؤوا به عن الله عز وجل فمضى رسول الله ﷺ على ما أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن اسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدَّقت بما جاء من الله ووازرته على امره ، وكانت اول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رضي الله عنها وارضاها .

قال ابن اسحاق: وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر . قال قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ، لاصخب فيه ولا نصب ». وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام . قال ابن هشام : القصب ها هنا اللؤلؤ المجوف .

قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله ﷺ يـذكر جميع ما انعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً إلى من يطمئن اليه من اهله . وقال موسى بن عقبة عن الزهري : كانت خديجة اول من آمن بالله وصدق رسوله ، قبل ان تفرض الصلاة .

قلت : يعني الصلوات الخمس ليلة الاسراء. فأما اصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجـة رضي الله عنها كما سنبينه .

وقال ابن اسحاق: وكانت خديجة أو مـن آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء به . ثم ان جبريل أتـى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد اربع سجدات ، ثم رجع النبي ﷺ وقـد أقـر الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها الى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين واربع سجدات، ثم كان هو وخديجة يصـليان سراً .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصـلاة التـي صلاهـا به عنـد البيت مرتين ، فبين له اوقـات

الصلوات الخمس ، اولها وآخرها ، فان ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الاسراء ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان .

فصــــل :

أول من أسلم من متقدمي الاسلام والصحابة وغيرهم

قال ابن اسحاق : ثم ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان . فقال علي يا محمد ما هذا ؟ قال دين الله الذي أصطفى لنفسه ، وبعث به رسله ، فادعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته . وأن تكفر باللات والعزى. فقال على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب . فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره . فقال له : يا علي إذا لم تسلم[1] فاكتم. فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله اوقع في قلب علي الإسلام ، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال ماذا عرضت عليَّ يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الانداد » ففعل عليّ وأسلم ، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكتم علي اسلامه ولم يظهره ، وأسلم ابن حارثة ـ يعني زيداً ـ فمكثا قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله ﷺ وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

قال ابن اسحاق: حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: وكان مما أنعم الله به على عليّ أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : لعمه العباس ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة ، فانطلق حتى تخفف عنه من عياله » فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه اليه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه عليّ وآمن به وصدقه . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي ـ من أهل الكوفة ـ حدثني اسماعيل بن أبي إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف ـ وكان عفيف أخا الاشعث بن قيس لأمه ـ أنه قال : كنت امرءاً تاجراً فقدمت منى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرءاً تاجراً ، فاتيته ابتاع منه وابيعه ، قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلي تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه . فقلت: يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندري ما هو فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به . قال عفيف فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانيا . وتابعه ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق ، وقال : في الحديث: إذ خرج رجل من خباء قريب

---

(١) في المصرية اذا لم تسمع فإكتم .

منه، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي . ثم ذكر قيام خديجةوراءه . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبدة البجلي عن يحيى بن عفيف. قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأةفخر الشاب ساجداً فسجدا معه، فقلت يا عباس أمر عظيم ! فقال أمر عظيم . فقال أتدري من هذا؟ فقلت لا ، فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، أتدري من الغلام؟ قلت لا . قال هذا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أتدري من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت لا ، قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي. وهذا حدثني أن ربك رب السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه ، وايم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . وقال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا عيسى بن سوادة بن أبي الجعد حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي . قالوا : علي أول من اسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابن تسع سنين . وحدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق . قال : أول ذكر آمن برسول الله ﷺ : وصلى معه وصدقه علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله ﷺ قبل الاسلام . قال الواقدي أخبرنا إبراهيم عن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال : أسلم عليّ وهو ابن عشر سنين . قال: الواقدي : وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة . وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين اسلما أبو بكر وعلي ، وأسلم عليّ قبل أبي بكر ، وكان علي يكتم إيمانه خوفاً من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال أسلمت ؟ قال نعم ! قال وازر ابن عمك وانصره . قال وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام ، وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس . قال : أول من صلى عليّ : وحدثنا عبد الحميد بن يحيى حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد ابن عقيل عن جابر قال : بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء وروى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة ـ رجل من الانصار ـ سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب . قال فذكرته للنخعي فأنكره . قال : أبو بكر أول من أسلم . ثم قال حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين وهكذا رواه ابن ماجة عن محمد بن إسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى الفهمي ـ وهو شيعي من رجال الصحيح ـ عن العلاء بن صالح الازدي الكوفي ـ وثقوه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة . وقال علي بن المديني روى أحاديث مناكير والمنهال بن عمرو ثقة . وأما شيخه عباد بن عبد الله ـ وهو الأسدي الكوفي ـ فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث ، وقال البخاري فيه نظر . وذكره ابن حيان في الثقات ، وهذا الحديث منكر بكل حال ، ولا يقوله علي

رضي الله عنه، وكيف يمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين ؟ هذا لا يتصور أصلا والله أعلم .
وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق، والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السباقات ـ وقيل الرجال أيضاً ـ وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب. فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت . وأول من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً ، وصاحب مال وداعية إلى الإسلام. وكان محبباً متألفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله. قال يونس عن ابن إسحاق إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا، وتسفهك عقولنا، وتكفيرك آبائنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : «بلى إني رسول الله ونبيّه بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه الحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته» وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر . فأسلم وكفر بالاصنام، وخلع الانداد وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ما عكم [1] عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه » عكم ـ أي تلبث ـ وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ، ما يمنعه من الكذب على الخلق . فكيف يكذب على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ، ولا عكم وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي افردناه في سيرته وأوردنا فضائله وشمائله واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي ﷺ من الأحاديث ، وما روى عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاثة مجلدات ولله الحمد والمنة . وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر رضي الله عنهما من الخصومة وفيه . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله بعثني اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق. وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي » مرتين . فما أوذى بعدها ، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد . قال قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ألست أحق الناس بها ، ألست أول من أسلم ، ألست صاحب كذا ؟ وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو إسحاق السبيعي عن الحارث سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبي ﷺ من الرجال علي بن أبي طالب وقال شعبة عن عمرو

(١) عكم : إنصرف .

ابن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق . رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم علي بن أبي طالب. قال عمرو بن مرة فذكرته لابراهيم النخعي فانكره وقال أول من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وروى الواقدي باسانيده عن أبي أروي الدوسي وأبي مسلم بنّ عبد الرحمن في جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن رجل قال سئل ابن عباس من أول من آمن ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، أما سمعت قول حسان :

إذا تذكَّرتَ شجْواً [1] من أخي ثقةٍ ... فأذكرْ أخاك أبا بكر بما فَعلا
خير البريّةِ أوفاها وأعدَلَها ... بعدَ النبّي وأولاها بما حَملا
والتاليُ الثانيُ المحمودُ مَشهدُه ... وأولُ الناسِ منهم صدَّقَ الرسُلا
عاشَ حميداً لأمرِ الله متَّبعاً ... بأمرِ صاحبِهِ الماضي وما انتَقَلا

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شيخ لنا عن مجالد عن عامر قال سألت ابن عباس ـ أو ـ سئل ابن عباس ـ أي الناس أول اسلاما ؟ قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره وهكذا رواه الهيثم بن عدي عن مجالد عن عامر الشعبي سألت ابن عباس فذكره . وقال أبو القاسم البغوي حدثني سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد ، لا يشكون أن أول القوم اسلاماً أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

قلت : وهكذا قال ابراهيم النخعي ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعد بن ابراهيم وهو المشهور عن جمهور أهل السنة . وروى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالا : لم يكن أولهم اسلاما ، ولكن كان أفضلهم اسلاماً . . قال سعد : وقد آمن من قبله خمسة . وثبت في صحيح البخاري من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر. قال : رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان، وأبو بكر. وروى الإمام أحمد وابن ماجة من حديث عاصم ابن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود. قال : أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب، وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ : فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فالبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالاً فانه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد .

---

(١) شجواً : ألماً وحزناً .

وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلاً . فأما ما رواه ابن جرير قائلاً أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن حبلة[1] عن ابراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال قلت لأبي أكان أبو بكر أولكم اسلاماً قال : لا ! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا إسلاماً ، فإنه حديث منكر اسناداً ومتنا . وقال ابن جرير وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد بن حارثة ، ثم روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألت الزهري من أول من أسلم من النساء ؟ قال خديجة. قلت فمن الرجال، قال زيد بن حارثة . وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أجاب ابو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن الغلمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن اسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مألفا لقومه محباً سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلا تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحةبن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر. فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله . وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبي عن إبراهيم بن محمد بن أبي طلحة قال قال طلحة ابن عبيد الله حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة قلت نعم أنا ، فقال هل ظهر أحمد بعد ؟ قلت ومن أحمد ؟ قال ابن عبد الله ابن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ ، فاياك أن تسبق إليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث ؟ قالوا نعم محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ ، وقد أتبعه أبو بكر بن أبي قحافة . قال فخرجت حتى قدمت على أبي بكر ، فقلت أتبعت هذا الرجل ؟ قال نعم فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق ، فأخبره طلحة بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر بذلك . فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية ـ وكان يدعى أسد قريش ـ فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم فلذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبي ﷺ : « اللهم أكفنا شر

(١) في الاصلين حبله بالمهملة وفي ابن جرير جبله بالجيم نقلاً عن محمود الامام .

ابن العدوية» رواه البيهقي. وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الاطرابلسي حدثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عبيد الله حدثني عبد الله [بن محمد] ابن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال حدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية ، فلقيه فقال يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لابآئها وأمهاتها . فقال رسول الله ﷺ : « إني رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الاخشبين أحد أكثر سروراً منه باسلام أبي بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الاسد والأرقم بن أبي الارقم فأسلموا رضي الله عنهم . قال عبد الله بن محمد فحدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة . قالت : لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطيء أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ونزا[1] على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاء بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لامه أم الخير أنظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحّت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت والله مالي علم بصاحبك . فقال اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً[2] فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت هذه امك تسمع ، قال فلا شيء عليك منها ، قالت سالم صالح ، قال أين هو؟ قالت في دار ابن

---

(١) نزا : وثب .

(٢) دنفا : ثقيل المرض . قريباً من الموت .

الارقم ، قال فان الله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس ، خرجتا به يتكيء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ قال فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة . فقال أبو بكر بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا مانال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فاسلمت ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر، ودعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ، او لأبي جهل بن هشام - فاصبح عمر وكانت الدعوة يوم الاربعاء فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت باعلاء مكة ، وخرج أبو الأرقم - وهو أعمى كافر - وهو يقول : اللهم اغفر لبني عبيد الأرقم فانه كفر ، فقام عمر فقال يا رسول الله على ما نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الايمان ، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مر بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبوت ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل اصبعه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه ، حتى أعجز الناس . وأتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الايمان ، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم . قال ما عليك بأبي وأمي والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الايمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمناً ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبي ﷺ والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله . وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادها، وبسطنا القول هنالك ولله الحمد . وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة . وهو حينئذ مستخفي ، فقلت ما أنت ؟ قال أنا نبي ، فقلت وما النبي ؟ قال رسول الله ، قلت الله أرسلك ؟ قال نعم قلت بما أرسلك ؟ قال بان تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الاصنام، وتوصل الارحام . قال قلت نعم ما أرسلك بهفمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد - يعني أبا بكر وبلالاً - قال فكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام . قال فأسلمت ، قلت فاتبعك يا رسول الله ، قال لا ولكن الحق بقومك ، فاذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني . ويقال إن معنى قوله عليه السلام حر وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر . فانه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه فان المؤمنين كانوا إذ ذاك

يستسرون باسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم دع الاجانب دع أهل البادية من الاعراب والله أعلم . وفي صحيح البخاري من طريق أبي أسامة عن هاشم بن هاشم عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : ما أسلم احد من اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام. أما قوله ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه فسهل، ويروى إلا في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل ، إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام . وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الاجماع على تقدم اسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الأثير. ونص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن كلا من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم .
وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام فمشكل وما أدري على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله اعلم . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبدالله - وهو ابن مسعود - قال: كنت غلاما يافعا ارعى غنما لعقبة بن أبي معيط بمكة . فأتى عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال - أو فقالا - عندك يا غلام لبن تسقينا ؟ قلت إني مؤتمن ، ولست بساقيكما فقال هل عندك من جذعة[1] لم ينز[2] عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول ﷺ الضرع ودعا فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني ثم قال للضرع اقلص فقلص، فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال : « إنك غلام معلم » فاخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد . وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة به . ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود به . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن بطة الاصبهاني حدثنا الحسن بن الجهم الحسين بن الفرج حدثنا محمد بن عمر حدثني جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - . قال : كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان أول أخوته أسلم .
وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله أعلم به . ويرى في النوم كأن آت أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله ﷺ آخذا بحقويه ولا يقع ، ففزع من نومه فقال احلف بالله ان هذه لرؤيا حق ، فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر له ، فقال أريد بك خير هذا رسول الله ﷺ فاتبعه فانك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام، والإسلام يحجزك ان تدخل فيها وأبوك واقع فيها فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد ، فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ، ولا يبصر، ولا ينفع ، ولا يدري من عبده ممن لا يعبده » . قال خالد . فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسر رسول الله ﷺ بإسلامه ، وتغيب خالد وعلم أبوه باسلامه،

---

(١) جذعة : شاة صغيرة .

(٢) ينز : يشتهي .

فارسل في طلبه فأتى به . فأنبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعنك القوت : فقال خالد إن منعتني فان الله يرزقني ما اعيش به ، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه .

إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني رجل ممن أسلم ـ وكان واعية ـ أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة ابن عبد المطلب ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت[1] ؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله ﷺ وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فأني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً . فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة في ذلك شعراً[2] .

قال ابن إسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فاتاه الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت . فاقبل حمزة على نفسه وقال ما صنعت اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان ، حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه ، واقامة مثلي على مالا أدري ما هو أرشد أم هو غي شديد ؟ فحدثني حديثاً فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني ، فأقبل رسول الله ﷺ : فذكره ووعظه، وخوفه وبشره ، فالقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء، وأني على ديني الأول . فكان حمزة أعز الله به الدين . وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا عبد الله بن الرومي حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن

---

(١) صبوت : عدت صابئاً .

(٢) لم يذكر هنا شعر حمزه وذكر السهيلي في الروض الآنف قطعة له مطلعها :

حمدت الله حين هدى فؤادي .

الى الاسلام والدين الحنيف ـ الخ .

عمار عن أبي زميل سماك بن الوليد عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر . قال: كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثةنفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله ﷺ : فقلت: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ : هذا سياق مختصر وقال البخاري إسلام أبي ذر : حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن المثنى عن أبي حمزة عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ : قال لاخيه : اركب إلى هذا الوادي فأعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء . فاسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاما ما هو بالشعر . فقال ما شفيتني مما أردت . فتزود وحمل شنة[1] فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس رسول الله ﷺ : ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فرآه عليّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ : حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه فمر به عليّ فقال أما آن للرجل يعلم منزله فاقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فأقام معه فقال ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ قال إن أعطيتني عهداً وميثاقا لترشدني فعلت: ففعل فأخبره . قال فانه حق وإنه رسول الله ﷺ :فإذا أصبحت فاتبعني فاني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ : ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبي ﷺ : « ارجع إلى قومك فاخبرهم حتى يأتيك أمري » فقال والذي بعثك بالحق لاصرخنّ بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى باعلا صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فاكب عليه فقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام . فانقذة منهم . ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا اليه فاكب العباس عليه هذا لفظ البخاري . وقد جاء إسلامه مبسوطاً في صحيح مسلم وغيره فقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال ابو ذر : خرجنا من قومنا غفار - وكان يحلون الشهر الحرام - أنا وأخي أنيس وأمنا فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذي هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن الينا، فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك اليهم أنيس . فجاء خالنا فنثى ما قيل له [2] فقلت له أمّاما مضى من معروفك فقد كدرته، ولاجماع لنا فيما بعد - قال : فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكي قال فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثليها فاتيا الكاهن فخير أنيسا ، فاتانا بصرمتنا ومثلها، وقد صليت يا بن أخي قبل أن القى رسول الله ﷺ : ثلاث سنين ، قال قلت لمن ؟ قال لله ، قلت ، فأين

---

(١) شنة : قربة .

(٢) في النهاية من حديث ابي ذر فجاء خالنا منثا علينا الذي قيل له اي اظهره لنا وحدثنا به .

توجه ؟ قال حيث وجهني الله . قال وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل الفيت كأني خفاء[1] حتى تعلوني الشمس قال فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فألقني حتى آتيك قال فانطلق فراث عليّ، ثم أتاني فقلت ما حبسك ؟ قال لقيت رجلاً يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال فقلت ما يقول الناس له ؟ قال يقولون إنه شاعر وساحر ، وكان أنيس شاعراً . قال فقال لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، قال : فقلت له هل أنت كافيّ حتى انطلق ؟ قال نعم ! وكن من أهل مكة على حذر فأنهم قد شنعوا له وتجهموا له . قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعف رجلا منهم فقلت أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابىء ؟ قال فأشار إلى فمال أهل الوادي علي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً عليّ، ثم ارتفعت حين أرتفعت كأني نصب أحمر ، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يابن أخي ثلاثين من يوم وليلة مالي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن[2] بطني وما وجدت على كبدي سخفة[3] جوع قال فبينا أهل مكة في ليلة قمراء أضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا عليّ وهما تدعوان أساف ونائلة . فقلت : انكحوا أحدهما الآخر فما ثناهما ذلك ، فقلت وهن مثل الخشبة غير أني لم أركن . قال : فانطلقتا تولولان وتقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا ، قال فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطتان من الجبل فقال ما لكما ؟ فقالتا الصابىء بين الكعبةوأستارها قالا ما قال لكما ؟ قالتا قال لنا كلمة تملأ الفم ، قال وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ، ثم صلى . قال فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الاسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله من أنت » ؟ قال قلت من غفار، قال فأهوى بيده فوضعها على جبهته قال فقلت في نفسي كره أن انتميت إلى غفار، قال فأردت أن آخذ بيده فقذفني صاحبه وكان أعلم به مني . قال متى كنت ههنا ؟ قال قلت كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ، وما وجدت على كبدي سخفة جوع . قال قال رسول الله ﷺ : «إنها مباركة، إنها طعام طعم»قال فقال أبو بكر ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة قال ففعل قال فانطلق النبي ﷺ وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها . فلبثت ما لبثت ، فقال رسول الله ﷺ : «إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم » ؟ قال فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسا ، قال فقال لي ما صنعت ؟ قال قلت صنعت أني أسلمت وصدقت ، قال فما بي رغبة عن دينك فأني قد أسلمت وصدقت ، ثم أتينا أمنا فقالت ما بي

---

(١) في النهاية وفي حديث ابي ذر سقطت كأني جفا والخفاء هو الكساء .

(٢) العكن : ما إنطوى من لحم البطن .

(٣) سخفة : هزال وضعف .

رغبة عن دينكما فأني قد أسلمت وصدقت ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار ، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن إيما ين بن رخصة الغفاري وكان سيدهم يومئذ . وقال : بقيتهم إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا ، قال فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم قال وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله اخواننا نسلم على الذي اسلموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ : «غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه . وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم . وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة وهو رجل من أزدشنوءة، وكان يرقي من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سفه مكة ، يقولون : إن محمداً مجنون . فقال أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟ فلقيت محمداً فقلت إني أرقي من هذه الرياح ، وأن الله يشفي على يدي من شاء فهلم . فقال محمد : «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات ». فقال والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة. وقول الشعراء فما سمعت مثل هذه الكلمات فهلم يدك أبايعك على الإسلام. فبايعه رسول الله ﷺ • فقال له وعلى قومك فقال وعلى قومي فبعث النبي ﷺ جيشا فمروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً ؟ فقال رجل منهم أصبت منهم مطهرة. فقال ردها عليهم فانهم قوم ضماد . وفي رواية فقال له ضماد: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر .

وقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة إسلام من أسلم من الأعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه، وقد سرد ابن إسحاق أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضي الله عنهم . قال : ثم أسلم أبو عبيدة، وأبو سلمة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون، وعبيدة ابن الحارث، وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر - وهي صغيرة - وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون، وخباب بن الارت ، وعمير بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القاري ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبي ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلمة[1] بن مخرمة التيمي، وخنيس بن حذافة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته اسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث ، وامرأته فكيهة ابنة يسار[2]، ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحي ، والسائب بن عثمان بن

(١) في السيرة لابن هشام : أسماء بنت سلامة بن مخرمة . التيمية .
(٢) في ابن هشام : حاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المجلل .

مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد مناف[1] . وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم ، والنحام، واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنة خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي ، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعاقل بن البكير، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني سعد بن ليث ، وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله ﷺ عاقلا ، وهم حلفاء بني عدي بن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان. ثم دخل الناس أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر، وأن يصبر على أذى المشركين. قال وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم : فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحى جمل فشجه[2] فكان أول دم أهريق في الإسلام . وروى الأموي في مغازيه من طريق الوقاصي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه , فذكر القصة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

﴿ بـاب ﴾
الأمر بابلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام، وأمره له بالصبر والاحتمال والأعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وارسال الرسول الأعظم اليهم وذكر ما لقي من الأذية منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم.

قال الله تعالى : ﴿ وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأَقْرَبينَ ، واخْفِضْ جناحَكَ لِمَنْ اتَّبعَكَ مَنْ المؤْمِنِيْنَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إني بريءٌ مما تَعملُونَ وتَوكَّلْ على العَزيزِ الرَحِيمَ الـذي يَراكَ حينَ تَقُومَ وتَقَلُّبَكَ في الساجِدِينَ إِنَّهُ هُو السَميعُ العليمُ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿وإِنَّهُ لَذكر لَكَ ولِقَومِكَ وسَوفَ تُسألونَ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ إنَّ الذِي فَرَضَ عليْكَ القرآنَ لَرَادُّكَ إلى مِعادٍ ﴾[5] أي إن الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المعاد ، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنسْأَلَنَهُمْ أَجْمَعِينْ عَمَّا كانوا يَعْمَلُونَ ﴾[6] والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً .

---

(١) في ابن هشام ابن عبد عوف مكان : مناف .
(٢) شجه : جرحه .
(٣) سورة الشعراء الآيات : ٢١٤ ـ ٢٢٠ .
(٤) سورة الزخرف الآية : ٤٤ .
(٥) سورة القصص الآية : ٨٥ .
(٦) سورة الحجر الآية : ٩٢ و٩٣ .

وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ . وأوردنا أحاديث جمة في ذلك، فمن ذلك . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله . فقال رسول الله ﷺ : « يا بني عبد المطلب يا بني فهر ، يابني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني »؟ قالوا نعم ! قال : « فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلاّ لهذا ؟ وأنزل الله عز وجل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1] وأخرجاه من حديث الأعمش به نحوه. وقال أحمد حدثنا معاوية بن عمرو وحدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة. قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ دعا رسول الله ﷺ : قريشا فعم وخص . فقال: « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فأني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحما سأبلها ببلائها » ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة، وله طرق أخر عن أبي هريرة في مسند أحمد وغيره . وقال أحمد أيضاً حدثنا وكيع بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : قالت : لما نزل ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾. قام رسول الله ﷺ فقال : «يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم » ورواه مسلم أيضاً . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل: أخبرنا محمد ابن عبد الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل ـ واستكتمني اسمه ـ عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ، وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ . قال رسول الله ﷺ : « عرفت إني ان بادأت بها قومي ورأيت منهم ما أكره ، فصمت. فجاءني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » قال فدعاني فقال « يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام ، وأعدّ لنا عس[2] لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث . فقدمت اليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله ﷺ منها

---

(١) سورة المسد الآية الاولى .

(٢) عس : إناء .

حذية فشقها باسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال : « كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : « أسقهم يا علي » فجئت بذلك القعب[1] فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب لعنه الله فقال لَهَدَّ ما سحركم صاحبكم ، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فلما كان من الغد قال رسول الله : عدلنا مثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب ، فان هذا الرجل قد بدر الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالامس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : أسقهم يا علي ، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ﷺ يكلمهم ، بدره أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لهد ما سحركم صاحبكم ، فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ : «يا علي لنا بمثل الذي كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له . فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها . ثم قال رسول الله ﷺ : « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل من ما جئتكم به إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ أبهم اسمه عن عبد الله بن الحارث به . وقد رواه ابو جعفر بن جرير عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الابرش عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي » وكذا وكذا . قال فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت ولأني لأحدثهم سنا وأرمصهم[2] عينا ، وأعظمهم بطناً وأخمشهم[3] ساقا ، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي فقال : « إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ، تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث. وضعفه الباقون. ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو وعن عبد الله بن الحارث. قال قال علي : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾. قال لي رسول الله ﷺ : اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام! وإناء لبنا ، وأدع لي بني

---

(١) القعب : إناء .

(٢) ارمص : يسيل من عينيه سائل ابيض (اعمش) .

(٣) أخمشهم : أصلبهم .

هاشم فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل فذكرَ القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : وبدرهم رسول الله ﷺ الكلام فقال : «أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟» قال فسكتوا وسكت العباس خشية ان يحيط ذلك بماله ، قال وسكت أنا لسن العباس. ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال أنت ؟ قال وإني يومئذ لاسو أهم هيئة ، وإني لاعمش العينين ، ضخم البطن ، خمش الساقين . وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم . وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الأسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم ـ أو كالشاهد له ـ والله أعلم. ومعنى قوله في هذا الحديث : من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مت، وكأنه ﷺ : خشي إذا قام بابلاغ الرسالة إلى مشركي العرب[1] أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ، ويقضي عنه ، وقد أمنه الله من ذلك في قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الرسولُ بلّغْ ما أنزلَ اليْكَ مِنَ رَبِكَ، وإن لم تفْعَلَ فَمَا بَلّغْتَ رسَالتَهُ واللهُ يعصُمُكَ من الناس ﴾[2]الآيةوالمقصود أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد ، ولا يصده عنه ذلك صاد ، يتبع الناس في أنديتهم ، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ، ومواقف الحج ، يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي ، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء . وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب ـ واسمه عبدالعزى بن عبد المطلب ـ وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعا وكان يحنو عليه ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحامي، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبا طبعياً لا شرعياً. وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولا جترؤا عليه ، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار. وقد قسم خلقه أنواعا وأجناسا ، فهذان العمان كافران أبو طالب وأبو لهب. ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح[3] من نار ، وذلك في الدرك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ في المواعظ والخطب . تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب . قال الإمام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه . قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل ـ وكان جاهليا فاسلم ـ قال : رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز

---

(١) في المصرية بابلاغ مشركي العرب رسالة الله عن محمود الامام .

(٢) سورة المائدة الآية : ٦٧ .

(٣) ضحضاح : المكان القريب من القعر .

وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابيء كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم.رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه . وقال البيهقي ايضاً حدثنا ابو طاهر الفقيه حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان حدثنا أبو الأزهر حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا محمد بن عمر عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الديلي . قال : رأيت رسول الله ﷺ : بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت من هذا ؟ قيل هذا ابو لهب . ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى كذا قال أبو جهل، والظاهر أنه أبو لهب، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه، وسجاياه، واعتماده فيما يحامي به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة أخبرني عقيل بن أبي طالب . قال جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا . فقال يا عقيل انطلق فأتني بمحمد، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس ـ أو قال خنس ـ يقول بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فأنته عن أذاهم فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء. فقال : «ترون هذه الشمس »؟ قالوا نعم قال : «فما أنا بأقدر أن أدعْ ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة ». فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا. رواه البخاري في التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير. ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به ـ وهذا لفظه ـ ثم روى البيهقي من طريق يونس عن ابن اسحاق حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث. أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق أنا ولا أنت . فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك . فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه ، وانه خاذلة ومسلمه ، وضعف عن القيام معه . فقال رسول الله ﷺ : « يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمرفي يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه» ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ : يا ابن أخي فاقبل عليه ، فقال أمض على امرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً . قال ابن إسحاق ثم قال أبو طالب في ذلك :

واللّهِ لنْ يَصِلوا اليكَ بِجَمْعِهِم	حتى أُوسَّـد(١) في التراب دَفينا
فامضِ(*) لأمرِكَ ماعليكَ غضاضةٌ(٢)	أبشرْ وقَرَّ بذاكَ منكَ عيونا
ودعوتني وعلمتُ أنك ناصحي	فلقدْ صدقتَ وكنتَ قِدْم أمينا
وعرضتَ دِيناً قد عرفتُ بأنه	من خيرِ أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حِذَاري سُبّة	لوجدتَني سمحاً بذاك مُبينا

ثم قال البيهقي وذكر ابن اسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً ؛ وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه في دينه ، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء لا معقب لحكمه . وقال يونس بن بكير : حدثني محمد بن إسحاق حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضعاً وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ فلما قام رسول الله ﷺ قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا . وسب آلهتنا واني أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فاذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام . فكان إذا صلى بين الركنين الأسود واليماني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام. فقام رسول الله ﷺ يصلي ، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منبهتا ممتقعاً لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال من قريش. فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال قمت إليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل والله ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته(٣) ، ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلني قال ابن اسحاق : فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : «ذلك جبريل، ولو دنا منه لأخذه » . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني ابو النضر الفقيه حدثنا عثمان الدارمي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبان بن صالح عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عباس بن عبد المطلب قال : كنت يوما في المسجد فأقبل أبو جهل ـ لعنه الله ـ فقال : إن الله على إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضباناً حتى جاء المسجد فجعل أن يدخل من الباب فأقتحم الحائط. فقلت هذا يوم شر ، فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله ﷺ فقرأ ﴿ إقرأ بِاسمِ ربِكَ الذي خَلَقَ خَلَقَ الانْسَانَ من علقٍ ﴾(٤) فلما

(١) أوسد : المقصود انام.
(٢) غضاضة : مذلة ونقصانا.
(*) في الأصل فامضي ، والاصح فامضِ .
(٣) مقرنه : عنقه واصل رقبته .
(٤) سورة : العلق الأيتان : ١-٢ .

بلغ شأن أبي جهل ﴿ كَلَّا إنَّ الانْسَانَ لَيْطغَى أَنْ رآه اسْتَغْنى ﴾[1] فقال إنسان لأبي جهل : يـا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سـد أفق السماء علي فلمـا بلغ رسول الله ﷺ آخـر السورة سجد . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنـا معمر عن عبـد الكريم عـن عكرمـة قال قال ابن عباس : قـال أبـو جهـل لئن رأيـت محمداً يصلـي عند الكعبة لأطـأن على عنقه ، فبلغ ذلـك رسول الله ﷺ فقـــال : «لو فعـل لأخذتـه الملائكـة عيانا » . ورواه البخاري عن يحيى عن عبد الرزاق به . قال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس . قال ، مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهـو يصلي . فقال: ألم أنهك أن تصلي يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا مني ، فانتهره النبي ﷺ فقال جبريل : (فليـدع ناديـه سنـدع الزبانية) والله لو دعا ناديه لأخذته زبانيـة العذاب . رواه أحمـد والترمـذي وصححه النسـائي من طريق داود به . وقال الإمام أحمد حدثنا اسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصلي لأتيتـه حتى أطأ عنقه ، قال فقال : «لو فعل لأخذته الزبانية عيانا » . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس . قال قال : أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه ، فانزل الله تعالى : ﴿ أقرأ باسم ربكَ الذي خلق ﴾ حتى بلـغ من الآية: ﴿لَنسفَعـا بالنَـاصيَةِ ناصيةٍ كاذبـةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةُ﴾[2]. فجاء النبي ﷺ يصلي فقيل ما يمنعك؟ قال : قد اسود ما بينـي وبينـه من الكتائب . قال ابـن عباس : والله لـو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا نعم ! قال فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه بالتراب. فأتى رسول الله ﷺ وهـو يصلي ليطأ على رقبته . قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، قال فقيل له مالك ؟ قال ان بيني وبينه خندقا من نار وَهَوْلا وأجنحة. قال فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنـزل الله تعـالى ـ لا أدري في حـديث أبي هـريـرة أم لا : ﴿ كـلا أن الانسـان ليـطغى أن رآه استغنى ﴾ [2] الى آخر السورة وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به . وقال الإمام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله . قال : ما رأيت رسول الله ﷺ دعـا على قريش غير يوم واحد فانه كان يصلي ورهط من قريش جلوس ، وسلا [3] جزور قريب منه. فقالوا: من يأخذ

---

(١) سورة العلق الآيتان : ٦ ـ ٧ .

(٢) سورة : العلق الآيات : ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ .

(٣) سلا : ما يخرج مع ولد الناقه .

هذا السلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي معيط أنا ، فأخذه فالقاه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره. فقال رسول الله ﷺ : « اللهم عليك بهذا الملأ من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف ـ أو أمية بن خلف ـ » شعبة الشاك ، قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أُبَيْ ـ أو أمية ابن خلف ـ فإنه كان رجلا ضخما فتقطع . وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن إسحاق به . والصواب أمية بن خلف فإنه الذي قتل يوم بدر، وأخوه أُبَيْ إنما قتل يوم أحد كما سيأتي بيانه ـ والسلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفي بعض الفاظ الصحيح انهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض اي هذا على من شدة الضحك لعنهم الله ـ وفيه أن فاطمة لما القته عنه أقبلت عليهم فسبتهم، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه ﷺ دعا على الملأ منهم جملة وعين في دعائه سبعة . وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عتبة ، وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل بن هشام، وعقبة بن أبي معيط ، وأمية بن خلف . قال ابن اسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري .

قصة الأراشي[1]

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي . قال : قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فمطله باثمانها. فاقبل الأراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد . فقال : يا معشر قريش مَنْ رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني على حقي ؟ فقال أهل المجلس ترى ذلك ـ يهزون به[2] إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ، أذهب إليه فهو يعديك عليه . فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقام معه . فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال محمد فأخرج ! فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم ، وقد أنتقع لونه . فقال : أعط هذا الرجل حقه ، قال لا تبرح حتى أعطيه الذي له . قال فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للاراشي الحق لشأنك. فأقبل الاراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيراً ، فقد أخذت الذي لي ، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت ؟ قال عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه

---

(١) الاراشي : نسبة الى اراش بالكسر والشين . مجمعه موضع حكاه ياقوت .

(٢) هذا نص الحلبية بالزاي المعجمة وفي المصرية يهرون .

بابه فخرج وما معه روحه فقال : أعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعباً ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فوالله لو أبيت لاكلني .

فصـــل :

وقال البخاري حدثنا عياش بن الوليد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن ابراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير . سألت ابن العاص فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ؟ قال : بينما النبي ﷺ يصـلي في حجر الكعبـة ، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقـال : ﴿ أتقتلون رجـلا أن يقول ربي الله وقـد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ الآية : تابعه ابن إسحاق قال أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال قلت لعبد الله بن عمرو. قال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمرو بن العاص. وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص. قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة. انفرد به البخاري. وقد رواه في أماكن من صحيحه وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة . وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق. حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة ، قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص . ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيمـا كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصرنا منه على أمر عظيم - أو كما قال - قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فـاقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فمضـى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها. فقال : «أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح »[1] فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع حتى أن أشدهم فيه وصاة قبـل ذلك ليـرفؤه حتى إنه ليقـول انصرف أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول . فانصرف رسول الله ﷺ حتـى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهمْ لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فـوثبوا اليه وثبة رجل واحد فأحاطوا

---

(١) في الحلبية بالذمح مهملة وفي ابن هشام : بالذبيح .

به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : « نعم أنا الذي أقول ذلك » ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر ينكي دونه ويقول : ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه . فان ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

فصـــل :

في تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : « لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال » . وأخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث حماد بن سلمة به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال محمد بن إسحاق . وحدب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لدينه لا يرده عنه شيء ، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البختري واسمه العاص بن هشام بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، والأسود بن المطب بن أسد بن عبد العزى ، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، ونبيه ومنبه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم . قال ابن إسحاق أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا وأما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فنكفيكه ؟ فقال لهم أبو طالب : قولا رفيقا ، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يظهر دين الله ويدعو اليه ، ثم سرى الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا[1] وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم أنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى . فقالوا : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وأنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه

---

(١) تظاغنوا : ارتحلوا .

أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ـ أو كما قالوا ـ ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا باسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له ، فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق ، قال فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدأ لعمه فيه بدو وانه خاذله ومسلمه ، وإنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله ﷺ : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته » قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي ، فاقبل عليه رسول الله ﷺ : فقال : اذهب يابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبداً . قال ابن إسحاق ، ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه واجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له ـ فيما بلغني ـ : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد[1] فتى في قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ؟ وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامنا فنقتله فانما هو رجل برجل ! قال : والله لبئس ما تسومونني ؟ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، واعطيكم ابني فتقتلونه ! هذا والله مالا يكون أبداً . قال فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ؟ فقال أبو طالب للمطعم : والله ما انصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على فاصنع ما بد لك ـ أو كما قال ـ فحقب الأمر، وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، ونادى بعضهم بعضا . فقال ابو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم .

ألا قُلْ لعمروٍ والوليدِ ومُطعمٍ ... ألا ليت حظّي من حياطتكم بكر
من الخورِ حبحابٌ[2] كثيرٌ رغاؤه ... يرشّ على الساقينَ من بولِهِ قَطر
تخلّفَ خلْف الوردِ ليسَ بلا حقٍّ ... إذ ما علا الفَيفاءَ[3] قيلَ له وبر
أرى أخوَينا من أبينا وأمّنا ... إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمرٌ ولكنْ تَحَرْجما[4] ... كما حَرجَمتْ من رأس ذي عَلَق الصخر

(١) انهد: افتى .
(٢) حبحاب : القصير الذميم ـ والسيء الخلق .
(٣) الفيفاء : الصخرة المالسة .
(٤) تحرجما : حرجم رد بعضها على بعض وجمعها .

أخصّ خصوصاً عبدَ شمسٍ ونوْفلاً ... همـا نَبَذَانـا مثلَ مـا نُبذَ الجمـر
هما أغمزا للقـومِ في أخويْهمـا ... فقـد أصبَحا منهم أكفُّهمـا صِفر
هما أشركا في المجدِ من لا أبالَهُ ... من النـاسِ إلا أن يرسَّ لـه ذِكر
وتَيْمٍ ومخـزومٍ وزُهـرةَ منـهـم ... وكانوا لنـا مولىً إذا بُغيَ النصـر
فـواللّهِ لا تنفـكُّ منّـا عـداوةٌ ... ولا منكم ما دامَ مِن نَسلِنا شَفْـرُ

قال ابن هشام : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما[1] .

فصــل :

في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسول الله ﷺ بعمـه أبي طالب وقد قام أبـو طالب حين رأى قـريشاً يصنعـون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيـام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله . فقال في ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنصرة لرسول الله ﷺ :

إذا اجتمعتْ يوماً قـريشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعبـدُ منـافٍ سِـرُهـا وصميمُهـا
وإن حصلْت أشراف عبدِ منافِها ... ففي هـاشمٍ اشرافُهـا وقـديمهـا
وإن فخـرتْ يومـاً فـانَ محمـداً ... هو المصطفى من سِرِّها وكريمها
تـداعتْ قـريشٌ غثُّها وسمينُهـا ... علينا فلم تظفرّ وطاشتْ حلومها
وكنّا قـديـمـاً لا نُـقـرُّ ظُلامـة ... اذ ما ثَنَوا صُعْر[2] الرقابِ نُقيمُها
ونحمي حِماها كـلّ يومِ كـريهةٍ ... ونضربُ عن أحجارِها مَن يرومها
بنـا انتعشَ العُـودُ الـزواءُ وإنمـا ... بـأكنـافِنـا تَنـدَى وتَنْمى أرومُهـا

فصـل :

فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ ومـا تعنتوا لـه في أسئلتهم إياه أنـواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد. فلهذا لم يجابوا إلى

---

(١) في هذه القطعة اختلاف بين الاصلين وبينهما مع ابن اسحاق وقد اجتهدنا ان يكون الاصل النسخة الحلبية إلا ما كان خطأ متعمد فيه على ابن اسحاق فالبيت الخامس منها اثبتناه كما في الاصلين وفي ابن اسحاق جرجما (مكان تحرجما) .

(٢) صعر الرقاب : الرقاب المائلة .

كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون ، ولظلوا في غيهم وضلالهم يترددون . قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَموا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّما الآياتُ عندَ اللَّهِ وما يُشعِرُكُم أَنَّها إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ، وَنُقَلِّبُ أفئِدَتَهُمْ وأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يؤْمِنوا بِهِ أولَ مرةٍ ونَذَرُهُمْ في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، ولَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الملائكةَ وكلَّمَهُمُ المَوْتَى وحَشَرْنَا عَليهِم كلَّ شيءٍ قُبُلاً ما كانوا لِيؤْمِنُوا إلا أنْ يَشاءَ اللَّهُ ولكنَّ أكثرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾.(1) وقال تعالى : ﴿ إن الَّذينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلمةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ولو جاءَتْهُمْ كُلُّ آية حتى يَروا العَذَابَ الأليم ﴾(2). وقال تعالى : ﴿ وما مَنَعَنَا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أنْ كَذَّبَ بِها الأولونَ وآتينا ثَمودَ النَاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلموا بِها وما نُرسِلُ بالآياتِ إلا تخويفاً ﴾ .(3) وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نؤْمنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الارضِ يَنْبُوعاً أو تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ من نخيل وعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الانهارَ خِلالَها تَفْجِيراً، أو تُسْقِطَ السماءَ كما زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أو تَأْتِي باللَّهِ والملائِكَةِ قَبِيلاً، أوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أو تَرْقَى في السَماءِ ولن نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبي هَلْ كُنْتُ إلا بشراً رسولاً ﴾(4) وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير ولله الحمد . وقد روى يونس وزياد عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم - وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد - عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس . قال : اجتمع علية من أشراف قريش - وعدّد اسماءهم - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه ، وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه قد بدالهم في أمره بدء ، وكان حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم . فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين، وسفهت الاحلام، وشتمت الآلهة وفرّقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك . فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك - وكان يسمون التابع من الجن الرئى - فربما كان ذلك ، بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « مابي ما تقولون : ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولاً ، وأنزل علي كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلّغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » - أو كما

---

(1) سورة : الانعام الآيات : ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ .

(2) سورة يونس الآية : ٩٦ - ٩٧ .

(3) سورة الاسراء الآية : ٥٩ .

(4) سورة الاسراء الآيات : ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ .

قال رسول الله ﷺ - فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ، ولا أقل مالا ، ولا أشد عيشاً منا . فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فإن فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول . فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك، وتسأله فيجعل لنا جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك عما نراك تبتغي فإنك تقوم في الاسواق وتلتمس المعايش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال لهم « ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت اليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة. وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ». قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك إن شاء فعل، فانا لن نؤمن لك إلا أن تفعل فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يا محمد ما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم اليك ويعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن ابي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب - فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله . ثم سألوك لانفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب. فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول: وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك. ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسفا لما فاته بما طمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلس ظلم وعدوان وعناد ، ولهذا اقتضت الحكمة الالهية، والرحمة الربانية، الا يجابوا الى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب كما قال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال : سأل أهل مكة رسول الله ﷺ : أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم الجبال

فيزدرعوا ، فقيل له إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فان كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم . قال : «لابل أستأني بهم » فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بالآيات إلا أَنْ كَذَّبَ بِها الأَوَلُونَ، وآتَيْنَا ثَمودَ الناقَةَ مبصِرَةً فَظَلموا بها ﴾[1] الآية. وهكذا رواه النسائي من حديث جرير . وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس . قال قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال وتفعلوا ؟ قالوا نعم قال فدعا فاتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبا . فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة، قال : «بل التوبة والرحمة ». وهذان اسنادان جيدان ، وقد جاء مرسلاً عن جماعته من التابعين منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد. وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن[2] أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « عرض علي ربي عز وجل أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلت لا يارب أشبع يوما وأجوع يوما ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » لفظ أحمد. وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث وقال محمد بن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر ـ قد م علينا منذ بضع وأربعين سنة ـ عن عكرمة عن ابن عباس. قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما سلوهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . قال فقالت لهم أحبار يهود: سلموه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الأرض ومغاربها ما كان [نبؤه]، وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبراهم بها ، فجاؤا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ : « أخبركم غداً بما سألتم عنه » ولم يستثن. فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ : خمس عشرة ليلة لا يحدث له

---

(١) سورة الاسراء الآية : ٥٩ .

(٢) في الاصلين : القاسم بن ابي امامة ، وانما هو القاسم بن عبد الرحمن مولى بني أمية الدمشقي ولم يروَ عن احد من الصحابة غيره .

في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ : مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاء جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ الروحُ مِنْ أمرِ رَبِي وما أُوتِيْتُمْ مِنَ العِلَمِ إلاَّ قَلِيلا ﴾[1] وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولاً فمن أراده فعليه بكشفه من هناك . ونزل قوله :﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرقيم كانُوا مِنْ آياتِنَا عجباً ﴾[2] ثم شرع في تفصيل امرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقاً لا تعليقاً في قوله : ﴿ ولاَ تَقُوْلَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذَلِكَ غداً إلا أنْ يَشَاءَ اللَّهُ واذْكُرْ رَبَكَ إذا نَسِيْتَ ﴾ [3] ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذي القرنين ثم قال : ﴿ وَيْسألونَكَ عنْ ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذكراً ﴾[4] ثم شرح أمره وحكى خبره . وقال في سورة سبحان ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ أي خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره، قال لها كوني فكانت . وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه، وتصرير حقيقته في نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال : ﴿ وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ وقد ثبت في الصحيحين ان اليهود سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ بالمدينة، فتلا عليهم هذه الآية ـ فأما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جوابا ـ وإن كان نزولها متقدما ومن قال إنها نزلت بالمدينة واستثناها من سورة سبحان ففي قوله نظر ، والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ولما خشي أبو طالب دهم العربِ أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها اشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله ﷺ ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القومَ لاودَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرى[5] والوسائل

وقد صارَحُونا بالعداوةِ والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العدوِّ المزُايل[6]

وقد حالفوا قوماً علينا أظِنَّةً ... يعضّون غيظاً خلْفنا بالأنامل

صبرتُ لهم نفسي بسمراءَ سَمْحةٍ ... وأبيضَ غَضْبٍ من تُراثِ المقَاوِل

وأحضرتُ عند البيتِ رهطي وأخوتي ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل

قياماً معاً مُستقبلينَ رِتاجَه[7] ... لدي حيث يَقضي حَلفَه كلُّ ناقل

وحيثُ ينيخ الأشعرون ركابَهم ... بمفضي السيولِ من إسافٍ ونائل

---

(١) سورة الاسراء الآية : ٨٥ .
(٢) سورة الكهف الآية : التاسعة .
(٣) سورة الكهف الآية : ٢٣ .
(٤) سورة الكهف الآية : ٨٣ .
(٥) العرى : جمع عروه وهي ما يوثق به .
(٦) المزايل : المفارق والمتباعد .
(٧) رتاجه : بابه العظيم .

مــوسّــمــةَ الأعضــادِ أو قُــصُــراتهــا ... مخيَّمــة بين السَّديس وبـازِلِ[1]
تــرى الــودْعَ فيهــا والــرخــامَ وزينــةً ... بـأعنـاقهـا مقصودة كـالعثـاكـل [2]
أعــوذُ بــربّ النــاس من كــلّ طــاعنٍ ... علينـا بسـوءٍ أو مـلحٍ ببـاطـل
ومن كـاشـحٍ [3] يسعى لنـا بِمَعيبةٍ ... ومن مُلحِقٍ في الـدين مـا لم نحـاول
وثــورٍ ومــن أرسى ثَـبيــراً مكــانــه ... وراقٍ لـيـرقـى فـي حِـراءَ ونـازل
وبـالبيتِ حقّ البيت من بـطنِ مكـةٍ ... وبـالله إنّ الـلّهَ لـيس بـغـافـل
وبـالحجـرَ المسـودّ إذ يمسحـونـه ... إذا اكتنفـوهُ بـالضـحى والأصـائـل
ومـوطىء ابـراهيمَ في الصخـر رطبةً ... على قـدميه حـافيـاً غيـر نـاعـل
وأشـواطِ بين المـروتّين إلى الصَّفـا ... ومـا فـيـهـا مـن صـورةٍ وتـمـاثـل
ومـن حــجّ بيتَ الله من كــل راكـب ... ومن كـل ذي نـذرٍ ومن كـل راجـل
وبـالمشعَـرِ الأقصى إذا عمـدوا لـه ... إلالَ إلى مفضي الشّـراجِ[4] القوابل
وتَــوقــافَهم فــوقَ الجبــال عشيّــةً ... يُقيمـون بـالأيـدي صـدورَ الـرواحـل
ولـيلة جـمـعٍ والـمـنـازلُ مـن مِنَـى ... وهــل فـوقَهـا من حـرمـةٍ ومنـازل
وجمـعٍ إذا مـا المقـرُبـات أجَـزْنـه ... سِراعـاً كمـا يخرجْن من وقـع وابـل
وبـالجمرةِ الكُبـرى إذا صَمـدوا لهـا ... يؤمّـون قَـذْفـا رأسَهـا بـالجنـادل
وكنــدة إذْ هم بــالحِصــابِ عـشيّــة ... تُجيـز بهم حجّـاجُ بكـرِ بـن وائـل
حليفــانِ شـدّا عقـدَ مـا احتلفـا لـه ... وردّا عليـه عـاطفـاتِ الـوسـائـل
وحــطمهُم سُمرَ الـرمـاحِ وسـرحَـه ... وشبـرقَـه وخـدَ النعـامِ الجـوافـل
فهــل بعدَ هــذا من معــاذٍ لعـائــذ ... وهــل مـن مُعيـذٍ يتـقـي الله عــادل
يـطاع بـنـا أمـر الـعـدا ودّ أنـنـا ... يـسـد بـنـا أبـواب تـرك وكـابـل
كـذبـتـم وبـيـتِ الله نـتـرك مكـةً ... ونـظعـنُ الا أمـرُكـم فـي بـلابـل
كـذبتم وبيتِ الله نَبـذي محـمـداً ... ولـمّـا نـطاعـنْ دُونَـه ونـنـاضـل
ونـسلمْـه حـتـى نـصـرَّعَ حـولـه ... ونَـذهـلَ عن أبنـائِنـا والحـلائـل
ويـنهضَ قـومٌ بـالحـديـد اليكُـمُ ... نهوضَ الروايا تحتَ ذاتِ الصلاصل[5]
وحتى نرى ذا الضِّغـنِ[6] يركب ردْعَه ... من الطعنِ فعلَ الأنكبِ المتحامل
وإنـا لـعـمـرُ الله إن جـدّ مـا أرى ... لتـلْتَبسـاً أسيـافُنـا بـالأمـاثـل

---

(١) اسماء مواقع .
(٢) العثاكل : الاعناق/ وفي الأصل الفناكل .
(٣) كاشح : عدو .
(٤) الشراج : الفسحة ما بين الشيئين .
(٥) الصلاصل : جمع صلصل : ناصية الفرس .
(٦) الضغن : الحقد .

بكفّي فتىً مثل الشهابِ سميدع[1] ... أخي ثقة حامي الحقيقة باسل

شهوراً وأياماً وحوْلا محرّماً ... علينا وتأتي حَجةً بعد قابل

وما تركُ قومٍ - لا أبالك - سيداً ... يحوط الذمارَ غير ذربٍ مواكل

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثمال اليتامى عِصْمةٍ للأرامل

يلوذُ به الهلّاك من آل هاشم ... فهمْ عندَه في رحمةٍ وفواضل

لعمري لقد أجرى أسيدٌ وبَكرهُ ... إلى بَغضِنا وجزآنا لآكل

وعثمان لم يربع علينا وقنفذٌ ... ولكن أطاعا أمر تلك القبائل

أطاعا أبيًّا وابنَ عبد يَغوثهم ... ولم يرقبا فينا مقالة قائل

كما قد لقينا من سُبيع ونوفلٍ ... وكلٌّ تولى مُعرضا لم يجامل

فإن يلقيا أو يمكنِ اللّهُ منهما ... نكلْ لهما صاعا بصاع المكايل

وذاك أبو عمرو أبي غير بُغضنا ... ليُظِعننا[2] في أهلِ شاءٍ[3] وجامل

يناجي بنا في كل مَمسى ومصبحٍ ... فناجِ أبا عمرو بنا ثم خاتل

ويؤلي لنا باللّهِ ما أن يغشنا ... بلى قد تراه جهرةً غير خائل[4]

أضاقَ عليه بغضنا كل تلعة[5] ... من الأرض بين أخشبَ فمجادل

وسائل أبا الوليدِ ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضا كالمخاتل[6]

وكنت امرءاً ممن يعاش برأيه ... ورحمتِه فينا ولست بجاهل

فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح[7] ... حسودٍ كذوبٍ مبغض ذي دغاول[8]

ومرَّ أبو سفيان عنّي معرضا ... كما مرّ قيلَ من عظام المقاول

يفرّ إلى نجدٍ وبرد مياهه ... ويزعم أني لست عنكم بغافل

ويخبرنا فعلَ المناصحِ أنه ... شفيقٌ ويخفي عارمات[9] الدواخل

أمطعمُ لم أخذِلك في يوم نجدةٍ ... ولا معظِمٍ عندَ الأمور الجلائل

ولا يومَ خصمٍ إذ أتوك ألدّة ... أولي جدلٍ من الخصومِ المساجل

أمطعم إن القومَ ساموك خطة ... وإني متى أوكل فلست بوائل

جزى الله عنا عبدَ شمس ونوفلا ... عقوبةَ شرٍّ عاجلًا غير آجل

بميزان قسطٍ لا يخيسُ شعيرةً ... له شاهدَ من نفسهِ غيرُ عائل

لقد سفهتْ أحلامُ قومٍ تبدلوا ... بني خَلَفٍ قيضاً[10] بنا والغياطل[11]

---

(١) السميدع : السيف .

(٢) يظعننا : يفرقنا .

(٣) شاء : حزين .

(٤) خائل: راعٍ ومصلح .

(٥) تلعة : مكان مرتفع من الأرض .

(٦) المخاتل : المخادع .

(٧) كاشح : عدو .

(٨) الدغاول : الدواهي .

(٩) عارمات : جمع عارمه وهي الشراسة .

(١٠) قيضاً : شبهاً .

(١١) الغياطل : اصحاب الجاه .

ونحن الصميمُ من ذؤابة هاشم وآلِ قصيّ في الخطوب الأوائل
وسهم ومخزوم تمالوا وألّبوا علينا العِدى من كل طَمْلٍ [1] وخامل
فعبدُ منافٍ أنتم خيرُ قومكم فلا تُشرِكوا في أمركم كلَّ واغل [2]
لعمري لقد وهنتُمّ وعجزتم وجئتُمْ بأمرٍ مخطىء للمفاصل
وكنتم حديثاً حَطَبَ قدْرٍ وأنتم الآن أحطابُ أقدُرٍ ومَراجل
لِيهنِ بني عبد منافٍ (عقوقُنا) [3] وخذلانُنا وتركُنا في المعاقل
فإن نكُ قوماً نَتَّئِرْ [4] ما صنعتم وتحتلبوها لقحةً [5] غير باهل
[وسائط كانتْ في لؤيّ بن غالبٍ نفاهم إلينا كلُّ صبْقر حلاحل
ورهطُ نُفيل شر من وطيء الحصى والأم حافٍ مْن معدّ وناعل] [6]
فأبلغ قُصيًّا أن سينشر أمرُنا وبشّر قصيّاً بعدنا بالتخاذل
ولو طرقتْ ليلاً قصيّاً عظيمةٌ إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صَدَقوا ضرباً خِلال بيوتهم لكنّا أسىً عندَ النساء (المطافل) [7]
فكلّ صديقٍ وابن أختٍ نعدّه لعمري وجدنا غَبَّه غيرَ طائل
سوى أن رهطاً من كلابِ بنِ مرَّة براءُ إلينا من معقَّةٍ [8] خاذل
[وهنّا لهم حتى تبدَّد جمعهم ويحسَرَ عنا كلّ باغٍ وجاهل
وكان لنا حوض السقاية فيهم ونحن الكدي [9] من غالبٍ والكواهل
شبابٌ من المطّيِّبين وهاشم كبِيض السيوفِ بين أيدي الصياقل
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سَفكوا دماً ولا حالفوا إلا شِرَار القبائل
بضربٍ ترى الفتيانَ فيه كأنهم ضواري أسودٍ فوقَ لحمٍ خرادل
بني أمّةٍ محبوبةٍ هندَ كيّة بني جمح عُبَيْد قيس بن عاقل
ولكنّنا نسلَ كرامٌ لسادة بهم نعي الأقوامُ عند البواطل
ونعم ابنَ أُختِ القومِ غير مكذَّب زهير حساماً مفرداً من حمائل
اشمّ من الشمِّ البهاليلِ ينتمي إلى حَسب في حومةِ المجد فاضل
لعمري لقد كلِّفتُ وجْداً بأحمدِ وإخوته دَأبَ المحبِّ المواصل
فمن مثله في الناس أيّ مؤمَّل إذا قاسَه الحُكّام عند التفاضل
حليمٌ رشيد عادل غيرُ طائش يوالي إلَهاً ليس عنه بغافل

(1) طملٌ : فاحش وبذيء .
(2) الواغل : المدعي نسباً كاذباً .
(3) عقوقنا : مخافتنا .
(4) نتئر : نتبع .
(5) لقحة : الناقه الحلوب .
(6) لم يرد هذان البيتان في الاصلين وزدناهما في سيرة ابن هشام .
الابيات السبعة لم ترد في الاصلين وزدناهما في سيرة ابن هشام .
(7) المطافل : صاحبات الاطفال .
(8) معقة : عصيان .
(9) الكدى : الرؤوس .

كريمُ المساعي ماجدٌ وابن ماجد — له إرثُ مجدٍ ثابتٍ غير ناصل [1]
وأيّـده ربُّ الـعـبـاد بـنـصـره — وأظهـرَ دينـاً حقُّـه غيـر زائـل
فـواللّهِ لولا أنْ أجيءَ بُـسبَّـةٍ — تجرُّ على اشياخِنا في المحافـل
لكنّـا تَبِعنـاه على كـل حـالـة — من الدهر جِدّاً غير قولِ التهازل
لقـد عَلِمـوا أنّ ابننـا لا مكـذَّبٌ — لـدينا ولا يُعنَى بقـولِ الأباطـل
فـاصبـحَ فينـا أحمـدُ في أرومـةٍ — يقصَـرُ عنهـا سَـوْرةُ المتـطاول
حَـدبت بنفسي دونـه وحميْتُـه — ودافعت عنه بالذُّرَى والكلاكل [2]

قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها . قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع أن يقـولها إلا من نسبت إليـه ، وهي أفحل من المعلقات السبع ، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردها الأموي في مغازيـه مطولـة بزيادات أخرى والله أعلم [3] .

فصـــل :

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ مـــن أصحابـه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسـونهم ويعذبـونهم بالضـرب والجوع والعـطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحـر من استضعفوه منهم يفتنـونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم . فكان بلال مولى أبي بكـر لبعض بني جمح مولداً من مولديهم وهو بلال بن رباح، واسم أمه حمامة ، وكان صادق الإسلام طـاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يـأمر بـالصخرة العـظيمة فتـوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ ، وتعبـد اللات والعزى فيقول : ـ وهو في ذلك ـ أحد أحد . قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال كان

(١) ناصل : متغير .
(٢) الكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر وما بين الترقوتين .
(٣) في سيرة ابن هشام زيادة على ما اورده المؤلف من هذه القصيدة واختلاف في بعض الالفاظ وتقديم وتأخير ليس هنا محل بسطه ولهذه القصيدة نسخ مطبوعة على حدة فليرجع اليها من اراد ذلك وزاد ابن هشام هذه الأبيات .
فلا زال في الـدنيـا جمـالاً لأهلهـا — وزينـاً لمن والاه رب المشـاكل
رجـال كرام غـير ميـل نمـاهم — الى الخـير آباء كـرام المحـاصل
فإن تـك كعـب من لـؤي صقيبه — فـلا بد يومـاً مرةً من تـزايل

ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب لذلك وهو يقول أحد أحد والله يا بـلال ، ثم يقبل على أميـة بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا .

قلت : قد استشكل بعضهم هذا من جهة ان ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي ، واسلام من أسلم إنما كان بعد نزول ﴿ يا أيها المدثر ﴾ فكيف يمر ورقة ببلال، وهو يعذب وفيه نظر . ثم ذكر ابن إسحاق مرور أبي بكر ببلال وهو يعذب ، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتراه الجماعة ممن أسلم من العبيد والاماء، منهم بلال ، وعـامر بن فهيـرة، وأم عميس[1] التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها ، والنهدية وابنتها اشتراهـا من بني عبد الـدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر: حل يا أم فلان ، فقالت حل أنتأفسدتهمافاعتقهما : قال فبكم هما ؟ قالت بكذا وكذا . قال قد اخذتهما وهما حرتان ، أرجعا اليها طحينها . قالتا . او نفرغ منه يا أبا بكـر ثم نرده اليهـا؟ قال: ذلـك إن شئتما ـ واشترى جارية بني مؤمل ـ حي من بني عدي ـ وكان عمر يضربها على الإسلام . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله . قال قال أبو قحافة لابنه أبي بكر : يابني إني أراك تعتق ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك ؟ قال فقال أبو بكر يا أبة إني إنما أريـد ما أريـد . قال : فتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ إلى آخر السورة وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد وابن ماجة من حديث عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود. قال أول من أظهـر الإسلام سبعـة ، رسول الله ﷺ وأبـو بـكر ، وعمار ، وأمـه سمية ، وصهيب، وبلال ، والمقداد فاما رسول الله ﷺ فمنعــه الله بعمه ، وأبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائـرهم فأخـذهم المشركـون فالبسـوهم أدرع الحديـد وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً فانه هانت عليه نفسه في الله تعالى ، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد . ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلاً.

قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت اسـلام ـ إذا حميت الظهيـرة يعذبـونهم برمضـاء مكة . فيمـر بهم رسول الله ﷺ فيقــول ـ فيما بلغني ـ : « صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » وقد روى البيهقي عن الحاكم عن إبـراهيم بن عصمة العدل حدثنا السري بن خزيمة حدثنا مسلم بن إبـراهيم حدثنـا هشام بن أبي عبيـد الله عن أبي

---

(١) كذا في الاصلين والصحيح ان الذي اصيب بصرها (زنيره) وضبطها السهيلي بكسر الزاي وتشديد النـون فكأنها سقطت من الناسخ لان ابن هشام ذكرها بعد ام عميس .

الزبير عن جابر ان رسول الله ﷺ مـر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال : «أبشروا آل عمار وآل ياسر فان موعدكم الجنة » فاما أمه فيقتلوها فتأبى إلا الإسلام. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد . قال أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أم عمـار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها . وهذا مرسل.

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعه أنبَّه وخزَّاه وقال : تركت دين ابيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفلين رأيك، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً قال والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به لعنه الله وقبحه . قال ابن إسحاق : وحـدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ مـن العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال نعم والله ، إن كانوا ليضـربون احـدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهآن من دون الله فيقول نعم ! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ باللَّهِ مِنْ بَعْـدِ إِيْمانِـهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِه وَقَلْبهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمان ولَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْراً فعليهمُ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلهمْ عَذَابٌ اليمٌ ﴾[1] الآيـة فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الأهانة والعذاب البليغ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معـاوية حـدثنا الأعمش عن مسلم عن مسـروق عن خباب بن الأرت قال : كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته اتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حتى تمـوت ثم تبعث . قال فـاني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيك ؟ فانزل الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الذي كَفَرَ بآياتِنَاوقال لأُوتَينَّ مالاً وولداً ﴾[2] إلى قوله ﴿ ويأتينا فرداً ﴾ أخرجاه في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الأعمش به . وفي لفظ البخاري كنت قينـا بمكة ، فعملت للعـاص بن وائل سيفـا فجئت اتقاضـاه فذكـر الحديث . وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بنان واسماعيـل . قالا سمعنـا قيسا يقول سمعت خبابا يقول : أتيت النبي ﷺ وهـو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه . فقال : «قد كـان من كان قبلكم

---

(١) سورة النحل الآية : ١٠٦ .

(٢) سورة مريم الآية : ٧٧ .

ليمشط بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم او عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل » زاد بنان « والذئب على غنمه » وفي رواية « ولكنكم تستعجلون » انفرد به البخاري دون مسلم. وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وابن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب عن خباب. قال شكونا إلى النبي ﷺ شدة الرمضاء[1] فما أشكانا ـ يعني في الصلاة ـ وقال ابن جعفر: فلم يشكنا ، وقال أيضاً: حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت سعيد بن وهب يقول سمعت خبابا يقول : شكونا إلى رسول الله ﷺ . الرمضاء فلم يشكنا ، قال شعبة يعني في الظهيرة . ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن وهب عن خباب . قال شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء ـ زاد البيهقي في وجوهنا واكفنا ـ فلم يشكنا. وفي رواية شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا. وروى ابن ماجة عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الأعمش عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب العبدي عن خباب. قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء فلم يشكنا . والذي يقع لي ـ والله أعلم ـ أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكوا إليه ﷺ ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراهنة وأخبرهم عمن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينشره وينصره في الأقاليم، والآفاق حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه . ولكنكم تستعجلون. ولهذا قال شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء في وجوهنا وأكفنا فلم يشكنا، أي لم يدع لنا في الساعة الراهنة . فمن استدل بهذا الحديث على عدم الابراد أو على وجوب مباشرة المصلي بالكف كما هو أحد قولي الشافعي ففيه نظر والله أعلم .

●

---

(١) الرمضاء : شدة الحر .

بـــاب

مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق ، وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال إسحاق بن راهويه: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس . أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنـه رق له فبلغ ذلك أباجهل فاتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ؟ قال ليعطوكه فانك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له . قال وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالاشعار مني ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيدة مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وانه لمثمر اعلاه مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته . قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال قف عني حتى أفكر فيه ، فلما فكر . قال : أن هذا الا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنـزلت ﴿ ذَرْنِيْ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْداً وَجَعَلْـتُ لَـهُ مالاً مَمْـدُوْدَاً وبَنِّيْنَ شُهُوداً ﴾[1] الآيات هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعاني بمكة عن إسحاق به . وقد رواه حمّاد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلاً . فيه أنه قرأ عليه ﴿إنَّ اللَّهَ يأمرُّ بالعَدْلِ والإحْسَانِ وايتَاء ذي القُربَى وينْهَى عنَ الفَحْشَاء والمُنْكَر والبَغْيِ يعَظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذْكُرُونَ ﴾[2] وقال البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير ـ أو عكرمة عن ابن عباس ـ أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر المواسم فقال ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضا . فقيل : يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به ، فقال بل أنتم فقولوا وأنا أسمع . فقالوا نقول كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن رأيت الكهان . فما هو بـزمـزمة[3] الكهان . فقالوا نقول مجنون ؟ فقال ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفنـاه فما هو بخنقـه ولا تخالجـه ولا وسوسته . فقال نقول شاعر ؟ فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجـه وقريضـه ومقبوضـه ومبسوطه فما هو بالشعر . قالوا فنقول هو ساحر ؟ قال ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثـه[4] ولا بعقده . قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله ان لقـوله لحـلاوة، وان أصله لمغدق ، وأن فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وان اقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته ،

---

(١) سورة المدثر الآية : ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ .

(٢) سورة النحل الآيات : ٩٠ .

(٣) زمزمة : صوت الكهنة وهم يرتلون .

(٤) نفثه : سحر .

وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بـذلك فجعلوا يجلسـون للناس حتى قـدموا الموسم لا يمر بهم أحد لاحذروه اياه وذكروا لهم أمـره وأنزل الله في الـوليد ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مـالا ممدوداً وبنين شهـوداً ﴾[1] الآيات وفي أولئـك النفر الـذين جعلوا القرآن عضين ﴿ فَوَرَبِّكَ لنسألَنَّهُمْ أَجْمَعِين عَمَّا كانوا يَعْمَلُون ﴾[2].

قلت : وفي ذلك قال الله تعالى اخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم ﴿ بلْ قَالوا أَضْغَاثُ أَحْلام بلْ افتراهُ بلْ هُو شاعرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾[3] فحاروا مـاذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطلٌ ، لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى : ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الامْثَال فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبْيلاً ﴾[4] وقال الإمام عبد بن حميد في مسنده حدثني أبـو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن الاجلح هو ابن عبد الله الكندي عن الذيال بن حرملة الاسدي عن جابر بن عبد الله. قال : اجتمع قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا لرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظـر ماذا يرد عليه ؟ فقـالوا مـا نعلم احداً غير عتبة بن ربيعة فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فاتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله فسكت رسول الله ﷺ فقال: أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ قال فان كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبـدوا الآلهة التي عبت ، وان كنت تزعم ، أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة[5] قط أشأم على قومه منك فرقت جماعتنا ، وشتتّ أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طـار فيهم أن في قريش ساحراً ، وان في قريش كاهنا . والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى : أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلنـزوجك عشـراً ، فقال رسول الله ﷺ : « فرغت »؟ قال نعم ! فقال رسول الله ﷺ :﴿ بِسْم اللَّهِ الرحمنِ الرحِيمِ حَم تَنْزِيْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَحِيمِ كِتَابٌ فصِّلَـتْ آياتُـهُ قُرآناً عَرَبِياً لِقَومٍ يَعْلَمُونَ ﴾[6] إلى أن بلغ ﴿ فإنْ أَعْرَضُوا فَقُل أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وثَمودٍ ﴾[7] . فقال عتبة : حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا! فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال : مـا تركت شيئاً أرى أنكم تكلمـونه الا كلمتـه . قالوا : فهل أجابك ؟ فقال نعم ! ثم قال لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟ قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة. وقد رواه البيهقي وعيره عن الحاكم عن الاصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الاجلح به . وفيه كلام ، وزاد : وان

---

(١) انظرها سابقاً .
(٢) الآية ٩٢ من سورة الحجر .
(٣) سورة الانبياء الآية : الخامسة .
(٤) الآية ٤٨ سورة الاسراء .
(٥) سخلة : الولد المحبب الى والديه/ في الاصلين .
(٦) سورة فُصِلت الآيات : ١-٢-٣ .
(٧) سورة فُصِلت الآية : ١٣ .

كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت وعنده أنه لما قال : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةمثل صاعقة عاد وثمود﴾ أمسك عقبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم. يخرج الى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا صبأ الى محمد واعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة اصابته ، انطلقوا بنا فاتوه. فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فان كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب واقسم بالله لا يكلم محمداً ابداً . وقال : لقدعلمتم أني من أكثر قريش ، مالا ، ولكني اتيته وقص عليهم القصة فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ، قرأ: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ حتى بلغ ﴿ فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً اذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل عليكم العذاب . ثم قال البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً حليماً. قال ـ ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد ـ: يا معشر قريش الا أقوم الى هذا فاعرض عليه اموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا . قالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله ﷺ من المال والملك وغير ذلك . وقال زياد بن اسحاق فقال : عتبة يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه واعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون. فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقم اليه وكلمه . فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ : فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب، وأنك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم! فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال فقال له رسول الله ﷺ : «يا أبا الوليد اسمع ». قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وأن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه ـ أو كما قال له ـ حتى إذا فرغ عتبة ـ قال له النبي ﷺ : « افرغت يا أبا الوليد »؟ قال نعم ! قال اسمع مني ، قال أفعل ! فقال رسول الله ﷺ : ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون ﴾ فمضى رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال : « سمعت يا أبا الوليد »؟ قال سمعت . قال : «فانت وذاك » ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض :

نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يا معشر قريش أطيعوا واجعلوها بي . خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وان يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم . ثم ذكر يونس عن ابن اسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الادمي بمكة حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطيالسي حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا المثنى بن زرعة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر . قال: لما قرأ رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم، واعصوني فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناي كلاماً مثله ، وما دريت ما أرد عليه وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . ثم روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق حدثني الزهري. قال: حدثت ان أبا جهل وابا سفيان والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئاً . ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود. فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما اصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء اعرفها واعرف ما يراد بها فقال الاخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا ، حتى اذا تجاثينا على الراكب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه. فقام عنه الاخنس بن شريق ثم قال البيهقي أخبرنا ابو عبد الله الحافظ أخبرنا ابو العباس حدثنا أحمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة. قال: إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا

وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : لأبي جهل : «يا أبا الحكم ، هلك إلى الله والى رسوله ، وأدعوك إلى الله » فقال أبو جهل يا محمد هل أنت منتهٍ عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ، فنحن نشهد أن قد بلّغت ؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لا تبعتك. فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليّ فقال: والله أني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن [يمنعني] شيء . إن بني قصي قالوا : فينا الحجابة . فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم ، ثم قالوا فينا الندوة ، فقلنا نعم . ثم قالوا فينا اللواء ، فقلنا نعم . ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي ، والله لا أفعل . .

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال اخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم حدثنا محمد بن خالد حدثنا أحمد بن خلف حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق . قال مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان. وهما جالسان. فقال أبو جهل. : هذا نبيكم يا بني عبد شمس. قال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منا نبي ؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبيا ، ورسول الله ﷺ يسمع. فأتاهما فقال : « أما أنت يا أبا سفيان، فمالله ورسوله غضبت ولكنك حميت للاصل . واما أنت يا أبا الحكم. فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيراً » فقال : بئسما تعدني يا ابن أخي من نبوتك . هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

وقول أبي جهل ـ لعنه الله ـ كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه : ﴿ وإِذَا رَأَوْكَ إِنّ يتَّخِذُونَكَ إلاَّ هُزُواً ، أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ؟ إِنْ كادَ لَيُضِلَّنَا عَنَ آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَنْ صَبِرنَا عَلَيْها . وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِيْنَ يَرُونَ العَذَابَ مَنْ أضل سَبِيْلاً[1] ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة : ﴿ وَلاَ تَجْهَرَ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا ﴾[2] قال : كان إذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبّوا القرآن وسبّوا من أنزله ومن جاء به ، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾[3] وهكذا رواه صاحبا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به .

وقال محمد بن اسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان

(١) سورة الفرقان الآيتان : ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ١١٠ .

(٣) نفس السورة والآية : ١١٠ .

رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن ـ وهو يصلي ـ تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو، وهو يصلي، استرق السمع ، دونهم فرقا منهم ، فان رأى أنهم قد عرفوا انه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فان خفض رسول الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ ولا تخافت بها ﴾ فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾

بـــاب

هجرة أصحاب رسول الله ﷺ ، من مكة إلى أرض الحبشة

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد . والاهانة البالغة. وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسول الله ﷺ ومنعه بعمه أبي طالب ، كما تقدم تفصيله ولله الحمد والمنة . وروى الواقدي أن خروجهم اليها في رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش ورواكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة . وهم عثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزي، وامرأته ليلى بنت ابي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم ، و[يقال بل أبو] حاطب بن عمرو[1] ، وسهيل بن بيضاء، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم أجمعين ، قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلا ؛ سوى نسائهم وابنائهم ، وعمار بن ياسر ، نشك ، فان كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلا .

وقال محمد بن اسحاق : فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؟ فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ـ حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة . وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشر بن موسى[2]

---

(١) التصحيح عن ابن هشام والاصابه عن محمود الامام .

(٢) في ز عن يونس بن عيسى .

عن الحسن بن زياد البرجمي حدثنا قتادة قال : أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ـ يعني أنس بن مالك ـ يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ : إلى أرض الحبشة ، فابطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته . قال : «على أي حال رأيتهما»؟ قالت رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة ، وهو يسوقها ، فقال رسول الله ﷺ : «صحبهما الله ، ان عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن اسحاق : وأبو حذيفة بن عتبة ، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو ـ وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة ـ والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الاسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ـ وولدت له بها زينب ـ وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة ـ حليف آل الخطاب،وهو من بني عنز بن وائل وامرأته ليلى بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم العامري وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ـ ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ـ وهو أول من قدمها فيما قيل ـ وسهيل بن بيضاء . فهولاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة فيما بلغني . قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن اسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس ، وولدت له بها عبد الله بن جعفر . وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الاولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب ، وفي هذا نظر والله اعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية اليها . وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولا ، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا ، فلما قدموا مكة ـ وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ـ فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً . فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة . وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهي الهجرة الثانية ـ كما سيأتي بيانه . قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانيا وما ذكره ابن اسحاق من خروجه في الرعيل الاول أظهر كما سيأتي بيانه والله اعلم . لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولا ، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره ، كما سنورده مبسوطاً ، ثم إن ابن اسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضي الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية ابن محرث بن شق الكناني . وأخوه خالد : وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي . وولدت له بها سعيداً، وأمه التي تزوجها بعد ذلك الزبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال وعبد الله بن جحش ابن رئاب، وأخوه عبيد الله ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وقيس بن عبد الله من بني أسد

ابن خزيمة ، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان ، ومعيقيب بن أبي فاطمة ، وهو من موالي سعيد بن العاص قال ابن هشام : وهو من دوس. قال وأبو موسى [الاشعري] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة. وسنتكلم معه في هذا . وعتبة بن غزوان، ويزيد بن زمعة بن الاسود، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، وطليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد، وسويبط بن سعد بن حريملة ، وجهم بن قيس العبدوي ، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بن خزيمة ، وولداه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلب ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة . وولدت بها عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الاسود، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وامرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومي ـ وقال وإنما سمي شماساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان ـ وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي ، وأخوه عبد الله ،وهشام بن أبي حذيفةبن المغيرةبن عبد الله بن عمرو بن مخزوم،وسلمة ابن هشام بن المغيرة،وعياش بن أبي ربيعةبن المغيرة،ومعتب بن عوف بن عامر ـ ويقال له عيهامة ـ وهو من حلفاء بني مخزوم. قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه خطاب، وامرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب، وامرأته حسنة ، وابناه منها جابر وجنادة ، وابنها من غيره ، وهو شرحبيل بن عبد الله ـ أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، وهو الذي يقال له شرحبيل بن حسنة ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي ابن سعيد بن سهم، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي ، وأخوه عبد الله، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي ، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد ابناء الحارث ، وسعيد بن قيس بن عدي لامه وهو سعيد بن عمرو التميمي ، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم سعيد بن سهم ، وحليف لبني سهم : وهو محمية بن جزء الزبيدي ، ومعمر بن عبد الله العدوي، وعروة بن عبد العزى ، وعدي بن نضلة بن عبد العزى ، وابنه النعمان ! وعبد الله بن مخرمةالعامري ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو،وسليط بن عمرو،وأخوه السكران ، ومعه زوجته سؤدة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة ، وامرأته عمرة بنت السعدي ، وأبو حاطب بن عمرو العامري ، وحليفهم سعد بن خولة ـ وهو من اليمن ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله ابن الجراح الفهري ، وسهيل بن بيضاءـ وهي امه، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث ، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن

هلال بن مالك بن ضبة ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غنم ابن زهير اخوات ، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط ، وأخوه الحارث الفهريون [1] .

قال ابن اسحاق : فكان جميع من لحق بـأرض الحبشة وهـاجر اليهـا من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها ـ ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .

قلت : وذكر ابن اسحاق أبا موسى الاشعري فيمن هاجر من مكة الى أرض الحبشة غريب جداً . وقد قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معـاوية عن أبي اسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلـى النجاشي، ونحن نحـواً من ثمانين رجـلا، فيهم عبد الله بن مسعـود وجعفر ، وعبـد الله بن عرفـطة ، وعثمـان بن مظعون ، وأبو موسى فاتوا النجاشي . وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليـد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا لـه : إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا . قال فأين هم ؟ قالا : في أرضك ، فابعث اليهم ، فبعث اليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه ، فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالـك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك ؟ قال إن الله بعث الينا رسولاً ثم أمرنا ان لا نسجد لاحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو : فانهم يخالفـونك في عيسى بن مريم، قال فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟ قال نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسها بشر ، ولم يفرضها ولد . قال فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله ﷺ . وأنه الذي نجد في الانجيل. وأنه الرسول الذي بشرَّ به عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيـه من الملك لأتيته حتى أكـون أنا الذي أحمل نعليه ، وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما، ثم تعجل عبـد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً . وزعم أن النبي ﷺ : استغفر له حين بلغه موته . وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن. وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، إن لم يكن ذكره مدرجـا من بعض الرواة والله أعلم. وقد روى عن أبي اسحاق السبيعي من وجه آخر .

فقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغـلابي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل . وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريـا حدثنـا

(١) وقع اختلاف بين الأصلين وبينهما وبين السيرة لابن هشام في أسماء المهاجرين وعددهم وحيث المؤلف أسند النقل عن ابن اسحاق فما وافق أحد الأصلين مع ابن هشام اعتمدناه .

الحسن بن علوية القطان حدثنا عباد بن موسى الختلي حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا اسرائيل. وحدثنا أبو أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا اسحاق بن ابراهيم . وهو ابن راهويه - حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية وقدما على النجاشي فاتياه بالهدية، فقبلها وسجدا له ثم قال عمرو بن العاص: إن ناساً من ارضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك. قال لهم النجاشي في أرضي ؟ قالا نعم ! فبعث الينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد . أنا خطيبكم اليوم ، فانتهينا إلى النجاشي، وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعمارة عن يساره . والقسيسون جلوس سماطين[1]. وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجد إلا لله عز وجل . فلما انتهينا إلى النجاشي قال ما منعك أن تسجد ؟ قال لا نسجد إلا لله

فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال إن الله بعث فينا رسولا ـ وهو الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه أحمد ، فامرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر . فاعجب النجاشي قوله ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص ، قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبكم في ابن مريم ؟ قال يقول فيه قول الله : هو روح الله وكلمته اخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر ولم يفرضها ولد : فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه . مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فانا أشهد انه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى . ولولا ما انا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه ، امكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة . وقال ردوا على هذين هديتهما، وكان عمرو بن العاص رجلا قصيراً ، وكان عمارة رجلا جميلا ، وكانا أقبلا في البحر ،فشربا ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلني . فقال له عمرو : الا تستحي ؟ فاخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو : يناشد عمارة حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو في ذلك ، فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك، فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فطار مع الوحش. وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر باسناده مثله إلى قوله : فامر لنا بطعام وكسوة. قال وهذا اسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن

---

(١) سماطين : صفين .

أبي بـردة عن جده أبي بـردة عن أبي موسى : أنهم بلغهم مخـرج رسول الله ﷺ وهم بـاليمن فخرجوا مهـاجرين في بضعة وخمسين رجلا في سفينـة ، فالقتهم سفينتهم إلى النجـاشي بارض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم ، فامره جعفر بالاقامة، فاقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر. قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فاخبر عنه. قال ولعل الراوي وهم في قوله : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق والله أعلم.

وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة ، حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى . قال : بلغنـا مخرج النبي ﷺ : ونحن بـاليمن ، فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فاقمنا معه حتى قدمنا فوافينا النبي ﷺ حيـن افتتح خيبـر ، فقال النبي ﷺ : « لكم أنتم أهـل السفينة هجرتان » وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن براد [بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى] كلاهما عن أبي أسامة به ، ورروياه في مواضع أخر مطولاً والله أعلم.

وأما قصة جعفر مع النجاشي فان الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العـاص. وعلى يديهمـا جرى الحـديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم. وأم سلمة كما سيأتي. فاما رواية جعفر فانها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقنـدي عن أبي الحسين بن النقور عن أبي طـاهر المخلص عن أبي القاسم البغوي . قال حدثنا ابو عبد الرحمن الجعفي عن عبد الله بن عمر بن أبان حدثنا اسد بن عمرو البجلي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه. قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي. فقالوا له ـ ونحن عنده ـ : قد صار اليك ناس من سفلتنا وسفهائنا ، فادفعهم الينا، قال لا حتى أسمع كلامهم . قال فبعث الينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال قلنا هؤلاء قوم يعبدون الاوثان ، وإن الله بعث الينا رسولاً فآمنا به وصدقناه. فقال لهم النجاشي أعبيدهم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ قـالوا لا . قال فخلوا سبيلهم . فقال فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول، قال إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار. فارسل الينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينـا من الاولى ، قال مـا يقول صـاحبكم في عيسى بن مريم ؟ قلنـا يقول : هو روح الله وكلمته القاها إلى عذراء بتول، قال فارسل فقال ادعوا لي فلان القس ، وفلان الراهب ، فاتاه ناس منهم فقال : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقالوا أنت أعلمنا ، فما تقول ؟ قال النجاشي ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكم أحداً ، قالوا نعم ! فنادى مناد من آذى أحداً منهم فاغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم ؟ قلنا لا ، فأضعفها. قال فلما هاجر رسول الله ﷺ إلـى المدينة وظهر بها قلنا له إن رسول الله ﷺ قـد ظهـر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيل إليه ، فـردنا . قـال نعم !

فحملنا وزودنا ، ثم قال أخبر صاحبك بما صنعت اليكم ، وهذا صاحبي معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله . وقل له يستغفر لي . قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله ﷺ : واعتنقني ، ثم قال : « ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر » ؟ ووافق ذلك فتح خيبر، ثم جلس فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا، فقال نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقال لي قل له يستغفر لي . فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات «اللهم اغفر للنجاشي » فقال المسلمون آمين ، ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فاخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ : ثم قال ابن عساكر حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها . أنها قالت : لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « إن بارض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه » فخرجنا إليها ارسالا حتّى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلما. فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمنا ، غاروا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجموا له هدايا ولبطارقته ، فلم يدعوا منهم رجلا إلا هيّأوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا. فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدموا إليه هديته ، فكلموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم ، فاذا نحن كلمناه فاشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل . ثم قدّموا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحب ما يهدون إليه من مكة الأدم ـ وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج ـ فلما أدخلوا عليه هداياه . قالوا له : أيها الملك : إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم ، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فإنهم أعلا بهم عيناً، فانهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم ، فأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري فان كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وان كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعم عينا ـ [وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردهم اليهم . فقال : لا والله ! حتى أسمع كلامهم وأعلم أي شيء

هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له . فقـال : أيها الـرهط ألا تحدثـوني مالكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم ؟ فأخبروني ماذا تقولون في عيسى ومـا دينكم ؟ أنصارى أنتم ؟ قالوا: لا . قال أفيهود أنتم ؟ قالوا : لا . قال: فعلى دين قومكم ؟ قالوا: لا . قـال فما دينكم ؟ قالوا الإسلام . قال وما الإسلام ؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئاً. قـال: من جاءكم بهذا ؟ قـالوا جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله الينا كما بعث الرسـل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة، والوفاء واداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الاوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عـادانا قـومنا وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال: والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى. قال جعفـر: وأما التحيـة فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، وأمرنا بذلـك فحييناك بـالذي يحيي بعضنـا بعضا. واما عيسى بن مريم فعبد الله ورسـوله وكلمتـه ألقاهـا الى مريم وروح منـه وابن العذراء البتول. فأخذ عودا وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدا . وما أطـاع الله الناس في حين رد على ملكي فاطع الناس في دين الله. معاذ الله من ذلك. وقال يونس عن ابن اسحاق[1]]فأرسل اليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء ابغض لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم . فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون ؟ فقالوا وماذا نقول، نقول والله ما نعرف. وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ كـائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له النجـاشي: ما هـذا الدين الـذي أنتم عليه ؟ فـارقتم دين قومكم ولم تـدخلوا في يهـوديـة ، ولا نصرانية. فقال له جعفـر : أيها الملك كنـا قومـاً على الشرك نعبـد الاوثان ونـأكل الميتـة ونسيء الجوار،يستحل المحارم بعضنامن بعض في سفك الدماء وغيرها،لا نحل شيئاً ولا نحرمه. فبعث الله الينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وامانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شـريك لـه ونصل الارحام ونحمي الجوار ونصلي لله عز وجل ، ونصوم له ، ولا نعبد غيره.

وقال زياد عن ابن اسحاق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤ نا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنـا بصدق الحـديث وأداء الأمانـة وصلة الارحام وحسن الجـوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والـزكاة والصيـام . قال ـ فعـدوا عليه أمـور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم

---

(١) ما بين المربعين زيادة عن النسخة المصرية .

نشرك به شيئاً ، وحرمنا علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ويردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونـا وظلمونـا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت فقال النجاشي : هـل معك شيء ممـا جاء بـه ؟ وقد دعـا اساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله . فقال له جعفر ! نعم : قال هلم فاتل عليّ مما جاء به ، فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى والله النجاشي حتـى أخضـلت[1] لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم . ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقـوا راشدين لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا . فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة . فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا بما استأصـل به خضـراءهم ، ولأخبرنـه أنهم يزعمون ان إلّهه الذي يعبد عيسى بن مريم عبد . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فأنهم وان كانوا خالفوا فإن لهم رحماً ولهم حقاً . فقال: والله لافعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولا عظيماً، فارسل إليهم فسلهم عنه . فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض ماذا تقولون له في عيسى ان هو يسألكم عنه ؟ فقالوا : نقـول والله الذي قاله الله فيه ، والذي أمرنا نبينا ان نقوله فيه فدخلوا عليه وعنده بطارقته فقال ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمتـه القاهـا إلى مريم العذراء البتول. فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عوداً بين أصبعيـه فقال: مـا عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد . فتناخـرت[2] بطارقتـه . . فقال: وان تنـاخرتم والله ! اذهبـوا فأنتم (سيوم)[3] في الأرض ـ السيوم الآمنون في الأرض ، من سبكم غرم : من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، ثلاثا ما أحب أن لي دبراً وإني آذيت رجلا منكم ـ والدبر بلسانهم الذهب. وقال زياد عن ابن اسحاق ما أحب أن لي دبراً من ذهب. قال ابن هشام : ويقال زبراً وهو الجبـل بلغتهم . ثم قال النجاشي. فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي ، ولا أطاع الناس فيَّ فاطيع الناس فيه . ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها . واخرجا من بلادي فخرجا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به قالت : فأقمنا مع خير جار في خير دار ، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه ، فوالله ما علمنا حزنا حزناً قط هو أشد منه ، فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي فخرج إليه سائراً فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض : من يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون ؟ وقال الزبير ـ وكان من أحدثهم سنا ـ أنا ، فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، فجعل يسبح عليها في النيل حتى خرج

---

(١) اخضل : ندي .

(٢) تناخر : مد صوته .

(٣) سيوم : آمنون .

من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله ، وظهر النجاشي عليه . فجاء الزبيرفجعل يليح لنا بردائه ويقول ألا فابشروا ، فقد أظهر الله النجاشي . قلت : فوالله ما علمنا [أننا] فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا إلى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزهري : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة . فقال عروة: أتدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فيَّ فاطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ! ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة . فقال عروة : فإن عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه ، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لاب النجاشي ولد غير النجاشي فادارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو انا قتلنا ابا النجاشي وملكنا أخاه فإن له اثنا عشر رجلاً من صلبه فتوارثوا الملك ، لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه. فدخل النجاشي بعمه حتى غلب عليه فلا يدبر أمره غيره، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً الا قتله ، فكلموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا، فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفت أنا قتلناه أباه وجعلناك مكانه وانا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فأما ان تقتله واما أن تخرجه من بلادنا قال: ويحكم قتلتم أباه بالامس واقتله اليوم . بل أخرجه من بلادكم. فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمائه درهم أو بسبعمائة فانطلق به فلما كان العشى هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته ففزعوا إلى ولده فاذاهم محمقون [1] ليس في أحد منهم خير فمرج على الحبشة أمرهم . فقال بعضهم لبعض تعلمون والله أن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم الغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فادركوه قبل أن يذهب ، فخرجوا في طلبه فادركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره وملكوه ، فقال التاجر : ردوا علي مالي كما أخذتم مني غلامي ، فقالوا: لا نعطيك . فقال: إذاً والله لا كلمنه، فمشى إليه فكلمه فقال أيها الملك إني ابتعت غلاماً فقبض مني الذي باعوه ثمنه ، ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي ولم يردوا عليّ مالي ، فكان أول ما خبر به من صلابة حكمه وعدله أن قال : لتردن عليه ماله ، أو لتجعلن يد غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه ماله فاعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله مني الرشوة فآخذ الرشوة حين رد عليّ ملكي ، وما أطاع الناس فيَّ فاطيع الناس فيه .

وقال موسى بن عقبة : كان أبو النجاشي ملك الحبشة ، فمات والنجاشي غلام صغير

---

(١) محمقون : ساخطون .

فاوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني ، فإذا بلغ فله الملك فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار فمات عمه من ليلته وقضى ، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصرا وسياق ابن اسحاق أحسن وابسط فالله أعلم . والذي وقع في سياق ابن اسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره ﷺ وهو ساجد عند الكعبة . وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الاشعري. والمقصود أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة وكان عمارة طمع في امرأة عمرو بن العاص، فألقى عمراً في البحر ليهلكه فسبح حتى رجع إليها . فقال له عمارة : لو أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك ، فحقد عمرو عليه فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر به النجاشي فسحر حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش ـ وقد ذكر الأموي ـ قصة مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن أمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلني وإلاّ مت. فلما لم يرسله مات من ساعته فالله اعلم. وقد قيل أن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأولى مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبي ربيعة . نص عليه أبو نعيم في الدلائل والله أعلم. وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهري، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشي رضي الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا فالله أعلم .

وقد ذكر زياد عن ابن اسحاق : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أبياتاً يحضه فيها على العدل وعلى الاحسان إلى من نزل عنده من قومه :

ألاليتَ شعري كيفَ في النأي[1] جعفرُ ... وعمرو وأعداءُ العدوّ الاقارب
وما نالتَ أفعالُ النجاشيّ جعفراً ... وأصحابَهُ أو عاقَ ذلك شاغِبُ
ونعلم ، ابيتَ اللعن أنك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يَشقى اليكَ المُجَانِب
ونعلم بانّ اللّهَ زادك بسطةً ... وأسبابَ خيرٍ كلُّها بك لازِب[2]

وقال يونس عن ابن اسحاق : حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قال : إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والمشهور أن جعفراً هو المترجم رضي الله عنهم . وقال زياد البكائي عن ابن اسحاق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها .

---

(١) النأي : البعد .
(٢) لازب : ثابت .

قالت لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور ، ورواه أبو داود عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق به لما مات النجاشيّ رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور . وقال زياد عن محمد بن اسحاق: حدثني جعفر بن محمد عن أبيه . قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا . وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الايمن وخرج إلى الحبشة وصفوا له . فقال: يا معشر الحبشة الست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ! قال : فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا خير سيرة . قال : فما بكم ؟ قالوا فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله . قال ؟ فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشي ـ ووضع يده على صدره على قبائه ـ : وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا ، وإنما يعني على ما كتب ، فرضوا وانصرفوا . فبلغ رسول الله ﷺ فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له . وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات . وقال البخاري : موت النجاشي حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر . قال قال رسول الله ﷺ : ـ حين مات النجاشي ـ مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلّوا على أخيكم أصحمة[1]. وروى ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن بحر وكان عبداً صالحاً لبيبا زكياً وكان عادلا عالماً رضي الله عنه وأرضاه . وقال يونس عن ابن اسحاق اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي اصحم وهو بالعربية عطية وقال وإنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

قلت : كذا ولعله يريد به قيصر فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم ، وكسرى علم على من ملك الفرس ، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشحر ، والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطليموس لمن ملك اليونان وقيل الهند وخاقان لمن ملك الترك . وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لانه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلهذا صلى عليه ﷺ قالوا: فالغايب إن كان قد صلى عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ؟ ولهذا لم يصل النبي ﷺ في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه

(١) اصحمه : اسم النجاشي .

صلَّى على أحد منهم في غير البلدة التي صلَّى عليه فيها فالله أعلم .

قلت : وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي ، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر[1] التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر ولهذا روي أن النبي ﷺ قال: « والله ما أدري بايهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبي طالب » وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب ابي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم ، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذونخترا أو ذومخمرا أرسله ليخدم النبي ﷺ عوضاً عن عمه رضي الله عنهما وأرضاهما . وقال السهيلي : توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله أعلم . وقال البيهقي أنبأنا الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الطوسي حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي حدثنا أبي العلاء بن مدرك حدثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة . قال قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم، فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : «انهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكافيهم » . ثم قال وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي حدثنا طلحة بن زيد عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي قتادة : قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ : يخدمهم فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال: « إنهم كانوا لاصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافيهم » . تفرد به طلحة بن زيد عن الأوزاعي . وقال البيهقي حدثنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو . قال : لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو ان اصحمة يزعم أن صاحبكم نبي .

قال ابن اسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ وردهم النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة[2] لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة حتى غاظوا قريشا فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلّي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلَّى عند الكعبة وصلينا معه . قلت : وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب وقال زياد البكائي حدثني مسعر بن

(١) كذا في الاصلين ولعل العبارة (في السنة التي) الخ .

(٢) شكيمة : انفة .

كدام عن سعد بن ابراهيم. قال قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قال ابن اسحاق : وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة . حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف على وهو على شركه ، فقالت وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا قالت فقال إنه الانطلاق يا أم عبد الله ، قلت نعم ! والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا ؟ حتى يجعل الله لنا مخرجا. قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت في اسلامه قالت قلت نعم ! قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الاسلام . .

قلت : هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الاربعين من المسلمين فان المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين، اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين ويؤيد هذا ما ذكره ابن اسحاق ههنا في قصة اسلام عمر وحده رضي الله عنه : وسياقها فانه قال: وكان اسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد عن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون باسلامهم من عمر ، وكان نعيم ابن عبد الله النحام رجل من بني عدي قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة . فلقيه نعيم بن عبد الله فقال أين تريد يا عمر؟ قال أريد محمداً هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله. فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال : وأى أهل بيتي ، قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله اسلما وتابعا محمداً ﷺ على دينه ، فعليك بهما فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الارت معه صحيفةفيها طّه يقريها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم ـ أو في بعض البيت ـ وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع

حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها : فلما دخل قال ما هذه الهينمة[1] التي سمعت ؟ قالا له ما سمعت شيئاً. قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد . فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وأرعوى[2] ، وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرأون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمداً ؟ وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها ، قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت يا أخي إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسه الا المطهرون فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدراً. قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه . فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له : والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ فاني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الاسلام بابي الحكم بن هشام - أو بعمر بن الخطاب - فالله الله يا عمر فقال عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فاذا هو بعمر متوشح بالسيف فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف ، فقال حمزة فاذن له فان كان جاء يريد خيراً بذلناه وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله ﷺ : « ايذن له » فاذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة[3]، فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ، قال فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم ، فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عدوهم قال ابن اسحاق فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر حين أسلم رضي الله عنه.

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه.عطاء ومجاهد وعمن روي ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للاسلام مباعداً وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت لو أني جئت فلانا الخمار لعليّ أجد عنده خمراً فأشرب منها ، فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت سبعاً أو

---

(١) الهينمة : الترتيلة او الصوت.

(٢) ارعوى : إرتد وكف . (٣) قارعة : نكبة ، مهلكة .

سبعين، قال فجئت المسجد فاذا رسول الله ﷺ : قائم يصلي ، وكان إذا صلّى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الاسود واليماني ، قال فقلت حين رأيته والله لو اني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه لاستمع منه لاروعنه. فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويداً ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي وبكيت ودخلني الاسلام ، فلم أزل في مكاني قائما حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ـ وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية ـ قال عمر : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته ، فلما سمع حسي عرفني فظن أني إنما اتبعته لاوذيه ، فنهمني[1] ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: «قد هداك الله يا عمر » ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت ودخل رسول الله ﷺ بيته . قال ابن اسحاق فالله أعلم أي ذلك كان .

قلت : وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطولا في أول سيرته التي أفردتها على حدة ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر . قال : لما أسلم عمر قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه ، قال عبد الله وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلام أعقل كلما رأيت ـ حتى جاءه فقال له : اعلمت يا جميل اني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ باعلا صوته يا معشر قريش ـ وهم في أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إن ابن الخطاب قد صبأ[2] قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال وطلح[3] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم ؟ فقالوا صبأ عمر ، قال فمه ؟ رجل اختار لنفسه امرأً فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلّوا عن الرجل . قال فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه. قال فقلت لأبي بعد أن هاجر الى المدينة: يا أبةمن الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي ، وهذا اسناد جيد قوي ، وهو يدل على تأخر اسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع

---

(١) النهم : الزجر والنهيم زجر الاسد .
(٢) صبأ : أصبح صابئاً .
(٣) وطلح : اي اعيي كذا في النهاية في تفسيره هذا الخبر .

عشرة سنة وكانت احد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه ، فيكون اسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم .

وقال البيهقي : حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق . قال ثم قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلا وهو بمكة ـ أو قريب من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه في المجلس ، فكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فزعوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال : خيبكم الله من ركب بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ؛ فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركباً أحمق منكم ـ أو كما قال ـ قالوا لهم : لا نجاهلكم سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً . فيقال إن النفر من نصارى نجران ، والله أعلم أي ذلك كان . ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات : ﴿ الَّذِيْنَ اتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُوْنَ واذَا يُتْلَى عَلَيهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمْينَ ، أولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبرُوا ويَدْرَؤُنَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُوْنَ ، وإِذَا سَمِعُوا الَّلغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعَمْالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغي الجَاهِلِيْنَ ﴾[1]

فصل :

قال البيهقي في الدلائل : باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ، ثم روى عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن اسحاق . قال : هذا كتاب من رسول الله ﷺ إلى النجاشي الاصحم[2] عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاية الله فاني أنا رسوله فاسلم تسلم ﴿ يا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾[3] فان أبيت فعليك إثم النصارى من قومك .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة وفي ذكره ههنا نظر، فإن الظاهر أن هذا الكتاب

---

(١) سورة القصص الآيات : ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) في المصرية بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى الخ وقوله الاصحم كذا في الاصلين وقد تقدم في ص ٧٥ إنه اصحمه (اسم النجاشي) .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٦٤ .

إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه ، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي . قال الزهري : كانت كتب النبي ﷺ إليهم واحدة ؛ يعني نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية وهي سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف فانه من صدر السورة ، وقد نزلت ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله فيه إلى النجاشي الأصحم لعل الأصحم مقحم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم .

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضاً عن الحاكم عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه ـ بمرو ـ حدثنا حماد بن أحمد حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق. قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى النجاشي الاصحم ملك الحبشة ، سلام عليك ، فاني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته القاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فاقرهم ودع التجبر فاني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى . فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي الاصحم بن أبجر سلام عليك يانبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الاسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله باريحا بن الاصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فأني أشهد أن ما تقول حق .

فصل :

في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ وتحالفهم فيما بينهم عليهم ، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ وحصرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية . فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلّموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الاسواق فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة ولا بيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له ، فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته ، أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه ، فلمّا كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه ، وبعث الله على صحيفتهم الارضة[1] فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق . ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسما لله فيها إلا لحسته ، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم ، وأطلع الله عز وجل رسول الله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبني فانطلق يمشي بعصابته من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فاتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ فتكلم أبو طالب فقال قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فعله أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فاتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوعاً إليهم فوضعوها بينهم . وقالوا : قد آن لكم ان تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . قال أبو طالب : إنما أتيتكم لاعطيكم امراً لكم فيه نصف ، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - إن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم . فإن كان الحديث

---

(١) الارضة: من فصيلة الارضيات تقرض الاخشاب .

الذي قال ابن أخي كما قال فافيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه اليكم فقتلتموه أو استحييتم . قالـوا : قد رضينـا بالـذي تقول ففتحـوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالواوالله إن كان هذا قط الاسحر من صاحبكم فـارتـكسوا[1] وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول الله ﷺ والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه . فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فانا نعلم إن الذياجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الـجبت[2] والسحر من أمرنا، ولولا انكم اجتمعتم على السحـر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرووكانت الصحيفة عنده وهو بني عامر بن لؤ ي ـ في رجال من أشرافهم ووجوههم : نحن برءاء مما في هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قضي بليل وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرّأوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي .

قال البيهقي : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ ـ يعني من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير ـ يعني كسياق موسى بن عقبة رحمه الله ـ وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك فالله أعلم .

قلت : والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضاً فذكرها ههنا أنسب والله أعلم . ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمد بن اسحـاق . قال : لما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه ، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا ويسلِّموا أخاهم لما قارفه من قـومه . فلمـا فعلت ذلك بنـو هاشم وبنـو المطلب وعـرفت قريش أن لا سبيـل إلى محمد ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلّقوها بالكعبـة ، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلـزالاً شديـداً ثم ذكر القصـة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضـاغـون[3] من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامـة قريش مـا أصابهم وأظهـروا

---

(١) ارتكسوا : انتكسوا .

(٢) الجبت : السحر .

(٣) يتضاغون : يتضورون جوعاً .

كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة ، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرضة فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فأخبر بذلك عمه أبو طالب ، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم .

وقال ابن هشام عن زياد عن محمد بن اسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه أمناً وقراراً . وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الاسلام يفشو في القبائل فاجتمعواوائتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحودم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلَّ بعض أصابعه . وقال الواقدي : كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدوي .

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن اسحاق ، وهو الذي شلَّت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها : أنظروا إلى منصور بن عكرمة . قال الواقدي : وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة . قال ابن اسحاق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم . وحدثني حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشاً . فقال : يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهر عليها ؟ فقالت : نعم ! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنه كان يقول ـ في بعض ما يقول ـ يعدني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه فيقول تباً لكما لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1] . قال ابن اسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب :

ألا أبلِغا عنّي على ذاتِ بينَنا ... لؤيّاً وخُصّا من لؤيّ بني كعْب
ألم تعلموا أنّا وجدْنا محمداً ... نبياً كموسى خُطَّ في أول الكتب
وأن عليه في العبادِ محبة ... ولا خيرَ ممنْ خصَّه الله بالحب[2]

---

(١) سورة المسد الآية الأولى .

(٢) قال السهيلي ولاخير البيت هو مشكل جداً .

وأن الـذي ألصقْتُمـوا مـن كتـابـكم ... لكم كائنٌ نحساً كـراغيـةِ السقـب(1)

أفيقـوا أفيقـوا قبـل أن يحـفر الثـرى ... ويصبحَ من لم يجنِ ذنباً كـذي الذنب

ولا تَتْبعـوا أمـرَ الـوشـاةِ وتقـطعـوا ... أواصـرَنـا بـعـدَ المـودّة والـقُـرْب

وتستجلِبـوا حربـاً عَـوانـاً(2) وربمـا ... أمَـرَّ عـلى من ذاقـه حَـلَبُ الحـرب

فـلسنـا وربِّ البـيـتِ نُسْـلم أحمـداً ... لعـزَّاء من عضِّ الـزمـانِ ولا كَـرْب

ولـمـا تَبِـنْ منّـا ومـنكُـم سـوالـفٌ ... وأيـدٍ أتـرَّتْ بـالقسـاسِيَّـة الشُّهب

بمعتـرَكٍ ضيّـقٍ تـرى كسِـرَ الـقنـا ... به والنسور الطُّخم (3) يعكِفَنَ كالشَّرب

كأنّ ضَحـالَ(4) الخيل في حُجُراتـه ... ومعمعـةِ(5) الأبطالِ معركةُ الحرب

ألـيس أبـونـا هـاشـمٌ شـدَّ أزرَه ... وأوصى بنيـه بـالـطِّعـان وبـالضـرب

ولسنـا نمـلُّ الحـربَ حتى تـملَّنـا ... ولا نشتكي ما قد ينوبُ من النكب (6)

ولـكنّـنـا أهـلُ الحـفـائظِ والنُّهـى ... إذا طارَ أرواحُ الـكـمـاةِ(7) من الرُّعب

قال ابن اسحاق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل بن هشام ـ فيما يذكرون ـ لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله ﷺ في الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد . فقال : مالك وله . فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال له أبو البختري طعام كان لعمته عنده بعثت به إليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل قال فأبى أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البختري لحي بعير فضربه فشجه ووطئه وطئاً شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتون بهم ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً منادياً بأمر الله تعالى لا يتقي فيه أحداً من الناس . فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه(8)، ويستهزئون به ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل في قريش باحداثهم وفيمن نصب لعداوته، منهم من سمّى لنا ومنهم من نزل القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار . فذكر ابن اسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه ، وأمية بن خلف ونزول قوله تعالى : ﴿ويلٌ

---

(1) راغية السقب : الناقه عند ولادتها .

(2) عواناً : شديدة (الحرب العوان : اشد الحروب .

(3) الطخم : السود الكبار .

(4) ضحال : تقال للقليل من الماء وهنا ربما للخيل القليلة

(5) معمعة : حرب او معركة ضخمة .

(6) النكب : المصائب الكبيرة .

(7) الكماة : الابطال .

(8) يهمزونه : يغتابونه .

لِكُلِّ هُمزَةٍ لَمزة﴾ [1] السورة بكمالها فيه . والعاص بن وائل ونزول قـوله : ﴿أَفَـرأَيْتَ الَّذي كَفَـرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتيَنَّ مَالا وولداً﴾ [2] فيه . وقد تقدم شيء من ذلك . وأبا جهل بن هشام وقوله للنبي ﷺ لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن آلهتك ونزول قول الله فيه ﴿ولاَ تَسبُوا الَّذِيْنَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلمٍ﴾ [3] الآية . والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمـة ـ ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلي ـ وجلوسه بعـد النبي ﷺ في مجالسـه حيث يتلو القرآن ويـدعو إلى الله ، فيتلو عليهم النضر شيئاً من أخبار رستم واسفنديـار وما جـرى بينهما من الحـروب في زمن الفرس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير اكتتبها كما اكتتبها ، فأنزل الله تعالى : ﴿وقَالُوا أَسَاطِيْرُ الأَوَّلِيْنَ إكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأَصِيْلاً﴾ [4] وقوله : ﴿ويلٌ لِكُلِّ أفَّاكٍ أثِيمٍ﴾ [5] .

قال ابن اسحاق : وجلس رسـول الله ﷺ ـ فيما بلغنـا ـ يومـاً مع الـوليد بن المغيـرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غيـر واحد من رجـال قريش فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر ، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم ﴿إنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُوْنَ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوْها وكُلٌّ فِيهَا خَالِدُوْنَ لهُمْ فِيْهَا زَفِيْرٌ وَهُمْ فِيْهَا لا يَسْمَعُونَ﴾ [6] . ثم قام رسـول الله ﷺ وأقبل عبـد الله بن الزبعري السهمي حتى جلس . فقال الوليـد بن المغيرة لـه : والله ما قـام والله ما قام النضـر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب [7] جهنم . فقال عبد الله بن الزبعري : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً أكل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبـد الملائكـة واليهود تعبـد عزيـراً والنصارى تعبـد عيسى . فعجب الـوليد ومن كـان معه في المجلس من قـول ابن الزبعـري ورأوا أنـه قـد احتـج وخاصم [8] فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبّده في النار ، انهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » فأنزل الله تعالى : ﴿إنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُوْنَ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيْمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُوْنَ﴾ [9] أي عيسى وعزير ومن عبد من الأحبار والرهبان الـذين مضوا على طـاعة الله تعـالى . ونزل فيمـا يـذكرون أنهم يعبـدون الملائكـة وأنها بنـات الله ﴿وَقَالُـوا إتَّخَذَ الـرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَـانَهُ بَـلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [10] والآيات بعدها . ونزل في إعجاب المشركين يقول ابن الزبعري : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ

---

(١) سورة الهمزة الآية الأولى .
(٢) سورة مريم الآية : ٧٧ .
(٣) سورة الانعام الآية : ١٠٨ .
(٤) سورة الفرقان الآية الخامسة .
(٥) سورة الجاثية الآية السابعة .
(٦) سورة الانبياء الآيات : ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ .
(٧) حصب : كل ما يرمى في النار كالحطب .
(٨) كذا في الاصلين وفي ابن هشام ، ولعل الصواب (وخصم) .
(٩) سورة الانبياء الآيتان : ١٠١ ـ ١٠٢ .
(١٠) سورة الانبياء الآية : ٢٦ .

مَرْيَمَ مثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْـهُ يُصِدُّوْنَ وقـالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أمْ هُـوَ مَا ضَـرَبُوهُ لَـكَ إلاَّ جَدَلاً بَـلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُوْنَ﴾[1] وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل ، فقوله : ﴿إنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[2] إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى . فهم يعلمون أن ماضربوه بعيسى بن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى : ﴿ما ضَرَبُوْهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[3] ثم قال : ﴿إنْ هُوَ﴾ أي عيسى ﴿إلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي بنبوتنا ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إسْرَائِيل﴾[4] أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكـر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هـذا ، وخلقنا سـائر بني آدم من ذكـر وأنثى كمـا قـال في الآيـة الأخـرى ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَـةً لِلنّاسِ﴾[5] أي أمارة ودليلاً على قدرتنا الباهرة ﴿ورحمَةً مِنّا﴾ نرحم بها من نشاء.

وذكـر ابن اسحاق : الاخنس بن شـريق ونزول قـوله تعـالى فيه : ﴿وَلاَ تُـطِعْ كُلَّ حَـلاَّفٍ مهين﴾[6] الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال : أينزل على محمد وأترك وأنا كبيـر قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو[7] الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيما القـريتين . ونزل قوله فيه﴿وقالوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيْمٌ﴾[8] والتي بعدها ، وذكر أبي ابن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط : ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه وجهي من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنـه الله ، فأنـزل الله ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي إتَّخَذْتُ مَعَ الرّسُولِ سَبِيْلاً ، يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أتَّخِذْ فُلاناً خَلِيْلاً﴾[9] والتي بعدها . قال ومشى أبي بن خلف بعظم بال قـد أرم[10] . فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ . فقال : نعم ! أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار . وأنزل الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ لَنَا

---

(١) سورة الزخرف الآيتان : ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) سورة الانبياء الآية : ٩٨ .

(٣) سورة الزخرف الآية : ٥٨ .

(٤) سورة الزخرف الآية : ٥٩ .

(٥) سورة مريم الآية : ٢١ .

(٦) سورة القلم الآية : ١٠ .

(٧) كذا في الحلبية وفي المصرية عمرو بن عمر وفي ابن هشام عمر بن عمير .

(٨) سورة الزخرف الآية : ٣١ .

(٩) سورة الفرقان الآيتان : ٢٧ و٢٨ .

(١٠)ارم : لم يترك منه شيء .

مَثَلاً وَنَسِيَ خَلقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيْهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم﴾[1] إلى آخر السورة. قال واعترض رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني وهو يطوف عند باب الكعبة ـ الأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل . فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر . فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُوْنَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ﴾[2] إلى آخرها . ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم ، قال : أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلنتزقم فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾[3] قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلمه وقد طمع في اسلامه فمر به ابن أم مكتوم ـ عاتكة بنت عبد الله بن عنكشة ـ الأعمى فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقريه القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً ، وتركه فأنزل الله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾[4] إلى قوله :﴿مرفوعة مُطهّرة﴾ وقد قيل إن الذي كان يحدث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف فالله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم اسلام أهل مكة وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه ﴿والنَّجْمُ إذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾[5] يقرأها عليهم حتى ختمها وسجد . فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس ، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُوْلٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ واللَّهُ عَلِيمٌ حكيمٌ﴾[6] وذكروا قصة الغرانيق وقد أحببنا الاضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضيعها ، إلا أن أصل القصة في الصحيح . قال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : سجد النبي ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انفرد به البخاري دون مسلم . وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت الأسود عن عبد الله . قال : قرأ النبي ﷺ والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصاً ـ أو تراب ـ فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا ، فرأيته بعد قتل كافراً ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة . وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن

---

(١) سورة يس الآيتان : ٧٨ و ٧٩ .
(٢) سورة الكافرون الآيتان الاولى والثانية .
(٣) سورة الدخان الآية : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٤) سورة عبس الآيتان : الاولى والثانية .
(٥) سورة النجم الآية الاولى .
(٦) سورة الحج الآية : ٥٢ .

المطلب بن أبي وداعة عن أبيه . قال قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب . فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه . وقد رواه النسائي عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به . وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم . والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم . فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك . وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل فذكر ابن اسحاق اسماء من رجع منهم ؛ عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، وعبد الله ابن جحش بن رئاب ، وعتبة بن غزوان ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وسويبط بن سعد ، وطليب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشماس بن عثمان ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة - وقد حبسا بمكة حتى مضت بدراً واحداً والخندق - وعمار بن ياسر - وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة أم لا . ومعتب بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وابنه السائب ، وأغراه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخنيس بن حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل - وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق - وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة . وعبد الله بن مخرمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو - وقد حبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بدراً - وأبو سبرة بن أبي رهم ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامرأته سودة بنت زمعة - وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلف على امرأته رسول الله ﷺ - وسعد بن خولة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل بن بيضاء ، وعمرو ابن أبي سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلاً رضي الله عنهم . وقال البخاري وقالت عائشة قال رسول الله ﷺ : « أرأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين » فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة . فيه عن أبي موسى واسماء رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وقد تقدم حديث أبي موسى وهو في الصحيحين ، وسيأتي حديث أسماء بنت عميس بعد فتح خسر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة . وقال البخاري حدثنا يحيى ابن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله . قال : كنا نسلِّم على النبي ﷺ وهو يصلي فيرد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا ، فقلنا : يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد علينا ؟ « قال إن في الصلاة شغلاً » وقد روى البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق أخر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به ، وهو يقوي تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين كنا

نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله : ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[1] فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام . على أن المراد جنس الصحابة فإن زيداً أنصاري مدني ، وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بمكة ، فتعين الحمل على ما تقدم . وأما ذكره الآية وهي مدنية فمشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك وإنما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكان ممن دخل معهم بجوار ، عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوار خاله أبي طالب فإن أمه برة بنت عبد المطلب . فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدثني عمن حدثه عن عثمان . قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد بن المغيرة قال والله ان غدوي ورواحي في جوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك . قال لم يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكني أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره . قال فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جوازي علانية كما أجرتك علانية . قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يرد عليَّ جواري . قال صدق قد وجدته وفياً كريم الجوار ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان رضي الله عنه ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

فقال عثمان : صدقت . فقال لبيد :

* وكل نعيم لا محالة زائل *

فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش والله ما كان يؤذي جليسكم فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : ان هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان . فقال : والله يا ابن أخي ان كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد كنت في ذمة منيعة . قال يقول عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي إلى جوارك فعد ، قال : لا ! .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٨ .

قال ابن اسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد فحدثني أبي اسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن أبي سلمة أنه حدثه أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال إنه استجار بي وهو ابن اختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي . فقام أبو لهب . فقال : يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم ولياً وناصراً على رسول الله ﷺ فابقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ ، فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ :

إن امـرءاً أأبـو عُتَـيـبـةَ عـمُـهُ ... لفي روضةٍ ما أنْ يُسَـامَ[1] المظالما
أقـول لـهُ ،وَأَينَ منـه نصيحتي ... أبـا معتبٍ[2] ثَبِّتْ سَوادَكَ قـائمـا
ولا تقبلنَّ الـدهـرَ مـا عشتَ خـطّةً ... تَسَبُّ بهـا إمّـا هبـطتَ المـواسمـا
وولِّ سبيـلَ العجـزِ غيـرَك منـهم ... فـإنك لم تُخلَق على العجـز لازمـا
وحاربْ فان الحربَ نَصْف ولن ترى ... أخا الحربِ يُعطَى الخسفَ[3] حتى يُسالما
وكيفَ ولم يجنـوا عليك عـظيمـةً ... ولم يخذلوك غانماً أو مُغارما[4]
جـزى الله عنّا عبدَ شمسٍ ونوفـلاً ... وتيماً ومخزوماً عُقوقاً[5] ومأثمـا
بـتفـريـقهـمْ من بعـدِ ودٍ وألفـةٍ ... جمـاعتَنـا كيمـا ينـالـوا المحـارِمـا
كـذبتم وبيتِ الله نبـزي[6] محمـداً ... ولما تروا يـومـاً لـدى الشِّعْبِ قائمـا

قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

عزم الصدّيق على الهجرة الى الحبشة

قال ابن اسحاق : وقد كان أبـو بكر الصـديق رضي الله عنه كمـا حدثني محمـد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فاذن له ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوما ـ أو يومين ـ لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الاحابيش . قال الواقدي : اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة . وقال السهيلي : اسمه مالك . فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال أخرجني

(١) يسام : يعرض عليه .
(٢) كذا في الاصل وكنيته ابو عتبة .
(٣) الخسف : الاذلال .
(٤) مغارما : ملتزما بدفع شيء ما .
(٥) عقوقاً : جحوداً .
(٦) قال ابن هشام : نبزى : نسلب .

قومي وآذوني وضيقوا علي . قال ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب[1] ، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم . أرجع فانك في جواري . فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير . قال : فكفوا عنه . قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه ، وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيأته ، قال فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة . فقالوا : يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيأة ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فاته فمره بأن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء . قالت : فمشى ابن الدغنة اليه فقال : يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومك . وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . قال فاردد عليّ جواري . قال : قد رددته عليك . قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد عليّ جواري فشأنكم بصاحبكم . وقد روى الامام البخاري هذا الحديث متفرداً به وفيه زيادة حسنة . فقال حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن هشام فاخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ . قالت : لم أعقل ابواي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فاعبد ربي . فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل[2] ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ويصل فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . فقال ابن الدغنة ذلك لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره . ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأنّ القرآن ، فكان[3] نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ

(١) النوائب : المصائب .

(٢) الكَل : التَعب .

(٣) في النسخة المصرية : فينقذف نساء المشركين الخ .

القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم . فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن في الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا فانهه فإن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربه في داره فعل ، وأن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا نخفرك[1] ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذي قد عاقدت عليه قريش[2] فاما أن تقتصر على ذلك وأما أن ترد إلي ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل . ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ : كما سيأتي مبسوطا .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : لقيه ـ يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة ـ سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا[3] على رأسه ترابا ، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة ـ أو العاص بن وائل ـ فقال له أبو بكر رضي الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك .

فَصل :

كل هذه القصص ذكرها ابن اسحاق معترضا بها بين تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهي أمور مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على ابن اسحاق .

نقض الصحيفة

قال ابن اسحاق : هذا وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقد فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض الصحيفة نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لامه ، وكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني ـ يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا قد أوقره طعاما ، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه[4] من رأسه ثم ضرب على جنبيه فدخل

---

(1) نخفرك : خفر : اجار وحمى .
(2) في المصرية قد عاقدتك عليه .
(3) حثا : صبَّ .
(4) الخطام : الحبل الذي يجعل في عنق البعير .

الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك ، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك اليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها . قال قد وجدت رجلا ، قال من هو ؟ قال أنا قال له زهير أبغنا ثالثا ، فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سراعا ، قال ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، قال قد وجدت لك ثانيا . قال من ؟ قال أنا ، قال أبغنا ثالثا قال قد فعلت . قال من هو ؟ قال زهير بن أبي أمية . قال أبغنا رابعا ، فذهب الى أبي البختري بن هشام فقال نحو ما قال للمطعم بن عدي ، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال نعم ! قال من هو ؟ قال زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك . قال ابغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له وهل على هذا الأمر الذي تدعوني اليه من أحد ؟ قال نعم ثم سمى القوم فاتعدوا[1] حطم الحجون [2] ليلا باعلا مكة فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير . أنا أبدؤكم فاكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس . فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . قال أبو جهل ـ وكان في ناحية المسجد ـ والله لا تشق . قال : زمعة بن الأسود أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت . قال أبو البختري : صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به . قال المطعم بن عدي : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمر قد قضي بليل تشور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب : « يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم

---

(١) اتعدوا : تواعدوا .

(٢) حطم الحجون : مكان بأعلى مكة .

والقطيعة والبهتان » . فقال أربك أخبرك بهذا ؟ قال « نعم » !قال فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخي . فقال القوم : قد رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن اسحاق : فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة يمدحهم :

ألا هل أتى بحريِّنا[1] صُنْعُ ربّنا ... على نأيهمْ واللهُ بالناسِ أروَدُ [2]
فيُخبِرهم أنّ الصحيفةَ مُزِّقَتْ ... وأنْ كلّ ما لم يرضَه الله مفسد
تراوحَهَا إفكٌ [3] وسحرٌ مجمَّع ... ولم يلفَ سحراً آخرَ الدهرِ يصعد
تداعى لها مَن ليس فيها بقرقرٍ [4] ... فطائرُها في رأسِها يتردد
وكانت كفاء وقعةً بأثيمةٍ ... ليُقطَع منها ساعدٌ ومقلد
ويظعنُ أهل المَكّتين فيهربوا ... فرائصُهمْ [5] من خَشيةِ الشرّ تُرعِد
ويترك حراثٌ يقلّب أمرَه ... أيُتْهم فيها عندَ ذاك ويُنْجِد
[وتصعد بين الأخشَبين كتيبةٌ ... لهاحَدجٌ[6] سهمٌ وقوسٌ ومرهد][7]
فمن ينْشَ من الضّار مكةَ عِزةً ... فعزّتنا في بطنِ مكّة أتلد [8]
نشأنا بها والناسُ فيها قلائل ... فلم ننفكِك نزدادُ خيراً ونحمد
ونطعِمُ حتى يتركَ الناسُ فضلُهم ... إذا جَعلت أيدي المُفيضِينَ ترعد
جزى الله رهطاً بالحُجُون تجمّعوا ... على ملاءٍ يَهدي لحزمٍ ويُرشد
قعوداً لذي خَطمِ الحجُونِ كأنهم ... مقاولةٌ بل هم أعزّ وأمجد
أعانَ عليها كلُّ صقرٍ كأنه ... إذا ما مشى في رفرفِ[9] الدّرع أحرَدُ[10]

(١) قال السهيلي : بحرينا يعني الذي بأرض الحبشة نسبة الى ركوبهم البحر وشرح الالفاظ الغريبة لهذه القصيدة وقد قابلناها على شرح غريب السيرة للخشني .
(٢) ارود : متمهل .
(٣) افك : كذب .
(٤) مرفر : حسن الوجه .
(٥) الفرائص : اللحم بين الجنب والكتف .
(٦) الحدج : الضرب بالسهم .
(٧) المرهد : السحق الشديد .
(٨) أتلد : اقدم .
(٩) رفرف : جوانب الدرع .
(١٠) أحرد : الذي لا يستطيع المشي من الدرع لثقله .

جريءٌ على جَلِّ الخطوبِ (1) كأنه شهــابٌ بكفَّي قــابسٍ يتــوقــد
من الأكــرمِينَ من لؤيِّ بنِ غــالبٍ اذا سيمَ خسفـاً وجهُه يتـربد (2)
طويلُ النِّجادِ (3) خارجٌ نصفُ ساقِهِ على وجهـه يَسقي الغمـامُ ويسعـد
عــظيمُ الـرمــادِ سيّـدٌ وابنُ سيّــدٍ يحضّ على مَقرَى الضيوفِ ويحشُد
ويبني لأبنــاءِ العشيــرةِ صــالحــاً اذا نحنُ طُفنــا في البــلادِ ويمهــد
ألــظّ(4) بهـذا الصلحِ كـلّ مبـرَّأٍ عــظيـمِ اللواءِ أمـرُه ثَـمّ يحـمـد
قَضَوا ما قضوا في ليلِهم ثم أصبَحوا على مَهَـلٍ وسـائـرُ النـاس رُقَــدّ
همُ رجعـوا سهلَ بنَ بيضـاءَ راضيـاً وسُــرَّ أبــو بـكــرٍ بهــا ومـحمــد
متى شـركَ الأقـوامُ في حَـلِّ أمرنـا وكـنّــا قــديـمــاً قـبـلَهــا نـتــودد
وكنّــا قــديمــاً لا نُقِــرّ ظُــلامــةً ونـدركُ مــا شِئنــا ولا نـتـشــدّد
فيــالَ قصيٍّ هـل لكُم في نفـوسِكم وهــلْ لكُمُ فيمــا يجيءُ بــه غــد
فــإني وإيـاكُمُ كمــا قــالَ قــائـلٌ لــديـكَ البيــانُ لـو تكلّمتَ أســود

[(5) قال السهيلي : أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول لديك البيان لو تكلمت أسود ، أي يا أسود لو تكلمت لابنت لنا عمن قتله] .

ثم ذكر ابن اسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدي وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة . وقد ذكر الأموي ههنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن اسحاق . وقال الواقدي : سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالا : في السنة العاشرة ـ يعني من البعثة ـ قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خروجهم توفي أبو طالب عم رسول الله ﷺ ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

فَصــل :

وقد ذكر محمد بن اسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصا كثيرة تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله ﷺ ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى ، وتكذيبنا لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة

---

(1) الخطوب : الامور العظيمة .
(2) يتربد : يعبس .
(3) النجاد : حمائل السيف .
(4) الظ : ثابر والح .
(5) ما بين المربعين زيادة عن النسخة المصرية (محمود الامام) .

والتقول ، والله غالب على أمره ، فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسلة ، وكان سيداً مطاعا شريفا في دوس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع بـه اشراف قـريش وحذروه من رسـول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا[1] فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه . قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، قال فقمت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال فسمعت كلاما حسنا ، قال فقلت في نفسي واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فمـا يمنعني أن أسمع من هـذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحـا تركتـه . قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا ـ الذي قالوا ـ قال فوالله ما برحوا بي يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا اسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قـولا حسنا ، فـأعرض عليّ أمـرك : قال فعـرض عليّ رسول الله ﷺ الاسلام وتلا عليّ القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قـومي ، وإني راجع اليهم وداعيهم إلى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكـون لي عونـا عليهم فيما أدعـوهم اليه . قـال فقال : « اللهم اجعل لـه آية » قـال فخرجت إلى قـومي حتى إذا كنت بثنيـة[2] تـطلعني على الحاضر ، وقع بين عيني نور مثل المصباح . قـال فقلت : اللهم في غير وجهي فـاني أخشى أن يظنوا بها مثـلـة[3] وقعت في وجهي لفراقي دينهم ، قال فتحول فوقع في رأس سوطي قال فجعل الحاضرون يتراؤ ن ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أتهبط عليهم من الثنيـة حتى جئتهم فأصبحت فيهم ، فلما نـزلت أتاني أبي ـ وكـان شيخا كبيـراً ـ فقلت : اليك عني ـ يـا أبة فلست منك ولست مني ، قال ولم يا بني ؟ قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ . . . قال : أي بني فدينك ديني . فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم ائتني حتى أعلمك مما علمت . قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم ، قال ثم أتتني صاحبتي فقلت اليك عني فلست منك ولست مني . قالت : ولم ؟ بأبي أنت وأمي . قال قلت فرق بيني وبينـك الاسلام ، وتابعت دين محمد ﷺ قالت فديني دينك . قال : فقلت فاذهبي إلى حمى ذي الشرى فتطهري منه ، وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل . قالت : بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئا ؟ قلت لا ، أنا ضامن لذلك . قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فأسلمت ، ثم دعـوت دوسا إلى

---

(١) الكرسف هو القطن . كذا في هامش الحلبية .

(٢) الثنية : المنعطف .

(٣) المثلة : المظله في الصحراء . والمعنى مجازي بمعنى الغشاوة .

الاسلام فأبطأوا علي ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة . فقلت : يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : « اللهم أهد دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » . قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الاسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين ـ أو ثمانين بيتاً ـ من دوس فلحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فاسهم لنا مع المسلمين . ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة . فقلت : يا رسول الله ابعثني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه . قال ابن اسحاق : فخرج اليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول :

يا ذا الكَفين لستُ من عِبادكما ميلادُنا أقدمُ من ميلادكا
* إني حشوتُ النارَ في فؤادكا *

قال ثم رجع رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤ يا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لاصحابه إني قد رأيت رؤ يا فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فادخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عني ؟ قالوا : خيراً قال : أما أنا والله فقد أولتها ، قالوا ماذا ؟ قال أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج منه فروحي ، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها ، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فاني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني . فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله . هكذا ذكر محمد ابن اسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا اسناد . ولخبره شاهد في الحديث الصحيح . قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال إن دوسا قد استعصت قال : « اللهم أهد دوسا وائت بهم » رواه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري . وقال الامام احمد حدثنا يزيد أنبأنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا يا رسول الله إن دوسا قد عصت وابت فادع الله عليها . قال أبو هريرة فرفع رسول الله ﷺ يديه فقلت هلكت دوس . فقال : « اللهم أهد دوسا ، وائت بهم » اسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر . أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة ؟ ـ قال حصن كان لدوس في الجاهلية ـ فأبى ذلك رسول الله ﷺ للذي ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر اليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من

قومه فاجتووا[١] المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص[٢] فقطع بها براجمه[٣] (فشخبت)[٤] يداه فما (رقأ)[٥] الدم حتى مات . فرآه الطفيل بن عمرو في منامه في هيأة حسنة ، ورآه مغطيا يديه . فقال له : ما صنع ربك بك فقال غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ قال فما لي أراك مغطيا يديك ؟ قال قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت . قال فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « اللهم وليديه فاغفر » رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة واسحاق ابن إبراهيم كلاهما عن سليمان بن حرب به . فان قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق الحسن عن جندب قال قال رسول الله ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات ، فقال الله عز وجل : ﴿ عبدي بادرني بنفسه فحرمت عليه الجنة ﴾ » . فالجواب من وجوه ؛ أحدها أنه قد يكون ذاك مشركا وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سببا مستقلا في دخوله النار وإن كان شركه مستقلا إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته . الثاني قد يكون هذاك عالما بالتحريم وهذا غير عالم لحداثة عهده بالاسلام . الثالث قد يكون ذاك فعله مستحلا له وهذا لم يكن مستحلا بل مخطئا . الرابع قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فانه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك . الخامس قد يكون هذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات فقاومت الذنب فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه ﷺ . ولكن بقي الشين[٦] في يده فقط وحسنت هيأة سائره فغطى الشين منه فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطيا يديه قال له مالك ؟ قال قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت فلما قصها الطفيل على رسول الله ﷺ دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أي فاصلح منها ما كان فاسداً . والمحقق أن الله استجاب لرسول الله ﷺ في صاحب الطفيل بن عمرو .

قصّة أعشى بن قيس

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل عن أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الاسلام ، فقال يمدح النبي ﷺ :

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرمدا ... وبتَّ كما باتَ السليمُ مسهَّدا[٧]
ومـا ذاك من عِشْقِ النساءِ وإنما ... تناسيتَ قبلَ اليومِ خلّةَ مَهْدَدا

---

(١) اجتووا : صغير السن .
(٢) مشاقص : سهم فيه نصل عريض .
(٣) براجم : مفاصل الاصابع او العظام الصغار في اليد .
(٤) شخبت : سالت دماً .
(٥) رقأ : جفَّ وإنقطع .
(٦) الشين : العيب .
(٧) مسهداً : لا يحسن النوم .

ولكن أرى الدهر الذي هو خائن — اذا أصلحتْ كفّاي عادَ فأفسدا
كهولاً وشبّاناً فقدتُ وثروةً — فللهِ هذا الدهرُ كيفَ ترددا
وما زلتُ أبغي المالَ مذْ أنا يافع [(١)] — وليداً وكهلاً حين شِبْتُ وأمردا
وأبتذلُ العيسَ المراقيلَ[(٢)] تعتلي — مسافةَ ما بين النجير فَصَرْخَدا [(٣)]
ألا أيّهذا السائلي أينَ يَمَّمتْ — فإن لها في أهلِ يثرب موعدا
فان تسألي عني فيا رُبَّ سائلٍ — حفيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصعدا
أجدتْ برجليها النجادَ وراجعتْ — يداها (خنافاً)[(٤)] ليّنا غيرَ أحردا [(٥)]
وفيها إذا ما هجّرتْ عِجرفيّةٌ[(٦)] — إذا خلتُ حرباءَ الظهيرةِ [(٧)] أصيدا
وآليتُ لا آوِي لها من كلالةٍ[(٨)] — ولا من حفىً حتى تُلاقي محمدا
متى ما تُناخي[(٩)] عند بابِ ابن هاشمٍ — تُراحي وتلقَيْ من فواضله ندى
نبيٌّ يرى ما لا ترَوْن وذكرُه — أغارَ لعمري في البلاد وأنجَدا
له صدقاتٌ ما تغبُّ ونائلٌ — فليسَ عَطاء اليومِ مانعَهُ غدا
اجدَّكَ لم تسمعْ وصاةَ محمدٍ — نبي الإلهِ حيثُ أوصى وأشهدا
اذا أنتَ لم ترحل بزادٍ من التُّقى — ولاقيتَ بعد الموتِ مَن قد تزوّدا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثلِهِ — فترصدَ للأمرِ الذي كان أرصدا
فإياكَ والميتاتِ لا تقربنَّها — ولا تأخذنْ سهماً حديدا لتُقصِدا
وذا النُصُب المنصوبِ لا تَنْسِكنَّهُ — ولا تعبدِ الأوثانَ والله فاعبدا
ولا تقربنّ جارةً[(١٠)] كان سرُّها — عليكَ حراماً فانكِحَنْ أو تأبّدا
وذا الرحِمِ القُربى فلا تقطعنَّهُ — لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيدا
وسبِّحْ على حين العشية والضحى — ولا تَحمَدِ الشيطانَ والله فاحْمَدَا
ولا تَسخرنْ من بائس ذي ضَرارةٍ — ولا تحسبنَّ المالَ للمرءِ مُخلِدا

قال ابن هشام : فلما كان بمكة ـ أو قريب منها ـ اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم . فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنا . فقال : الأعشى والله إن ذلك لأمر مالي فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير إنه يحرم الخمر . فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن في نفسي منها العلالات[(١١)] ولكني منصرف فاتروى منها عامي

---

(١) يافع : صغير السن .
(٢) العيس : ابل يخالط بياضها سواد خفيف .
المراقيل : صفه للخيل السريعة .
(٣) النجير وصرخد : اسماء مواقع .
(٤) خناقاً : الخناق اماله رأس البعير الى او نحو راكبه .
(٥) احردا : متمهل .
(٦) عجرفية : صفة للجمل اذا كان لا يبالي لسرعته .
(٧) حرباء الظهيرة : شدة الحر .
(٨) كلالة : تعب .
(٩) تناخي : تفاخر .
(١٠) في المصرية وابن هشام (مره) وفي ح مكان سرها (امرها) .
(١١) العلالات : الامراض .

هذا ، ثم آته فاسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد الى النبي ﷺ هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ههنا وهو كثير المؤاخذات لمحمد بن اسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله ، فان الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم الأعشى على القدوم للاسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شعره ما يدل على ذلك وهو قوله :

ألا أيهــا ذا الســائلي أين يـممـت   فـان لهـا في أهـل يثـرب مــوعـدا

وكان الانسب والأليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة الى ما بعد الهجرة ولا يوردها هاهنا والله أعلم . قال السهيلي : وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فان الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا في المدينة بعد أحد . وقد قال : وقيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل ابن هشام في دار عتبة بن ربيعة . وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ قال وقوله . ثم آته فاسلم ـ لا يخرجه عن كفره بلا خلاف والله أعلم .

ثم ذكر ابن اسحاق هاهنا قصة الأراشي وكيف استعدى إلى رسول الله ﷺ من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه ، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة وقد قدمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك .

قصّة مصَارعة ركانة

وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت ﷺ

قال ابن اسحاق : وحدثني أبي اسحاق بن يسار قال وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريشا ، فخلا يوما برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ﷺ : « يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه » قال إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك فقال له رسول الله : « أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ » . قال نعم ! قال : « فقم حتى أصارعك » . قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه . فقال يا محمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعني ؟ قال : « وأعجب من ذلك ان شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري » . ؟ قال وما هو؟ قال : « أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني » . قال : فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ . فقال لها : ارجعي الى مكانك فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع . هكذا روى ابن اسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أبي الحسن العسقلاني عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه . أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ، ثم قال الترمذي غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي باسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات ، كل مرة على مئة من الغنم فلما كان في الثالثة قال يا محمد ما وضع ظهري الى الأرض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض اليّ منك . وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقام عنه رسول الله ﷺ ورد عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت فسيأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة ان شاء الله وبه الثقة . وقد تقدم عن أبي الاشدِّين أنه صارع النبي ﷺ فصرعه رسول الله ﷺ . ثم ذكر ابن اسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكبا الى مكة فاسلموا عن آخرهم ، وقد تقدم ذلك بعد قصة النجاشي ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ اذا جلس في المسجد يجلس اليه المستضعفون من أصحابه خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة ، ويسار مولى صفوان بن أمية ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين . هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم الله به دوننا . فانزل الله عز وجل فيهم : ﴿ولاَ تَطرُدِ الذينَ يَدْعُوْنَ رَبَهُمْ بِالغَدَاة والعَشَيِّ يُريدُوْنَ وَجَهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرَدُهُم فَتَكُوْنَ مِنَ الظَالمِيْنَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بالشاكِرِيْنَ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُم كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عمِلَ مِنْكُمْ سُوْءاً بجهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وأَصْلَحَ فإنَّهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ﴾[1] قال وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام[2] نصراني يقال له جبر ، عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به الأجير، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿إنّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الذي يُلْحُدُوْنَ إلَيْهِ أَعْجَميٌّ وهَذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيْنٌ﴾.[3] ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله ﷺ إنه ابتر أي لا عقب له فإذا مات انقطع ذكره. فقال الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾[4] أي المقطوع الذكر بعده، ولو خلف الوفاً من النسل والذريةوليس الذكروالصيت ولسان الصدق بكثرة الاولاد والأنسال والعقب، وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسيرولله الحمد. وقد روى عن أبي جعفر الباقر: أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم بن النبي ﷺ، وكان قد بلغ أن يركب الدابةويسير على النجيبة . ثم ذكر نزول قوله: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه مَلَكٌ ولَو أنزلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأمرُ﴾[5] وذلك

---

(١) سورة الانعام الآيات : ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ .

(٢) في الاصلين بيعه وفي ابن هشام والسهيلي مبيعه (وزان مفعله) وقوله عبد لبني الحضرمي الذي في ابن هشام عبد لابن الحضرمي .

(٣) سورة النحل الآية : ١٠٣ .

(٤) سورة الكوثر الآية الثالثة .

(٥) سورة الأنعام الآية : ٨ .

بسبب قول أبي بن خلف وزمعة بن الأسود والعاص بن وائل والنضر بن الحارث ؛ لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك .

قال ابن اسحاق : ومر رسول الله ﷺ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل بن هشام فهمزوه واستهزأوا به ، فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم ﴿ وَلَقَدْ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ .

قلت : وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كذِّبت رسلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىّ مَا كذبوا وأوذُوا حَتَّى أَتَاهُمُ نَصْرُنَا ولا مُبَدِلَ لِكَلَمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ المَرْسِلِيْنَ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِيْنَ ﴾[2] قال سفيان عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : المستهزئون الوليد بن المغيرة، والاسود بن عبد يغوث الزهري ، والاسود بن المطلب أبو زمعة ، والحارث بن عيطل[3] ، والعاص بن وائل السهمي . فاتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فأراه الوليد فاشار جبريل إلى أنمله وقال كفيته ، ثم أراه الاسود بن المطلب فأومأ إلى عنقه وقال كفيته ، ثم أراه الاسود بن عبد يغوث فأومأ رأسه وقال كفيته ، ثم أراه الحارث بن عيطل فاومأ إلى بطنه وقال كفيته ، ومر به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال كفيته ، فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاله فأصاب أنمله فقطعها ، وأما الاسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الاسود بن المطلب فعمى . وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً . وجعل يقول يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت ، ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني . فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه ، واما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الاصفر في بطنه حتى خرج خرؤه[4] من فيه فمات منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت منها فمات منها . وقال غيره في هذا الحديث : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة - يعني شوكة - فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته . رواه البيهقي بنحو من هذا السياق.

وقال ابن اسحاق : وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير

---

(١) سورة الانعام الآية : ٣٤ .

(٢) سورة الحجر الآية : ٩٥ .

(٣) كذا في الاصلين وسيأتي انه ابن الطلاطله وابن الطلاطل وهكذا في ابن هشام والسهيلي وقد اختلف اصحاب ومنهم من حكى القولين معاً .

(٤) خرؤه : العذره : ما يخرج من الامعاء .

خمسة نفر ، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم ؛ الاسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال : «اللهم أعم بصره وأثكله ولده». والاسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة ، والعاص ابن وائل ، والحارث بن الطلاطلة . وذكر ان الله تعالى أنزل فيهم : ﴿ فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِيْنَ الَّذِينْ يَجْعَلُوْنَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ ﴾[1] وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الاسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الاسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح باسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلا له من خزاعة فتعلق سهم بازاره فخدشه خدشا يسيراً ، (فانتقض)[2] بعد ذلك فمات ، ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته . ومر به الحارث بن الطلاطل فأشار إلى رأسه فامتحض قيحا فقتله .

ثم ذكر ابن اسحاق : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بني أوصيكم بثلاث ، دمى في خزاعة فلا تطلوه[3] والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم ، وربـاى في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعقرى عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به . وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتا له ثم امسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان قد قبض عقرها منه ـ وهو صداقها ـ فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد ، وقالوا إنما قتله سهم صاحبكم فأبت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر . ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل واصطلحوا وتحاجزوا .

قال ابن اسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز فقتله ، وكان شريفاً في قومه . وكانت ابنته تحت أبي سفيان ـ وذلك بعد بدر ـ فعمد يزيد بن أبي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائباً ، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنه : أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضا في رجل من دوس ؟ وكتب حسان بن ثابت قصيدة له يحض أبا سفيان في دم أبي أزيهر ، فقال بئس ما ظن حسان أن يقتل بعضنا بعضا وقد ذهب اشرافنا يوم بدر. ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأله في ربا أبيه من أهل الطائف .

---

(١) سورة الحجر الآيات : ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ .

(٢) انتقض : انتكث .

(٣) تطلوه : المقصود تطالبونه .

قال ابن اسحاق : فذكر لي بعض أهل العلم إن هؤلاء الآيات نـزلن في ذلك : ﴿ يـا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إتَقُوا الله وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِبَا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ ﴾[1] . وما بعدها .

قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني أزيهر ثأر نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس ، إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الاسلمي خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس فنـزلوا على أمرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس ، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس، فارادت دوس قتلهم بابي أزيهر فقامت دونه أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم ، قال السهيلي : يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها .

قال ابن هشام : فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه ، فقال لها عمر : لست بأخيه الا في الاسلام ، وقد عرفت منتك عليه فأعطاها على أنها بنت سبيل .

قال ابن هشام : وكان ضرار بن الخـطاب لحق عمر بن الخـطاب يوم أحـد فجعل يضـربه بعرض الرمح ويقول : انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعـد الاسلام رضي الله عنهما :

فصـــل :

وذكر البيهقي هاهنا دعاء النبي ﷺ عـلى قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف وأورد مـا اخرجـاه في الصحيحين من طـريق الاعمش عن مسلم بن صبيـح عن مسروق عن ابن مسعود . قال : خمس مضين ، اللزام[2] والروم ، والدخان ، والبطشة ، والقمر . وفي رواية عن ابن مسعود . قال : إن قريشاً ، لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطأوا عن الاسلام. قال : «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» قال فاصابتهم سنة حتى فحصت كل شيء ، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع . ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية : ﴿ إنَّا كاشِفُوا العَذَابَ قَلِيْلاً إنَّكُمْ عَائِدُوَنَ ﴾[3] قال فعادوا فكفروا فاخروا إلى يوم القيامة ـ أو قـال فاخروا إلى يوم بدر ـ قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم ﴿ يَوْمَ نَبْطُشُ البَطْشَةَ الكُبْرى إنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾[4] قال : يـوم بدر . وفي رواية عنه . قـال : لما رأى رسـول الله ﷺ مـن النـاس ادبـاراً. قال : « اللهم سبـع كسبع يوسف » فاخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام . فجاءه أبو سفيان وناس من أهـل مكة فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم . فدعا رسول الله ﷺ فسقـوا الغيث، فاطبقت عليهم سبعاً فشكا الناس كثرة المطر . فقال : « اللهم حـوالينا ولا

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٧٨ .

(2) اللزام : هو يوم بدر ذكر ذلك في النهاية .

(3) سورة الدخان الآية : ١٥ .

(4) سورة الدخان الآية : ١٦ .

علينا » فانجذب السحاب عن رأسه فسقى الناس حولهم ، قال لقد مضت آية الدخان ـ وهو الجوع الذي أصابهم ـ وذلك قوله ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون ﴾ وآية الروم ، والبطشة الكبرى . وانشقاق القمر، وذلك كله يوم بدر . قال البيهقي : يريد ـ والله اعلم ـ البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام كلها حصلت ببدر . قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية ثم أورد من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس . قال جاء : أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن[1] فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَقَد أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَما اسْتَكَانوا لِرَبِهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُوْن ﴾[2] قال فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي : وقد روى في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين والله أعلم .

فصــــل :

ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى : ﴿ آلم غُلِبَتِ الرُوْمُ في أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ سَيَغْلِبُوْن في بِضْعِ سِنْينَ، لله الأمرُ مِنْ قَبْلُ ومن بعدُ ويومئِذٍ يَفْرَحُ المؤْمنونَ بنَصْرِ اللَّهِ يَنَصُرْ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيْزُ الرحِيْمُ ﴾[3]. ثم روى من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . قال : كان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب ، وكان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لأنهم أهل اوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال: « أما انهم سيظهرون » فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا : إجعل بيننا وبينك أجلا إن ظهروا كان ذلك كذا وكذا ، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلته أداة ». قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك.

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المباحث ـ أي المراهن ـ لأبي بكر أمية ابن خلف وأن الرهن كان على خمس قلايص[4] وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفي الرهن. وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ـ أو كان يوم الحديبية ـ فالله أعلم .

ثم روى من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه . قال : رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلبة الروم فارس ، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق ، كل ذلك في خمس عشرة سنة .

---

(١) العهن : جرائد النخل .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ٧٦ .

(٣) سورة الروم الآيات : ١ـ٢ـ٣ـ٤ـ٥ .

(٤) قلايص : الابل الطويلة القوائم .

فصـــل :

الاسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس

ذكر ابن عساكر أحاديث الاسراء في اوائل البعثة ، وأما ابن اسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين ، وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري انه قال : أسرى برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة. ثم روى الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن اسباط بن نصر عن اسماعيل السدي. أنه قال : فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس ليلة أسرى به قبل مهاجره بستة عشر شهراً ، فعلى قول السدي يكون الاسراء في شهر ذي القعدة ، وعلى قول الزهري وعروة يكون في ربيع الاول. وقال ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا عثمان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس. قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول. وفيه بعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر، وفيه مات . فيه انقطاع. وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته وقد أورد حديثا لا يصح سنده ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الاسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله اعلم. ومن الناس من يزعم أن الاسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله اعلم. وينشد بعضهم في ذلك .

ليلةَ الجمعةِ عُرِّجْ بالنبي ليلةَ الجمعةِ أولْ رَجَبِ

وهذا الشعر عليه ركاكة ذكرناه استشهاداً لمن يقول به . وقد ذكرنا الاحاديث الواردة. في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى :﴿ سُبْحَانَ الذِي أَسْرَىَ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مَنْ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المسْجِدِ الاقْصى الذَي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَمِيْعِ البَصِيْرَ ﴾[1] فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الاسانيد والعزو ، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة .

ولنذكر ملخص كلام ابن اسحاق رحمه الله فانه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول : ثم أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ـ وهو بيت المقدس من إيلياء ـ وقد فشا الاسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها. قال وكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه ﷺ عن ابن مسعود وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنهم والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر لي من أمره وكان في مسراه ﷺ وما ذكر لي منه بلاء . وتمحيص وأمر

(١) سورة الاسراء الآية : الاولى .

من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولى الالباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين ، فاسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد. وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني يقول : أتى رسول الله ﷺ بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرها في موضع منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية من لبن وخمر ، وماء . فذكر أنه شرب اناء اللبن ، فقال لي جبريل هديت وهديت أمتك . وذكر ابن اسحاق في سياق الحسن البصري مرسلاً أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فاركبه البراق وهو دابة أبيض بين البغل والحمار وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافزه في منتهى طرفه . ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

قلت : وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن اسحاق ان رسول الله ﷺ لما أراد ركوب البراق . شمس[1] ' به فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع ، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه. قال فاستحى حتى أرفض عرقا ثم قرَّحتى ركبته. قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله ﷺ ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء فأمهم رسول الله ﷺ فصلى بهم ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له هديت وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر. قال ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة فاصبح يخبر قريشا بذلك فذكر انه كذبه أكثر الناس وارتدت طائفة بعد اسلامها ، وبادر الصديق إلى التصديق وقال إني لاصدقه في خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقه في بيت المقدس وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله ﷺ قال فيومئذ سمى أبو بكر الصديق . قال الحسن وأنزل الله في ذلك ﴿ ومَا جَعَلْنَا الرُؤيَا التي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً للنِاسِ ﴾[2] الآية . وذكر ابن اسحاق فيما بلغه عن أم هانىء . أنها قالت : ما أسرى برسول الله ﷺ الا من بيتي نام عندي تلك الليلة بعد ما صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما كان الصبح وصلينا معه قال : «يا أم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصلّيت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك . قال : «والله لأحدثنهموه » فأخبرهم فكذبوه . فقال وآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فانفرهم حس الدابة فندّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى

---

(١) شمس : تنكر وابدى العداوة .

(٢) سورة الاسراء الآية : ٦٠ .

الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بصحنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان . وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء . فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الذي وصف لهم ، وسألوهم عن الاناء وعن البعير فاخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بكير عن اسباط عن اسماعيل السدي أن الشمس كادت أن تغرب قبل ان يقدم ذلك العير، فدعا الله عز وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم. قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقي .

قال ابن اسحاق : وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر ، فاصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه بريد من الملائكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك تحت يد كل ملك منهم اثنا عشر الف ملك ، قال يقول رسول الله ﷺ إذا حدث بهذا الحديث (وما يعلم جنود ربك إلا هو) . ثم ذكر بقية الحديث وهو مطول جداً وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله في التفسير وتكلمنا عليه فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضعف . وكذا في سياق حديث أم هانىء فإن الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس أن الاسراء كان من المسجد من عند الحجر وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله : وذلك قبل أن يوحى إليه ، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك ، وذلك قبل أن يوحى إليه بل جاءه بعد ما أوحي إليه فكان الاسراء قطعاً بعد الايحاء إما بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الأظهر ، وغسل صدره تلك الليلة قبل الاسراء غسلا ثانياً - أو ثالثاً - على قول أنه مطلوب إلى الملأ الأعلى والحضرة الإلَهية ثم ركب البراق رفعة له وتعظيماً وتكريماً فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء ثم دخل بيت المقدس فصلَّى في قبلته تحية المسجد . وأنكر حذيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب ، والنص المثبت مقدم على النافي . ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دل عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دل عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم . وقيل إن صلاته بالأنبياء كانت في السماء ، وهكذا تخيره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه إلى السماء ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على

باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة . فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء وذكر أعيان من رآه من المرسلين كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية[1] وإدريس في الرابعة ، وموسى في السادسة ـ على الصحيح ـ وابراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافاً ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف [2] الأقلام ، ورفعت لرسول الله ﷺ سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة ، ونبقها كقلال هجر ، وغشيها عند ذلك أمور عظيمة الوان متعددة باهرة وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراش من ذهب وغشيها من نور الرب جل جلاله ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذي يقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ المأْوَى إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ما زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[3] أي ما زاغ يميناً ولا شمالاً ولا ارتفع عن المكان الذي حد له النظر إليه . وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التي خلقه الله تعالى عليها كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين . والأولى هي قوله تعالى : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيْدَ الْقِوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بالأُفُقِ الأعْلىَ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[4] وكان ذلك بالابطح ! تدلى جبريل على رسول الله ﷺ ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى ، هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم . فأما قول شريك عن أنس في حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوي فاقحمه في الحديث والله أعلم . وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شيء آخر غير ما دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم . وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمنة إلى خمس . وقال هي خمس وهي خمسون الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتئذ ، وأئمة السنة كالمطبقين على هذا ، واختلفوا في الرؤية فقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين ، قاله ابن عباس وطائفة ، وأطلق ابن عباس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما ، وصرح بعضهم بالرؤية بالعينين

---

(١) كذا في الاصلين ولم يذكر الثالثة ولا الخامسة وفي ابن هشام انه رأى في الثالثة يوسف الصديق وفي الخامسة هارون .

(٢) الصريف : صوت جريان القلم .

(٣) سورة النجم الآيتان ١٣، وما بعدها .

(٤) سورة النجم الآية الخامسة وما بعدها .

واختاره ابن جرير وبالغ فيه وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين . وممن نص على الرؤ ية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه . وقالت طائفة لم يقع ذلك لحديث أبي ذر في صحيح مسلم . قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نوراني أراه » وفي رواية « رأيت نوراً » . قالوا ولم يكن رؤ ية الباقي بالعين الفانية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روى في بعض الكتب الإلّهية يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده والخلاف في هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم . ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلّهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجتمعون بأحد قبل الذي طلبوا إليه ، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل ـ عند ما يتقدم ذاك للسلام عليه ـ هذا فلان فسلم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرف بهم مرة ثانية . ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة : أممتهم . ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل ، فاستفاد بعضهم من هذا أن الامام الأعظم يقدم في الامامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلتهم ودار اقامتهم ، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار . وقد عاين في تلك الليلة من الآيات والأمورالتي لو رآها ـ أو بعضها ـ غيره لأصبح مندهشاً أو طائش العقل ، ولكنه ﷺ أصبح واجماً ـ أي ساكناً ـ يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه ، فتلطف بأخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة وذلك أن أبا جهل لعنه الله ـ رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام وهو جالس واجم . فقال له : هل من خبر ؟ فقال نعم ! فقال : وما هو ؟ فقال إني أسري بي الليلة الى بيت المقدس . قال إلى بيت المقدس ؟ قال نعم ! قال أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتني به ؟ قال نعم ! فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديتهم فقال أخبر قومك بما أخبرتني به ، فقص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه ، فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيباً له واستبعاداً لخبره وطار الخبر بمكة وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فأخبروه أن محمداً ﷺ يقول كذا وكذا . فقال : انكم تكذبون عليه فقالوا والله إنه ليقوله . فقال : ان كان قاله فلقد صدق . ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحوله مشركي قريش فسأله عن ذلك فأخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به . وفي الصحيح : أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك . قال : فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس عليَّ بعض الشيء ، فجلى الله لي بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم . فقال : أما الصفة فقد أصاب .

وذكر ابن اسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمرور بعيرهم وما كان من شربه مائهم ، فأقام الله

عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة ، فآمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه . كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا التي أَرَيْنَاكَ إلا فِتْنَةً للنّاسِ﴾[1] أي اختباراً لهم وامتحاناً . قال ابن عباس : هي رؤ يا عين اريها رسول الله ﷺ وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الاسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك . ولهذا قال فقال : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه﴾ والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة فدل على أنه بالروح والجسد والعبد عبارة عنهما وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كفار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك كبير أمر ، فدل على أنه أخبرهم بأنه أسرى به يقظة لا مناماً. وقوله في حديث شريك عن أنس: ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر معدود في غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ الطائف فكذبوه ، قال فرجعت مهموماً فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحنكه فوضعه على فخذ رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا رفع فسماه المنذر . وهذا الحمل أحسن من التغليط والله أعلم . وقد حكى ابن اسحاق فقال حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه . قال وحدثني يعقوب بن عتبة : أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤ يا من الله صادقة .

قال ابن اسحاق: فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك ﴿وما جعلنا الرؤ يا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ وكما قال ابراهيم عليه السلام ﴿يَا بُنَيَّ إنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[2] وفي الحديث : « تنام عيني وقلبي يقظان » .

قال ابن اسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان . قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله تعالى على أي حاله كان نائماً أو يقظاناً كل ذلك حق وصدق .

قلت : وقد توقف ابن اسحاق في ذلك وجوز كلًّا من الأمرين من حيث الجملة ، ولكن الذي لا يشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظاناً لا محالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده ﷺ ما فقد وإنما كان الاسراء بروحه أن يكون مناماً كما فهمه ابن اسحاق ، بل قد يكون وقع الاسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السماوات وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناماً . لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ،

---

(١) سبق ذكرها .

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

ومراد من تابعها على ذلك . لا ما فهمه ابن اسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الاسراء طبق ما وقع بعد ذلك ، فإنه ﷺ كان لا يرى رؤ يا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناماً قبله ليكون ذلك من باب الارهاص[1] والتوطئة والتثبت والايناس والله أعلم .

ثم قد اختلف العلماء في أن الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة ؟ فمنهم من يزعم أن الاسراء في اليقظة ، والمعراج في المنام . وقد حكى المهلب بن أبي صفرة في شرحه البخاري عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الاسراء مرتين ، مرة بروحه مناماً ، ومرة ببدنه وروحه يقظة وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه . قال السهيلي : وهذا القول يجمع الأحاديث فإن في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه ، وقال في آخره : ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر وهذا منام . ودل غيره على اليقظة، ومنهم من يدعي تعدد الاسراء في اليقظة أيضاً حتى قال بعضهم : إنها أربع اسراءات ، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع في روايات حديث الاسراء بالجمع المتعدد فجعل ثلاث اسراءات ، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة الى السماء على البراق أيضاً لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم الى السموات .

فنقول : إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصياً في كتابنا التفسير عند قوله تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحصر العقلي والوقوع كذلك في الخارج إلا بدليل والله أعلم . والعجب أن الامام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الاسراء بعد ذكره موت أبي طالب فوافق ابن اسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب ، وابن اسحاق أخر ذكر موت أبي طالب على الاسراء ، فالله أعلم أي ذلك كان . والمقصود أن البخاري فرق بين الاسراء وبين المعراج فبوب لكل واحد منهما باباً على حدة فقال : باب حديث الاسراء وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبتني قريش كنت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أحدثهم عن آياته وأنا أنظر إليه » . وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر به . ورواه مسلم

---

(١) الارهاص : الاساس والتثبت .

والنسائي والترمـذي من حديث عبـد الله بن الفضل عن أبي سلمـة عن أبي هريـرة عن النبي ﷺ بنحوه . ثم قال البخاري باب حديث المعراج : حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همّام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به . قال : « بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال في الحجر ـ مضجعاً إذ أتاني آت » فقال وسمعته يقول : « فشق ما بين هذه الى هذه » فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعنى به . قال من نقرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصه إلى شعرته » . فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمـاناً فغسـل قلبي ثم حشى ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : أنس نعم ! : « يضع خطوه عند أقصى طرفه . فحملت عليه فانطلق بي جبـرائيل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرئيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي إلى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه [قال نعم !] قيل : مرحباً به فنعم المجيء جـاء ، ففتح فلمـا خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة . قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردّا ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً بـه فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قال ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً بـه فنعم المجيء جاء . فلما خلصت إذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعـد بي حتى أتى السماء الخـامسة فـاستفتح قيـل من هذا ؟ قـال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . فلما تجاوزت بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلامـاً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي . ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبرائيل قيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم ! قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت إذا ابراهيم قال هـذا أبوك ابـراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بـالابن الصالـح والنبي الصالـح . ثم رفعت الى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار ؛ نهران ظاهران ، ونهران باطنان . فقلت : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم أتيت باناء من خمر وإناء من عسل ، فأخذت اللبن قال : هي الفطرة

التي أنت عليها وأمتك . ثم فرض عليّ الصلوات خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت ؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً . فرجعت الى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات كل يوم . قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك . قال : سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم . قال فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي » .
هكذا روى البخاري هذا الحديث ههنا . وقد رواه في مواضع أخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة . ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبي بن كعب . ومن حديث أنس عن أبي ذر . ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبي ﷺ وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه في التفسير ، ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس ، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به ، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده . ومن جعل كل رواية اسراد على حدة كما تقدم عن بعضهم فقد أبعد جداً . وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء وفي كل منها يعرفه بهم ، وفي كلها يفرض عليه الصلوات . فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك ؟ هذا في غاية البعد والاستحالة والله أعلم . ثم قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وما جعلنا الرؤ يا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال : هي رؤ يا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به الى بيت المقدس ، والشجرة الملعونة في القرآن . قال : هي شجرة الزقوم .

فصـــل :

ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الاسرى جاءه جبرائيل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون بالنبي ﷺ وهو يقتدى بجبرائيل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر : « أمني جبرائيل عند البيت مرتين ». فبين له الوقتين الاول والآخر . فهما وما بينهما الوقت الموسع ، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب. وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو وكلها في صحيح مسلم . وموضع بسط ذلك في كتابنا الاحكام ولله

الحمد . فأما ما ثبت في صحيح البخاري عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة اول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . وكذا رواه الاوزاعي عن الزهري ، ورواه الشعبي عن مسروق عنها وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة في السفر ، وكذا عثمان بن عفان وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُم في الأرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جنَاحٌ أَنْ تَقصرُوا مِنَ الصَّلاَةِ إنْ خُفْتُمْ أنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِيْنَ كَفَرُوا ﴾(١)قال البيهقي : وقد ذهب الحسن البصري الى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً كما ذكره مرسلا من صلاته عليه السلام صبيحة الاسراء الظهر اربعا ، والعصر أربعا والمغرب ثلاثا يجهر في الاولبين ، والعشاء أربعا يجهر في الاولبين . والصبح ركعتين يجهر فيهما . .

قلت : فلعل عائشة أرادت ان الصلاة كانت قبل الاسراء تكون ركعتين ركعتين ثم لما فرضت الخمس فرضت حضرا على ما هي عليه، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديما وعلى هذا لا يبقى اشكال بالكلية والله اعلم .

فصـــل :

انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ

وجعل الله له آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان ذلك وقت اشارته الكريمة، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ إقْتَرَبَت الساعة وانْشَقَّ القَمَرُ، وإنَ يروا آية يعْرْضُوا ويقولوا سِحْر مُستمَرِ وَكَذَّبُوا واتبعوا أهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أمرٍ مستقرٍ ﴾(٢)وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام. وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها . ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. وقد تقصينا ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة ، ونحن نشير ههنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها الى الكتب المشهورة بحول الله وقوته. وذلك مروى عن أنس بن مالك ، وجبير بن مطعم ، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

أما انس فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين ، فقال ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وهذا من مرسلات الصحابة، والظاهر أنه تلقاه عن الجم الغفير من الصحابة، أو عن النبي ﷺ أوعن الجميع وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان. زاد البخاري وسعيد بن أبي عروبة وزاد مسلم

---

(١) سورة النساء الآية ١٠١ .

(٢) سورة القمر الآيات : ١-٢-٣ .

وشعبة ثلاثتهم عن قتادة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما لفظ البخاري .

وأما جبير بن مطعم فقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن كثير حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم [عن أبيه]. قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد، فقالوا إن كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يحسر الناس كلهم . تفرد به أحمد. وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . وقد رواه البيهقي من طريق ابراهيم ابن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده به ، فزاد رجلاً في الاسناد .

وأما حذيفة بن اليمان فروى ابو نعيم في الدلائل من طريق عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق . فلمّا كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد : ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة . فلما كنا في الطريق قلت لأبي ما يعني بقوله ـ غداً السباق. قال من سبق إلى الجنة .

وأما ابن عباس فقال البخاري حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس . قال : إن القمر انشق في زمان النبي ﷺ ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر ـ وهو ابن نصر ـ عن جعفر قوله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ . قال : قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه . وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مرسلاته . وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الغني ابن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر﴾. قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل والعاص بن هشام، والاسود بن عبد يغوث ، والاسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم . فقالوا للنبي ﷺ : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان : فقال لهم النبي ﷺ : «إن فعلت تؤمنوا ؟» قالوا نعم ! وكانت ليلة بدر ـ فسأل الله عز وجل ان يعطيه ما سألوا ، فامسى القمر قد سلب نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان ، ورسول الله ﷺ ينادي يا أبا سلمة بن عبد الاسد والارقم بن الأرقم اشهدوا . ثم قال أبو نعيم وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسن بن العباس الرازي عن

الهيثم بن العمان حدثنا اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس . قال : انتهى أهل مكة إلى رسول الله ﷺ فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن انتفعوا بها . فاخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبرائيل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفا على المروة فنظروا ، ثم قالوا بابصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا . فقالوا : يا محمد ما هذا إلاَّ سحر واهب فانزل الله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾. ثم روى الضحاك عن ابن عباس . قال : جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن بها ، فسأل ربه فاراهم القمر قد انشق بجزءين، أحدهما على الصفا والآخر على المروة ، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب. فقالوا : هذا سحر مفتري . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو الرزاز حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا ا سحر القمر فنزلت : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ . وهذا اسناد جيد وفيه انه كسف تلك الليلة فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه ولهذا خفي امره على كثير من أهل الارض ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الارض ويقال : إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند، وبني بناء تلك الليلة وأرخ بليلة انشقاق القمر.

وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقي اخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قال : حدثنا ابو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا اليه ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا . وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ـ وهو ابن عيينة ـ به . ومن حديث الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن سمرة عن ابن مسعود قال : انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى، فقال النبي ﷺ : «اشهدوا » وذهبت فرقة نحو الجبل . لفظ البخاري ثم قال البخاري وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله بمكة ـ وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه . وقد اسند ابو داود الطيالسي حديث أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود. قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار ؟ فان محمد لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال فجاء السفار فقالوا ذلك

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد ابن سليمان حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله . قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين . فقال كفار قريش لأهل مكة :هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، أنظروا السفار[1] فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال فسئل السفار قال ـ وقدموا من كل وجهة ـ فقالوا : رأينا وهكذا رواه ابو نعيم من حديث جابر عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله به . وقال الإمام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا اسرائيل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر. وهكذا رواه ابن جرير من حديث اسباط عن سماك به . وقال الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو بكر الطلحي حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعي حدثنا يحيى الحماني حدثنا يزيد عن عطاء عن سماك عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ بمنى وانشق القمر حتى صار فرقتين ، فرقة خلف الجبل. فقال النبي ﷺ : « إشهدوا ، إشهدوا » وقال أبو نعيم حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم بن أبي إياس ثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعد عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال: انشق القمر ونحن بمَكة ، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة. وحدثنا أحمد بن اسحاق حدثنا ابو بكر بن أبي عاصم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا معاوية بن عمرو عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله . قال : انشق القمر بمكة فرأيته فرقتين. ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن عمير عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود. قال: رأيت القمر والله منشقا باثنتين بينهما حراء . وروى أبو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال: انشق القمر فلقتين. فلقة ذهبت ، وفلقة بقيت . قال ابن مسعود : لقد رأيت جبل حراء بين فلقتي القمر، فذهب فلقة. فتعجب اهل مكة من ذلك وقالوا هذا سحر مصنوع سيذهب. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: « فاشهد يا أبا بكر » وقال المشركون : سحر القمر حتى انشق . فهذه طرق متعددة قوية الاسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعض القصاص من ان القمر سقط إلى الارض حتى دخل في كم النبي ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له ، وهو كذب مفتري ليس بصحيح. والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن اشارته فصار فرقتين . فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه اوهذه كما أخبر

---

(١) السفار : المسافرين .

بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك . وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد : فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر ، والظاهر انه اراد فرقتين والله أعلم .

فصل :

وفاة أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ ورضي الله عنها. وقيل بل هي توفيت قبله والمشهور الاول. وهذان المشفقان : هذا في الظاهر وهذه في الباطن، هذاك كافر وهذه مؤمنة صديقة رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابن اسحاق: ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الابتلاء[1] يسكن اليها ، وبهلك عمه أبي طالب وكان له عضداً وحرزاً في أمره ومنعه وناصراً على قومه. وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك ابو طالب ، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الاذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا . فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي ، ورسول الله ﷺ يقول : « لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك » ويقول بين ذلك : « ما نالتني قريش شيئاً أكرهه حتى مات ابو طالب ».

وذكر ابن اسحاق قبل ذلك : أن أحدهم ربما طرح الاذى في برمته إذا نصبت له . قال فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثني عمر بن عبد الله عن عروة يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق.

قال ابن اسحاق : ولما اشتكى ابو طالب وبلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فانا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا ، . قال ابن اسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال: لما مشوا إلى أبي طالب وكلموه ـ وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب، وفي رجال من اشرافهم ـ فقالوا : يا أبا طالب إنك مناحيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذلنا منه وخذله منا ليكف عنا ولنكف عنه ، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه . فبعث إليه أبو طالب فجاءه

---

(١) في ابن هشام : على الاسلام يشكو اليها .

فقال: يا ابن أخي هؤلاء اشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك . قال فقال رسول الله ﷺ: «يا عم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم». فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات . قال : «تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه » . فصفقوا بأيديهم . ثم قالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهآ واحداً ؟! إن أمرك لعجب. قال ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا . قال فقال أبو طالب : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا[1]. قال فطمع رسول الله ﷺ فيه فجعل يقول له : « أي عم فانت ففلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة » فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني ابيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها . قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى إليه باذنه، قال فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته ان يقولها . قال فقال رسول الله ﷺ : «لم أسمع » قال وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط ﴿ ص والقُرآنِ ذِي الذكرِ بلْ الَّذِيْن كَفَرُوا في عِزَّةٍ وشِقَاقٍ ﴾[2] الآيات . وقد تكلمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة.

وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلما بقول العباس هذا الحديث ؛ يا ابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ـ يعني لا إله إلا الله ـ والجواب عن هذا من وجوه . أحدها أن في السند مبهما لا يعرف حاله وهو قوله عن بعض أهله وهذا ابهام في الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد . وقد روى الامام أحمد والنسائي وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة عن الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر قول العباس . ورواه الثوري أيضا عن الأعمش عن يحيى بن عمارة الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس . ورواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير أيضا . ولفظ الحديث من سياق البيهقي فيما رواه من طريق الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ عند رأس أبي طالب ، فجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك . وشكوه إلى أبي طالب . فقال : يا ابن أخي ما تريد من قومك ؟ فقال : « يا عم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها الجزية العجم ، كلمة واحدة » . قال : ما هي ؟ قال : « لا إله إلا الله » قال فقالوا أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب ! قال . ونزل فيهم :﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾ الآيات إلى قوله ﴿ إلا اختلاق ﴾ ثم قد عارضه ـ

---

(١) شططا : بعداً عن الحق .

(٢) سورة ص الآيتان : ١-٢ .

أعني سياق ابن اسحاق ـ ما هو أصح منه ، وهو ما رواه البخاري قائلا حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه رضي الله عنه . أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل . فقال : « أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر ما كلمهم به : على ملة عبد المطلب . فقال النبي ﷺ : « لأستغفر لك ما لم أنه عنك » فنزلت : ﴿ مَا كَانَ للنبيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا للمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ كَانُوا أوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾[1] ونزلت : ﴿ إنكَ لا تهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[2] ورواه مسلم عن اسحاق بن ابراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق . وأخرجاه أيضا من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه وقال فيه : فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال : على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ : « أما لاستغفرن لك ما لم أنه عنك » فانزل الله ـ يعني بعد ذلك ـ : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى ﴾ ونزل في أبي طالب : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وهكذا روى الامام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال : « يا عمّاه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه الا فزع الموت لاقررت بها عينك ، ولا أقولها الا لاقر بها عينك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله الا الله فأبى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الأشياخ وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . ويؤكد هذا كله ما قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث قال حدثنا العباس ابن عبد المطلب أنه قال قلت للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « [هو] في ضحضاح [3] من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل » ورواه مسلم في صحيحه من طرق عن عبد الملك بن عمير به أخرجاه في الصحيحين من حديث الليث حدثني ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ ذكر عنده عمه فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » لفظ

(١) سورة التوبة الآيتان : ١١٣ ـ ١١٤ .
(٢) سورة القصص الآية : ٥٦ .
(٣) ضحضاح : مكان قريب من القعر .

البخاري . وفي رواية « تغلي منه أم دماغه » وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه » وفي مغازي يونس بن بكير « يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » ذكره السهيلي وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا عمرو ـ هو ابن اسماعيل بن مجالد ـ حدثنا أبي عن مجالد عن الشعبي عن جابر . قال سئل رسول الله ﷺ ـ أو قيل له ـ هل نفعت أبا طالب ؟ قال : « أخرجته من النار الى ضحضاح منها » تفرد به البزار . قال السهيلي : وإنما لم يقبل النبي ﷺ شهادة العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأن العباس كان اذ ذاك كافرا غير مقبول الشهادة .

قلت : وعندي أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم . ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم ، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول سمعت عليا يقول : لما توفي أبي أتيت رسول الله ﷺ فقلت إن عمك قد توفي . فقال : « اذهب فواره [٢] » فقلت إنه مات مشركا ، فقال : « اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتي » ففعلت فأتيته ، فأمرني أن أغتسل ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة . ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان عن أبي اسحاق عنّ ناجية عن علي : لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه ؟ قال : « اذهب فوار أباك ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني » فأتيته فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء . وقال الحافظ البيهقي أخبرنا أبو سعد الماليني حدثنا أبو أحمد بن عدي حدثنا محمد بن هارون بن حميد حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة حدثنا الفضل عن ابراهيم بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس : أن النبي ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال : « وصلتك رحم ، وجزيت خيراً يا عم » . قال وروى عن أبي اليمان الهوزني عن النبي ﷺ مرسلا وزاد ، ولم يقم على قبره . قال : وابراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه .

قلت : قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السيناني ومحمد بن سلام البيكندي ، ومع هذا قال ابن عدي ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة . وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول

---

(١) واره : ادفنه .

الله ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء ، وما أظهره له ولاصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي اسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تدانى ولا تسامي ، ولا يمكن عربيا مقاربتها ولا معارضتها ، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ ، صادق بار راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه . وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري ، وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وإنْ فَرِيْقاً مِنْهُمْ لَيَكْتِمُوْنَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] وقال تعالى في قوم فرعون : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[2]وقال موسى لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَل هَؤُلَاءِ الاّ ربُ السمواتِ والأرْضِ بَصَائِرَ وَإنِّي لأظُنُّكَ يَا فَرْعَونُ مَثْبُوراً ﴾[3] وقول بعض السلف في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهُوْنَ عَنْهُ وَيَنأَوْنَ عَنْهُ ﴾[4] أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله ﷺ وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق . فقد روى عن ابن عباس ، والقاسم بن مخيمرة ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر والله أعلم . والأظهر والله أعلم الرواية الأخرى عن ابن عباس ؛ وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد ـ وهو اختيار ابن جرير ـ وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضا به . ولهذا قال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إليكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّة أنْ يفقهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وإنْ يَرَوْا كُلَّ آيةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إذَا جَاؤكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوْا إنَّ هَذَا إلاَّ أَسَاطِيْرُ الأوَلِيْنَ ، وهُمْ يَنْهُوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وإنْ يُهْلِكُوْنَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ ﴾[5] وهذا اللفظ وهو قوله (وهم) يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون في سياق الكلام وقوله : ﴿ وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ يدل على تمام الذم . وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال ، ولكن مع هذا لم يقدر الله له الايمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الايمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٤٦ .

(٢) سورة النمل الآية : ١٤ .

(٣) سورة الاسراء الآية : ١٠٢ .

(٤) سورة الانعام الآية : ٢٦ .

(٥) سورة الانعام الآية : ٢٥ و٢٦ .

فَصــل :

موت خديجة بنت خويلد

وذكر شيء من فضائلها ومناقبها رضي الله عنها وأرضاها، وجعـل جنات الفـردوس منقلبها ومثواها . وقـد فعل ذلـك لا محالـة بخبر الصـادق المصدوق حيث بشـرها ببيت في الجنـة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

قال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صالح حـدثنا الليث حـدثني عقيل عن ابن شهـاب . قال قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفـرض الصلاة . ثم روى من وجـه آخر عن الزهري أنه قال : توفيت خديجـة بمكة قبـل خروج رسـول الله ﷺ إلى المدينـة ، وقبل أن تفـرض الصلاة . وقـال محمد بن اسحـاق : ماتت خـديجة وأبـو طالب في عـام واحد . وقـال البيهقي : بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام . ذكره عبـد الله بن منده في كتاب المعرفة ، وشيخنا أبـو عبد الله الحـافظ . قال البيهقي : وزعم الـواقدي أن خـديجة وأبـا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب ، وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء ، وكان الأنسب بنا أن نذكر وفـاة أبي طالب وخـديجة قبـل الاسراء كمـا ذكره البيهقي وغيـر واحد ، ولكن أخـرنا ذلـك عن الاسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك فان الكلام به ينتظم ويتسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله . وقال البخاري : حدثنـا قتيبة حـدثنا محمـد بن فضيل بن غـزوان عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة . قال : أتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجـة قد أتت معها إناء فيـه إدام ـ أو طعام أو شـراب ـ فاذا هي أتتـك فاقـرأ عليها السـلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . وقـد رواه مسلم من حديث محمـد ابن فضيل به . وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنـا يحيى عن اسماعيـل . قال قلت لعبـد الله بن أبي أوفى : بشر النبي ﷺ خديجـة ؟ قال نعم ! ببيت من قصب لا صخب فيـه ولا نصب ورواه البخاري أيضا ومسلم من طرق عن اسماعيل بن أبي خالد به .

قال السهيلي : وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب ـ يعني قصب اللؤلؤ ـ لأنها حازت قصب السبق الى الايمـان ، لا صخب فيه ولا نصب لأنهـا لم ترفـع صوتهـا على النبي ﷺ ولم تتعبه يوما من الدهر فلم تصخب عليه يوما ولا آذته أبدا . وأخـرجاه في الصحيحين من حـديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : مـا غرت على امـرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة . وهلكت قبل أن يتزوجني ـ لما كنت اسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرهـا ببيت في الجنـة من قصب . وإن كان ليـذبح الشـاة فيهدي في خـلائلها منهـا ما يسعهن . لفظ

البخاري ، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ اياها . وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه ـ أو جبرائيل ـ أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب . وفي لفظ له قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ـ وما رأيتها ـ ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة . فربما قلت كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد » ثم قال البخاري حدثنا اسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال : « اللهم هالة » . فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر ابدلك الله خيراً منها . وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به . وهذا ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلا وإما عشرة . إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله ولكن قال الامام أحمد حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن حدثنا حماد بن سلمة عن عبد الملك ـ هو ابن عمير ـ عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت : ذكر رسول الله ﷺ يوما خديجة فاطنب [1] في الثناء عليها ، فادركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فقلت لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين . قال فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى يعلم رحمة أو عذابا . وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به . وزاد بعد قوله حمراء الشدقين ؛ هلكت في الدهر الأول . قال قال فتمعر [2] وجهه تمعراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينظر رحمة أو عذابا . تفرد به أحمد . وهذا اسناد جيد ، وقال الامام أحمد أيضا عن ابن اسحاق أخبرنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة . قالت : كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء . قالت فغرت يوما فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها . قال : « ما أبدلني الله خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني ، وآستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » تفرد به أحمد أيضا . وإسناده لا بأس به ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم . ولعل هذا أعني قوله : ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء . كان قبل أن يولد ابراهيم بن النبي ﷺ من مارية ، وقبل مقدمها بالكلية وهذا معين . فان جميع أولاد النبي ﷺ كما تقدم وكما سيأتي من خديجة إلا ابراهيم فمن مارية القبطية المصرية رضي الله عنها . وقد استدل بهذا الحديث جماعة من

(١) اطنب : زاد او اكثر .

(٢) تمعر : عرته صفرة او زالت نضارته .

أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنها وأرضاها ، وتكلم آخرون في اسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عِشرة وهو محتمل أو ظاهر . وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكي نفسها وتفضلها على خديجة ، فان هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتْقَى ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ يُزَكُّوْنَ أَنْفُسَهُمْ بَلْ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءْ ﴾(٢) الآية وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديما وحديثا وبجانبها طرقا يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الرب عليها ، وكون ولد النبي ﷺ جميعهم ـ إلا ابراهيم ـ منها . وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراما لها ، وتقدير إسلامها ، وكونها من الصديقات ولها مقام صدق في أول البعثة . وبذلت نفسها ومالها لرسول الله ﷺ وأما أهل السنة فمنهم من يغلو أيضا ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصديق ، ولكونها أعلم من خديجة فانه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها ، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروت بعده عنه عليه السلام علما جما كثيراً طيبا مباركا فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره ، والاحسن التوقف في ذلك إلى الله عز وجل . ومن ظهر له دليل يقطع به ، أو يغلب على ظنه في هذا الباب فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الاسلم أن يقول الله أعلم . وقد روى الامام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » أي خير زمانهما . وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن اياس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ؛ مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد(٣) على سائر الطعام » رواه ابن مردويه في تفسيره . وهذا اسناد صحيح إلى شعبة وبعده . قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة ؛ آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبيا مرسلا وأحسنت الصحبة في كفالتها وصدقته . فآسية ربت موسى وأحسنت اليه وصدقته حين بعث ، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين

---

(١) سورة النجم الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النساء الآية : ٤٩ .

(٣) الثريد : الخبز واللحم .

أرسل . وخديجة رغبت في تزويج رسول الله ﷺ بها وبذلت في ذلك أموالها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل . وقوله : « وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » هو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة أيضا عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمداني عن أبي موسى الأشعري . قال قال رسول الله ﷺ : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون . ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » والثريد هو الخبز واللحم جميعا وهو أفخر طعام العرب كما قال بعض الشعراء .

إذا ما الخبزَ تأدمَهُ بلحمٍ فذاكَ ، أمانةَ الله ، الثريدُ

ويحمل قوله : « وفضل عائشة على النساء » أن يكون محفوظا فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل التسوية بينهن فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم .

فصل :

في تزويجه ﷺ بعد خديجة

والصحيح أن عائشة تزوجها أولاً كما سيأتي . قال البخاري في باب تزويج عائشة . حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « أريتك في المنام مرتين ، أرى أنك في سرقة من حرير ، ويقول هذه امرأتك. فاكشف عنها فإذا هي أنت ، فأقول إن كان هذا من عند الله يمضه » قال البخاري باب نكاح الابكار . وقال ابن أبي مليكة قال ابن عباس لعائشة : لم ينكح النبي ﷺ بكراً غيرك . حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قلت يا رسول الله : أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال : « في التي لم يرتع منها » تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها . انفرد به البخاري ثم قال حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت قال لي رسول الله ﷺ : « أريتك في المنام فيجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي ، فقلت إن يكن هذا من عند الله يمضه »[1] وفي رواية « أريتك في المنام ثلاث ليال » وعند الترمذي أن جبريل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة . وقال البخاري

---

(١) كذا بالاصل ونص البخاري مخالف لهذه الرواية .

تزويج الصغار من الكبار ؛ حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن يزيد عن عراك عن عروة أن رسول الله ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال » هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخاري والمحققين متصل لأنه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله . وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : تزوج رسول الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبنى بها وهي ابنة تسع . ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثماني عشرة سنة . وهذا غريب . وقد روى البخاري عن عبيد ابن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه . قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ بثلاث سنين ، فلبث سنتين ـ أو قريباً من ذلك ـ ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين ، وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الأمر . وقوله تزوجها وهي ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ما لا خلاف فيه بين الناس ـ وقد ثبت في الصحاح وغيرها ـ وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر . فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع ـ أو ست ـ سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا مجممة [1] ، فهيأنني وصنعنني ثم أتين بي إلى رسول الله ﷺ وأنا ابنة تسع سنين . فقوله في هذا الحديث متوفى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم . وقال البخاري حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة . قالت تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج . فوعكت فتمزق شعري وقد وفت لي جميمة فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمست به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار قال فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى ، فأسلمنني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين. وقال الامام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو أبو سلمة ويحيى . قالا : لما هلكت

(١) مجممة : الجمم : مجتمع شعر الرأس .

خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال من ؟ قالت إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيباً ، قال فمن البكر ؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر . قال ومن الثيب ؟ قالت سودة بنت زمعة . قد آمنت بك واتبعتك . قال فاذهبي فاذكريهما علي . فدخلت بيت أبي بكر فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، قالت انظري أبا بكر حتى يأتي ، فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قال وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قال وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال : « ارجعي إليه فقولي له أنا أخوك وأنت أخي في الاسلام ، وابنتك تصلح لي » فرجعت فذكرت ذلك له قال : انتظري ، وخرج . قالت أم رومان إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه ، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي . فقالت : يا ابن أبي قحافة لعلك مصبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك ؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدي أقول هذه ؟ يقول إنها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده . فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين ، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت ما أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك ؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه . قالت وددت ادخلي إلى أبي بكر فاذكري ذلك له - وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج - فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية ، فقال من هذه ؟ قالت خولة بنت حكيم . قال فما شأنك ؟ قالت أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة . فقال كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبتك ؟ قال تحب ذلك . قال ادعيها إلي فدعتها قال أي بنية إن هذه تزعم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت نعم . قال ادعيه لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه . فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجاء يحثي على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة . قالت عائشة : فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح . قالت فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني أمي وأنا لفي أرجوحة بين عذقين[1] يرجّح بي فأنزلتني من الأرجوحة ولي جميمة ففرقتها وسمحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستني

---

(١) عذقين : مثنى علق وهو كل غصن له شُعَب .

في حجرة ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما نحرت على جزور ، ولا ذبحت على شاة . حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار الى نسائه ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين . وهذا السياق كأنه مرسل وهومتصل لما رواه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الجبار حدثنا عبد الله بن ادريس الأزدي عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . قال قالت عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال ومن ؟ قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال من البكر ومن الثيب ؟ قالت أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك . قال : فاذكريهما علي . وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم . وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي . وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لي ، فكان رسول الله ﷺ يقسم لي بيومها مع نسائه . قالت وكانت أول امرأة تزوجها بعدي . وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثني شهر حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية ، كان لها خمسة صبية ـ أو ستة ـ من بعلها مات . فقال رسول الله ﷺ : « ما يمنعك مني » ؟ قالت والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إلي ، ولكني أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال فهل منعك مني غير ذلك ؟ قالت لا والله ، قال لها رسول الله ﷺ يرحمك الله ان خير نساء ركبن اعجاز الابل ، صالح نساء قريش احناه على ولد في صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده . قلت وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه . هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدماً على العقد بسودة وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل . ورواه يونس عن الزهري واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة وحكاه عن قتادة وأبي عبيد . قال ورواه عقيل عن الزهري .

فصـــل :

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله ﷺ وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال ، فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه . كما قد رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعاني حدثنا يوسف بن بهلول حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن اسحاق عمن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر . قال :

لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أي بنية لا تبكين فإن الله مانع أباك » ويقول ما بين ذلك « ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا » . قد رواه زياد البكائي عن محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلاً والله أعلم . وروى البيهقي أيضاً عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « ما زالت قريش كاعين[1] حتى مات أبو طالب » ثم رواه عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين حدثنا عقبة المجدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب » وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صعير وحكيم بن حزام أنهما قالا : لما توفي أبو طالب وخديجة ـ وكان بينهما خمسة أيام ـ اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان ولزم بيته وأقل الخروج ، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيافا[2] صنعه ، لا واللات لا يوصل إليك حتى أموت . وسب ابن الغيطلة رسول الله ﷺ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فولى يصيح يا معشر قريش صبا أبو عتبة . فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكني أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد . فقالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله ﷺ كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبي معيط وأبو جهل إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقال له أبو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال مع قومه . فخرج إليهما فقال قد سألته فقال مع قومه . فقالا يزعم أنه في النار . فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله ﷺ ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار . فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ والله لا برحت لك إلا عدواً أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار . واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن اسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن الحمراء ، وابن الاصداء الهذلي . وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم ـ فيما ذكر لي ـ يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود

---

(١) الكاعه : جمع كاع وهو الجبان . كع الرجل يكع كعاً جَبُنَ عنه في النهاية .

(٢) حيافاً : ظالماً .

ثم يقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق .

قلت : وعندي أن غالب ما روى مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي كما رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم ، ثم لما انصرف رسول الله ﷺ دعا على سبعة منهم كما تقدم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وكذلك عزم أبي جهل ـ لعنه الله ـ على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها ههنا أنسب وأشبه .

فصـــل :

في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله

قال ابن اسحاق : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن نالته منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه . ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج إليهم وحده . فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . قال : انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة ؛ عبد يا ليل ، ومسعود ، وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط [1] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لانت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم ـ فيما ذكر لي ـ إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم [2] ذلك عليه . فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فعمد إلى ظل حبلة [3] من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله ﷺ ـ فيما

(١) يمرط : يمزق .
(٢) قال ابن هشام فيذئرهم يعني يحرش بيتهم واورد في ذلك شعراً .
(٣) في النهاية الحبلة الاصل او القضيب من شجر الاعناب وزاد في السهيلي والكرمة .

ذكر لي ـ المرأة التي من بني جمح ، فقال لها ماذا لقينا من أحمائك . فلما اطمأن قال ـ فيما ذكر ـ « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهو أني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني ، الى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك » . قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس [وقالا له] خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عداس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له كل ، فلماوضع رسول الله ﷺ يده فيه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله ﷺ ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى . فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي . فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال يقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه اما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاء عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبيّ قالا له : ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه .

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق الا انه لم يذكر الدعاء وزاد ، وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه ، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما[٢] بالحجارة حتى ادموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله . ثم ذكر قصة عداس النصراني كنحو ما تقدم . وقد روى الامام أحمد عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس ـ أو عصى ـ حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿والسَّمَاءِ والطَّارِقِ﴾[٣] حتى ختمها . قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الاسلام قال فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما

---

(١) رضخوهما : رموهما.

(٢) سورة الطارق الآية الاولى .

يقول حقا لاتبعناه . وثبت في الصحيحين من طريق عبد الله بن وهب[1] أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال : « ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم . ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد قد بعثني الله إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت إن شئت تطبق عليهم الاخشبين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً » .

فصل :

وقد ذكر محمد بن اسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله ﷺ وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلّى باصحابه الصبح فاستمع الجن الذين صرفوا اليه قراءته هنالك. قال ابن اسحاق وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً من الجِنِّ ﴾[2].

قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير، وتقدم قطعة من ذلك والله أعلم . ثم دخل رسول الله ﷺ مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي وازداد قومه عليه حنقا وغيظا وجرأة وتكذيبا وعناداً والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الاموي في مغازيه أن رسول الله ﷺ بعث أريقط إلى الأخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة. فقال : إن حليف قريش لا يجير على صميمها . ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال : إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي. فبعثه إلى المطعم ابن عدي ليجيره فقال نعم ! قل له فليأت. فذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة ـ أو سبعة ـ متقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال الرسول الله ﷺ : طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فاقبل ابو سفيان إلى مطعم . فقال: أمجير أو تابع ؟ قال لابل مجير. قال إذا لا تخفر. فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب ابو سفيان إلى مجلسه. قال فمكث أياما ثم أذن له في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة توفى مطعم بن عدي بعده بيسير فقال حسان بن ثابت والله لأرثينه فقال فيما قال :

---

(١) في السهيلي عبدالله بن يوسف وهو خطأ وانما هو عبدالله بن وهب الفهمي القرشي .

(٢) سورة الاحقاف الآية : ٢٩ .

فلو كان مجد مخلدَ اليوم واحد	من الناس نَحّى مجَده اليومَ مُطعما
أجرتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا	عبادَكَ ما لبّى مُحِلٌ وأحرما
فلو سئلتْ عنه مَعَدٌ بأسرِها	وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرهُما
لقالوا هو الموفي بخُفرةِ جارِه	وذمَّتِه يوماً إذا ما تجشّما [1]
وما تطلعُ الشمسُ المنيرةُ فوقهم	على مثلِهِ فيهم أعزّ وأكرما
إباءً إذا يأبى وألينَ شيمةٍ	وأنومَ عن جارٍ إذا الليلُ أظلما

قلت ولهذا قال النبي ﷺ : يوم أسارى بدر : «لو كان المطعم بن عدي حيائم سألني في هؤلاء النقباء لوهبتهم له».

فصـل :

في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على احياء العرب

قال ابن اسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به . فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم ـ إذا كانت ـ على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن اسحاق: فحدثني من أصحابنا من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلي ـ ومن حدثه أبو الزناد عنه ـ وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي . قال : إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : «يا بني فلان إني رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به». قال وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية ، فاذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه. قال ذلك الرجل : يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال فقلت لأبي يا أبت من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب . وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدؤل ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا

---

(١) تجشّما : اجتماع الناس من قبائب عده .

إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابىء كاذب ـ يتبعه حيث ذهب ـ فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب. ورواه البيهقي من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدؤلي : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قالوا هذا أبو لهب . وكذا رواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن أبي ذئب وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه . ثم رواه البيهقي من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة . قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول : «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » واذا رجل خلفه يسفي عليه التراب فاذا هو أبو جهل وهو يقول : «يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى . كذا قال في هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهما ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا ، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبان على اذائه ﷺ

قال ابن اسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه : قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن حصين أنه أتى كلبا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى ليقول : « يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم » فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم . وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم . وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه . فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس : والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : «الامر لله يضعه حيث يشاء ». قال فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه . فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن تمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف ؟ هل لذناباها من مطلب ؟ والذي نفس فلان بيده ما تقوَّلها اسماعيل قط ، وإنها الحق فأين رأيكم كان عنكم .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان رسول الله ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه

على قبائل العرب في كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤ وهويمنعوه ويقول «لا أكره أحداً منكم على شيء ، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ؛ إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي ، وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء » . فلم يقبله أحد منهم ، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال : قوم الرجل أعلم به ؛ أترون أن رجلاً يصلحنا وقد افسد قومه ولفظوه ؟ ! وكان ذلك مما ذخره الله للانصار وأكرمهم به .

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الاجلح ويحيى بن سعيد الاموي كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن العباس. قال قال لي رسول الله ﷺ : «لا أرى عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت مخرجي إلى السوق غداً حتى نقر في منازل قبائل الناس » وكانت مجمع العرب . قال فقلت هذه كندة ولفها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بني عامر بن صعصعة، فاختر لنفسك ؟ قال فبدأ بكندة فاتاهم فقال ممن القوم ، قالوا من أهل اليمن . قال من أي اليمن ؟ قالوا من كندة قال من أي كندة ؟ قالوا من بني عمرو بن معاوية، قال فهل لكم إلى خير ؟ قالوا وما هو ؟ قال « تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله » . قال عبد الله بن الاجلح : وحدثني أبي عن اشياخ قومه أن كندة قالت له : إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الملك لله يجعله حيث يشاء » . فقالوا لا حاجة لما فيما جئتنا به . وقال الكلبي فقالوا : أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا وننابذ العرب ، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك . فانصرف من عندهم فاتى بكر بن وائل فقال ممن القوم ؟ قالوا من بكر بن وائل . فقال من أي بكر بن وائل ؟ قالوا من بني قيس بن ثعلبة. قال كيف العدد ؟ قالوا كثير مثل الثرى . قال فكيف المنعة ؟ قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم. قال « فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين، وتحمده ثلاثا وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين » قالوا ومن أنت ؟ قال أنا رسول الله . ثم انطلق فلمّا ولى عنهم قال الكلبي : وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله ، ثم مر أبو لهب. فقالوا هل تعرف هذا الرجل ؟ قال نعم هذا في الذروة[1] منا فعن أي شأنه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا زعم أنه رسول الله ، قال : ألا لا ترفعوا برأسه قولا فانه مجنون يهذي من أم رأسه. قالوا قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر .

قال الكلبي : فاخبرني عبد الرحمن المعايري عن اشياخ من قومه قالوا : أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ . فقال ممن القوم ؟ قلنا من بني عامر بن صعصعة . قال من أي بني

---

(١) الذروة : القمة او العلية.

عـامر بن صعصعـة ؟ قالـوا بنو كعب بن ربيعـة . قال كيف المنعـة ؟ قلنا لا يـرام مـا قلنـا ، ولا يسطلى بنارنا . قال فقـال لهم « إني رسول الله وآتيكم لتمنعـوني حتى أبلغ رسالـة ربي ولا اكره أحداً منكم على شيء » قالوا ومن أي قريش أنت ؟ قال من بني عبد المـطلب . قالـوا فأين أنت من عبـد منـاف ؟ قـال هم أول من كـذبني وطـردني . قـالـوا ولكنـا لا نـطردك ولا نؤمن بـك ، وسنمنعـك حتى تبلغ رسالـة ربك قـال فنزل إليهم والقـوم يتسوقـون ، إذ أتاهم بحيـرة بن فراس القشيري فقال من هذا الرجل أراه عندكم أنكره ؟ قالوا محمد بن عبد الله القرشي . قال فما لكم وله ؟ قالوا زعم لنا أنـه رسول الله ﷺ فـطلب الينا أن نمنعـه حتى يبلّغ رسالـة ربه . قـال ماذا رددتم عليه ؟ قالوا بالترحيب والسعة ، نخـرجك إلى بـلادنا ونمنعـك ما نمنـع به أنفسنـا . قال بحيـرة : ما أعلم أحـداً من أهل هـذه السوق يـرجع بشيء أشـد من شيء ترجعـون بـه بـدءاً ثم لتنابذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به لـو آنسوا منـه خيراً لكـانوا أسعـد الناس به ، أتعمدون إلـى زهيـق[1] قد طـرده قومـه وكذبـوه فتؤوونه وتنصـرونه ؟ فبئس الـرأي رأيتم . ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقــال : قم فالحق بقـومك . فـوالله لولا أنـك عند قـومي لضـربت عنقك . قـال فقام رسـول الله ﷺ إلـى ناقتـة فركبهـا ، فغمر الخبيث بحيـرة شـاكلتهـا فقمصـت[2] بـرسـول الله ﷺ فالقته . وعند بني عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله بمكة جاءت زائـرة الى بني عمها ، فقـالت يا آل عـامر - ولا عامر لي - أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم ؟ فقام ثلاثة من بني عمهـا إلى بحيرة واثنين اعاناه ، فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الارض ، ثم جلس على صدره ثم علوا وجـوههم لطمـا ، فقال رسـول الله ﷺ « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » قـال فأسلم الثلاثة الذين نصروه وقتلوا شهداء وهم ؛ غطيف وغطفان ابنا سهل ، وعروة - أو عذرة - بن عبـد الله بن سلمة رضي الله عنهم . وقد روى هذا الحديث بتمامه الحـافظ سعيد بن يحيى بن سعيـد الاموي في مغازية عن أبيه به . وهلك الآخرون وهم : بحيرة بن فراس، وحـزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة أحد بني عقيل لعنهم الله لعنا كثيـراً . وهذا أثـر غريب كتبنـاه لغرابته والله أعلم .

وقد روى أبو نعيم له شاهـداً من حديث كعب بن مـالك رضي الله عنـه في قصة عـامر بن صعصعـة وقبيح ردهم عليـه . وأغرب من ذلـك وأطول مـا رواه أبو نعيم والحـاكم والبيهقي - والسيـاق لأبي نعيم رحمهم الله - من حـديث ابـان بن عبـد الله البجلي عن أبـان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس حدثني علي بن أبي طالب. قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وانا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم

---

(١) زهيق . رجل منهزم .

(٢) قمصت : رفعت يديها ونفرت .

أبو بكر رضي الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدما في كل خير ، وكان رجلاً نسابة فقال ممن القوم ؟ قالوا من ربيعة ، قال وأي ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها[1] ؟ قالوا بل من هامها العظمى . قال أبو بكر فمن أي هامتها العظمى . فقال ذهل الأكبر ، قال لهم ابو بكر : منكم عوف الذي كان يقال لاحر بوادي عوف ؟ قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس ابو اللواء ومنتهى الاحياء ؟ قالوا لا . قال فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا لا . قال فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار ؟ قالوا لا . قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا لا . قال فانتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا لا . قال فأنتم اصهار الملوك من لخم ؟ قالوا لا . قال لهم أبو بكر رضي الله عنه : فلستم بذهل الأكبر . بل أنتم ذهل الاصغر . قال فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلي ـ حين بقل وجهه ـ فاخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول :

إنّ علَيّ سائِلِنا أن نسألـه والعبء لا نعرفُهُ أوْ نحمِلَه

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً ، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت ؟ قال رجل من قريش . فقال الغلام : بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة ، قادمة العرب وهاديها فمن أنت من قريش ؟ فقال له رجل من بني تيم بن مرة . فقال له الغلام : أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة ؟ أفمنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها واجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجمعاً، وفيه يقول الشاعر :

أليسَ أبوكم كانَ يُدعى مجمَعاً به جَمَعَ اللّهُ القبائلَ من فِهْرَ

فقال ابو بكر لا . قال فمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة ؟ فقال أبو بكر لا . قال فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذي هشم الثريد لقومه ولأهل مكة ، ففيه يقول الشاعر :

عَمْرو العُلا هشَمَ الثريدَ[2] لقومِهِ ورجالُ مكّةَ مُسْنِتون[3] عِجافُ[4]
سَنُّوا إليه الرحلتَيْن كِلَيْهما عندَ الشتاءِ ورحلةَ الأصْيافِ
كانت قريشٌ بيضةً فتفلَّقتْ فالمحُّ خالصةٌ لعبدِ مناف
الرايِشينَ وليس يَعرف رايشٌ والقائلينَ هلُمَّ للأضياف

(١) لهازمها : حاشيتها او اطرافها .
(٢) هشم الثريد: كسر الخبز وبله بالمرق .
(٣) مسنتون : مجدبون ، جائعون بدون طعام .
(٤) عجاف : ممسكون عن الطعام ليشبع طبقهم .

والضاربين الكبشَ يَبْرقُ بَيْضُه[1] والمانعينَ البِيضَ بالأسياف
لله دَرّكَ لو نزلتَ بدارِهم منعوكَ من أزلٍ[2] ومن إقْراف

فقال أبو بكر لا . قال فمنكم عبد المطب شيبة الحمد ، وصاحب عير مكة ، ومطعم طير السماء والوحوش والسباع في الفلا الذي كأن وجهه قمر يتلألأ في الليلة الظلماء ؟ قال لا . قال أفمن أهل الافاضة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال لا . قال أفمن أهل السقاية أنت ؟ قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت ؟ قال لا . قال فمن المفيضين أنت ؟ قال لا . ثم جذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته من يده ، فقال له الغلام :

صادف درَّ السيلِ درٌّ يدفَعُه يَهيضه حِيناً وحيناً يرفعُه

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب . قال فأقبل الينا رسول الله ﷺ يبتسم قال علي : فقلت له يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابي على باقعة[3]. فقال أجل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكل بالقول . قال ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار وإذا مشايخ لهم اقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم ـ قال علي وكان أبو بكر مقدما في كل خير ـ فقال لهم أبو بكر ممن القوم ؟ قالوا من بني شيبان بن ثعلبة ، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم ، وفي رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم ، وهؤلاء غرر في قومهم ، وهؤلاء غرر الناس . وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وهانيء بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره . فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له إنا لنزيد على ألف ، ولن تغلب ألف من قلة . فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال علينا الجهد ولكل قوم جد . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله . يديلنا مرة ويديل علينا . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه فقال ﷺ : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله ، وأن

(١) يريد ما كان خلال صوفه الابيض سواد .
(٢) الازل : الضيق والشدة والجدب والاقران التهم .
(٣) باقعة : واهية .

تؤووني وتنصروني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به ، فان قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد » . قال له وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُمُ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئَاً وَبالوالِدَيْنِ إحْسَاناً ﴾[1] إلى قوله : ﴿ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ﴾[2] فقال له مفروق : وإلى ما تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَانِ وإيْتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الفَحْشَاء وَالمنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونْ ﴾[3] فقال له مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانىء بن قبيصة فقال : وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا . فقال له هانىء : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدقت قولك ، وإني أرى أن تركنا ديننا وأتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك ، وننظر في عاقبة ما تدعو اليه زلة في الرأي ، وطيشة في العقل ، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا . ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثنى : قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلمت به . والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته الينا وإنا إنما نزلنا بين صريين[4] أحدهما اليمامة ، والآخر السماوة . فقال له رسول الله ﷺ وما هذان الصريان ؟ فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فارض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا ، ولا نؤوى محدثا . ولعل هذا الأمر الذي تدعونا اليه مما تكرهه الملوك ، فاما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فان أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا . فقال رسول الله ﷺ ؟ ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه » . ثم قال رسول الله ﷺ : « أرأيتم ان لم تلبثوا الا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟ » فقال له النعمان بن شريك : اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهداً ومُبَشِراً ونَذِيْراً وَدَاعِياً الى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَاً مُنِيْراً ﴾[5] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضا على يدي أبي بكر . قال علي ثم التفت الينا رسول الله ﷺ فقال : « يا

---

(١) سورة الانعام الآية : ١٥١ .
(٢) سورة الانعام الآية : ١٥٣ .
(٣) سورة النحل الآية : ٩٠ .
(٤) صريين : العرب البيوت القليلة من ضعفاء العرب .
(٥) سورة الاحزاب الآية : ٤٦ .

علي أية[1] أخلاق للعرب كانت في الجاهلية ـ ما أشرفها ـ بها يتحاجزون في الحياة الدنيا » . قال ثم دفعنا الى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ . قال علي : وكانوا صدقاء صبراء فسر رسول الله ﷺ من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بانسابهم . قال فلم يلبث رسول الله ﷺ الا يسيراً حتى خرج الى أصحابه فقال لهم : « احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نصروا » . قال وكانت الوقعة بقراقر الى جنب ذي قار وفيها يقول الأعشى :

فِدى لبني ذِهلِ بنِ شَيْبانَ ناقتي ... وراكبها عند اللِّقاء وقَلَّت
هُموا ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قراقرٍ ... مقدَّمةً الهامُرْزِ حتّى تولَّت
فللّه عينا من رأى من فوارسٍ[2] ... كذُهلِ بنِ شيبانٍ بها حينَ ولَّت
فَثَاروا وثُرنا والمودَّةُ بينَنا ... وكانت علينا غمْرَةُ فتَجَلَّت

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الاخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر ـ مكان قريب من الفرات ـ جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فنصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الاسلام .

وقال الواقدي : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بازاء الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف وهو على راحلته مردفا خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خيِّر لنا ، قال وقد كنا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي . فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي . فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به . وطمع رسول الله ﷺ في ميسرة فكلمه فقال ميسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ، ولكن قومي يخالفونني وإنما الرجل بقومه فاذا لم يعضدوه فالعدى[3] أبعد فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادرين الى أهليهم . فقال لهم ميسرة : ميلوا نأتي فدك فان بها يهوداً نسائلهم عن هذا الرجل ، فمالوا إلى يهود فاخرجوا سفرا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول

---

(١) كذا في السهيلي وفي الاصل ابت اخلاق في الجاهلية ما اشرفها الخ .

(٢) هذا البيت والذي بعده لم نجدهما في ديوانه ولا في المراجع التي لدينا وكان في الاصل هكذا :

فيه عيناً من رأى من فوارس ... كذهل بن شيبال حتى ولت

محمود الامام

(٣) العدى بالكسر الغرباء والاجانب وبالضم الاعداء خاصة من النهاية .

الله ﷺ النبي الأمي العربي يركب الحمار ويجتزي بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجعد ولا بالسبط ، في عينيه حمرة مشرق اللون. فان كان هو الذي دعاكم فاجيبوه وادخلوا في دينه فانا نحسده ولا نتبعه ، وإنا [منه] في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب الا اتبعه والا قاتله فكونوا ممن يتبعه . فقال ميسرة : يا قوم ألا [إن] هذا الأمر بين ، فقال القوم نرجع الى الموسم ونلقاه فرجعوا الى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجرا وحج حجة الوداع لقاه ميسرة فعرفه . فقال : يا رسول الله والله ما زلت حريصا على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله الا ما ترى من تأخر اسلامي ، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كل من مات على غير دين الاسلام فهو في النار » فقال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له عند أبي بكر مكان وقد استقصى الامام محمد بن عمر الواقدي فقص [خبر] القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر وغسان وبني فزارة وبني مرة وبني حنيفة وبني سليم وبني عبس وبني نضر بن هوازن وبني ثعلبة بن عكابة وكندة وكلب وبني الحارث بن كعب وبني عذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم . وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك طرفا صالحا ولله الحمد والمنة .

وقال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر أنا اسرائيل عن عثمان - يعني ابن المغيرة - عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله . قال : كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : « هل من رجل يحملني الى قومه فان قريشا قد منعوني أن أبلِّغ كلام ربي عز وجل ؟ » فأتاه رجل من همدان فقال ممن أنت ؟ قال الرجل من همدان . قال فهل عند قومك من منعة ؟ قال نعم ! ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل ! قال نعم ! فانطلق وجاء وفد الانصار في رجب . وقد رواه أهل السنن الأربع من طرق عن اسرائيل به ، وقال الترمذي حسن صحيح .

فصل :

قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعة بعد بيعة ثم بعد ذلك تحول اليهم رسول الله ﷺ الى المدينة .

حديث سويد بن صامت الأنصاري

وهو سويد بن الصامت[1] بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم .

---

(١) كذا في الاصل وفي السهيلي سويدبن السلط بن حوط .

فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ .

قال محمد بن اسحاق بن يسار : وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده . قال ابن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه . قالوا : قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا ـ أو معتمراً ـ وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه ، وهو الذي يقول :

ألا ربَّ مَن تدعو صديقاً ولو ترى ... مقالَتَهُ بالغيبِ ساءَكَ ما يَفْري[1]
مقالتُه كالشَّهد ما كان شاهداً ... وبالغيب مأثورٌ[2] على ثُغْرةِ[3] النَّحر
يسرُّك باديهِ وتحتَ أديمِهِ[4] ... تميمةُ غِشٍّ تَبْتَري[5] عَقِبَ الظَّهر
تُبين لك العينان ما هو كاتمٌ[6] ... من الغِلِّ والبغضاء بالنظرَ الشُّزْر
فَرُشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَني ... وخيرُ الموالي من يَريشُ ولا يبري

قال فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به فدعاه إلى الله والاسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي . فقال له رسول الله ﷺ : وما الذي معك ؟ قال مجلة لقمان ـ يعني حكمة لقمان ـ فقال رسول الله ﷺ : أعرضها علي ، فعرضها عليه فقال : « إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ؛ قرآن أنزله الله عليّ هو هدى ونور » فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الاسلام . فلم يبعد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج . فان كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل بعاث . وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق بأخصر من هذا .

اسلام إياس بن معاذ

قال ابن اسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد . قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ فاتاهم فجلس اليهم فقال : « هل لكم في خير مما جئتم له ؟ قال قالوا وما ذاك ؟ قال أنا

---

(١) يفري : يكذب .
(٢) مأثور : متناقل ومتوارث .
(٣) ثغرة : بين الترقوتين .
(٤) اديم : مجاز بمعنى الجلد المدبوغ .
(٥) تبتري : تقطع .
(٦) كاتم : مخبيء .

رسول الله إلى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل عليّ الكتاب ، ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال : إياس بن معاذ ـ وكان غلاما حدثا ـ يا قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا . قال فصمت اياس وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج . قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد فاخبرني من حضرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع .

قلت : كان يوم بعاث ـ وبعاث موضع بالمدينة ـ كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيهما خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل . وقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أمامة عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت : كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله ، قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم[1] ، وقتل سراتهم .

باب
بدء اسلام الانصار رضي الله عنهم

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه . وانجاز موعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينا هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم : « من أنتم ؟ » قالوا نفر من الخزرج قال : « أمن موالي يهود ؟ » قالوا نعم ! قال : « أفلا تجلسون أكلمكم ؟ » قالوا بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، قال وكان مما صنع الله بهم في الاسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه ، نقتلكم معه قتل عاد وإرمَ . فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله . قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه ، فاجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ،

---

(١) الملأ : اشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع الى قولهم وجمعه إملاء .

وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

قال ابن اسحاق : وهم فيما ذكر لي ستة نفر كلهم من الخزرج ، وهم ؛ أبو أمامة أسعد ابن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . قال أبو نعيم : وقد قيل إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج . ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم . وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك ابن غنم بن مالك بن النجار ـ وهو ابن عفراء ـ النجاريان ، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو ابن زريق الزرقي وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ابن سعد بن علي بن أسد بن ساردة[1] بن تزيد بن جشم بن الخزرج السلمي ثم من بني سواد ، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً ، ثم من بني حرام . وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً ، ثم من بني عبيد رضي الله عنهم . وهكذا روي عن الشعبي والزهري وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة في ما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم ؛ معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان ـ وهو ابن عبد قيس ـ وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة . فأسلموا وواعدوه إلى قابل[2] فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الاسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث الينا رجلاً يفقهنا . فبعث إليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلاً وهم ؛ أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً . وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقي . قال ابن هشام : وهو انصاري مهاجري وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف

(١) في الاصل ساوه بن زيد وهو خطأ وفي ابن هشام سارده بن يزيد .

(٢) قابل . اي عام قادم .

ابن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم البلوي، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف ابن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني ، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدم ، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدم ، فهؤلاء عشرة من الخزرج ، ومن الاوس اثنان وهما : عويم بن ساعدة. وأبو الهيثم مالك بن التيهان . قال ابن هشام التيهان يخفف ويثقل كميّت وميت .

قال السهيلي : أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . قال وقيل إنه أراشي وقيل بلوى . وهذا لم ينسبه ابن اسحاق ولا ابن هشام ، قال : والهيثم فرخ العقاب ، وضرب من النبات ، والمقصود أن هؤلاء الاثني عشر رجلاً شهدوا الموسم عامئذ ، وعزموا على الأجتماع برسول الله ﷺ فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الاولى . وروى أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله في سورة إبراهيم ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ﴾[1] إلى آخرها. وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة ـ وهو ابن الصامت ـ قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى وكنا أثني عشر رجلاً . فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتمّ من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر . وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به نحوه.

قال ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني أن عبادة ابن الصامت حدثه . قال : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معّروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهري به نحوه . وقوله على بيعة النساء ـ يعني وفق على ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ـ وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في سيرته وفي التفسير ، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو فهو أظهر والله أعلم .

---

(١) سورة ابراهيم الآية : ٣٥ .

قال ابن اسحاق : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين . وقد روى البيهقي عن ابن اسحاق قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى .

قال البيهقي : وسياق ابن اسحاق أتم وقال ابن اسحاق : فكان عبد الله بن أبي بكر يقول : لا أدري ما العقبة الأولى . ثم يقول ابن اسحاق : بلى لعمري قد كانت عقبة وعقبة ، قالوا كلهم : فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرىء ، قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن اسحاق: وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الاذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة . قال فمكث حيناً على ذلك لا يسمع لأذان الجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال فقلت في نفسي والله إن هذا بي لعجز ، ألا أسأله ؟ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ فقال أي بني كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبيت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضمات[1] قال قلت وكم أنتم يومئذ ؟ قال أربعون رجلاً . وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمد بن اسحاق رحمه الله . وقد روى الدارقطني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره باقامة الجمعة ، وفي اسناده غرابة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ؟ فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيداً قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأسيد لا أبالك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفّها ضعفاءنا فازجرهما ، وانههما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً . قال فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل

---

(١) كذا الأصل وفي ابن هشام نقيع بالنون وأورده ، السهيلي بالباء والنون وذكر فيه روايات مختلفة .

إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه وقد جاءك فأصدق الله فيه ، قال مصعب : ان يجلس أكلمه . قال فوقف عليهما متشتماً[1] فقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة . فقال له غلام : أتيتنا في دارنا بهذا الرعيد الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه .

قال ابن اسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال أنصفت ، قال ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن . سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً . قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت ؟ قال كلّمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً . وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك ، قال فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت[2] هذا مني ، أتغشانا في دارنا بما نكره ؟ قال وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . قال فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن . وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به

---

(١) متشتماً : متلفظاً بقبيح الكلام .

(٢) رمت : بلغت أو طلبت .

من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة[1]، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة ، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس وهم من الأوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس ابن الاسلت واسمه صيفي . وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وقيل عبيد الله واسم أبيه الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس . وكذا نسبه الكلبي أيضاً. وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الاسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن اسحاق أشعاراً بائية[2] حسنة تقرب من أشعار أمية بن الصلت الثقفي .

قال ابن اسحاق فيما تقدم : ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود . فلما وقع أمره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الاسلت أخو بني واقف . قال السهيلي : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجار ، قال وهو الذي أنزل فيه وفي عمر ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُم﴾[3] الآية . قال ابن اسحاق : وكان يحب قريشاً ، وكان لهم صهراً . كانت تحته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي وكان يقيم عندهم السنين بامرأته . قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهي قريشاً فيها عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغنْ ... مغلغلةً[4] عنّي لؤيَّ بنَ غالب
رسولَ امرئٍ قد راعَهُ ذاتُ بينكم ... على النأي محزونٌ بذلك ناصبُ[5]
وقد كان عندي للهموم معرّس[6] ... ولم اقضِ منها حاجتي ومآربي

(١) نقيبة : قيادة .
(٢) بائية : قافيتها تنتهي بالباء .
(٣) سورة البقرة الآية ١٨٧ .
(٤) مغلغلة : رسالة محمولة من بلد إلى بلد .
(٥) ناصب : مريض .
(٦) معرس : مكان للاستراحة .

نُبيّتُكم شَرْجيـن، كلٌ قبيلة لها أزملٌ من بينِ مُذْكٍ وحاطِب[1]
أعيذُكُم بالله من شرّ صُنْعِكم وشر تَباغيكم ودسَّ العقارب
وإظهارِ أخلاقٍ ونجوى سقيمـةٍ[2] كوخزِ الأشـافـي[3] وقعِها حقُّ صائب
فذكّرهم بالله أوّلَ وهلةٍ واحلالَ إحرام الظِّباء الشـوازِب[4]
وقلْ لهمُ واللّهُ يحكم حُكمه ذروا الحربَ تذهبْ عنكُم في المراجِبِ[5]
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً هي الغولُ للأقصينِ أو للأقارب
تقطعُ أرحاماً وتُهلكُ أُمّةً وتبري السديف[6] من سَنَامٍ[7] وغارب[8]
وتستبدلوا بـالأتَحَمِيَّـةِ[9] بعدَها شـليـلاً[10] وأصْداءً ثيابَ المحارب
وبالمسكِ والكافورِ غُبْراً سـوابغـا[11] كأن قَتْيريها عيونُ الجنـادب[12]
فإياكُـم والحربَ لا تَعْلقنّكم وحوضاً وخيمَ الماء مُرَّ المشارب
تَزَيَّنُ للأقوام ثم يَرَوْنَها بعاقبةٍ إذ بَيّنتْ أمّ صاحب
تَحرَّقُ لا تشوى ضعيفاً وتنتحي ذوي العزّ منكم بالحتوفِ[13] الصوائب
ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ فتعتبروا أو كانَ في حربِ حاطب
وكم ذا أصابتْ من شريفٍ مسوَّدٍ طويل العِمادِ ضيفُهُ غيرُ خائب
عظيمُ رمادِ النّارِ يُحمَد أمرُه وذي شيمةٍ مَحْضٍ كريم المضارب
وماءٍ هُـريـقَ[14] في الضلال كأنّما أذاعتْ به رَيـحُ الصَّبـا[15] والجنائب
يخبِّرُكُم عنها امرؤٌ حقُّ عالمٍ بأيامها والعلمُ علمُ التجارب
فبيعوا الحرابَ ملمُحاربٍ واذكروا حسابَكم واللّهُ خيرُ محاسب
وليُّ امرىءٍ فاختارَ ديناً فلا يكنْ عليكم رقيبٌ غيرُ ربّ الثـواقـب[16]
أقيموا لَنا ديناً حنيفاً فأنتموا لنا غايةٌ، قد يُهتَدى بـالـذوائب[17]
وأنتم لِهذا النّاسِ نورٌ وعِصْمة تُؤمّون والأحلامُ غيرُ عـوازِب[18]
وأنتم إذا ما حصّل النّاسُ جوهرٌ لكم سُرّةُ البطحاء شُمُّ الأرانب

---

(1) قال السهيلي : نبيتكم شرجين أي فريقين مختلفين .
(2) سقيمة : مريضة أو عليلة.
(3) الاشافي : البغال .
(4) الشوازب : الضامرة .
(5) المراجب : العظام اصحاب الهيبة .
(6) السديف : شحم السنام .
(7) سنام : حدبة ظهر البعير .
(8) غارب : بين الظهر والسنام .
(9) الاتحمية : الثياب السوداء .
(10) شليلاً : ثياب خفيفة .
(11) سوافعاً : مرفهين منعمين .
(12) الجنادب: الزيدان .
(13) الحتوف : المنيات .
(14) هريق : هرق الماء صبه .
(15) رياح الصبا : رياح الصباح الخفيفة .
(16) الثواقب : النجوم .
(17) الذوائب : المتقدمين في القوم .
(18) عوازب : بعيدة المنال .

تصونون أنساباً[1] كِراماً عتيقةً مهذَّبة الأنسابِ غيرَ أشائب
يرى طالبُ الحاجات نحو بيوتكم عصائبَ هَلكى تهتدي بعصائب[2]
لقد عِلم الأقوامُ أن سُرَاتِكم على كلِّ حالٍ خيرُ أهلِ الجباجب[3]
وأفضلُهُ رأياً وأعلاه سُنَّةً وأقولُهُ للحقّ وسْط المواكب
فقوموا فَصَلُّوا ربَّكم وتمسّحوا بأركانِ هذا البيتِ بينَ الأخاشب
فعندكمُ منهُ بلاءٌ ومِصدَقٌ غداةَ أبي يَكسُومَ هادي الكتائب
كتيبتُهُ بالسهل تمشي ورِجْلَه على القاذفاتِ في رءوسِ المناقب[4]
فلما أتاكم نصرُ ذي العرش ردَّهم جنودُ المليك بين سافٍ[5] و حاصب[6]
فولّوا سِراعاً هاربين ولم يَؤُبْ[7] إلى أهلِهِ مِلحُبْشِ غيرُ عصائب
فإنْ تهلِكوا نهلِكْ وتهلِكْ مواسمٌ يُعاشُ بها ، قولَ امرىءٍ غيرِ كاذب

وحرب داحس الذي ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة ، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره : أن فرسا يقال له داحس كانت لقيس بن زهير ابن جذيمة بن رواحة الغطفاني . أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤبة الغطفاني أيضا يقال لها الغبراء ، فجاءت داحس سابقا فأمر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ، ثم إن أبا جنيدب العبسي لقي عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكا فقتله ، فشبت الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعات آخرون ، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها .

قال ابن هشام : وأرسل قيس داحساً والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء ، والأول أصح قال وأما حرب حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . كان قتل يهوديا جاراً للخزرج ، فخرج اليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن قسحم في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الأوسي ، قتله المجذر بن ذياد حليف بني عوف بن الخزرج ، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضا . والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم

(١) في ابن هشام : تصونون اجساداً كراماً عتيقة .
(٢) عصائب : جماعات .
(٣) قال السهيلي : جباجب : منازل مني .
(٤) المناقب : الطرقات في الجبل .
(٥) ساف : هالك .
(٦) حاصب : مسرع في الهرب .
(٧) يؤب : يرجع أو يعود .

ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الاسلام ، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار ـ أي محلة ـ من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دار بني واقف قبيلة أبي قيس ثبطهم [1] عن الاسلام وهو القائل أيضا :

أربُّ الناسِ أشياءٌ ألمّتْ ... يلفّ الصعبُ منها بالذلول
أرب الناس إمّا أن ضللنا ... فيسِّرنا لمعروفِ السبيل
فلولا ربُّنا كنّا يهوداً ... وما دينُ اليهودِ بذي شُكول [2]
ولولا ربنا كنا نصارى ... مع الرهبان في جَبَل الجَليل
ولكنّا خُلقنا إذ خُلقنا ... حنيفاً دينُنا عن كل جيل
نسوق الهَدْيَ تـرسُفُ [3] مذعناتٍ [4] ... مكشَّفةَ المناكبِ في الجُلول [5]

وحاصل ما يقول أنه حائر فيما وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ فتوقف الواقفي في ذلك مع علمه ومعرفته . وكان الذي ثبطه عن الاسلام أولا عبد الله بن أبي بن سلول بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر يهود فمنعه عن الاسلام .

قال ابن اسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج ، وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم. وكذا الواقدي. قال: كان عزم على الاسلام أول ما دعاه رسول الله ﷺ، فلامه عبد الله بن أبي فحلف لا يسلم إلى حول فمات في ذي القعدة . وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير في كتابه [أسد] الغابة ؛ أنه لما حضره الموت دعاه النبي ﷺ إلى الاسلام فسمع يقول : لا إله إلا الله . وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من الأنصار ، فقال « يا خال قل لا إله إلا الله » فقال : أخال أم عم ؟ قال بل خال قال : فخير لي أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال رسول الله ﷺ نعم ! تفرد به أحمد رحمه الله وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم ، فسألت رسول الله ﷺ في ذلك فانزل الله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ [6] ﴾ الآية .

وقال ابن اسحاق وسعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : كان أبو قيس هذا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض

---

(١) ثبط : عوّق .
(٢) شكول : إلتباس .
(٣) ترسف : تمشي وكأنها مقيدة .
(٤) مذعنات : طائعات .
(٥) الجلول : الصعاب .
(٦) سورة النساء الآية ٢٢ .

ولا جنب . وقال : أعبد إله ابراهيم حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسول الله ﷺ فاسلم فحسن اسلامه ، وكان شيخا كبيراً وكان قوالا بالحق معظما لله في جاهليته يقول في ذلك أشعاراً حسانا وهو الذي يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غادياً ... ألا ما استطعتم من وَصَاتيَ فافعلوا
فأوصيكم بالله والبرِّ والتُّقى ... وأعراضكم والبِرُّ بالله أول
وإنْ قومُكم سادوا فلا تحسِدَنَّهم ... وإن كنتمُ أهلَ الرئاسةِ فاعدِلوا
وإن نزلتْ إحدى الدواهي بقومكم ... فانفسَكم دونَ العشيرةِ فاجعلوا
وإن نابَ (1) غُرْمٌ (2) فادحٌ فارفُقُوهُمُ ... وما حَمَّلوكم في الملمّاتِ فاحمِلوا
وإن أنتمُ أمعزتمُ(3) فتعفّفوا ... وإن كان فضلُ الخيرِ فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضا :

سبِّحوا الله شرقَ كل صباحٍ ... طلعتْ شمسُه وكلَّ هلال
عالمُ السِّرِّ والبيانِ جميعاً ... ليس ما قال ربُّنا بضَلال
وله الطيرُ تستزيد وتأوي ... في وكورٍ من آمنات الجبال
وله الوحشُ بالفَلاةِ تراها ... في حِقافٍ(4) وفي ظلال الرمال
وله هوّدت يهودُ ودانتْ ... كلَّ دينٍ مخافةً من عُضال(5)
وله شمّس النصارى وقاموا ... كلَّ عيدٍ لربّهم واحتفال
وله الراهبُ الحبيسُ تراه ... رهنَ بؤسٍ وكان أنعمَ بال
يا بني الأرحامَ لا تقطَعوها ... وصِلُوها قصيرةً من طوال
واتقوا الله في ضِعافِ اليتامى ... وبما يَستحِلّ غيرَ الحلال
واعلموا أن لليتيم ولياً ... عالِماً يَهتدي بغير سؤال
ثم مالَ اليتيم لا تأكلوه ... إن مالَ اليتيم يرعاه والي
يا بنيّ التخومَ (6) لا تَجْزِلوها(7) ... إن جزْلَ التخوم ذو عُقّال
يا بنيّ الأيام لا تأمنوها ... واحذَروا مَكرَها ومرَّ الليالي
واعلموا أن أمرها لِنفادِ ... الخَلْق ما كان من جديدٍ وبالي
واجمعوا أمرَكم على البرِّ والتقـ ... ـوى وتركِ الخَنا(8) وأخذِ الحلال

---

(1) ناب : حل .
(2) غرم : ما يلزم اداؤه ـ أو ضرر ومشقة .
(3) امعزتم : صلبتم واشتديتم .
(4) حقاف : الأراضي المستديرة .
(5) عضال : امر عظيم .
(6) التخوم : الجوار .
(7) تجزلوها : تعظموها .
(8) الخنا : الأعمال المعيبة .

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضا يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم .

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حجّةً   يذكّر لو يَلقى صَديقاً مُواتيا

وسيأتي ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن اسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أواسط أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله . فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حدثه أن أباه كعباً حدثه ـ وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها ـ قال : خرجنا في حجاج قومنا منْ المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن مغرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء إني قد رأيت رأيا والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟ قلنا وما ذاك ؟ قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر ـ يعني الكعبة ـ وأن أصلي اليها قال فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه . فقال : إني لمصل اليها ، قال فقلنا له لكنا لا نفعل . قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة . قال لي يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى اسأله عما صنعت في سفري هذا فانه قد وقع في نفسي منه شيء . لما رأيت من خلافكم إياي فيه . قال فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ ـ وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ـ فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ قال هل تعرفانه ؟ فقلنا لا ، فقال هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال قلنا نعم ! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً ، قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال رسول الله ﷺ للعباس : « هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ » قال نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ الشاعر ؟ قال نعم ! فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا قد هداني الله تعالى للاسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت اليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى ؟ قال : « قد كنت على قبلة لو صبرت عليها » قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام ، قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام

التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ فيها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من سادتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة قال فاسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا .

وقد روى البخاري حدثني ابراهيم حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال عطاء قال جابر : أنا وأبي وخالي من أصحاب العقبة . قال عبد الله بن محمد قال ابن عيينة : أحدهم البراء بن معرور . حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان قال كان عمرو يقول سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بي خالاي العقبة .

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر . قال مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم ، عكاظ ومجنة ، وفي المواسم يقول « من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلِّغ رسالة ربي وله الجنة » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر ـ كذا قال فيه ـ فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون اليه بالأصابع حتى بعثنا الله اليه من يثرب فآويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون باسلامه حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام ، ثم ائتمروا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطول ويطرد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا يا رسول الله علام نبايعك ؟ قال : « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » فقمنا اليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة ـ وهو من أصغرهم ـ وفي رواية البيهقي ـ وهو أصغر السبعين ـ إلا أنا ، فقال رويداً يا أهل يثرب فانا لم نضرب اليه أكباد الابل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن اخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وتعضّكم السيوف . فاما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله . قالوا أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً . قال فقمنا اليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة . وقد رواه الامام أحمد أيضا والبيهقي من طريق داود بن عبد الرحمن العطار ـ زاد البيهقي عن الحاكم ـ بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه . وهذا اسناد جيد على شرط مسلم ولم

يخرجوه . وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر . قال : كان العباس آخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ : « أخذت وأعطيت » وقال البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان ـ هو الثوري ـ عن جابر ـ يعني الجعفي ـ عن داود ـ وهو ابن أبي هند ، عن الشعبي عن جابر ـ يعني ابن عبد الله ـ قال قال رسول الله ﷺ : للنقباء من الأنصار : « تؤووني وتمنعوني ؟ » قالوا نعم قالوا فما لنا ؟ قال « الجنة » ثم قال : لا نعلمه يروي الا بهذا الاسناد عن جابر ، ثم قال ابن اسحاق عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك . قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، واسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع . وقد صرح ابن اسحاق في رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم وما ورد في بعض الاحاديث أنهم كانوا سبعين . والعرب كثيراً ما تحذف الكسر ، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة : كانوا سبعين رجلا وامرأة واحدة ، قال منهم أربعون من ذوي أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم قال وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد الله ـ قال كعب بن مالك : فلما اجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج ـ . قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ـ إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزّة من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عزة ومنعة من قومه وبلده . قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، قال فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الاسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » قال فأخذ البراء بن معرور بيده [و] قال نعم ! فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله ابناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر . قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم . أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » قال كعب وقد قال رسول

الله ﷺ : « أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم » فاخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال ابن اسحاق : وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس [بن عمرو بن امرىء القيس][1] بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ابن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزوج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج . فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الاوس ثلاثة وهم ، أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امريء القيس بن زيد بن عبد الاشهل بن جشم ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس . وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم ابن امريء القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة ابن عبد المنذر بن زنير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة هذا ، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن اسحاق . واختاره السهيلي وابن الاثير في الغابة . ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن ابي زيد الانصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الأثنى عشر هذه الليلة ـ ليلة العقبة الثانية ـ حين قال :

أبلغْ أبيّاً أنّه قالَ رأيه ... وحانَ غداةَ الشِّعبِ والحيْنِ واقع
أبى الله ما منّتْكَ نفسك إنه ... بمرصادِ أمرِ النّاس راءٍ وسامع
وأبلغْ أبا سفيانَ أنْ قد بدا لَنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدى الله ساطع
فلا ترغَبنَ في حشدِ أمرٍ تُريده ... وألِّبْ[2] وجمّع كلّ ما أنت جامع

---

(١) ما بين المربعين زياده عن ابن هشام وفي الاصابة عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأعز ابن ثعلبة الخ نقلاً عن محمود الامام .
(٢) ألِّب : احشد .

ودونَك فاعلمْ أنّ نقضَ عهودنا … أباه عليكَ الـرهطُ[1] حينَ تبايعوا
أباه البُراءُ وابنُ عمروٍ كلاهما … وأسعدُ يأباه عليكَ ورافع
وسَعدٌ أباه الساعدي ومنذِرٌ … لأنفِك إنْ حاولتَ ذلك جـادع[2]
وما ابن ربيعٍ إن تناولتَ عهدَه … بمُسْلِمِهِ لا يطمعَنْ ثَمَّ طامع
وأيضاً فلا يعطيكَه ابنُ رَواحة … وإخفارُه من دونه السُّمُّ ناقع [3]
وفاءً به ، والقوقليّ بنُ صامتٍ … (بمندوحةٍ)[4] عما تُحاول يـافـع[5]
أبو هيثمٍ أيضاً وفيٌّ بمثلها … وفاءً بما أعطى منِ العهدِ خـانـع[6]
وما ابن حضير إنْ أردتَ بمُطِمْعٍ … فهل أنتَ عن أُحموقةِ الغي نازع
وسعدُ أخو عمرو بن عوف فإنه … ضـروحٌ[7] لِمَا حاولتَ مِلأ مرِ مانع
أولاكَ نجومٌ يغِبُّك منهمُ … عليك بنحسٍ في دُجى الليل طالع

قال ابن هشام : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة .

قلت : وذكـر سعد بن معـاذ وليس من النقباء بـالكلية في هـذه الليلة . وروى يعقوب بن سفيـان عن يونس بن عبـد الاعلى عن ابن وهب عن مالـك . قـال : كـان الانصـار ليلة العقبـة سبعون رجلا ، وكان نقباؤهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثـلاثة من الأوس. وحـدثني شيـخ من الأنصار أن جبـرائيل كـان يشير إلى رسـول الله ﷺ إلـى من يجعله نقيبـاً ليلة العقبـة وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة . رواه البيهقي. وقال ابن اسحاق : فحدثني عبـد الله بن أبي بكـر أن رسول الله ﷺ قـال للنقباء : « أنتم على قـومكم بما فيهم كفـلاء ككفالـة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنـا كفيل على قـومي » قالـوا نعم، وحـدثني عاصم بن عمـر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري أخـو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج هل تدرون علام يبايعون هـذا الرجـل ؟ قالـوا نعم ! قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من النـاس ، فان كنتم تـرون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهـو والله إن فعلتم خزى الـدنيا والآخـرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهـكة[8] الاموال وقتل الاشراف فخذوه ، فهـو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ «قال «الجنـة » قالـوا ابسط يدك فبسط يـده فبايعـوه قال عـاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عبادة ذلك ليشد العقد في أعنـاقهم وزعم عبد الله بن أبي بكـر أنه

---

(١) الرهط : قوم الرجل وقبيلته .
(٢) جادع : جدع الانف قطعه .
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] المسحة .
(٥) يافع : فتى .
(٦) خانع : خاضع وقابل .
(٧) ضروح : مانع للأمر .
(٨) نهكة : [illegible] .

إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن اسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن اسحاق : وحدثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع القوم . وقال ابن الاثير في [اسد] الغابة : وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كعب بن مالك . وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك في حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدراً كثير في الناس منها . وقال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا ابو نعيم حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال : انطلق رسول الله ﷺ مع العباس عمه إلى السبعين من الانصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فان عليكم من المشركين عينا ، وإن يعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم - وهو أبو أمامة - سل يا محمد لربك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت. ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك . قال : « أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه انفسكم » قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال « لكم الجنة » قالوا فلك ذلك . ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي عن أبي مسعود الانصاري فذكره قال : وكان أبو مسعود أصغرهم . وقال أحمد عن يحيى عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها . وقال البيهقي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد ابن محمش أخبرنا محمد بن ابراهيم بن الفضل الفحام أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي أخبرنا عمرو بن عثمان الرقي حدثنا زهير ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن اسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه قال : قدمت روايا خمر ، فاتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى ان نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى ان ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة . فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها ، وهذا اسناد جيد قوي ولم يخرجوه. وقد روى يونس عن ابن اسحاق حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت. قال : بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا

ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم .

قال ابن اسحاق في حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك. قال : فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط ؟ يا أهل الجباجب - والجباجب المنازل - هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله ﷺ : « هذا أزب العقبة ، هذا ابن أزيب ». قال ابن هشام : ويقال ابن أزيب . « أتسمع أي عدو الله ؟ أما والله لا تفرغن لك . ثم قال رسول الله ﷺ : «ارفضوا إلى رحالكم » قال فقال العباس بن عبادة بن نضلة : يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا قال فقال رسول الله ﷺ : «لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم ». قال فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا : يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بيْن أظهرنا وتبايعونه على حربنا . وإنه والله ما من حي من العرب أبغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث مَنْ هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيء وما علمناه ، قال وصدقوا لم يعلموا، قال وبعضنا ينظر إلى بعض . قال ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان له جديدان . قال فقلت له كلمة - كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش ؟ قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلي. قال والله لتنتعلنهما ، قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه . قال قلت والله لا أردهما ، فأل والله صالح ، لئن صدق الفأل لاسلبنه .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا[1] على مثل هذا وما علمته كان . قال فانصرفوا عنه . قال ونفر الناس من منى فتنطس[1] القوم الخبر فوجدوه قد كان ، فخرجوا في طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة باذاخرو المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً. فأما المنذر فاعجز القوم ، وأما سعد ابن عبادة فاخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع[2] رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته - وكان ذا شعر كثير - قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض شعشاع حلو من الرجال، فقلت في نفسي إن يك عند أحد من

---

(١) كذا في الأصلين وفي ابن هشام ليتفوتوا علي وقوله فتنطس . قال السهيلي : التنطس : تدقيق النظر .

القوم خير فعند هذا . فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى إليّ رجل ممن معهم . قال : ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجّارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي . وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس . فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما ، قال ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن ليضرب بالابطح ليهتف بكما ، قالا ومن هو ؟ قال سعد بن عبادة. قالا : صدق والله إن كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده ، قال فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم ، فانطلق ، وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذي اوى له أبو البختري بن هشام . وروى البيهقي بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جبير قال سمعت قريش قائلا يقول في الليل على أبي قبيس :

فإن يُسْلِمِ السَّعدانِ يصبحْ محمدٌ ... بمكّةَ لا يَخشى خِلافَ المُخالَف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم ؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلا يقول :

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كُن أنتَ ناصراً ... ويا سعدُ سعدَ الخزْرجينَ الغطارف[1]
أجيبا إلى داعي الهدى وتَمنَّيا ... على اللّهِ في الفِردوس مِنْيَةَ عارف
فإنّ ثوابَ اللّهِ للطالبِ الهدى ... جِنانٌ من الفردوس ذَاتُ رفارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : وهو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة .

فصـــل :

قال ابن اسحاق : فلما رجع الانصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها . وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك . منهم ، عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة وأشرافهم، وكان قد اتخذ صنما من خشب في داره يقال له مناة كما كان الاشراف يصنعون يتخذه إلّها يعظمه ويظهره ، فلما أسلم فتيان بني سلمة ؛ ابنه معاذ ، ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكساً على

(١) الغطارف : الحسان الظرفاء .

رأسه، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على إلّهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطهره ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه . فاذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطيبه ويطهره ، ثم يعدون عليه إذا امسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهره وطيبه . ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له : إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فان كان فيك خير فامتنع، هذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم القوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول :

واللّهِ لـو كنـت إلّهـاً لـم تكُـنْ	أنتَ وكلبٌ وسْطَ بئرٍ في قَرَنْ [1]
افٍ لمـلقـاكَ إلّهـاً مستـدِنْ	الآنَ فَتَّشناك عن سوء الغَبنَ [2]
الحمـدُ الله العليِّ ذي المننَ	الـواهبِ الرزاقِ دّيان الدِّين
هـو الذي أنقـذني من قبلِ أن	أكـونَ في ظُلمة قبـرٍ مـرتهَن

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية
ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان

فمن الاوس احد عشر رجلاً ؛ أسيد بن حضير احد النقباء ، وأبو الهيثم بن التيهان بدري أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وقش بدري، وظهير بن رافع، وأبو بردة بن دينار بدري ، ونهير بن الهيثم بن نابي بن مجدعة بن حارثة ، وسعد بن خيثمة أحد النقباء بدري وقتل بها شهيداً، ورفاعة بن عبد المنذر بن زنير نقيب بدري ، وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدري ، وقتل يوم احد شهيداً أميراً على الرماة ، ومعن بن عدي بن الجد بن عجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوي حليف للاوس شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً، وعويم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها . ومن الخزرج اثنان وستون رجلا ؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدراً وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً، ومعاذ بن الحارث وأخواه عوف ومعوذ

---

(١) القَرَنْ : الحبل الذي يشد به الأسير .

(٢) الغبن : الخديعة .

وهم بنو عفراء بدريون ، وعمارة بن حزم شهد بدراً وما بعدها وقتل بـاليمامـة، وأسعد بن زرارة أبـو امامـة أحد النقبـاء مات قبـل بدر ، وسهـل بن عتيك بـدري ، وأوس بن ثـابت بن المنـذر بدري، وأبو طلحـة زيد بن سهـل بدري ، وقيس بن أبي صعصعـة عمرو بن زيـد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غزية، وسعـد بن الربيع احد النقباء شهد بدراً وقتل يوم أحد، وخارجة بن زيد شهد بدراً وقتـل يوم أحـد ، وعبد الله بن رواحة أحد النقبـاء شهد بـدراً وأحد والخنـدق ، وقتل يـوم مؤتة أميراً ، وبشير بن سعـد بدري ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذي أرى النداء وهو بدري ، وخلاد بن سـويد بدري أحدي خندقي وقتل يوم بني قريظة شهيداً طرحت عليه رحى فشـدخته فيقـال إن رسول الله ﷺ قال : « إن له لأجر شهيدين » وأبو مسعود عقبة بن عمرو البـدري قال ابن اسحـاق : وهو أحدث من شهد العقبة سنا ولم يشهد بدراً، وزياد بن لبيد بـدري ، وفروة بن عمـرو بن ودفة ، وخالد بن قيس بن مالك بدري ، ورافع بن مـالك أحـد النقباء، وذكـوان بن عبد قيس بن خلدة ابن مخلد بن عامر بن زريق ، وهـو الذي يقـال له مهـاجري انصـاري لانه أقـام عند رسـول الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها وهـو بدري قتـل يوم احـد ، وعباد بن قيس بن عـامر بن خـالد بن عامر بن زريق بدري ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامـر بدري أيضـاً ، والبراء بن معـرور أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقـدم النبي ﷺ المدينـة وأوصى له بثلث ماله فرده رسول الله ﷺ عـلى ورثته ، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدراً وأحداً والخندق ومات بخيبر شهيداً من أكله مع رسول الله ﷺ من تلك الشاة المسمومةرضي الله عنه، وسنان بن صيفي بن صخر بدري ، والطفيل بن النعمان بن خنساء بدري ، قتل يـوم الخندق، ومعقـل بن المنذر بن سرح بدري ، وأخوه يزيد بن المنذر بدري ، ومسعـود بن زيد بن سبيـع ، والضحاك ابن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدري ، ويزيـد بن خذام بن سبيـع، وجبار بن صخـر [بن أمية] بن خنسـاء بن سنان بن عبيـد بدري ، والـطفيل بن مـالك بن خنسـاء بدري ، وكعب بن مـالـك ، وسليم بن عامر بن حديدة بدري وقطبة بن عامر بن حديدة بدري ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدري أيضاً ، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدري ، وصيفي بن سواد بن عباد، وثعلبة بن غنمـة بن عدي ابن نابي بدري واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غنمة بن عـدي ، وعبس بن عامـر بن عدي بدري ، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي ، وعبد الله بن انيس حليف لهم من قضاعـة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدري واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح بدري وثابت بن الجذع بدري وقتل شهيداً بالطائف ، وعميـر بن الحارث بن ثعلبة بدري ، وخـديج بن سـلامة حليف لهم من بلى ، ومعـاذ بن جبل شهـد بدراً ومـا بعدهـا ومات بطاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب ، وعبادة بن الصامت احد النقباء شهد بدراً وما بعدها ، والعباس بن عبادة بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقـال له مهـاجري انصاري أيضاً وقتل يوم أحد شهيداً، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصـرم حليف

لهم من بلى ، وعمرو بن الحارث بن كندة، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدري ، وعقبة بن وهب ابن كلدة حليف لهم بدري وكان ممن خرج إلى مكة فاقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجري أنصاري أيضاً ، وسعد بن عبادة بن دليم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدري أحدي وقتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذي يقال له أعتق ليموت، وأما المرأتان فام عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية . قال ابن اسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها خبيب وعبد الله ، وابنها خبيب هذا هو الذي قتله مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يديه لا يزيده على ذلك، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة ورجعت وبها أثني عشر جرحا من بين طعنة وضربة رضي الله عنها ، والأخرى أم منيع أسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة رضي الله عنها .

باب

الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزهري عن عروة عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين : « قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة[1] ذات نخل بين لابتين[2] » فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين . رواه البخاري . وقال أبو موسى عن النبي ﷺ : « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب » وهذا الحديث قد أسنده البخاري في مواضع أخر بطوله ورواه مسلم كلاهما عن أبي كريب زاد مسلم وعبد الله بن مراد كلاهما عن أبي أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبي ﷺ الحديث بطوله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السياري بمرو حدثنا ابراهيم بن هلال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق حدثنا عيسى بن عبيد الكندي عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبي ﷺ قال : « إن الله أوحى إليَّ أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك ؛

---

(١) سبخة : ارض ذات ملح . ولم تحرث .

(٢) لابة : أرض كثيرة الحر .

المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

هذا حديث غريب جداً وقد رواه الترمذي في المناقب من جامعه منفرداً به عن أبي عمار الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة بن جرير عن جرير . قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله أوحى إلى أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك ؛ المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حبان في الثقات إلا أنه قال : روى عن أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : لما أذن الله تعالى في الحرب بقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[1] الآية . فلما أذن الله في الحرب وتابعه هذا الحي من الأنصار على الاسلام والنصرة له ، ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين . أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إن الله قد جعل لكم اخواناً وداراً تأمنون بها » فخرجوا إليها أرسالاً وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم ، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها .

قال ابن اسحاق : فحدثني أبي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لي بعيره ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج يقود بي بعيره ، فلما رآه رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه ، قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق

(١) سورة الحج الآية ٣٩ .

زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي . قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي ـ سنة أو قريباً منها ـ حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت فقالوا لي الحقي بزوجك إن شئت . قالت فرد عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني ، قالت فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، قالت وما معي أحد من خلق الله . حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت أريد زوجي بالمدينة ، قال أوما معك أحد ؟ قلت ما معي أحد إلا الله وبني هذا ، فقال والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوى بي فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال اركبي فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وأخوته ؛ الحارث وكلاب ومسافع ، وعمه عثمان بن أبي طلحة . ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بني شيبة مفاتيح الكعبة أقرها عليهم في الاسلام كما كانت في الجاهلية ، ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمانَاتِ إِلى أَهْلِها﴾[1] الآية .

قال ابن اسحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي ، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس احتمل بأهله وبأخيه عبد أبي أحمد ، اسمه عبد كما ذكره ابن اسحاق وقيل ثمامة . قال السهيلي : والأول أصح . وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . فغلقت دار بني جحش هجرة ، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن

---

(١) سورة النساء الآية ٥٨ .

عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يبابا ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال :

وكلّ دارٍ وإن طالتْ سلامتُها ... يوماً ستدركُها النَّكباء والحُوبُ[1]

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي داود الأيادي في قصيدة له . قال السهيلي : واسم أبي داود حنظلة بن شرقي وقيل حارثة . ثم قال عتبة : أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من فل بن فل[2] ثم قال ـ يعني للعباس ـ هذا من عمل ابن أخيك ، هذا فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع بيننا .

قال ابن اسحاق : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون ارسالاً قال وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونساؤهم وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأربد بن جميرة[3] ومنقذ بن نباتة ، وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نضلة ، وزيد بن رقيش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن محصن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو وربيعة بن أكثم . والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ومن نسائهم زينب بنت جحش ، وحمنة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيب بنت ثمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت تميم . قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة :

ولما رأتني أمُّ أحمدَ غادياً ... بذمَّةِ من أخشى بغيبٍ وأرهَب
تقول فإما كنتَ لا بدَّ فاعلاً ... فيمِّـمْ[4] بنا البلدانَ ولننأ[5] يثرب
فقلتُ لها ما يثربَ بمظَنَّةٍ[6] ... وما يشأِ الرحمنُ فالعبدُ يركب
إلى الله وجْهي والرّسولِ ومن يُقِمْ ... إلى الله يوماً وجهَه لا يُخيَّب
فكَمْ قد تركنا من حميم مُناصحٍ[7] ... وناصحةٍ تبكي بدمعٍ وتندب
ترى أن وِتراً نائياً عن بلادنا ... ونحن نرى أن الرغائبَ نطلب

---

(١) الحوب : الاثم .

(٢) الفل : قال ابن هشام الواحد واستشهد بهذا البيت من الشعر :

كل بني حره مصيرُهم ... فلٌ وإن أكثرت من العدد

(٣) قال ابن هشام ويقال ابن حميرة .

(٤) يمم : توجه .

(٥) ننأى : نبعد .

(٦) في ابن هشام : فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا .

(٧) الحميم المناصح : الصديق الوفي .

دعـوتُ بني غُنْم لِحقْنِ دمـائهم	وللحق لمّا لاح للناس مُلحِب [1]
أجـابـوا بحمـدِ الله لمـا دعـاهُم	إلى الحق داعٍ والنجاحِ فأوعبوا
وكنا وأصحاباً لنا فـارقوا الهـدى	أعـانوا علينـا بالسـلاح وأجْلبـوا
كفـوجَيْن إمـا مِنهُمـا فمـوفَّقٌ	على الحقّ مهديّ وفوجٌ معـذب
طَغَـوا وتمنُّـوا كِـذبـةً وأزلَّهم	عن الحقّ ابليسٌ فخابوا وخيِّبـوا
ورعنـا إلى قـول النبيّ محمّـدٍ	فـطابَ ولاةُ الحقّ منا وطيِّبـوا
نَمِتُّ بـأرحـامٍ إليهم قـريبـةٍ	ولا قُـرْبَ بالأرحـام إذ لا تَقـرُّب
فـأيّ ابنِ أختٍ بعـدنـا يـأمَنَّكم	وأيـة صهرٍ بعـد صهـري يـرقُب
ستعلم يوماً أيّنـا إذ تـزايـلـوا[2]	وزيِّل أمرَ النـاسِ للحقّ أصوب

قال ابن اسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة . فحدثني نافـع عن عبد الله بن عمـر عن أبيه . قـال : أتعدنـا لما أردت الهجـرة إلى المدينـة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص التناضب [3] من إضاة بني غفار فوق سرف ، وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صـاحباه ، قـال فأصبحت أنـا وعياش عنـد التناضب وحبس هشام وفتن فافتتن ، فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهـل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش ـ وكـان ابن عمهما وأخـاهما لامهمـا ـ حتى قدمـا المدينـة ورسول الله ﷺ بمكة ، فكلماه وقالا له إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسهـا مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فـرق لها فقلت لـه إنه والله إن يـريدك القـوم إلا ليفتنوك عن دينـك فاحـذرهم ، فوالله لـو قد آذى أمـك القمل لامتشـطت ، ولو قـد اشتـد عليهـا حـر مكـة لاستظلت . قال فقال : أبر قسم أمي ولي هنالك مال فآخذه قال قلت والله إنـك لتعلم أني لمن أكثر قريش مـالاً ، فلك نصف مالي ولا تـذهب معهما . قـال فأبى على الا أن يخـرج معهما ، فلمـا أبى إلا ذلك قلت أمـا إذ فعلت ما فعلت فخـذ ناقتي هـذه فإنهـا ناقـة نجيبة ذلـول فـالـزم ظهرها ، فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليهـا . فخرج عليهـا معهما حتى إذا كـانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هـذا أفلا تعقبني على نـاقتك هـذه قال بلى . فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدواً عليه فأوثقاه رباطاً ، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن . قال عمر : فكنا نقول لا يقبل الله ممن افتتن توبـة . وكانـوا يقولـون ذلك لأنفسهم حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَغْفُرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعاً إنَّـهُ هُوَ الغَفُـوْرُ الرَّحِيْمُ ، وأَنِيْبُـوا إِلَى رَبِّكُمْ

---

(١) ملحب : واضح .

(٢) تزايلوا : تصارعوا .

(٣) التناضب : الابتعاد.

وأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَكُمْ العَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُوْنَ ، واتَّبِعُوا أحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَكُمُ العَذَابُ بُغْتَةً وأنْتُم لا تَشْعُرُونَ﴾[1] قال عمر : وكتبتها وبعثت بهـا إلى هشام ابن العاص . قال هشـام : فلما أتتني جعلت أقـرأها بـذي طوى أصعـد بها وأصـوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها ، فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا ، قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينـة . وذكر ابن هشام أن الذي قدم بهشام بن العاص ، وعياش بن أبي ربيعة إلى المدينـة ؛ الوليـد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش معهما ، فعثر فدميت أصبعه فقال :

هـل أنـتَ إلا أصبـعٌ دَمِـيـت وفـي سـبيـلِ الله مـا لَـقِيَـتْ

وقال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبو اسحاق سمع البراء . قـال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، ثم قدم علينا عمار وبلال . وحدثني محمد بن بشار حدثنا غنـدر حدثنـا شعبة عن أبي اسحـاق سمعت البراء بن عـازب . قال : أول من قـدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس ، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمـر بن الخطاب في عشـرين نفراً من أصحـاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ . فمـا رأيت أهـل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الاماء يقلن : قدم رسـول الله ﷺ . فما قدم حتى قرأت سبـح اسم ربك الأعلى في سـور من المفصل . ورواه مسلم في صحيحـه من حـديث اسرائيـل عن أبي استحاق عن البـراء بن عازب بنحـوه وفيه التصـريح بـأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد زعم موسى بن عقبـة عن الزهـري أنه إنمـا هاجر بعد رسول الله ﷺ والصواب ما تقدم .

قال ابن اسحاق : ولمـا قدم عمـر بن الخطاب المـدينة هـو ومن لحق به من أهله وقـومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة وابن عمه سعيد بن زيـد بن عمرو بن نفيـل وواقد بن عبـد الله التميمي حليف لهم وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى حليفان لهم من بني عجل وبنو البكيـر إياس وخـالد وعاقل وعامر وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث ، فنزلوا على رفـاعة بن عبـد المنذر بن زنبـر في بني عمرو بن عوف بقباء .

قال ابن اسحاق : ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم فنزل طلحة بن عبيـد الله وصهيب ابن سنان على خبيب بن إساف أخي بلحارث بن الخزرج بالسنح . ويقـال بل نـزل طلحة على أسعد بن زرارة .

قـال ابن هشام : وذكـر لي عن أبي عثمـان النهـدي أنـه قـال بلغني أن صهيبـاً حين أراد

---

(1) سورة الزمر الآيات ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ .

الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا نعم ؟ قال فإني قد جعلت لكم مالي . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب » وقد قال البيهقي : حدثنا الحافظ أبو عبد الله ـ إملاء ـ أخبرنا أبو العباس اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أخبرنا عبدان الاهوازي حدثنا زيد بن الجريش حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا حصين بن حذيفة بن صيفي بن صهيب حدثني أبي وعمومتي عن سعيد بن المسيب عن صهيب . قال قال رسول الله ﷺ : « أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرتين ، فأما أن تكون هجر أو تكون يثرب » قال وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد ، فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكياً ـ فناموا . فخرجت ولحقني منهم ناس بعد ما سرت يريدوا ليردوني فقلت لهم إن أعطيتكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا فتبعتهم إلى مكة فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فإن بها أواقي ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين . وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآني قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » فقلت يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام .

قال ابن اسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة ، وأنسة وأبو كبشة مولياً رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء ، وقيل على سعد بن خيثمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم . قال ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل وحصين ومسطح بن أثاثة وسويبط ابن سعد بن حريملة أخو بني عبد الدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بني قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخي بلعجلان بقباء[1] ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بني جحجبي ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة . قال ابن اسحاق وقال الأموي على خبيب بن اساف أخي بني حارثة ، ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بني عبد الأشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان ابن ثابت في دار بني النجار . قال ابن اسحاق : ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزباً والله أعلم أي ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن

(١) كذا بالأصلين وفي ابن هشام علي عبد الله أخي بلحارث الخزرج في دار بلحارث بن الخزرج .

عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه . قال : قدمنا مكة فنزلنا العصبة، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة . فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً .

فصـــل :

في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيْراً﴾[1] أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء [و] أن يجعل له مما هو فيه فرجا قريباً ومخرجاً عاجلاً ، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب ، فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان[2] عن أبيه عن ابن عباس : كان رسول الله ﷺ بمكة، فأمر بالهجرة وأنزل عليه ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وأجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً ﴾ وقال قتادة ﴿ أدخلني مدخل صدق﴾ المدينة ﴿وأخرجني مخرج صدق ﴾ الهجرة من مكة ﴿ وأجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً ﴾ كتاب الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن اسحاق : وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أو فتن ، إلى علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً » فيطمع أبو بكر أن يكونه . فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصى بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. قال ابن اسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس. وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس . قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في امر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ جليل

---

(١) سورة الاسراء الآية ٨٠ .

(٢) كذا في المصرية وفي الحلبية : جبير عن قابوس بن أبي طهمان .

عليه بتلة[1] فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا . قالوا أجل فادخل ، فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش عتبة وشيبة وأبو سفيان وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم بن عدي والحارث بن عامر بن نوفل والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا ، قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم ـ قيل إنه أبو البختري بن هشام ـ احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأي . فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت ان يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليداً نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فأنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا . فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم ، قال يقول الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: « نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الاخضر ، فنم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم » وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابن اسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة وابن عباس

---

(١) كذا في سيرة ابن هشام وفي الحلبية عيبه (ولعلها عليه) تب له ، وفي المصرية ، عليه ثب له وكل ذلك تصحيف .

وعلي وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم .

قال ابن اسحاق: فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي. قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال ـ وهم على بابه ـ إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الاردن . وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها . قال فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة ، من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات ﴿ يٓس والقُرآنِ الحَكِيمِ إنَّكَ لِمَن المُرْسَلِيْنَ علَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1] إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْهُمْ سَدَّاً وَمِنْ خَلفِهْمَ سَدَّاً فَأَغْشَيْنَاهُم فَهُمَ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾[2] ولم يبقَ منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا محمداً ، فقال خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ! أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا .

قال ابن اسحاق : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى : ﴿وإذَ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أوْ يَقْتُلُوكَ أو يخُرِجُوكَ وَيْمَكُرُونَ ويمْكُر اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِيْنَ﴾[3] وقوله: ﴿أمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ قُلْ تَرَبَصُوا فَإنْي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِصِيْنَ﴾[4] قال ابن اسحاق فأذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة.

بـــاب

هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وذلك اول التاريخ الاسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العمرية كما بيناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين . قال البخاري حدثنا مطر بن الفضل ثنا روح ثنا هشام ثنا عكرمة عن ابن عباس . قال: بعث النبي ﷺ لأربعين سنة ، فمكث فيها ثلاث عشرة يوحى إليه ، ثم مرّ بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك في يوم الاثنين كما رواه

---

(١) اول سورة يس .
(٢) سورة يس الآية ٩ .
(٣) سورة الأنفال الآية ٣٠ .
(٤) سورة الطور الآيتان : ٣٠ و٣١ .

الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين، ونبىء يوم الأثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين.

قال محمد بن اسحاق : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له : لا تعجل على الله أن يجعل لك صاحباً ؛ قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه ، فابتاع راحلتين حبسهما في داره يعلفهما اعداداً لذلك . قال الواقدي : اشتراهما بثمانمائة درهم .

قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطىء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة ، وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث ! قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ[1] أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ : « أخرج عني من عندك » قال : يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي ؟ قال : «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » قالت فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟ قال : «الصحبة » قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي . ثم قال: يانبي الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقد. قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن أريقط . رجلا من بني الدؤ ل ابن بكر، وكانت أمه من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً يدلهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما قال ابن اسحاق : ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر ، أما علي فان رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته . قال ابن اسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ [الخروج] أتى أبا بكر ابن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته . وقد روى أبو نعيم من طريق ابراهيم ابن سعد عن محمد بن اسحاق . قال : بلغني ان رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً الى الله يريد المدينة قال : «الحمد الله الذي خلقني ولم أك شيئاً ، اللهم أعني على هول الدنيا ، وبوائق الدهر، ومصائب الليالي والأيام ، اللهم اصحبني في سفري . واخلفني في أهلي، وبارك لي فيما رزقني ولك فذللني . وعلى صالح خلقي فقومني ، واليك رب فحببني ، وإلى الناس فلاتكلني ، رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات . وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن تحل على غضبك،

(١) كذا بالاصلين ، والذي في ابن هشام وليس عند أبي بكر إلا انا وأختي ، وهذا ما يقتضيه سياق الكلام .

وتنـزل بي سخطك، أعـوذ بـك من زوال نعمتـك ، وفجـأة نقمتـك، وتحـول عـافيتـك وجميـع سخطك. لك العقبى عندي خير ما استطعت، لا حول ولا قوة إلا بك ».

قـال ابن اسحاق : ثم عمـدا إلى غار بثـور ـ جبل بـأسفل مكـة فدخـلاه ، وأمر أبـو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما اذا أمسى بمـا يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار . فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع مـا يأتمـرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبـي بكر ، ثم يـأتيهما إذا أمسى فيخبـرهما الخبـر . وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة ، فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحـا . فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفي عليه . وسيأتي في سيـاق البخاري مـا يشهد لهـذا وقد حكى ابن جـريـر عن بعضهم أن رسـول الله ﷺ سبـــق الصـديق في الذهـاب إلى غار ثـور ، وأمر عليـاً أن يدلـه على مسيره ليلحقـه ، فلحقه في أثنـاء الطريق . وهذا غريب جداً ، وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً .

قال ابن اسحاق : وكانت أسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ، قالت أسماء : ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قـريش فيهم ابو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا أين أبوك يـا ابنة أبي بكـر ؟ قالت قلت لا أدري والله أين أبي . قالت فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي ثم انصرفوا قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبـد الله بن الزبيـر أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبـو بكر معـه ، أحتمل أبـو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم ـ أو ستة آلاف درهم ـ فانطلق بها معه ، قالت فدخل علينا جدي أبو قحافة ـ وقد ذهب بصره ـ فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت قلت كلا يا ابة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت يا ابة ضع يدك على هـذا المال . قـالت فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذ كـان قد تـرك لكم هذا فقـد أحسن وفي هذا بـلاغ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

وقال ابن هشام : وحـدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن البصـري. قال : انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل ابو بكر قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ، يقي رسول الله ﷺ بنفســه . وهذا فيه انقطاع من طرفيه . وقد قال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن عمـرو الضبي ثنا نـافع بن عمـر الجمحي عن ابن أبي مليكة : أن النبي ﷺ لمّا خرج هو وأبـو بكر إلى ثـور ، فجعل أبـو بكر يكـون أمام النبي ﷺ مـرة ، وخـلفه مـرة ، فسألـه النبي ﷺ عـــن ذلك فقـال : إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمـامـك، وإذا

كنت أمامك خشيت أن تؤتي من خلفك . حتى إذا انتهى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنت حتى أدخل يدي فأحسه وأقصه فان كانت فيه دابة أصابتني قبلك . قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفا أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذي رسول الله ﷺ وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر أحمد بن اسحاق أنا موسى بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان بن مسلم ثنا السري بن يحيى ثنا محمد بن سيرين . قال : ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر . فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه . حتى فطن رسول الله ﷺ فقال : « يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي » ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني »؟ قال نعم والذي بعثك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء[1] لك الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الجحرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل . ثم قال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر . وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن عمر وفيه : أن أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله ﷺ تارة ، وخلفه أخرى . وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حفيت رجلا رسول الله ﷺ حمله الصديق على كاهله ، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجحرة كلها . وبقي منها جحر واحد ، فألقمه كعبه فجعلت الافاعي تنهشه ودموعه تسيل . فقال له رسول الله ﷺ : « لا تحزن إن الله معنا » وفي هذا السياق غرابة ونكارة. وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو . قالا : ثنا أبو العباس الاصم ثنا عباس الدوري ثنا اسود بن عامر شاذان ثنا اسرائيل عن الاسود عن جندب بن عبد الله . قال: كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار ، فأصاب يده حجر فقال :

إنْ أنتَ إلا أصبعٌ دَمِيَتْ وفي سَبيلِ الله ما لَقِيَت

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ﴾[2] قال: تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ

---

(١) استبرىء : اكتشف براءته اي خلوه من الأذى .

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٠ .

وقال بعضهم بل اقتلوه. وقال بعضهم بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك ، فبات عليٌّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا عليه ، فلما رأوا علياً رد الله عليهم مكرهم. فقالوا: اين صاحبك هذا ؟ فقال : لا ادري. فاقتفوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم . فصعدوا الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال. وهذا اسناد حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ .

[وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند ابي بكر حدثنا بشار الخفاف ثنا جعفر وسليمان[1] ثنا أبو عمران الجوني حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري. قال : انطلق النبي ﷺ وابو بكر إلى الغار. وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ وكانوا اذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل احد ، وكان النبي ﷺ قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي ﷺ : هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أئل[2] ولكن مخافة ان أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ : «يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا» وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد، وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار. وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلّى وروى هذا الرجل - اعني أبو بكر أحمد بن علي القاضي - [عن] عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى بن مطر عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر. قال لابنه : يا بني اذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه فانه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشيا][3].

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول :

نَسَجُ داودَ ما حمى صاحب الغا ... رِ وكان الفَخارُ للعنكبوت

وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضاً، وقد نظم ربك الصرصرى في شعره حيث يقول :

فغمّى عليه العنكبوتُ بِنسْجه ... وظلّ على البابِ الحَمامُ يَبيض

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا عمرو بن علي ثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسي - ويلقب عوين - حدثني أبو مصعب المكي .

(١) كذا في الأصل ولعله جعفر بن سليمان الضبعي من رجال الخلاصة .
(٢) ألَّ المريض والحزين ان وحن ورفع صوته عند المصيبة .
(٣) ما بين المربعين زيادة في النسخة الحلبية ، ولم نره في النسخة المصرية .

قال : أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك ، يذكرون أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله ﷺ وأمر الله حمامتين وحشيتين فاقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قدر مائتي ذراع قال الدليل - وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي - هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطىء منذ الليلة . حتى إذا أصبحن قال : انظروا في الغار، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قدر خمسين ذراعاً ، فاذا الحمامتان ترجع[1] فقالوا ما ردك أن تنظر في الغار ؟ قال رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمعها النبي ﷺ فعرف ان الله قد درأ عنهما بهما ، فسمت عليهما - أي برك عليهما - وأحدرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى. وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن ابراهيم وغيره عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعوين - باسناده مثله . وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين ، وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتفى لهم الأثر سراقة بن مالك المدلجي . وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه أن الذي اقتفى لهم الاثر كرز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الاثر والله أعلم . وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ إلاّ تنصروه فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا ثَانِيَ إِثْنَيْنْ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولَ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِيْنَتَه عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُوْدٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا السّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيْمٌ ﴾[2] يقول تعالى : مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول ﴿إلا تنصروه ﴾ أنتم فان الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره ﴿ إذ أخرجه الذين كفروا﴾من أهل مكةهارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره ولهذا قال:﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ أي وقد لجأا إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما ، وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات، وجعلوا لمن ردهما - أو أحدهما - مائة من الابل ، واقتصوا اثارهما حتى اختلط عليهم ، وكان الذي يقتص الاثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم كما تقدم ، فصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرون على باب الغار ، فتحاذى أرجهلم لباب الغار ولا يرونهما، حفظاً من الله لهما كما قال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا همام أنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه . قال

---

(١) يظهران هنا نقص معناه فرجع الدليل .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠ وما بعدها .

قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار. لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لابصرنا تحت قدميه؟ فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث همام به وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي ﷺ: «لو جاؤ نا من ههنا لذهبنا من هنا» فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه. وهذا ليس بمنكر حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك باسناد قوي ولا ضعيف. ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صح او حسن سنده قلنا به والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الفضل بن سهل ثنا خلف بن تميم ثنا موسى بن مطير القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه: يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فانه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية. ثم قال البزار: لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم.

قلت: وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك، وكذبه يحيى بن معين فلا يقبل حديثه. وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق ان الصديق قال في دخولهما الغار، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سراقة كما سيأتي شعراً. فمنه قوله.

قال النبي - ولم أجزعْ- يوقِّرني ... ونحنُ في سُدُفٍ[1] من ظُلمة الغار
لا تخشَ شيئاً فإنّ الله ثالثُنا ... وقد توكَّل لي منهُ بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن اسحاق فذكرها مطولة جداً، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير. قال فمكث رسول الله ﷺ بعد الحج - يعني الذي بايع فيه الانصار- بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ أو يحبسوه. أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ الآية. فأمر علياً فنام على فراشه، وذهب هو وأبو بكر، فلما اصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما. وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه، وان خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً، وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضاً وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل. قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد[2] لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة؛ فذكرت ما

---

(١) سُدُف: حُجُبٌ أو ظلام.

(٢) برك الغماد: بفتح الباء وكسرها وضم الغين وكسرها موضع باليمن وقيل وراء مكة بخمس ليال.

كان من رده لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر: فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . قالت والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين : « إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان . فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة. فقال له رسول الله ﷺ : « على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ : ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط ـ[1] أربعة أشهر ، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة اشهر . قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة : فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في حر الظهيرة ، فقال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال النبي ﷺ « أخرج من عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله . قال فإنه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت وأمي ، قال النبي ﷺ : « نعم »! قال أبو بكر : فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتيّ هاتين. فقال رسول الله ﷺ بالثمن . قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها[2] فربطت به على فم الجراب ، فلذلك سميت ذات النطاقين . قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج[3] من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، لا يسمع أمراً يكاد ان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام . ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة[4] من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل ـ وهو لبن منحتهما ورضيعهما ـ حتى [ينعق بها][5] عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدؤل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريتا ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال. وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل . قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن

---

(١) كذا بالاصلين والذي في النهاية السمر بضم الميم ضرب من شجر الطلح ، واما الخبط فهو ضرب الشجرة لتناثر ورقها .

(٢) النطاق : وسط الشيء .

(٣) يدلج : يسير ليلاً .

(٤) أي غنم فيها لبن وقد تقع المنحة على الهبة مطلقاً لا قرضاً ولا عارية .

(٥) الذي في الاصلين حتى سعوبها وفي النهاية نعق الراعي بالغنم ينعق اذا دعاها لتعود إليه .

جعشم . يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله او أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس. فقال يا سراقة إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم . ولكنك رأيت فلانا انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عالية ، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها ففرت بي حتى دنوت منهم ، فعثرت[1] بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي[2] فاستخرجت منها الازلام[3] فاستقسمت بها أضرهم أم لا ، فخرج الذي أكره . فركبت فرسي وعصبت لازلام فجعل فرسي يقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت[4] يدا فرسي في الأرض حتى بلغنا الركبتين ، فخررت عنها فأهويت ، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الازلام فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع . فلم يرداني ولم يسألاني إلا أن قالا اخف عنا . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم . ثم مضى رسول الله ﷺ

وقد روى محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالازلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضره، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالازلام ويخرج الذي يكره لا يضره . حتى ناداهم بالامان . وسأل ان يكتب له كتاباً يكون أمارة ما بينه وبين رسول الله ﷺ ، قال فكتب لي كتاباً في عظم ـ أو رقعة أو خرقة ـ وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف ، فقال له « يوم وفاء وبر ، أدنه » فدنوت منه وأسلمت قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم[5] وهذا الذي قاله جيد .

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى احداً من الطلب الا رده وقال : كفيتم هذا الوجه ، فلما

---

(١) عثرت : وقعت .
(٢) الكنانة : جعبة السهام .
(٣) الازلام : السهام .
(٤) ساخت : عاصت .
(٥) كذا في الاصل وفي سيرة ابن هشام .

ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة. جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي ﷺ وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . فخاف رؤساء قريش معرته ، وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم ، وكان سراقة أمير بني مدلج ورئيسهم، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ إليهم :

بني مدلجٍ إني أخافُ سفِيهكم سُراقَةُ مستغوٍ لنصرِ محمد
عليكم به ألاّ يفرّق جمعَكم فيصبحَ شتّى بعد عزٍّ وسؤدد[1]

قال فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل في قوله هذا :

أبا حكمٍ واللّهِ لو كنتَ شاهداً لأمرِ جوادي إذ تُسوّخ [2] قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً[3] رسولٌ وبرهانٌ فمن ذا يقاومه
عليكَ فكفَّ القومَ عنه فإنني أخالُ لنا يوماً ستبدو معالمه
بأمرٍ تودّ النصرَ فيه فإنهم وإنّ جميعَ الناسِ طرّاً[4] مسالمه

[وذكر[5] هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي اسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن اسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً] .

وقال البخاري بسنده إلى ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسى الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم[6] من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلا صوته : يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه . فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب

---

(١) سؤدد : كمال ورفعة ومجد .
(٢) تسوّخ : تعوض .
(٣) في المصرية : نبيٌ وبرهان فمن ذا بكاتمه .
(٤) طراً : كلها .
(٥) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .
(٦) اطم : بيت مرتفع ومحاط بسور من الحديد والاحجار .

راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين . وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة . فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » ، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما . ثم بناه مسجداً . فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ، وهو يقول حين ينقل اللبن :

هـذا الحِمـالُ لا حِمـالَ خَيْبَـر هـذا أبـرّ ربَّـنـا وأطـهَـر

ويقول :

لا هُـمَّ إن الأجـرَ أجـرُ الآخـره فـارحم الأنصارَ والمُهـاجِره[١]

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي . قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث ان رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات . هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم ، وله شواهد من وجوه أخر وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية ، ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أولاً فأولاً .

قال الإمام أحمد : حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العنقري ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب . قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر لعازب : مر البراء فليحمله إلى منزلي . فقال : لا حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فأدلجنا فاحثثنا[٢] يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت بصري هل أرى ظلاً نأوى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها : فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعي غنم ، فقلت لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجل من قريش ـ فسماه فعرفته ـ فقلت هل في غنمك من لبن ؟ قال نعم ! قلت هل أنت حالب لي ؟ قال نعم ! فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعي إداوة[٣] على فمها خرقة فحلب لي كثبة[٤] من اللبن فصببت

---

(١) كذا في الاصل وفي ابن هشام ان المسلمين كانوا يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة

اللهم ارحم الانصار والمهاجرة

وان رسول الله ﷺ يقول : لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم فإرحم المهاجرين والانصار .

(٢) إحتثثنا : جدينا في المسير .

(٣) أداوة : وعاء . .

(٤) الكثبة : من اللبن القليل منه وكل قليل جمعته من طعام وغيره عن النهاية .

على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ ، فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت ، ثم قلت هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال : « لا تحزن إن الله معنا » حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح ـ أو رمحين أو قال رمحين أو ثلاثة ـ قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ وبكيت ، قال لم تبكي ؟ [قلت] أما والله ما على نفسي أبكي ، ولكن أبكي عليك . فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال : « اللهم اكفناه بما شئت » فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك . فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لي فيها » ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا في الطرق على الاناجير[1] واشتد الخدم والصبيان وفي الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ﷺ ، جاء محمد ، قال وتنازع القوم أيهم ينزل عليه ، قال فقال رسول الله ﷺ : « أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك » فلما أصبح غدا حيث أمر . قال البراء : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بني فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، فقلنا ما فعل رسول الله ؟ قال هو على أثري ، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه . قال البراء : ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل أخرجاه في الصحيحين من حديث اسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا الخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق اسرائيل به .

وقال ابن اسحاق : فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له ،وأتتهما اسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاماً[2] فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاماً ثم علقتها به . فكان يقال لها ذات النطاقين لذلك .

قال ابن اسحاق : فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبي وأمي ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لا أركب بعيراً ليس لي » قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال : « لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به » قال كذا

---

(١) في النهاية : تلقته الناس على الاجاجير والاناجير ، يعني السطوح .

(٢) العصام : حبل يُشد به .

وكذا . قال : « أخذتها بذلك » قال هي لك يا رسول الله .

وروى الواقدي بأسانيده أنه عليه السلام أخذ القصواء[١] ، قال وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم . وروى ابن عساكر من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : وهي الجدعاء[٢] وهكذا حكى السهيلي عن ابن اسحاق أنها الجدعاء والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق فحدثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدها لطمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم . قالت: فمكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائه رفيقين حلّا خيمتي أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلا بالبرِّ ثم تروَّحا فأفلحَ من أمسى رفيقَ محمد
لِيَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتهم ومقعدُها للمؤمنينَ بمرصد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ ، وأن وجهه إلى المدينة .

قال ابن اسحاق : وكانوا أربعة ؛ رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقد[٣] كذا يقول ابن اسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الدؤلي . وكان إذ ذاك مشركاً .

قال ابن اسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما على أمج ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار[٤] ثم أجاز بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا ، ثم أجاز بهما مدلجة لقف ، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي العضوين ، ثم بطن ذي كشد ، ثم أخذ بهما على الجداجد ، ثم على الاجرد ، ثم سلك بهما

---

(١) القصواء : اسم الراحلة .

(٢) الجدعاء : اسم الراحلة ايضا .

(٣) كذا في الاصلين وفي ابن هشام عن ابن اسحاق في جميع المواضع ، عبدالله بن ارقط واستدرك علي بن اسحاق بقوله ويقال عبدالله بن اريقط .

(٤) في الاصلين الحرار وهي جمع الحرة والذي في ابن هشام الخرار بالخاء المعجمة وتشديد الراء موضع بالحجاز وقيل واد او ماء بالمدينة كما في المعجم لياقوت .

ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تِعهن ، ثم على العبابيد ، ثم أجاز بهما القاحة ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم ، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاماً يقال له مسعود بن هنيدة ، خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بها ثنية العائر عن يمين ركوبة ـ ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام ـ حتى هبط بهما بطن ريم ، ثم قدم بهما][1] قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها والله أعلم قال أبو نعيم : حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحاق عن السراج حدثنا محمد ابن عبادة بن موسى العجلي حدثني أخي موسى بن عبادة حدثني عبد الله بن سيار حدثني إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه . قال : لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله ﷺ لمن هذه الابل ؟» فقالوا لرجل من اسلم، فالتفت إلي أبوبكر فقال : « سلمت » . إن شاء الله ، فقال ما اسمك ؟ » قال مسعود ، فالتفت إلى أبي بكر فقال : «سعدت إن شاء الله » . قال فأتاه ابي فحمله على جمل يقال له ابن الرداء .

قلت : وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة واجتاز في مروره على أم معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة ، قال ابن هشام . وقال يونس عن ابن اسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم . وقال الأموي : هي عاتكة بنت تبيع حليف بني منقذ بن ربيعة بن اصرم بن صنبيس[2] بن حرام بن خيسة بن كعب بن عمرو ، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد ، واسمه أكتم بن عبد العزى ابن معبد بن ربيعة بن أصرم بن صنبيس ، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً .

وهذه قصة أم معبد الخزاعية . قال يونس عن ابن اسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم فأرادوا القرى[3] فقالت والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل[4] فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح

---

(١) ما بين المربعين سقط من النسخة المصرية .

(٢) كذا في الاصلين في المكانين وفي الاصابة خبيس مصغراً ذكر ذلك في ترجمة اخيها حبيش الاشعري والذي في السهيلي : عاتكة بنت خلد احدى بني كعب من خزاعة وهي اخت خبيش بن خلد وخلد الاشقر ابوهما وهو ابن حنيف بن منقد [بالدال المهملة] بن ربيعة بن اصرم بن خميس بن عرم بن حبيشه بن كعب بن عمرو .

(٣) القرى : الطعام .

(٤) الحائل : العازبة .

ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العس[1] حتى أرغى وقال : « اشربي يا أم معبد » فقالت اشرب فأنت أحق به فرده عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروح . وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه فقالوا أرأيت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدري ما تقولون ، قدمنا فتى حالب الحائل . قالت قريش : فذاك الذي نريد . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ثنا أبي عن أبيه عن جابر . قال : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار ، إذا في الغار حجر فألقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شيء . فأقاما في الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد فأرسلت إليه أم معبد إني أرى وجوهاً حساناً ، وإن الحي أقوى من كرامتكم مني ، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة ، فقال رسول الله ﷺ : « أردد الشفرة وهات لنا فرقا » يعني القدح فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد . قال هات لنا فرقا فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت فحلب فملأ القدح فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد . ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا بهذا الاسناد . وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدث عنه إلا يعقوب بن محمد وان كان معروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر الصديق . قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فانتهينا إلى حي من أحياء العرب ، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت منتحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت : يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معي أحد فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى ، قال فلم يجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها باعنز يسوقها فقالت يا بني انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمي اذبحا هذه وكلا وأطعمانا ، فلما جاء قال له النبي ﷺ : « انطلق بالشفرة وجئني بالقدح » قال إنها قد عزبت وليس بها لبن ، قال انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال انطلق به إلى أمك ، فشربت حتى رويت ، ثم جاء به فقال انطلق بهذه وجئني بأخرى . ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي ﷺ فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا . فكانت تسميه المبارك . وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة ، فمر أبو بكر فرأى ابنها فعرفه فقال يا

---

(١) العس : القدح او الاناء الكبير .

أمه هذا الرجل الذي كان مع المبارك . فقامت إليه فقالت : يا عبد الله من الرجل الذي كان معك ؟ قال أو ما تدرين من هو ؟ قالت لا ، قال هو نبي الله . قالت فأدخلني عليه . قال فادخلها فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاها ـ زاد ابن عبدان في روايته : ـ قالت فدلني عليه ، فانطلقت معي وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط[1] ومتاع الاعراب . قال فكساها وأعطاها . قال ولا أعلمه إلا قال وأسلمت . اسناد حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد ، والظاهر أنها هي والله أعلم . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر بن الحسن القاضي . قالا : ثنا أبو العباس الاصم ثنا الحسن بن مكرم حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي ثنا أبجر بن الصباح عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى ، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك ، وقالت لو كان عندنا شيء ما أعوذكم القرى ، وإذا القوم مرملون[2] مسنتون[3] . فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر خيمتها فقال « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟» فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال « فهل بها من لبن » قالت هي أجهد من ذلك . قال تأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بأناء لها يربض الرهط[4] فتفاجت[5] واجترت فحلب فيه ثجا حتى ملأه [وأرسله اليها] فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل ، حتى إذا رووا شرب آخرهم وقال « ساقي القوم آخرهم » ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا قال فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافا يتساوكن[6] هزلي لا نقي بهن[7] مخهن قليل فلما رأى اللبن عجب وقال من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاء عازب فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . فقال صفيه لي فوالله إني لاراه صاحب قريش الذي تطلب. فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبه ثجلة[8] ولم تزر به صعلة[9] قسيم وسيم في عينيه دعج ، وفي اشفاره وطف[10]، وفي صوته صحل[11] . أحول أكحل أزج أقرن في عنقه سطع وفي لحيته

---

(١) اقط : شيء من مخيض الغنم .
(٢) مرملون : رقاق .
(٣) مسنتون : مصابون بالجدب والقحط .
(٤) اي يشبع الجماعة حتى يربضوا عن السهيلي .
(٥) تفاحت : فرجت ما بين رحليها .
(٦) يتساوكن : يسرن سيراً خفيفاً .
(٧) النقي : المنح .
(٨) ثجلة : أي ضخم البطن ويرى بالنون والحاء أي نحول ودقة .
(٩) صعله : صغر الرأس عن النهاية .
(١٠) وطف : قليل من الشَعْر .
(١١) صحل : بحة وخشونة .

كثاثة . اذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحسنه من قريب . ربعة لا تنساه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قداً له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا لأمره . محفود [1] محشود لا عابس ولا معتد[2] فقال - يعني بعلها - : هذا والله صاحب قريش الذي تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولاجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول وهو يقول :

جزى الله رب النّاس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به[3] ... فافلح من أمسى رفيق محمد
فيالَ قصيّ ما زوى اللّهُ عنكم ... به من فِعَالٍ لا تُجارى وسؤدد
سلوا أختكَم عن شاتها وإنائها ... فإنّكمُ إن تسألوا الشاةَ تشهد
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلّبتْ ... له بصريحٍ ضرّةُ الشاةِ مزبد[4]
فغادره رهناً لديها لحالبٍ ... يدرّ لها في مَصدرٍ ثم مورد

قال وأصبح الناس - يعني بمكة - وقد فقدوا نبيهم، فاخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ قال وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيّهم[5] ... وقد سُر[6] من يَسْري إليهم ويَغْتدي
ترحّلَ عن قوم فزالتْ عقولهُم ... وحلَّ على قوم بنورٍ مجدد
[هداهم به بعد الضلالة ربُّهم ... وأرشدَهم من يتْبَعِ الحقَّ يرشد][7]
وهل يستوي ضُلّال قوم تسفَّهوا[8] ... عمًى وهداةً يهتدون بمهتد
نبي يرى ما لا يرى الناسُ حوله ... ويتلو كتابَ الله في كل مَشهد
وإن قال في يومٍ مقالة غائبٍ ... فتصديقُها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهنَّ أبا بكرٍ سعادةُ جِدّه ... بصُحْبته ، من يُسعِدِ اللّهُ يَسعد

---

(١) محمود : منصور .
(٢) في اصل المصرية ولا مفند وفي الحلبية مهمل من النقط والتصحيح من الخشني في غريب السيرة .
(٣) كذا بالاصلين وفي ابن هشام : هما نزلا بالبر ثم تروحا .
(٤) كذا بالمصرية والسهيلي والنهاية وفيها الضرة اصل الفرع وفي الحلبية لديه يضرع تره الشاه مزبد والتره كثرة اللبن .
(٥) الذي في السهيلي : غاب بدل زال .
(٦) في الاصلين وفي السهيلي وقد سر والذي في شرح السيرة للخشني : وقد سر وفسره بمعنى طهر .
(٧) هذا البيت زدناه من السهيلي ولم يرد في الاصل .
(٨) تسفهوا : كانوا اصحاب جهل .

ويهنِ بني كعبٍ مكــانُ فتـاتهم ومقعدُها للمسلمينَ بمـرصـد[1]

قـال ـ يعني عبـد الملك بن وهب ـ فبلغني أن أبـا معبـد أسلم وهـاجـر إلى النبي ﷺ . وهكذا روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي فذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك : بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ ثم رواه أبـو نعيم من طرق عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي عن أبيه محرز بن مهدي عن حرام بن هشـام ابن حبيش بن خـالد عن أبيـه عن جده حبيش بن خـالد صـاحب رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ حيـن أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكـر وعامـر بن فهيرة ودليلهمـا عبد الله بن أريقط الليثي فمروا بخيمة أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ، وذكر مثل ما تقدم سـواء . قال وحـدثناه ـ فيمـا أظن ـ محمد بن أحمـد بن علي بن مخلد ثنا محمـد بن يونس بن موسى ـ يعني الكديمي ـ ثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المـطلب ثنا محمد بن سليمان بن سليط الانصاري حدثني أبي عن أبيه سليط البدري . قال : لمـا خرج رسول الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلهم على الطريق ، مر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال : لها «يا أم معبد هل عندك من لبن »؟ قالت لا والله إن الغنم لعـازبة قـال فما هـذه الشاة ؟ قـالت خلفها الجهـد عن الغنم ؟ ثم ذكر تمـام الحديث كنحـو ما تقدم .

ثم قال البيهقي : يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة ، ثم ذكر قصة بقصة شـاة أم معبد الخزاعية فقال حدثنا أبو عبـد الله الحافظ ـ إمـلاء ـ حدثنـا أبو بكـر أحمد بن اسحـاق بن أيوب أخبرنا محمد بن غالب ثنا أبو الوليد ثنـا عبد الله بن إيـاد بن لقيط ثنا إيـاد بن لقيط عن قيس بن النعمان . قال لما انطلق النبي ﷺ : وأبو بكر مستخفين ، مروا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب ، غير ان ههنا عناقا حملت أول الشتاء، وقد أخدجت[2] وما بقي لهـا من لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجـن[3] فحلَب فسقي أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب : فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط . قال أو تراك تكتم علي حتى أخبرك ؟ قال نعم ! قال فأني محمد رسول الله . فقال أنت الذي تزعم قريش أنه صابىء ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك قال فاني أشهد أنك نبي . وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعـك. قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فـإذا بلغك أني قـدظهرت فـأتنا .ورواه ابـو يعلى الموصلي عن جعفر بن حميد الكوفي عن عبد الله بن إياد بن لقيط به . وقد ذكر أبـو نعيم ههنا قصـة عبد

---

(١) هذا البيت اورده السهيلي في الابيات التي قبلها ونسبها الى رجلٍ من الجن ولم يورده لحسان .

(٢) خدجت : القت ولدها قبل اوانه وإن كان تام الخلق ، واخدجت ولدته ناقص الخلق وان كان لتمام الحمل .

(٣) مجن : وعـاء .

الله بن مسعود فقال : حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعتبة بن أبي معيط بمكة، فأتى رسول الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال«يا غلام عندك لبن تسقينا»؟فقلت إني مؤتمن ولستُ بساقيكما ، فقالا هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت نعم ! فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع أقلص فقلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله ﷺ : « إنك غلام معلم » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد . فقوله في هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة ، إنما ذلك في بعض الاحوال قبل الهجرة. فان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها والله أعلم .

[(1) وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله - هو الزبيري - حدثني أبي عن فائد مولى عبادل قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد - وسعد هو الذي دل رسول الله ﷺ على طريق ركوبة(2) - فقال ابراهيم [أخبرني]ما حدثك أبوك ؟ قال ابن سعد : حدثني أبي ان رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر - وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة - وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغامر من ركوبة وبه لصان من أسلم يقال لهما المهانان . فان شئت أخذنا عليهما ، فقال النبي ﷺ : « خذ بنا عليهما » قال سعد فخرجنا حتى إذ أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه . هذا اليماني . فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الاسلام فأسلما ، ثم سألهما عن اسمائهما فقالا نحن المهانان فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدما عليه المدينة فخرجـ[نا] حتى إذا أتينا ظاهر قباء فتلقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله ﷺ «أين أبو أمامة أسعد بن زرارة »؟ فقال سعد بن خيثمة . إنه أصاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك ؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فاذا الشرب مملوء ، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل. رأيتني أنزل إلى حياض كحياض بني مدلج » انفرد به أحمد.

---

(1) ما بين المربعين اثبتناه من النسخة الحلبية وسقط من المصرية وهذا الاثر مروي في زوائد المسند عن عبدالله بن احمد من راويه القطيعي ونصه كما في جلد ٤ ص ٧٤ من النسخة المطبوعة بمصر حدثنا عبدالله حدثنا مصعب بن عبدالله هو الزبيري قال حدثني ابي عن فائد مولى عبادل ، قال خرجت مع ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبدالله بن ابي ربيعة فأرسل [إلى] ابراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى اذا كنا بالعرج اتانا ابن سعد وسعد هو الذي دل رسول الله ﷺ الخ .

(2) في الاصل ركونه بالنون وهو خطأ وركوبة ثنية بين مكه والمدينة عند العرج قرب جبل ورقان .

فصـــل :

في دخوله عليه السلام المدينة واين استقر منزله

قـد تقدم فيمـا رواه البخـاري عن الـزهـري عن عـروة أن النبي ﷺ دخـل المـدينـة عنـد الظهيرة .

قلت : ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في الصحيحين من حـديث اسرائيـل عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب عن أبي بكر في خديث الهجرة قال فقدمنا ليلا فتنـازعه القـوم أيهم ينـزل عليه ، فقـال رسول الله ﷺ : « أنـزل على بني النجـار أخـوال عبـد المـطلب أكـرمهم بذلك » وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حـال وصولـه إلى قرب المـدينة كان في حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلا ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلا ، فان العشى من الـزوال، وإما أن يكـون المراد بـذلك لمـا رخل من قبـاء كما سيأتي فسار فما انتهى إلى بني النجار الاعشاء كما سيأتي بيانه والله أعلم .

وذكر البخارى عن الـزهرى عن عـروة أنه نـزل في بني عمرو بن عـوف بقباء وأقـام فيهم بضع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء في تلك الايام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكـان مسجده ، وكـان مر بـداً لغلامين يتيمين وهمـا سهل وسهيـل، فابتـاعه منهمـا واتخذه مسجدا . وذلك في دار بني النجار رضي الله عنهم .

وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الـزبير [عن عـروة بن الزبيـر] عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي ﷺ قالوا : لما بلغنا مخرج النبي ﷺ من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهـر حرتنـا ننتظر النبي ﷺ فوالله ، ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجـد ظلا دخلنـا ـ وذلك في أيام حارة ـ حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنـا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلا صوته يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء ، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك ، وركبه الناس وما يعرفونـه من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخاري وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه . وقال الإمام أحمـد حدثنا هاشم ثنا سلمان عن ثابت عن أنس بن مالك قال : إني لأسعى في الغلمان يقولون جاء محمـد فأسعى ولا أرى شيئـاً ، ثم يقولـون جاء محمـد فأسعى ولا أرى شيئـاً ، قـال حتى جـاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر. فكمنا في بعض خراب المدينة ، ثم بعثا رجلا من أهل البـادية يؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائـة من الانصار حتى انتهـوا اليهما فقـالت الانصار :

انطلقا آمنين مطاعين. فاقبل رسول الله ﷺ : وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق[1] لفوق البيوت يتراءينه يقلن أيهم هو ، أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به . قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض . فلم أر يومين شبيهاً بهما ورواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بنحوه ـ أو مثله ـ وفي الصحيحين من طريق اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة . قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله . فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر . وقال البيهقي أخبرنا أبو عمرو الاديب أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي سمعت أبا خليفة يقول سمعت ابن عائشة يقول لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلعَ البدرُ علينا ... مِن ثَنيّات الوَداع
وجبَ الشكرُ علينا ... ما دعا لله داع

قال محمد بن اسحاق : فنزل رسول الله ﷺ فيما يذكرون يعني حين نزل ـ بقباء على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد ، ويقال بل نزل على سعد بن خيثمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم : إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزبا لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم . ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج .

قال ابن اسحاق : وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده ، ثم لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهدم فكان علي بن أبي طالب إنما كانت اقامته بقباء ليلة او ليلتين. يقول كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت انساناً يأتيها من جوف الليل فضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه ، فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل ابن حنيف ، وقد عرف أني امرأة لا أحد لي فإذا امسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءني

---

(١) العواتق : الحرائر الشريفات .

بها فقال أحتطبي بهذا ، فكان علي رضي الله عنه يأثر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك . وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن اسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانيعشرة ليلة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه . قال : أقام رسول الله ﷺ فينا ـ يعني في بني عمرو بن عوف بقباء ـ اثنتين وعشرين ليلة . وقال الواقدي : ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة .

قال ابن اسحاق : فادركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي ـ وادى رانوناء ـ فكان أول جمعة صلاها بالمدينة. فاتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . قال : «خلّوا سبيلها فانها مأمورة » لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازنت[1] دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا في العدد والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول هلم الينا إلى العدد والعدة والمنعة . قال « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار ـ وهم أخواله ـ دنيا أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم، اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن خارجة[2] في رجال من بني عدي بن النجار فقالوا يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة ؟ قال « خلوا سبيلها فأنها مأمورة » فخلوا سبيلها فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم وكان يومئذ مربداً لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار، وهما

---

(١) في المصرية : دارت وفي الحلبية وازت وفي ابن هشام وازنت .

(٢) كذا في الاصلين وفي الاصابة اسير بن عمرو بن قيس ابو سليط البدري وفي ابن هشام ابو سليط اسيرة بن ابي خارجة .

سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا في حجر معاذ بن عفراء .

قلت : وقد تقدم في رواية البخاري من طريق الزهري عن عروة أنهما كانا في حجر أسعد بن زرارة والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ مرّ في طريقه بعبد الله بن أبيّ بن سلول وهو في بيت . فوقف رسول الله ﷺ ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ـ وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم ـ فقال عبد الله أنظر الذين دعوك فانزل عليهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لنفر من الأنصار فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه : لقد منَّ الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا .

قال موسى بن عقبة : وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يَركب رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا[1] على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيما له وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ : « دعوها فانها مأمورة فإنما أنزل حيث أنزلني الله » فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه .

قال ابن اسحاق : لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت[2] ووضعت جرانها[3] فنزل عنها رسول الله ﷺ . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى ونزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار .

وستأتي قصة بناء المسجد قريبا إن شاء الله . وقال البيهقي في الدلائل وقال أبو عبد الله أخبرنا أبو الحسن علي بن عمرو الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدوري ثنا محمد بن سليمان بن اسماعيل بن أبي الورد ثنا ابراهيم بن صرمة ثنا يحيى بن سعيد عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس . قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : الينا يا رسول الله . فقال « دعوا الناقة فانها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب

---

(١) شحاً : نقصاً .

(٢) رزمت : بركت .

(٣) جران : جرن البعير برك ووضع اثقاله .

فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نحنُ جــوارٍ مـن بنـي النـجّـار   يـا حـبّــذا محـمــدٌ مِن جــارِ

فخرج اليهم رسول الله ﷺ فقال « أتحبونني ؟» فقالوا : أي والله يـا رسول الله . فقـال : « وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم » هذا حديث غريب من هـذا الوجـه لم يروه أحد من أصحاب السنن ، وقد خـرجه الحـاكم في مستدركـه كما يـروى . ثم قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنـا أبو القـاسم عبد الـرحمن بن سليمان النحـاس المقريء ببغـداد ثنا عمـر بن الحسن الحلبي حدثنـا أبو خيثمـة المصيصي ثنا عيسى بن يـونس عن عوف الأعـرابي عن ثمامـة عن أنس . قال : مـر النبي ﷺ بحي من بني النجار ، وإذا جـوار يضـربن بالدفوف يقلن :

نحن جــوار مـن بنـي النـجــار   يـا حبّــذا مـحـمـدٌ مـن جـارِ

فقال رسول الله ﷺ « يعلم الله أن قلبي يحبكم » ورواه ابن ماجه عن هشـام بن عمار عن عيسى بن يونس به . وفي صحيح البخاري عن معمر عن عبد الوارث عن عبد العـزيز عن أنس قـال رأى النبي ﷺ النساء والصبيـان مقبلين ـ حسبت أنه قـال من عرس ـ فقـام النبي ﷺ ممثـلا فقـال « اللهم أنتم من أحب الناس إلي » قـالها ثـلاث مرات . وقـال الامام أحمـد حدثنـا عبـد الصمد بن عبد الـوارث حدثني أبي حـدثني عبد العـزيز بن صهيب ثنـا أنس بن مالـك . قال : أقبل رسول الله ﷺ الى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ورسـول الله ﷺ شاب لا يعرف ، قال فيلقى الرجل أبـا بكر فيقـول : يا أبـا بكر من هـذا الرجـل الـذي بين يـديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، فيحسب الحاسب أنما يهديه الـطريق ، وإنما يعني سبيـل الخير . فالتفت أبو بكر فاذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يا نبـي الله هذا فارس قـد لحق بنا ، فالتفت رسول الله ﷺ فقال « اللهم اصرعه » فصرعته فرسه ثم قامت تحمحم ، ثم قـال : مرني يا نبي الله بما شئت . فقـال « قف مكانـك ولا تتركن أحـداً يلحق بنا » . قـال فكان أول النهـار جاهداً على رسول الله ﷺ ، وكان آخر النهار مسلحة له . قال فنزل رسول الله ﷺ جانب الحـرة ثم بعث الى الأنصار فجاؤوا فسلموا عليهما وقالوا اركبـا آمنين مطاعين . فـركب رسول الله ﷺ وأبـو بكر وحفـوا حولهمـا بالسـلاح ، وقيل في المـدينة : جـاء نبي الله ﷺ فاستشـرفوا نبي الله ينظرون اليه ويقولون : جاء نبي الله . قال فاقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب ، قـال فانه ليحـدث أهله اذ سمع بـه عبد الله بن سـلام وهو في نخـل لأهله يخترف لهم ، فعجـل أن يضـع الذي يخترف فيها فجـاء وهي معه ، وسمـع من نبي الله ﷺ ورجع إلى أهله ، وقـال نبي الله : أي بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب أنا يا نبي الله ، هـذه داري وهذا بـابي قال فـانطلق فهيىء لنا مقيلا ، فـذهب فهيأ ثم جـاء فقال يـا رسول الله قـد هيأت مقيـلا قومـا على بركـة الله

فقيلا ، فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبي الله حقا ، وأنك جئت بحق ولقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسلهم ، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئت بحق أسلموا » . فقالوا : ما نعلمه ، ثلاثا . وكذا رواه البخاري منفرداً به عن محمد غير منسوب عن عبد الصمد به[1] .

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم السماعي حدثني أبو أيوب . قال : لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فأظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل ، فقال « يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفل البيت » فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن . فلقد انكسر حب [2] لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة[3] لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه ، قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث اليه فاذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا ـ أو ثوما ـ فرده رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً ، قال فجئته فزعا فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ؟ فقال « إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي فاما أنتم فكلوه » قال فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد . وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب عن أبي الحسن ـ أو أبي الخير ـ مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم عن أبي أيوب فذكره . ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو عمرو الحيري ثنا عبد الله بن محمد ثنا أحمد بن سعيد الدارمي ثنا أبو النعمان ثنا ثابت بن يزيد ثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل في السفل وأبو أيوب في العلو فانتبه أبو أيوب فقال : نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ ! فتنحوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي ﷺ ـ يعني في ذلك ـ فقال : « السفل أرفق بنا » فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحول رسول الله ﷺ في العلو ، وأبو أيوب في السفل فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاما ، فاذا جيء به سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابع رسول الله ﷺ فصنع له طعاما فيه ثوم ،

---

(١) هكذا في الاصلين مقتضباً والخبر بطوله في البخاري في باب هجرة النبيﷺ واصحابه الى المدينة فراجعه .
(٢) حب : جره كبيرة او خابية .
(٣) قطيفة : دثار ..

فلما رد اليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ فقيل له لم يأكل ففزع وصعد اليه فقال أحرام ؟ فقال النبي ﷺ : « لا ولكني أكرهه » قال فاني أكره ما تكره ـ أو ما كرهت ـ قال وكان النبي ﷺ يأتيه الملك . رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به ، وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك قال : جيء رسول الله ﷺ ببدر[1] وفي رواية بقدر فيه خضروات من بقول ، قال فسأل فأخبر بما فيها فلما رآها كره أكلها ، قال : « كل فاني أناجي من لا تناجي » وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده ، وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها ، قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن ، فقلت أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاث والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر قال وبعث رسول الله ﷺ ـ وهو نازل في دار أبي أيوب ـ مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ليجئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع ، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله ﷺ .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا خلف ابن عمرو العكبري ثنا سعيد بن منصور ثنا عطاف بن خالد ثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يا رسول الله المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دعوها فانها مأمورة » ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت ، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فآوى إلى الظل فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل اليك فأنقل رحلك إلي ؟ قال نعم ! فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال يا رسول الله أين تحل ؟ قال « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله ﷺ في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد ، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه ، حيث نزل في داره رسول الله ﷺ ، وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ـ وكان ابن عباس نائباً عليها من جهة علي بن أبي طالب رضي الله

---

(1) اي بطبق ، شبه بالبدر في استدارته عن النهاية .

عنه ـ فخرج له ابن عباس عن داره حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله ﷺ في داره ، وملكه كل ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام بألف دينار وصلح ما وهي من بنيانها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة . وكذلك نزوله عليه السلام في دار بني النجار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعا كل دار محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهي كالقرى المتلاصقة ، فاختار الله لرسول الله ﷺ دار بني مالك بن النجار .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك . قال قال رسول الله ﷺ : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير » فقال سعد بن عبادة : ما أرى النبي ﷺ إلا قد فضل علينا فقيل قد فضلكم على كثير : هذا لفظ البخاري . وكذلك رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وأبي سلمة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، ومن حديث عبادة بن سهل عن أبي حميد عن النبي ﷺ بمثله سواء . زاد في حديث أبي حميد ؛ فقال أبو أسيد لسعد بن عبادة : ألم تر أن النبي ﷺ خير الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعد النبي ﷺ فقال : يا رسول الله خيرت دور الأنصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أوليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار » قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الانصار الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوهُم بإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُم جَناتٍ تجري تَحْتِها الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيْمُ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ والَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ والايْمَانَ مِنْ قَبْلِهِم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إليهِمْ وَلاَ يَجِدُوْنَ فِي صُدُوْرِهِم حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُوْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بهِمْ خَصَاصةٌ وَمَنْ يوق شُحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾[2] وقال رسول الله ﷺ : « لولا الهجرة لكنت أمرءاً من الانصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبهم ، الأنصار شعار والناس دثار[3] » وقال « الانصار كرشي وعيبتي » وقال « أنا سلم لمن سالمهم ، وحرب لمن حاربهم » وقال البخاري حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة حدثني عدي بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب يقول سمعت رسول الله ﷺ ـ أو قال قال رسول الله ﷺ ـ : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق . فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » وقد أخرجه بقية الجماعة

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٠ .

(٢) سورة الحشر الآية : ٩ .

(٣) دثار : غطاء .

إلا أبا داود من حديث شعبة به وقال البخاري أيضا حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا شعبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » ورواه البخاري أيضا عن أبي الوليد [و] الطيالسي ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدي أربعتهم عن شعبة به . والآيات والأحاديث في فضائل الأنصار كثيرة جداً . وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس المتقدم ذكره أحد شعراء الأنصار في قدوم رسول الله ﷺ اليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولاصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن اسحاق : وقال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أيضا يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام :

ثوى[1] في قريشٍ بضعَ عشْرة حجّةً	يذكِّر لو يَلقى صديقاً مواتيا
ويعرِضُ في أهلِ المواسم نفسَه	فلم يرَ من يؤوي ولم يرَ داعيا
فلما أتانا واطمأنّتْ به النوى[2]	وأصْبح مسروراً بِطيبةَ راضيا
وألفى صديقاً واطمأنّت به النوى	وكانَ له عوناً من الله باديا
يقصُّ لنا ما قالَ نوحُ لقومه	وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبحَ لا يخشى من الناس واحداً	قريباً ولا يخشى من الناس نائياً[3]
بذلْنا له الأموالَ من جُلْ[4] مالنا	وأنفسَنا عندَ الوغى[5] والتآسيا
نُعادي الذي عادى من الناس كلَّهم	جميعاً ولو كانَ الحبيبَ المواسيا
ونَعلمُ أن الله لا شيء غيره	وان كتابَ الله أصبحَ هاديا[6]
أقولُ إذا صلَّيتُ في كل بيعةٍ	حَنانَيْكَ لا تُظْهِرْ علينا الأعاديا
أقولُ إذا جاوزتُ أرضاً مُخيفةً	تباركتَ اسمَ الله أنت المواليا
فطأْ[7] مُعرِضا أن الحتوفَ[8] كثيرةٌ	وإنك لا تُبقي لنفسك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف سعيُهُ	إذا هو لم يجعلْ له الله واقيا
ولا تحفلُ النخلُ المعيمةُ[9] ربَّها	إذا أصبحتْ ريّا وأصبحَ ناويا

---

(١) ثوى : أقام .

(٢) والذي في ابن هشام : فلما أمشانا أظهر الله دينه .

(٣) كذا في المصرية وفي ابن هشام والذي في الحلبية : باغياً .

(٤) كذا في المصرية بالجيم ومعناه : العظام الكبار من الابل أو معظم كل شيء وفي الحلبية وابن هشام بالحاء المهملة .

(٥) الوغى : الحرب الشديدة .

(٦) والذي في ابن هشام : ونعلم ان الله أفضل هادياً وأيضاً في ابن هشام اختلاف بسيط عن هذه الرواية في بعض الأبيات .

(٧) طأ : دس ـ ادعس .

(٨) الحتوف : المنايا .

(٩) في الأصل (مقيمة) بالقاف والتصحيح عن الخشني .

ذكرها ابن اسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الزبير الحميدي وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عجوز من الأنصار قالت : رأيت عبد الله بن عباس يختلف الى صرمة بن قيس يروي هذه الأبيات . رواه البيهقي .

فصل :

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين ومعقلاً وحصناً منيعاً للمسلمين ، ودار هدى للعالمين والأحاديث في فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردها فيه إن شاء الله . وقد ثبت في الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليأرز[1] إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن شبابة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه . وفي الصحيحين أيضاً من حديث مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار. سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير[2] خبث الحديد »[3] وقد انفرد الامام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة . وقد قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالا ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو موسى الأنصاري ثنا سعيد بن سعيد حدثني أخي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم انك أخرجتني من أحب البلاد إليّ فاسكني أحب البلاد إليك » فأسكنه الله المدينة . وهذا حديث غريب جداً والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضم جسد رسول الله ﷺ ، وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ههنا ومحلها ذكرناها في كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى . وأشهر دليل لهم في ذلك ما قال الامام أحمد حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح بن كيسان عن الزهري به . وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل عن الزهري به . وقال الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه يونس عن الزهري به .

---

(١) أرَزَ : لجأ وتثبت .

(٢) الكير : زق ينفخ فيه الحداد .

(٣) جاء في النهاية : تنفي بالفاء تخرجه عنها من النفي ، وتنقى بالقاف من اخراج النقي وهو المسخ أو من التنقيه وهي افراد الجيد من الرديء .

ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، وحديث الزهري عندي أصح . قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة . قال : وقف رسول الله ﷺ على الحزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » وكذا رواه النسائي من حديث معمر به . قال الحافظ البيهقي وهذا وهم من معمر ، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة . وقال أحمد أيضاً حدثنا ابراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن أبي سلمة عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال وهو في سوق الحزورة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » ورواه الطبراني عن أحمد ابن خليد الحلبي عن الحميدي عن الدراوردي عن ابن أخي الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به . فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم والله أعلم .

وقائع السّنة الأولى من الهجرة

اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثماني عشرة - في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الاسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه صك - أي حجة - لرجل على آخر وفيه ؛ إنه يحل عليه في شعبان . فقال عمر : أي شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك . فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وكان الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلبس المقدوني فكره ذلك . وقال آخرون أرخوا بمولد رسول الله ﷺ وقال آخرون بل بمبعثه ، وقال آخرون بل بهجرته ، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام . فمال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخاري في صحيحه : التاريخ ومتى أرخوا التاريخ حدثنا عبد الله بن مسلم ثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد . قال: ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة .

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه . قال: استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة وقال أبو داود الطيالسي عن قرة بن خالد السدوسي[1] عن محمد بن سيرين قال : قام

---

(١) في المصرية عن فروة بن خالد السدوسي وفي الحلبية : فروة بن خالد عن السدي وصححناه من أنساب السمعاني .

رجل إلى عمر فقال أرخوا . فقال ما أرخوا ؟ فقال شيء تفعله الأعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا . فقال عمر : حسن فأرخوا ، فقالوا من أي السنين نبدأ ؟ فقالوا من مبعثه ، وقالوا من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا وأي الشهور نبدأ ؟ قالوا رمضان ، ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم .

وقال ابن جرير : حدثنا قتيبة ثنا نوح بن قيس الطائي عن عثمان بن محصن أن ابن عباس كان يقول في قوله تعالى : ﴿وَالفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[1] هو المحرم فجر السنة وروى عن عبيد بن عمير . قال : إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى البيت ، ويؤرخ به الناس ، ويضرب فيه الورق .

وقال أحمد : حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار قال : إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن ، وأن رسول الله ﷺ قدم المدينة في ربيع الأول وأن الناس أرخوا لأول السنة .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح عن الشعبي أنهما قالا : أرخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم ، ثم أرخوا من بنيان ابراهيم واسماعيل البيت ، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي . ثم أرخوا من الفيل، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة ـ أو ثماني عشرة ـ وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيده وطرقه في السيرة العمرية ولله الحمد ، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الاسلامي من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة .

وحكى السهيلي وغيره عن الامام مالك أنه قال: أول السنة الاسلامية ربيع الأول لأنه الشهر الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ .

[وقد استدل السهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[2] أي من أول يوم حلول النبي ﷺ المدينة ، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سني التاريخ عام الهجرة][3] ولا شك أن هذا الذي قاله الامام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام والله أعلم .

---

(١) سورة الفجر الأيتان الأولى والثانية .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٠٨ .

(٣) ما بين المربعين سقط من النسخة الحلبية .

فنقول وبالله المستعان : استهلت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة ، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية كما قدمنا في أوسط أيام التشريق وهي ليلة الثاني عشر من ذي الحجة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الأنصار وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ ، وحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه في الطريق كما قدمنا ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بسطه وتأخر علي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ بأمره ليؤدي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريباً من الزوال وقد اشتد الضحاء[1] .

قال الواقدي وغيره : وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول . وحكاه ابن اسحاق إلا أنه لم يعرج عليه ورجح أنه لاثنتي عشرةليلة خلت منه ، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور . وقد كانت مدة اقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال ، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبي حمزة الضبي عن ابن عباس . قال : بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة . وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن معمر عن روح بن عبادة عن زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة . وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبي أنس بن قيس :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا

وقال الواقدي عن ابراهيم بن اسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد بقول صرمة :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدي خمس عشرة حجة ، وهو قول غريب جداً ، وأغرب منه ما قال ابن جرير : حدثت عن روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة قال : نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثماني سنين بمكة ، وعشراً بالمدينة . وكان الحسن يقول : عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة ، وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس . قال : أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشراً وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال : قرن اسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين

(١) الضحاء قريباً من نصف النهار والضحوة ارتفاع أول النهار ، والضحى ما بين ذلك .

يلقى إليه الكلمة والشيء وفي رواية يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي والله أعلم .

فصــل :

ولما حل الركاب النبوي بالمدينة ، وكان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف وهي قباء كما تقدم فأقام بها ـ أكثر ما قيل ـ ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثماني عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال . والأشهر ما ذكره ابن اسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسس في هذه المدة المختلف في مقدارها ـ على ما ذكرناه ـ مسجد قباء ، وقد ادعى السهيلي أن رسول الله ﷺ أسسه في أول يوم قدم إلى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾ ورد قول من أعربها من تأسيس أول يوم ، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1] كما تكلمنا على تقرير ذلك في التفسير وذكرنا الحديث الذي في صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه . وذكرنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا حسن بن محمد ثنا أبو إدريس ثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به ؟ » قالوا : والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا . وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه وله شواهد أخر . وروى عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس. وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن ابراهيم بن أبي ميمونة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾[2] قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية . ثم قال الترمذي غريب من هذا الوجه .

قلت : ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم . وممن قال بأنه المسجد الذي أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير . ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحكى عن الشعبي والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير وعطية العوفي

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة التوبة الاية : ١٠٨ .

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم . وقد كان النبي ﷺ يزوره فيما بعد ويصلي فيه ، وكان يأتي قباء كل سبت تارة راكباً وتارة ماشياً وفي الحديث : « صلاة في مسجد قباء كعمرة » وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبلة مسجد قباء، فكان هذا المسجد أول مسجد بني في الاسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة . واحترزنا بهذا عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لأن ذاك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم . وقد تقدم اسلام سلمان في البشارات ، أن سلمان الفارسي لما سمع بقدوم رسول الله ﷺ [إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقباء قال هذا صدقة فكف رسول الله ﷺ فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله][1] .

فصــل :

في اسلام عبد الله بن سلام

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن زرارة عن عبد الله بن سلام . قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل[2] الناس ، فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب . فكان أول شيء سمعته يقول : « افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام » ورواه الترمذي وابن ماجة من طرق عن عوف الاعرابي عن زرارة بن أبي أوفى به عنه . وقال الترمذي صحيح . ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبي ﷺ ورآه أول قدومه حين أناخ بقباء في بني عمرو بن عوف . وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبي أيوب عند ارتحاله من قباء إلى دار بني النجار كما تقدم ؛ فلعله رآه أول ما رآه بقباء ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار والله أعلم وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبي ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في . فأرسل نبي الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فاسلموا » قالوا ما نعلمه . قالوا [ذلك] للنبي

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبية .
(٢) انجفل : تراجع وهرب مسرعاً .

ﷺ قالها ثلاث مرار . قال : « فأي رجل فيكم عبد الله »[١] بن سلام ؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : أفرأيتم إن أسلم ، قالوا حاش الله ما كان ليسلم . قال : « يا ابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت. فاخرجهم رسول الله ﷺ هذا لفظه .
وفي رواية فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا : شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه فقال : يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف. وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن اسحاق الصنعاني ثنا عبد الله بن أبي بكر ثنا حميد عن أنس . قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبي ﷺ ـ وهو في أرض له ـ فأتى النبي ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ؛ ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهن جبريل آنفاً » قال جبريل ؟ قال : « نعم ! » قال عدو اليهود من الملائكة. ثم قرأ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَـزَّلَهُ عَلَى قَلْبِـكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢] قال : « أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . يا رسول الله إن اليهود قوم بهت[٣] وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني . فجاءت اليهود . فقال : « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : « أرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا أعاذه الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه . قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله[٤] ورواه البخاري عن عبد بن منير[٥] عن عبد الله بن أبي بكر به . ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به .

قال محمد بن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله بن سلام . قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم ـ وكان حبرا عالما ـ . قال : لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته و [زمانه] الذي كنا نتوكف[٦] له ، فكنت بقباء مسراً بذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله ﷺ ، المدينة فلما

---

(١) كذا في الأصلين وفي ابن هشام الحصين بن سلام

(٢) سورة البقرة الآية ٩٧ .

(٣) بهُت : مفترون .

(٤) الحديث خرجه البخاري قبيل باب اتيان اليهود النبيﷺ حين قدم المدينة وفيه اختلاف في السياق عن هنا وقد رواه عن حامد بن عمر ـ الخ .

(٥) كذا في الأصلين عبد بن منير ولعله تصحيف عبد بن حميد .

(٦) نتوكف : ننتظر ـ أو نتعرض له حتى نلقاه .

قدم نزل بقباء في بني عمرو بن عوف . فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت ، فقالت عمتي حين سمعت تكبيري : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت ، قال قلت لها أي عمه . والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . قال فقالت له : يا ابن أخي أهو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال قلت لها نعم ! قالت فذاك إذاً . قال فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا وكتمت اسلامي من اليهود وقلت : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك فتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامي فانهم إن يعلموا بذلك بهتوني وعابوني ، وذكر نحو ما تقدم . قال فأظهرت اسلامي واسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثني محدث عن صفية بنت حيي قالت : لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب اليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط أهش اليهما الا أخذاني دونه . ، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء ـ قرية بني عمرو بن عوف ـ غدا اليه أبي وعمي أبو ياسر ابن أخطب (مغلسين)[1] ، فوالله ما جاآنا إلا مع مغيب الشمس ، فجاآنا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلي واحد منهما ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال نعم والله ! قال تعرفه بنعته وصفته ؟ قال نعم والله ! قال فماذا في نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت . وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم أطيعون فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون، فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيي بن أخطب ـ وهو يومئذ سيد اليهود ، وهما من بني النضير ـ فجلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه ـ وكان فيهم مطاعا ـ فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك ، قال لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه حيي بن أخطب[2] فلا أدري ما آل اليه أمره ، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيى فشرب عداوة النبي ﷺ وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبراً بين يدي رسول الله ﷺ يوم قتل مقاتلة بني قريظة كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) مغلسين : سائرين في الليل .
(٢) كذا في الأصلين في كتب السيرة انهم كانواثلاثة حيى بن أخطب ، وأبو ياسر بن أخطب والثالث هو جدي بن أخطب .

فصـــل :

ولما ارتحل عليه السلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يـوم الجمعة أدركـه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلى بـالمسلمين الجمعة هنـالك ، في واد يقـال له وادي رانوناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينـة ، أو مطلقـا لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة واعـلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه .

ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ

قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عـوف رضي الله عنهم : « الحمد لله أحمـده واستعينـه ، وأستغفـره واستهـديـه ، وأومن بـه ولا أكفـره ، وأعادي من يكفـره وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شـريـك لـه ، وأن محمـداً عبـده ورسـوله أرسله بـالهدى ودين الحق والنـور والموعـظة على فترة من الـرسـل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنـو من الساعـة ، وقرب من الأجـل . من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخـرة ، وأن يأمـره بتقوى الله ، فـأحذروا مـا حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرى . وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة ، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الـذي بينه وبين الله من أمـر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكـرا في عاجـل أمره وذخـراً فيما بعـد الموت حين يفتقـر المرء إلى مـا قدم ، ومـا كان من سـوى ذلـك يـود لـو أن بينـه وبينـه أمـداً بعيـداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤ وف بالعباد . والذي صدق قوله ، وأنجز وعده ، لا خلف لذلك فانه يقول تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أنا بِـظَلَّامٍ لِلعَبِيْدِ ﴾[1] ﴿ واتقـوا الله في عاجـل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه﴾ ﴿ مَنْ يَتَّقِ الله يُكَفِّرْ عَنْـهُ سَيِّئَاتِـهِ وَيُعَظِّمْ لَـهُ أَجْراً ﴾[2] ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولـه فَقَـدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3] وإن تقـوى الله توقـى مقته ، وتوقـى عقوبته ، وتوقــى سخطه . وإن تقوى الله تبيض الوجه ، وترضي الـرب ، وترفـع الدرجـة ، خذوا بحـظكم ولا تفرطـوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقـوا وليعلم الكاذبين فـاحسنوا كمـا أحسن الله إليكم ، وعـادوا أعـداءه وجـاهـدوا في الله حق جهـاده هـو اجتبـاكم وسمـاكم

---

(1) سورة قاف الآية : ٢٩ .

(2) سورة الطلاق الآية ٥

(3) سورة الأحزاب الآية : ٧١ .

المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » هكذا أوردها ابن جرير وفي السند ارسال .

وقال البيهقي : باب ـ أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة ـ .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس ابن بكيرعن ابن اسحاق حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان والأخنس بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن[1] أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ـ ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله[2] ورحمة الله وبركاته » ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال : « أن الحمد لله أحمده واستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ، إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم [ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم] فانه من[3] يختار الله ويصطفي فقد سماه خيرته من الأعمال وخيرته من العباد ، والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكث[4] عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وهذه الطريق أيضا مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ .

---

(١) صعق : وقع مغشيا عليه .

(٢) وفي ابن هشام والسلام عليكم وعلى رسول الله .

(٣) كذا في المصرية وفي الحلبية فإنه من كل مختار الله وفي ابن هشام ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ، وما بين المربعين من ابن هشام .

(٤) يُنكث : يخَان ويُغْدر به .

فَصــل :

في بناء مسجده الشريف ومقامه بدار أبي أيوب

وقد اختلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره أقل من شهر والله أعلم . قال البخاري حدثنا اسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد قال سمعت أبي يحدث فقال حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبي حدثنا أنس بن مالك . قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا متقلدي سيوفهم ، قال وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه[1] ، وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب ، قال فكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم ، قال ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا فقال « يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا » فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل ، قال فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادتيه حجارة ، قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون[2] ، ورسول الله ﷺ معهم يقول[3] « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فانصر الأنصار والمهاجرة » وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد . وقد تقدم في صحيح البخاري عن الزهري عن عروة أن المسجد الذي كان مربداً ـ وهو بيدر التمر ـ ليتيمين كانا في حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل ، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجدا . قال وجعل رسول الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب :

هـذا الحمـال لا حمـال خيبـر ... هـذا أبـر ربـنـا وأطـهـر

ويقول :

لا هم إن الأجـر أجـر الآخـرة ... فـارحم الأنصار والمهـاجـره

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلا له في بياضة ، قال وقيل ابتاعه منهما رسول الله ﷺ .

---

(١) الردف : التابع .

(٢) يرتجزون : يقولون الشعر رجزاً .

(٣) وفي البخاري : ورسول الله ﷺ معهم يقولون الخ .

قلت : وذكر محمد بن اسحاق أن المربد كان لغلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو فالله أعلم .

وروى البيهقي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسن بن حماد الضبي ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن . قال : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن[1] حتى أغبر صدره ، فقال « ابنوه عريشا كعريش موسى » فقلت للحسن : ما عريش موسى ؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش - يعني السقف - وهذا مرسل . وروي من حديث حماد بن سلمة عن أبي سنان عن يعلى بن شداد بن أوس عن عبادة أن الأنصار جمعوا مالا فأتوا به النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد ؟ فقال : « ما بي رغبة عن أخي موسى ، عريش كعريش موسى » وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال أبو داود حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الله ابن موسى عن سنان عن فراس عن عطية العوفي عن ابن عمر أن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل ، أعلاه مظلل بجريد النخل . ثم إنها تخربت في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع وبجريد النخل ، ثم انها تخربت في خلافة عثمان فبناها بالآجر ، فما زالت ثابتة حتى الآن . وهذا غريب وقد قال أبو داود أيضا حدثنا مجاهد بن موسى حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثني أبي عن أبي صالح ثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن . وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد النبي ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا . وغيره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة[2] وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج[3] وهكذا رواه البخاري عن علي بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم به .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولا قوله ﷺ : « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يغيروه بعده ، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال اليه ، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

---

(١) اللبن : الحجارة .

(٢) القصة : هي الجص كما في النهاية .

(٣) في المصرية بالسلاح وفي الحلبية بالساح تصحيف والساج الواح من الشجر .

قال ابن اسحاق : ونزل رسول الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه . فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه . فقال قائل من المسلمين :

لئنْ قعدْنا والنبيُّ يعملُ ... لَذاك منّا العمل المضلّل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة ... اللهم ارحمِ الأنصارَ والمُهاجره

فيقول رسول الله ﷺ « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » قال فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال : يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون . قالت أم سلمة فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته[1] بيده ـ وكان رجلا جعدا ـ وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما يقتلك الفئة الباغية » وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن اسحاق وبين أم سلمة وقد وصله مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن ـ يعني ابني أبي الحسن البصري ـ عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ : « تقتل عمار الفئة الباغية » ورواه من حديث ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت : لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كل واحد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ فمسح ظهره . وقال « ابن سمية ، للناس أجر ولك أجران ، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية » وهذا اسناد على شرط الصحيحين . وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري . قال : كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين . فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن . لكن روى هذا الحديث الامام البخاري عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء ، وعن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء به إلا أنه لم يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية .

قال البيهقي : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبي نضرة عن أبي سعيد [قال أخبرني من هو خير مني أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق ، جعل

---

(١) الوفرة : ما سال من الشعر على الأذنين .

يمسح رأسه ويقول : «بؤس ابن سمية ثعلية تقتله فئة باغية » وقد رواه مسلم أيضاً من حديث شعبة عن أبي مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد][1] قال حدثني من هو خير مني - أبو قتادة - أن رسول الله قال لعمار بن ياسر «بؤسا لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة ، وعمار - ناقه من وجع كان به - فجعل يحمل لبنتين لبنتين قال أبو سعيد فحدثني بعض أصحابي ان رسول الله ﷺ كان ينفض التراب عن رأسه ويقول : «ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية » . قال البيهقي : فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه . قال ويشبه أن يكون قوله الخندق وهما أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق والله أعلم .

قلت : حمل اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه . وقد كان عليّ أحق بالأمر من معاوية . ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم لانهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيبا بل المصيب له أجران والمخطىء له أجر ، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية - لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة - فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم. وأما قوله يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، فان عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الالفة واجتماع الكلمة . وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، وأن يكون الناس أو زاعا على كل قطر أمام برأسه ، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم وناشيء عن مسلكهم ، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم. وسيأتي تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه والمقصود ههنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل حدثنا أبو عبد الله الحافظ املاء ثنا أبو بكر بن اسحاق أخبرنا عبيد بن شريك ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك اخبرنا حشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ . قال : جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه . فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء ولاة

(١) ما بين المربعين عن الحلبية فقط .

الأمر بعدي ». ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حشرج عن سعيد عن سفينة . قال : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع حجراً . ثم قال « ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء الخلفاء من بعدي » وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً ، والمعروف ما رواه الإمام أحمد عن أبي النضر عن حشرج بن نباتة العبسي[1] وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال سمعت رسول الله يقول : «الخلافة ثلاثون عاما ، ثم يكون من بعد ذلك الملك » ثم قال سفينة أمسك ، خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة علي ست سنين ، هذا لفظ أحمد . ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن جمهان ، وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عضوضا » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول من بنى منبر يخطب الناس عليه ، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستنداً إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل اليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده ، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضي الله عنهم . وما أحسن ما قال الحسن البصري بعد ما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك: يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه ، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه ؟ ! .

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان رجل من بني خدرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدري هو مسجد رسول الله ﷺ وقال العمري هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال : هو هذا المسجد » لمسجد رسول الله وقال « في ذلك خير كثير » يعني مسجد قباء. ورواه الترمذي عن قتيبة عن حاتم بن اسماعيل عن أنيس عن أبي يحيى الاسلمي به وقال حسن صحيح . وروى الإمام أحمد عن اسحاق بن

(١) كذا بالأصل وهو حشرج بن نباتة الأشجعي .

عيسى عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه . قال تمارى[1] رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى، وذكر نحو ما تقدم . وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخراط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبي سعيد كيف سمعت أباك في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال أبي أتيت رسول الله ﷺ فسألته عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ كفا من حصباء فضرب به الارض . ثم قال: «هو مسجدكم هذا » وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد . قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد في الذي اسس على التقوى . فقال أحدهما هو مسجد رسول الله ﷺ وقال الآخر هو مسجد قباء ، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه فقال «هو مسجدي هذا » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب ان النبي ﷺ قال: « المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا » فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول ﷺ وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير . وقال آخرون لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قباء كما تقدم بيانه ، وبين هذه الاحاديث . لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة . من ذلك لان هذا أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال اليها كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ مسجدي هذا والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وذكرها . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وفي مسند أحمد بأسناد حسن زيادة حسنة وهي قوله «فان ذلك أفضل » وفي الصحيحين من حديث يحيى القطان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » والاحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردها في كتاب المناسك من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناه ابراهيم ، وهذا بناه محمد ﷺ ، ومعلوم أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام. وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل لأنه في بلد حرمه الله يوم

---

(١) تمارى : اختلف .

خلق السموات والأرض، وحرمه ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين. فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

فصـــل :

وبنى لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولاهله وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبي الحسن البصري ـ وكان غلاما مع امه خيرة مولاة أم سلمة ـ لقد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي ﷺ بيدي : قلت : الا أنه قد كان الحسن البصري شكلاً ضخماً طوالا رحمه الله .

وقال السهيلي في الروض : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة[1] وسقوفها كلها من جريد . وقد حكى عن الحسن البصري ما تقدم. قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر. قال وفي تاريخ البخاري أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافير ، فدل على أنه لم يكن لابوابه حلق. قال وقد اضيفت الحجر كلها بعد موت أزواج رسول الله ﷺ إلى المسجد . قال الواقدي وابن جرير وغيرهما : ولما رجع عبد الله ابن أريقط الدؤلي إلى مكة بعث معه رسول الله ﷺ وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله ﷺ ليأتوا بأهاليهم من مكة وبعثا معهم بحملين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلا من قديد ، فذهبوا فجاؤ ا ببنتي النبي ﷺ فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة ، وأمها أم رومان وأهل النبي ﷺ وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل في أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول : واعروساه ، وابنتاه قالت عائشة : فسمعت قائلاً يقول أرسلي خطامه ، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسلمنا الله عز وجل . فتقدموا فنزلوا بالسنح[2] . ثم دخل رسول الله ﷺ بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي ، وقدمت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهي حامل متم بعبد الله بن الزبير كما سيأتي بيانه في موضعه من آخر هذه السنة .

فصـــل :

فيما اصاب المهاجرين من حمىّ المدينة

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن وهب بن يوسف ثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك[3] أبو بكر وبلال ، قالت فدخلت

---

(١) مرضومة : مصفوفة بعضها فوق بعض . والرضام من الجبل دون الهضاب .

(٢) السنح : جهة اليمين .

(٣) عك : اصابته حمى .

عليهما فقلت يا أبة كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئٍ مصبح في أهله والموتْ أدنى من شِراكِ نَعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته[1] ويقول :

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً بوادٍ وحولي اذخُر وجَليل[2]
وهل أرِدن يوماً مياهَ مجنّةٍ وهلْ يبدوَنْ لي شامةُ وطَفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فاخبرته فقال « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً. وفي رواية البخاري له عن أبي اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول : اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء . فقال رسول الله ﷺ : «اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة » قالت وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، وكان بطحان يجري نجلا[3] - يعني ماء آجنا - وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى فاصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى فدخلت عليهم أدعوهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت كيف تجدك يا أبه ؟ فقال :

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت والله ما يدري أبي ما يقول، قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك يا عامر ؟ قال:

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذوقِهِ إن الجبانَ حتفُه من فوقه
كل امرىء مجاهدٌ بطوّقه كالثورِ يحمي جِلدَه بِرَوْقه[4]

---

(١) العقيرة : القفا والمؤخرة .

(٢) الجليل : الثام اذا عظم وجل ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

(٣) نجلا : برا وهو الماء القليل كذا في النهاية .

(٤) روقه : محارى . قرنه .

قـال فقلت والله ما يـدري ما يقـول، قالت وكـان بلال إذا أدركتـه الحمى اضطجـع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليتَ شعـري هـل أبيتـنّ لـيلةً بـفـخٍّ وحـوْلـي إذخـر وجـليـل
وهـل أرِدَنْ يـومـاً مـيـاه مـجـنّـةٍ وهـلَ يـبـدَوَن لي شـامـةٌ وطَـفيـل

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم وقلت إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال : «اللهم حبب الينـا المدينـة ، كما حببت الينـا مكة أو أشـد، وبارك لنـا في مدها وصـاعها ، وانقـل وباءهـا إلى مهيعة » ومهيعـة هـي الجحفـة[1] . وقـال الإمام أحمـد: حدثنا يـونس ثنا ليث عن يزيـد بن أبي حبيب عن أبي بكر بن اسحـاق بن يسار عن عبـد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قالت لما قدم رسول الله ﷺ المـدينـة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنت عائشـة رسول الله ﷺ فـي عيـادتهـم فاذن لهـا ، فقالت لابي بكر كيف تجدك ؟ فقال:

كـل امـرىء مـصـبـح فـي أهـلـه والـمـوت أدنى مـن شـراك نـعـلـه

وسألت عامراً فقال :

إنـي وجـدت الـمـوت قـبـل ذوقـه إن الجبـان حـتفـه[2] مـن فـوقـه

وسألت بلالاً فقال :

يـا لـيت شعـري هـل أبيتـن لـيلة بـفـخ وحـولـي إذخر وجـليـل

فأتت رسول الله ﷺ ـ فأخبرته ، فنظر إلى السمـاء وقال : « اللهم حبب الينا المدينـة كما حببت الينا مكة أو أشد؛ اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها ، وانقل وباءها إلى مهيعـة ، وهي (الجحفة) فيما زعموا وكذا رواه النسائي عن قتيبة عن الليث به ورواه الإمام أحمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله . وقـال البيهقي: أخبرنـا أبو عبـد الله الحافظ وأبـو سعيد بن أبي عمرو . قالا : ثنـا أبو العبـاس الاصم حدثنـا أحمد بن عبـد الجبار ثنا يونس بن بكيـر عن هشام بن عروة عن أبيـه عن عائشـة قالت : قـدم رسول الله ﷺ المـدينة وهي أوبـأ أرض الله ، وواديها بطحان نجل . قال هشام : وكـان وباؤهـا معروفـاً في الجاهليـة، وكان إذا كـان الوادي وبيئا فاشرف عليها الانسـان قيل لـه أن ينهق نهيق الحمار، فـاذا فعل ذلـك لم يضره وبـاء ذلك الوادي وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

---

(١) الجحفة : اسم مكان .

(٢) حتفه : موته .

لعمري لئنَ عبرتَ من جِيفة الردى نهيق الحمارِ انني لجَزوع

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قال : «رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة ـ وهي الجحفة فأولتها ان وباء المدينة نقل إلى مهيعة ـ وهي الجحفة ـ » هذا لفظ البخاري ولم يخرجه مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة من حديث موسى بن عقبة . وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة ، فذكر الحديث بطوله الى قوله وانقل حماها الى الجحفة قال هشام : فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى ورواه البيهقي في دلائل النبوة . وقال يونس عن ابن اسحاق : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة[1] . فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك ، وصرب الله ذلك عن نبيه ﷺ وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعني مكة ـ عام عمرة القضاء . فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قدوهنهم حمى يثرب ! فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه ان يرملوا الأشواط كلها إلا الابقاء عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة فاما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل . أو أنهم بقوا في خمار وما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم وقال زياد عن ابن اسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله : لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا وما يصلون إلا وهم قعود، قال فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك فقال لهم : «اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » فتجشم[2] المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل .

فصل :

في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقررهم عليها وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بخت نصر حين دوخ بلاد المقدس فيما ذكره الطبري . ثم لما كان سيل العرم

---

(١) وبيئة : مصابة بالوباء .

(٢) تجشم : تكلف على مشقة .

وتفرقت شذر مذر نزل الأوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء لكن منَّ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والاسلام وخذل أولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق .

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا عاصم الأحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك . وقد رواه الامام أحمد أيضاً والبخاري ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الأحول عن أنس بن مالك . قال : حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري . وقال الامام أحمد : حدثنا نصر بن باب عن حجاج ـ هو ابن أرطاة ـ قال وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن النبي ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين . قال أحمد وحدثنا سريج ثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن قاسم عن ابن عباس مثله . تفرد به الامام أحمد ، وفي صحيح مسلم عن جابر . كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقولة . وقال محمد بن اسحاق : كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار بني ساعدة ، وبني جشم ، وبني النجار ، وبني عمرو بن عوف ، وبني النبيت ، إلى أن قال وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل ، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً ، وإن المؤمنين يبيء[2] بعضهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على

---

(١) المفرح : المثقل بالدين الكثير العيال (ابن هشام) .

(٢) يبيء : من البواء أي المساواة .

أحسن هدى وأقومه ، وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اغتبط مؤمناً قتلا عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ[١] إلا نفسه وأهل بيته ، وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، ولا ينحجر[٢] على ثار جرح ، وإنه من فتك فبنفسه إلا من ظلم ، وإن الله على أثر هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الاثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرام حرفها[٣] لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وإن الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى » كذا أورده ابن اسحاق بنحوه . وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول .

فصل :

في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار

كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ

---

(١) لا يوتغ : أي لا يوبق ويهلك .

(٢) في النهاية لما تحجر جرحه للبرء انفجر أي اجتمع والتأم وفي ابن هشام ينحجز بالزاي ولعلها تصحيف .

(٣) كذا في المصرية . وفي الحلبية خوفها ، وفي ابن هشام جوفها وفي النهاية الجرف موضع قريب من المدينة ولعله الأصح .

شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُوْنَ﴾[1] وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْداً﴾[2] .

قال البخاري : حدثنا الصلت بن محمد ثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولكل جعلنا موالى) قال : ورثة ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمة للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم ، فلما نزلت ﴿ولكل جعلنا موالى﴾ نسخت ثم قال : ﴿والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ من النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصي له . وقال الامام أحمد قرىء على سفيان سمعت عاصماً عن أنس قال : حالف النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا قال سفيان : كأنه يقول آخى .

وقال محمد بن اسحاق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - « تآخوا في الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : « هذا أخي » فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين . قال ابن هشام : كان جعفر يومئذ غائباً بأرض الحبشة . قال ابن اسحاق : وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين . ويقال بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين ، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين ، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الأشهل أخوين . ويقال بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين .

قلت : وهذا السند[3] من وجهين . قال : وأبو ذر برير بن جنادة[4] والمنذر بن عمرو المعتق ليموت أخوين ، وحاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان وأبو الدرداء

---

(١) سورة الحشر الآية التاسعة .

(٢) سورة النساء الآية ٣٣ .

(٣) في الحلبية وهذا النسب وهو خطأ .

(٤) وقال ابن هشام يقال أبو ذر جندب بن جناده وفي الاصابة قال : جندب بن جناده وقيل برير بالتصغير .

أخوين وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفرع[1] أخوين . قال فهؤلاء ممن سمى لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر ، أما مؤاخاة النبي ﷺ وعلي فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم ، ولا مهاجري لمهاجري آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي ﷺ لم يجعل مصلحة علي إلى غيره فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله ﷺ من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار والله أعلم .

وهكذا ذكره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار اليه عبد الملك بن هشام ، فإن جعفر بن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه ، فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال إنه أرصد لاخوته إذا قدم حين يقدم ، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة . وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به وهذا أصح مما ذكره ابن اسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم .

وقال البخاري باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه . وقال عبد الرحمن بن عوف : آخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة . وقال أبو جحيفة : آخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما . حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن حميد عن أنس قال قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلني على السوق . فربح شيئاً من أقط وسمن ، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة ، فقال النبي ﷺ : « مهيم يا عبد الرحمن ؟ » قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار . قال : « فما سقت فيها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال النبي ﷺ : « أو لم ولو بشاة » تفرد به من هذا الوجه . وقد رواه أيضاً في مواضع أخر ، ومسلم من طرق عن حميد به . وقال الامام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف

---

(١) قال السهيلي الفرع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس ، وبالسكون ابن عبد الله بن ربيعة .

قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فقال له سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوق . فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن . ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران[1] فقال رسول الله ﷺ : « مهيم ؟ » فقال : يا رسول الله تزوجت امرأة ، قال : « ما أصدقتها ؟ » قال وزن نواة من ذهب ، قال : « أو لم ولو بشاة » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة . وتعليق البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فإنه لا يعرف مسنداً[2] إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فالله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس . قال قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : « لا ! ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » هذا حديث ثلاثي الاسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابت في الصحيح من[3] وقال البخاري أخبرنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال لا . قالوا أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة ، قالوا سمعنا وأطعنا. تفرد به . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال رسول الله ﷺ للأنصار : « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والاولاد وخرجوا إليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله ﷺ : « أو غير ذلك ؟ » قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » قالوا نعم ! وقد ذكرنا ما ورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى : ﴿وَالَّذِيْنَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[4] الآية .

فصــل :

في موت أبي أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية في قول وكان شاباً وهو أول من جمع

---

(١) كذا في الأصل ولعله ودك زعفران .

(٢) في هامش الحلبية ما يأتي : قوله مسنداً ، هذا غريب . بل رواه البخاري موصولاً في أول كتاب البيوع . فراجعه تجده عن عبد الرحمن .

(٣) هنا بياض وفي الأصلين وهو في البخاري في كتاب الوكالة .

(٤) سورة الحشر الآية التاسعة .

بالمدينة في نقيع الخضمات في هزم النبيت كما تقدم .

قال محمد بن اسحاق : وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة ـ أو الشهقة ـ وقال ابن جرير في التاريخ : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ثنا يزيد ابن زريع عن معمر عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة في الشوكة . رجاله ثقات .

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة . قال قال رسول الله ﷺ : « بئس الميت أبو أمامة ، ليهود ومنافقي العرب ، يقولون لو كان نبياً لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً » وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مقدم النبي ﷺ ، وقد زعم أبو الحسن بن الأثير في الغابة أنه مات في شوال بعد مقدم النبي ﷺ بسبعة أشهر فالله أعلم . وذكر محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بني النجار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أمامة أسعد بن زرارة فقال : « أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النجار الذي يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم . قال ابن الاثير : وهذا برد قول أبي نعيم وابن منده في قولهما أن أسعد ابن زرارة كان نقيباً على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار ، وصدق ابن الاثير فيما قال . وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ : كان أول من توفي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين ـ فيما ذكر ـ صاحب منزله كلثوم بن الهدم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات ، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبحة أو الشهقة .

قلت : وكلثوم بن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء نزل في منزل هذا في الليل ، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضي الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بني النجار كما تقدم . قال ابن الأثير : وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله ﷺ ، ثم بعده أسعد بن زرارة . ذكره الطبري .

فصـــل :

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد في الاسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضي الله عنهما . وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين

شهراً قاله أبو الأسود . ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه عن جده ، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة ، والصحيح ما قدمنا. فقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت فخرجت وأنا متم[1] فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرّك عليه . فكان أول مولود ولد في الإسلام . تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي ﷺ وهي حبلى . حدثنا قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ تمرة فلاكها ثم أدخلها في فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبي ﷺ فهذا حجة على الواقدي وغيره لأنه ذكر أن النبي ﷺ بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبي بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبي ﷺ وأسماء حامل متم أي مقرب قددنا وضعها لولدها ، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحاً بمولده لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذب الله اليهود فيما زعموا .

فصـــل :

وبنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن اسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى بي في شوال ، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني ؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال . ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة من طرق عن سفيان الثوري به . وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر ـ أو ثمانية أشهر ـ وقد حكى القولين ابن جرير ، وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعدما قدموا المدينة وإن دخوله بها كان بالسنح نهاراً وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادة على من توهمه من الناس في ذلك الوقت : تزوجني في شوال، وبنى بي في

(١) متم : قريبة الولادة .

شوال ـ أي دخل بي ـ في شوال ، فأي نسائه كان أحظى عنده مني ؟ فدل هـذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نسائه إليه ، وهذا الفهم منهـا صحيح لمـا دل على ذلك من الـدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح البخـاري عن عمرو بـن العـاص : قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت من الرجال قال : « أبوها » .

فصـــل :

قال ابن جرير : وفي هذه السنة ـ يعني السنة الأولى من الهجرة ـ زيد في صلاة الحضر ـ فيما قيل ـ ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعـد مقدم النبي ﷺ المـدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي اثنتي عشرة ليلة مضت ، وقـال : وزعم الواقـدي أنه لا خـلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم الحديث الذي رواه البخاري من طريق معمـر عن الزهـري عن عروة عن عائشة قـالت : فرضت الصـلاة أول ما فـرضت ركعتين ، فأقـرت صلاة السفـر وزيد في صـلاة الحضر . وروى من طريق الشعبي عن مسروق عنها . وقـد حكى البيهقي عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً والله أعلم . وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النسـاء عنـد قــولـه تعــالى : ﴿وَإِذَا ضَـرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَـاحٌ أَنْ تَقْصُـرُوا مِنَ الصَّلاَةِ﴾[1] الآية .

فصـل :

في الأذان ومشروعيته

قال ابن اسحاق : فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه اخوانه من المهـاجرين واجتمع كبائر الأنصار استحكم أمر الاسلام ، فقامت الصلاة وفرضت الزكـاة والصيام ، وقـامت الحـدود وفرض الحـلال والحرام وتبـوأ الاسلام بين أظهـرهم وكان هـذا الحي من الأنصـار هم الذين تبوؤ ا الدار والإيمان وقد كان رسـول الله ﷺ حين قدمهـا إنما يجتمـع الناس إليـه للصلاة لحين مـواقيتها بغيـر دعوة ، فهم رسـول الله ﷺ أن يجعل بـوقاً كبـوق يهود الـذي يـدعـون بـه لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ، فبينـاهم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طـائف ، مر بي رجـل عليه ثـوبان أخضـران يحمل ناقوساً في يده ، فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ فقـال وما تصنـع به ؟ قـال قلت ندعـو به

(١) سورة النساء الآية : ١٠١ .

إلى الصلاة ، قال ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو ؟ قال تقول ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة حي على الصلاة ، حي على الفلاح حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : « إنها لرؤ يا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فالقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك » فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى . فقال رسول الله ﷺ فلله الحمد . قال ابن اسحاق : فحدثني بهذا الحديث محمد بن ابراهيم بن الحارث عن محمد بن عبد الله بن زيد ابن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه . وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة من طرق عن محمد بن اسحاق به . وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما . وعند أبي داود أنه علمه الاقامة قال ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . وقد روى ابن ماجة هذا الحديث عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الحراني عن ابن اسحاق كما تقدم . ثم قال قال أبو عبيد وأخبرني أبو بكر الحكمي أن عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك :

الحمدُ لله ذي الجلال وذي الإ ... كرام حمداً على الأذان كبيرا
إذْ أتاني به البشيرُ من اللـ ... ـه فأكرِمْ به لدي بشيرا
في ليالٍ والى بهنَّ ثلاثٍ ... كلما جاءَ زادني توقيرا

قلت : وهذا الشعر غريب وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله ﷺ فالله أعلم . ورواه الامام أحمد من حديث محمد بن اسحاق قال وذكر الزهري عن سعيد ابن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمي ولم يذكر الشعر] وقال ابن ماجه حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ثنا أبي عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ استشار الناس لما يهمهم من الصلاة ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى . فأرى النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الأنصاري رسول الله ﷺ ليلاً فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن به . قال الزهري وزاد بلال في نداء صلاة الغداة ، الصلاة خير من النوم مرتين ، فأقرها رسول الله ﷺ فقال عمر : يا رسول الله رأيت مثل الذي رأى ولكنه سبقني ، وسيأتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة . فأما الحديث الذي أورده السهيلي بسنده من طريق البزار حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ثنا أبي عن زياد بن المنذر عن محمد

ابن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب فذكر حديث الاسراء وفيه : فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأم بأهل السماء وفيهم آدم ونوح . ثم قال السهيلي وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويشاكله من حديث الاسراء . فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله ﷺ ليلة الاسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة في الدعوة إلى الصلاة والله أعلم][1] .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج . قال قال لي عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول : ائتمر النبي ﷺ وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة ، فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر إلى النبي ﷺ ليخبره بما رأى وقد جاء النبي ﷺ الوحي بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن ؟ فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوحى » وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم .

قال ابن اسحاق : وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ثم قال : اللهم احمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت ثم يؤذن ، قالت والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة ـ يعني هذه الكلمات ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به .

فصـــل :

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن رسول الله ﷺ عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترض لعيرات قريش وأن حمزة لقى أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يكن بينهم قتال ، قال وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي .

(١) هذا الحديث مقدم في النسخة المصرية ومؤخر في الحلبية .

فصـــل :

﴿في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب﴾

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أيضاً أن النبي ﷺ عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ . وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء وكان بينهم الرمى دون المسابقة . قال الواقدي : وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثبت عندنا ، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص .

فصـــل :

قال الواقدي : وفيها ـ يعني في السنة الأولى في ذي القعدة ـ عقد رسول الله ﷺ لسعد ابن أبي وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن الأسود ، فحدثني أبو بكر بن اسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه] . قال : خرجت في عشرين رجلاً على أقدامنا ، أو قال أحد وعشرين رجلاً ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أن لا أجاوز الخرار ، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم . قال الواقدي : كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين . قال أبو جعفر بن جرير (رح) وعند ابن اسحاق (رح) أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن اسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رح) لمن تأمله كما سنورده في أول كتاب المغازي في أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلوماً نحن فيه إن شاء الله ، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وسنزيدها بسطاً وشرحاً إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى . والواقدي (رح) عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محرر غالباً فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ولله الحمد والمنة .

فصـــل :

وممن ولد في هذه السنة المباركة ـ وهي الأولى من الهجرة ـ عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الاسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضي الله عنهما ، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ومن الناس من يقول إنهما

ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الأول كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : وقد قيل إن المختار بن أبي عبيد وزياد بن سمية ولدا في هذه السنة الأولى فالله أعلم . وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة ، كلثوم بن الهدم الأوسي الذي نزل رسول الله ﷺ في مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني النجار كما تقدم ، وبعده ـ فيها ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار توفي ورسول الله ﷺ يبنى المسجد كما تقدم رضي الله عنهما وأرضاهما .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة ـ يعني الأولى من الهجرة ـ مات أبو أحيحة بما له بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في السّنة الثانية من الهجرة

وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها ، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل ، والهدى والغي . وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان

كتاب المغازي

قال الامام محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة بعد ذكر أحبار اليهود ونصبهم العداوة للإسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات ؛ فمنهم حيى بن أخطب وأخواه أبو ياسر وجدي ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الاعور ، تاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتي ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف وهو من طيء ثم أحد بني نبهان وأمه من بني النضير ، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي ، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله فهؤلاء من بني النضير ، ومن بني ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن صوريا، ولم يكن بالحجاز ـ بعد ـ أعلم بالتوراة منه .

قلت : وقد قيل إنه أسلم ، وابن صلوبا ومخيريق وقد أسلما يوم أحد كما سيأتي وكان حبر قومه ، ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيخان[1] وعزيز ابن أبي عزيز[2] وعبد الله بن ضيف ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص وأشيع ونعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ، وشاش بن عدي ، وشاش بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمير[3] وسكين بن أبي سكين ، وعدي بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن صيف[4] وكعب بن راشد، وعازر ورافع بن أبي رافع ، وخالد وازار بن أبي ازار . قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبي آزر ، ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

---

(١) كذا في الأصلين شيخان ، وفي ابن هشام محمود بن سبحان .

(٢) كذا في النسخة الحلبية وابن هشام والسهيلي وفي المصرية عزير بن أبي عزير بالراء .

(٣) كذا في المصرية وفي الحلبية عمر وفي ابن هشام عمرو .

(٤) وقال ابن هشام يقال ابن الضيف بالمعجمة .

قلت : وقد تقدم اسلامه رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله . قال ابن اسحاق : ومن بني قريظة الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شموال[1] وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذي نقضوه عام الأحزاب وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينة ، والنحام بن زيد ، وكردم ابن كعب[2] ووهب بن زيد ونافع بن أبي نافع ، وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم ابن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن زميلة ، وجبل بن أبي قشير، ووهب بن يهوذا ، قال ومن بني زريق ، لبيد بن أعصم وهو الذي سحر رسول الله ﷺ ، ومن يهود بني حارثة ، كنانة ابن صوريا . ومن يهود بني عمرو بن عوف قردم بن عمرو ، ومن يهود بني النجار ، سلسلة بن برهام .

قال ابن اسحاق : فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ ، وأصحابه رضي الله عنهم، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الاسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنت والعناد والكفر قال وأصحاب النصب لأمر الاسلام ليطفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق ، ثم ذكر اسلام عبد الله بن سلام واسلام عمته خالدة كما قدمناه وذكر اسلام مخيريق يوم أحد كما سيأتي وأنه قال لقومه ـ وكان يوم السبت ـ يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يرى فيها ما أراه الله ـ وكان كثير الأموال ـ ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ، قال فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني « مخيريق خير يهود » .

فَصــل :

ثم ذكر ابن اسحاق من مال إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج فمن الأوس زوى[3] بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري وفيه نزل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر ، فنماها[4] ابن امرأته عمير ابن سعد إلى رسول الله ﷺ فانكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك . قال وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الاسلام والخير قال وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذي قتل المجذر بن ذياد البلوي وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين وكان

---

(١) في الحلبية شمويل . وفي ابن هشام سموال بالسين .
(٢) وفي ابن هشام قردم بالقاف .
(٣) وفي ابن هشام زرى بالراء بدل الواو .
(٤) نماها : أوصلها .

منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذر قد قتل أباه سويد بن الصامت في بعض حروب الجاهلية فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد ، كذا قال ابن هشام . وقد ذكر ابن اسحاق أن الذي قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بعاث رماه بسهم فقتله . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال لأن ابن اسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه ، فانزل الله - فيما بلغني عن ابن عباس - : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِم وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُوْلَ حَقٌّ وَجَاءَهُم البَيِّنَاتِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظالِمِيْنَ ﴾(١) إلى آخر القصة . قال : ويجاد بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا » وكان جسيما أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذي قال . إنما محمد أذن ، من حدثه بشيء صدقه . فأنزل الله فيه ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴾ الآية . قال : وأبو حبيبة ابن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك ، ومعتب هو الذي قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا فنزل فيه الآية . وهو الذي قال يوم الأحزاب كان محمد يعدنا أنا نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه : ﴿ وإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُوْلُهُ إِلَّا غُرُوْراً ﴾(٢) .

قال ابن اسحاق : والحارث بن حاطب . قال ابن هشام . ومعتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهما من بني أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . قال وقد ذكر ابن اسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر .

قال ابن اسحاق : وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وبخرج وكان ممن بنى مسجد الضرار وعمرو بن حرام(٣) وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطاف ، وابناه يزيد(٤)

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٨٦ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ١٢ .
(٣) كذا في الحلبية والمصرية عمر بن حزام وابن هشام عمرو بن خذام .
(٤) وفي ابن هشام زيد .

ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع أكثر القرآن و [كان] يصلي بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك وكان في أيام عمر سأل أهل قباء عمر أن يصلي بهم مجمع فقال : لا والله ، أوليس امام المنافقين في مسجد الضرار ؟ فحلف بالله ما علمت بشيء من أمرهم فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم . قال ووديعة بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذي قال : إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه ذلك، قال وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره . قال ابن هشام مستدركا على ابن اسحاق في منافقي بني النبيت من الأوس وبشر ورافع ابنا زيد . قال ابن اسحاق : ومربع بن قيظي ـ وكان أعمى ـ وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد : لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر في حائطي وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ : « دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقوس فشجه . قال وأخوه أوس بن قيظي وهو الذي قال : إن بيوتنا عورة . قال الله : ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيْدُوْنَ إِلَّا فِرَاراً ﴾[1] قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسا[2] في جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بني ظفر ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا ابن حاطب . قال فنجم نفاق أبيه فجعل يقول : أجل جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه . قال وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِيْنَ يَخْتَانونَ أَنْفُسَهُم ﴾[3] الآيات . قال وقزمان حليف لبني ظفر الذي قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال : والله ما قاتلت إلا حمية على قومي ثم مات لعنه الله . قال ابن اسحاق : ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الأوس . قال ابن اسحاق : ومن الخزرج رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل ، والجد بن قيس وهو الذي قال : ائذن لي ولا تفتني ، وعبد الله بن أبي بن سلول ، وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضا ، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم في الجاهلية ، فلما هداهم الله للاسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغاظه ذلك جداً ، وهو الذي قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل ، وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفي وديعة ـ رجل

---

(١) سورة الاحزاب الاية : ١٣ .

(٢) عسا : كبر واسن .

(٣) سورة النساء الاية : ١٠٧ .

من بني عوف - ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُوْنَ مَعَهُم ﴾[1] الآيات حين مالوا في الباطن إلى بني النضير .

فَصــل :

ثم ذكر ابن اسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفارا في الباطن فاتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرهم ، سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ والله لا أعلم إلاّ ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها » فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك . قال ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حريملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات - فيما بلغنا - : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي هبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال : « إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار » فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود قال فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع في المسجد يوما منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا ، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية - فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول - لعنه الله - أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري فلببه[2] بردائه ، ثم نتره نتراً شديداً[3] ولطم وجهه فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقا خبيثا . وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فأخذ بلحيته وقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما الدمة[4] في صدره خرمنها قال يقول: خدشتني يا عمارة ، فقال عمارة ، أبعدك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار - وكان بدريا - إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شابا - وليس في المنافقين شاب سواه - فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه . وقام رجل من بني خدرة إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو - وكان ذا جمة[5] - فأخذ

---

(١) سورة الحشر الآية : ١٢ .
(٢) لبب : جذب .
(٣) النتر : جذب فيه قوة وجفوة عن النهاية .
(٤) لدم : ضرب ودفع . واللدم الضرب ببطن الكف .
(٥) جمة : شعر كثيف (مجتمع شعر الرأس) .

بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث ، فقال : إنك أهل لذلك أي عدو الله لما أنزل فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ فانك نجس ، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه اخراجا عنيفا وأفف[1] منه وقال : غلب عليك الشيطان وأمره ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة ، ومن سورة التوبة ، وتكلم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد رحمه الله .

أول المغازي وهي غزوة الابواء أو غزوة ودّان

وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي . قال البخاري كتاب المغازي . قال ابن اسحاق : أول ما غزا رسول الله ﷺ الابواء . ثم بواط ، ثم العشيرة . ثم روى عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال : تسع عشرة شهد منها سبع عشرة أولهن العسيرة ـ أو العشيرة ـ . وسيأتي الحديث باسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله وبه الثقة . وفي صحيح البخاري عن بريدة قال : غزا رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ، وفي رواية له عنه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمانٍ منهن .. وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمان ؛ يوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد وخيبر ، ومكة ، وحنين . وبعث أربعا وعشرين سرية وقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي التنوخي ثنا الهيثم بن حميد أخبرني النعمان عن مكحول أن رسول الله ﷺ غزا ثماني عشرة غزوة ، قاتل في ثماني غزوات ، أولهن بدر، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكة ، ثم حنين والطائف[2] قوله بئر معونة بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتي . قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة ، وسمعته مرة أخرى يقول أربعا وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهما أو شيئا سمعه بعد ذلك . وقد روى الطبراني عن الدبري[3] عند عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . قال : غزا رسول الله ﷺ أربعا وعشرين غزوة وقال عبد الرحمن بن حميد في مسنده حدثنا سعيد بن سلام ثنا زكريا بن اسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر . قال : غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة . وقد روى الحاكم

(١) أفف : ألقى طرف ثوبه على أنفه وقال اف أف . استقذاراً .

(٢) الغزوات المذكورة تسع لا ثمانية .

(٣) في الأصلين الدري الديري وإنما هو اسحاق بن إبراهيم الدبري بالباء .

من طريق هشام عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاوأربعين . ثم قال الحاكم : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت في الاكليل على الترتيب بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المائة . قال وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر ؛ السرايا والبعوث دون الحروب نيفا وسبعين . وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً ، وحمله كلام قتادة على ما قال فيه نظر . وقد روى الامام أحمد عن أزهر بن القاسم الراسبي عن هشام الدستوائي عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون ، أربع وعشرون بعثا ، وتسع عشرة غزوة . خرج في ثمان منها بنفسه ؛ بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، وقال موسى بن عقبة عن الزهري : هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها ، يوم بدر في رمضان سنة اثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان ، ثم حج أبو بكر سنة تسع ، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر ، وغزا إثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، وكانت أول غزاة غزاها الابواء . وقال حنبل بن هلال عن اسحاق بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن اليماني عن معمر عن الزهري قال : أول آية نزلت في القتال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾[1] الآية بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال ثم غزا بني النضير ، ثم غزا أحداً في شوال - يعني من سنة ثلاث - ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان . وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزا رسول الله ﷺ الابواء . ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بني سليم ، ثم غزوة الابواء[2] ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة . ثم ذكر البعوث ، هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جداً ، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتبا . وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي ابن الحسين يقول : كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن . قال الواقدي : وسمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت عمي الزهري يقول : في علم المغازي علم الآخرة

(١) سورة الحج الآية : ٣٩ .

(٢) كذا بالاصلين مكرراً غزوة الابواء والذي في ابن هشام الابواء بواط ـ العشيرة الخ .

والدنيا وقال محمد بن اسحاق (رح) في المغازي بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤ وس الكفر من اليهود والمنافقين لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل سافلين . ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين ، قال وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لإثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وذا الحجة وولي تلك الحجة المشركون . والمحرم ، ثم خرج رسول الله ﷺ غازيا في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عبادة . قال ابن اسحاق : حتى بلغ ودان وهي غزوة الابواء ، قال ابن جرير : ويقال لها غزوة ودان أيضا ، يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه منهم مخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك . ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول . قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها عليه السلام . قال الواقدي وكان لواؤه مع عمه حمزة ، وكان أبيض . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين ـ أو ثمانين ـ راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقي بها جمعا عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله في الاسلام . ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار . قال ابن اسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل وروى ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء[1] عن أبي عمرو المدني أنه قال : كان عليهم مكرز بن حفص .

قلت : وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان ، أحدهما أنه مكرز ، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب وأنه رجح أنه أبو سفيان فالله أعلم . ثم ذكر ابن اسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي [بكر] الصديق في هذه السرية التي أولها :

أمِن طيفِ سلمى بالبطاحِ الدمائثِ[2] أرِقت وأمرٌ في العشيرة حادث

---

(١) في ابن هشام حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء .

(٢) الدمائث : الاخلاق الرفيعة .

تـرى من لؤيٍّ فـرقـةً لا يصـدّهـا ... عن الكُفـر تـذكيـرٌ ولا بعثُ بـاعث
رسـولٌ أتـاهـم صـادقٌ فتكـذَّبـوا ... عليـه وقـالـوا لستَ فينـا بمـاكث
إذا مـا دعـونـاهم إلى الحقّ أدبـروا ... وهـرُّوا هـريـرَ المُحْجِرَات اللواهث

القصيدة إلى آخرها ، وذكر جواب عبد الله بن الزبعري في مناقضتها التي أولها :

أمن رسم دارٍ أقفـرتْ بـالعثـاعـث[1] ... بكيتُ بعينٍ دمعُهـا غيـر لابـث[2]
ومن عجيبِ الأيّـام ـ والـدهـرُ كـله ... لـه عَجَبٌ ـ من سـابقـاتٍ وحـادث
لـجيشٌ أتـانـا ذي عَـرام يـقـودُه ... عُبيـدة يُـدعى في الهيـاج ابنَ حـارث
لـنتـركَ أصـنـامـاً بمكّـة عُكَّـفـا ... مـواريـثُ مـوروثٍ كـريـم لـوارث

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من ايرادهـا بتمامهـا إلا أن الامام عبـد الملك بن هشام (ر ح) وكـان إمامـاً في اللغة ذكـر أن أكثر أهـل العلم بالشعـر ينكر هـاتين القصيـدتين . قـال ابن اسحاق وقال سعد بـن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هـلْ أتـى رسـولَ الله أنـي ... حـميْتُ صحـابتي بـصـدورِ نَـبـلي
أذودُ بـهـا أوائـلَهـم ذِيـاداً ... بكـل حَـزُونـةٍ[3] وبكـل سهـل
فـمـا يـعـتـدُّ رام فـي عـدوٍّ ... بـسـهـمٍ يـا رسـول الله قـبـلي
وذلـك أن دِيـنـك ديـنُ صـدقٍ ... وذو حـقّ أتـيـتَ بـه وفـضـل[4]
يـنـجّـى الـمـؤمـنـون بـه ويَـخـزى ... بـه الكُفّـار عـنـدَ مقـام مُـهـل[5]
فـمهـلاً قـد غـويـتُ فـلا تعبـنـي ... غـويّ الحيّ ويحَـك يـا ابنَ جهـل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد . قال ابن اسحـاق : فكانت رايـة عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين . وقد خالفه الزهري وموسى بن عقبة والواقدي فذهبوا إلى أن بعث حمـزة قبل بعث عبيـدة بن الحارث والله أعلم وسيأتي في حديث سعد بن أبي وقاص أن أول أمراء السرايا عبد الله بن جحش الأسدي .

قال ابن اسحاق : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل إلى المدينة وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهري .

---

(١) العثاعث : اسم موقع .
(٢) اللابث : المقيم في المكان
(٣) حزونة : أرض غليظة .
(٤) الذي في ابن اسحاق : وعدل .
(٥) وفي ابن هشام بدل مهل سهل ومهل : امهال وتثبت .

فصـــل :

قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من اهل مكة فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن اسحاق : وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً فشبه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الابواء. فلما قفل عليه السلام من الابواء بعث عبيدة ابن الحارث في ستين من المهاجرين ، وذكر نحو ما تقدم . وقد تقدم عن الواقدي أنه قال : كان سرية حمزة في رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها والله أعلم . وقد أورد ابن اسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت في الاسلام ، لكن قال ابن اسحاق : فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال ، لم يكن يقول إلا حقاً ، والله أعلم أي ذلك كان . فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول . والقصيدة هي قوله :

ألا يا لقومي للتحلُّم والجهل	وللنقْض من رأيِ الرجالِ وللعقل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ	لهم حرماتٍ من سَوامٍ ولا أهل
كأنا بَتَلْناهم ولا بَتْل[1] عندنا	لهم غير أمرٍ بالعفاف وبالعدل
وأمرٍ باسلامٍ فلا يقبلونه	ويُنزَل منهم مثلَ منزلةِ الهزْل
فما برحوا حتى انتُدبتُ لغارةٍ	لهم حيثُ حلّوا أبتغي راحةَ الفضل
بأمر رسول الله أولِ خافقٍ	عليه لواءٌ لم يكن لاحَ من قبل
لواءٌ لديه النصرُ من ذي كرامة	إلـهٍ عزيزٍ فعلُه أفضلُ الفعل
عشيةَ ساروا حاشدين وكلُّنا	مَراجُله[2] من غيظ أصحابه تغلى
فلما تراءينا أناخوا فعقّلوا	مطايا وعقَّلْنا مدى غَرَضِ النَّبل
وقلنا لهم حَبْلُ الآله نصيرُنا	ومالكُم إلا الضلالةَ من حبل
فثار أبو جهلٍ هنالك باغياً	فخابَ وردّ الله كيدَ أبي جهل

(١) كذا في المصرية والبتل هو القطع ـ وفي الحلبية وابن هشام نبلناهم بالنون ومعناها رميناهم بالنبل .

(٢) مراجل : جمع مرحل وهو زق يعلى الماء به .

ومـا نـحنُ إلا فـي ثـلاثـينَ راكبـاً وهم مـائتـانِ بـعـد واحـدةٍ فضـل
فـيـالَ لؤيّ لا تُـطيعـوا غُـواتَكـم وفِيئـوا إلى الإسـلام والمنهـج السهـل
فـإنـي أخـافُ أن يـصُبَّ عـليـكـمُ عـذابٌ فتـدعـوا بـالنـدامـةِ والثُّكـل

قال فأجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال :

عجبتُ لاسبـابِ الحفيـظـةِ والجهـل وللشـاغبيـنَ بـالخـلافِ وبـالبُـطْـل
وللتـاركيـن مـا وجـدنـا جـدودنـا عليه ذوي الاحساب والسؤدد[1] الجرل

ثم ذكر تمامها . قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضي الله عنه ولأبي جهل لعنه الله .

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ـ يعني من السنة الثانية ـ يريد قريشاً . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون . وقال الواقدي : استخلف عليها سعد بن معاذ . وكان رسول الله ﷺ في مائتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل والفان وخمسمائة بعير .

قال ابن اسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الأولى] .

غـزوة العشيرة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد . قال الواقدي : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن اسحاق : فسلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخيار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده ، فصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فرسوم أثافي البرمة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب ثم ارتحل فترك الخلائق[2] بيسار وسلك شعبة عبد الله ، ثم صب للشاد[3] حتى هبط ملل ،

---

(١) السؤدد : الكمال .
(٢) الخلائق : بالخاء المعجمة . البئر التي لا ماء فيها وقال السهيلي بالحاء المهملة آبار معلومة ورجح الرواية الأولى .
(٣) صب للشاد كذا في المصرية وابن هشام وقال الخشني صب للساد (بالسين المهملة ثم قال وصوابه لليسار وصحفه في الحلبية قال : صبّ المسهار .

فنـزل بمجتمعه ومجتمـع الضبوعـة ثم سلك فرش ملل حتى لقى الـطريق بصخيرات اليمـام ثم اعتدل به الـطريق حتى نزل العشيـرة من بطن ينبـع فأقـام بها جمـادى الأولى وليال من جمـادى الآخرة ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً . وقد قال البخاري حدثنا عبد الله ثنا وهب ثنا شعبة عن أبي إسحاق . قال : كنت إلى جنب زيـد بن أرقم فقيل له كم غزا رسول الله ﷺ من غزوة ؟ قال : تسع عشرة . قلت كم غـزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة غزوة ، قلت فأيهن كان أول ؟ قـال العشير ـ أو العسيـر ـ فذكـرت لقتادة فقـال : العشير . وهذا الحـديث ظاهـر في أن أول الغزوات العشيـرة ، ويقال بـالسين وبهما مـع حذف التاء ، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبي ﷺ زيد بن أرقم العشيرة وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكـره محمد بن اسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم .

قال محمد بن اسحاق : ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي ما قال فحدثني يـزيد بن محمـد ابن خثيم عن محمد بن كعب القرظي حدثني أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر . قـال كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع ، فلما نزلهـا رسول الله ﷺ أقام بها شهراً فصالح بها بني مدلج وحلفـاءهم من بني ضمرة فـوادعهم ، فقال لي علي بن أبي طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن نأتي هؤلاء النفر ـ من بني مـدلج يعملون في عين لهـم ـ ننـظر كيف يعملون ؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم فعمـدنا إلى صـور من النخل في دقعـاء من الأرض فنمنا فيه . فوالله ما أهبنـا إلا ورسول الله ﷺ يحـركنا بقـدمه فجلسنـا وقد تتـربنا من تلك الدقعاء فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي : « يا أبا تراب » لما عليه من التراب ، فأخبرناه بما كـان من أمرنـا فقال : « ألا أخبـركم بأشقى النـاس رجلين ؟ » قلنـا بلى يـا رسـول الله فقـال : « أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه ـ ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه ـ حتى تبل منها هذه ـ ووضـع يده على لحيتـه ـ » وهذا حـديث غريب من هـذا الوجـه له شاهد من وجه آخر في تسميـة علي أبا تـراب كما في صحيـح البخاري ان عليـاً خرج مغـاضباً فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت خرج مغاضباً فجـاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب قم أبا تراب » .

غزوة بدر ـ الأولـى

قال ابن اسحاق : ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليال قلائل لا تبلغ العشـر حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سـرح المدينـة ، فخرج رسـول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقـال له سفـوان من ناحيـة بدر ، وهي غـزوة بدر الأولى ، وفـاته كـرز فلم يدركه . وقال الواقدي : وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب . قال ابن هشـام والواقـدي : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن اسحاق : فرجع رسول الله ﷺ فأقام جمادى ورجبا وشعبان وقد كان بعث بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز . قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلق كيداً . هكذا ذكره ابن اسحاق مختصراً وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة ، أعني بعث حمزة في رمضان، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذي القعدة كلها في السنة الأولى .

وقد قال الامام أحمد : حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثني يحيى بن سعيد . وقال عبد الله ابن الامام أحمد وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي ثنا المجالد عن زياد بن علاقة عن سعد بن أبي وقاص . قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى نأتيك وقومنا ، فأوثق لهم فأسلموا قال فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ فقال بعضنا لبعض ما ترون ؟ فقال بعضنا نأتي نبي الله فنخبره ، وقال قوم لا بل نقيم ههنا ، وقلت أنا في أناس معي لا بل نأتي عير قريش فنقتطعها . وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له ، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر فقام غضبان محمر الوجه . فقال : « أذهبتم من عندي جميعاً ورجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لابعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير في الاسلام . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام فقالوا نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام ثم رواه من حديث أبي أسامة عن مجالد عن زياد بن علاقة عن قطبة ابن مالك عن سعد بن أبي وقاص فذكر نحوه فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم . وهذا الحديث يقتضي أن أول السرايا عبد الله بن جحش الأسدي وهو خلاف ما ذكره ابن اسحاق أن أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم .

باب سرّية عبد الله بن جحش

التي كان سببها لغزوة بدر العظمى[1] وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير .

قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب

---

(١) كذا بالأصلين ولعلها التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى .

مقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد ، وهم أبو حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن بن حرثان حليف بني أسد بن خزيمة ، وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل ، وسعد بن أبي وقاص الزهري ، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدي ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدي أيضاً ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدي أيضاً ، وسهل بن بيضاء الفهري فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه . وقال يونس عن ابن اسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فالله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً . فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه بما في الكتاب . وقال : قد نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة ، فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ، قال ابن هشام : واسم الحضرمي عبد الله بن عباد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه . فلما رأوه أمنوا ، وقال عمار : لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله . واستأسر عثمان ابن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ . وقد ذكر بعض آل عبد الله ابن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : ان لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس فعزله وقسم الباقي بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الخمس . قال لما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله ابن اسحاق ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم أخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت

قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان ، وقالت يهود : تفاءل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلمّا أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ : ﴿يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيْهِ كَبِيْرٌ وصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ والمَسْجِدِ الحَرَامِ وإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ والفِتْنَةُ أَكبَرُ مِنَ القَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونكُمْ حَتَّى يَرُدُوكُمْ عَنْ دِينَكُمْ إِنْ إِسْتَطَاعُوا﴾[1] أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ الآية .

قال ابن اسحاق : فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق ، قبض رسول الله ﷺ العير والاسيرين ، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ : « لانفديكموهما حتى يقدم صاحبانا » - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإنا نخشاكم عليهما . فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة فافداهما رسول الله ﷺ . فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً قال ابن اسحاق : فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبِيْلِ اللَّهِ أولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2] فوصفهم[3] الله من ذلك على أعظم الرجاء . قال ابن اسحاق : والحديث في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وكذا روى شعيب عن الزهري عن عروة نحواً من هذا وفيه ، وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين . وقال عبد الملك بن هشام : هو أول قتيل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٨ .

(٣) كذا بالأصلين وفي ابن هشام موضعهم الله من ذلك ولعله الصواب .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الاسلام. وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن اسحاق شواهد مسندة فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح . أو عبيدة بن الحارث ، فلما ذهب بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا. وقال «لا تكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك » فلما قرأ الكتاب استرجع وقال سمعا وطاعة لله ولرسوله ، فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلان وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب او من جمادي ، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام ، فانزل الله ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ الآية . وقال اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن بيضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره ان لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لاصحابه : من كان يريد الموت فليمص وليوص فانني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ فسار وتخلف عنه سعد وعتبة اضلا راحلة لهما فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرمي ورجعوا بالغنيمة والاسيرين فكانت اول غنيمة غنمها المسلمون . وقال المشركون إن محمداً يزعم أن يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون إنما قتلناه في جمادى . قال السدي وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رؤي تلك الليلة فالله أعلم . وهكذا روى العوفي.عن ابن عباس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا وكذا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم . وقد تقدم في سياق ابن اسحاق ان ذلك كان في آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك في الحرم فيتعذر عليهم ذلك فاقدموا عليهم عالمين بذلك وكذا قال الزهري عن عروة رواه البيهقي فالله أعلم أي ذلك كان . قال

الزهري عن عروة فبلغنا أن رسول الله ﷺ عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقي.

قال ابن اسحاق : فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جوابا للمشركين فيما قالوا من احلال الشهر الحرام . قال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش :

تَعُدُّون قتلاً في الحرام عظيمةً ... وأعظمُ منه لو يرى الرُّشْدَ راشد
صدودُكم[1] عمّا يقولُ محمد ... وكفرٌ به والله راءٍ وشاهد
واخراجُكم من مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرى لله في البيتِ ساجد
فانّا وإن عيَّرتمونا بقتله ... وأرجفَ[2] بالاسلام باغٍ وحاسد
سقَينا من ابنِ الحضرمي رماحَنا ... بنخلةَ لما أوقدَ الحربَ واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعهُ غلّ من القيدِ عاند[3]

فصل :

في تحويل القبلة في سنة اثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم كان ذلك في رجب من سنة اثنتين وبه قال قتادة وزيد بن اسلم وهو رواية عن محمد بن اسحاق . وقد روى احمد عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي والله أعلم. وقيل في شعبان منها . قال ابن اسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش : ويقال صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدي فسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة . قال الجمهور الاعظم : إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة. ثم حكى عن محمد بن سعد عن الواقدي انها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان، وفي هذا التحديد نظر والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُم فَوَلّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ وإنَّ الَّذِيْن أوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحقُّ مِنْ رَبِهِمَ وَمَا اللَّهُ بغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُوْنَ ﴾[4] وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام[5] على ذلك لانه اول نسخ وقع في الاسلام هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله ﴿ ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ، أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيرٍ مِنهـا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَم أنَّ الله عَلى كُلِ شيءٍ قَدِيْرٍ ﴾[6] وقد قال البخاري

(١) صدودكم : نفوركم .
(٢) أرجف : خاض بالأخبار السيئة والفتن .
(٣) عاند : لا يقاوم .
(٤) سورة البقرة الآية : ١٤٤ .
(٥) الطغام : أوغاد الناس .
(٦) سورة البقرة الآية : ١٠٦ .

حدثنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي اسحاق عن البراء أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وكان يعجبه أن تكون قبلته الى البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجدوهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندرما نقول فيهم فانزل الله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمانَكُم إنَّ اللَّهَ بِالنَاسِ لرؤوفٌ رحيمٌ ﴾[1] رواه مسلم من وجه آخر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء . قال : كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فانزل الله ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَماءِ فَلَنُوَلِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾[2] . قال فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء ـ من الناس ـ وهم اليهود ـ وما ولاّ هم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فانزل الله : ﴿ قُلْ لِلَّهِ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[3] وحاصل الامر أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الإمام احمد عن ابن عباس رضي الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه ان يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم . وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبلة ابراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك فانزل الله عز وجل [قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام] الآية . فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن أبي سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر . وقال بعض الناس نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر والعجب ان أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر . قال : بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك . والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٤٤ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٤٢ .

إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والاغبياء قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم من أن المدينة مهاجرة وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال ﴿ وإنَّ الَّذِيْنَ أوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُوْنَ أنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِهِمْ ﴾[1] الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، ونعتهم فقال ﴿ سَيَقُولُ السُفَهاءُ مِنْ النَاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قُبْلَتِهِم التي كانُوا عليها قُلْ للَّهِ المشْرِقُ والمغرِبُ يُهدِي مَنْ يَشاءُ إلى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ ﴾[2] أي هو المالك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه الذي يفعل ما يشاء في خلقه ويحكم ما يريد في شرعه وهو الذي يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمةً وَسَطاً ﴾[3] أي خياراً ﴿ لِتكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَاسِ وَيَكُوَن الرَسُولُ عَلَيْكِم شَهِيْداً ﴾[4] أي وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم ابراهيم والد الانبياء بعد التي كان يصلي بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الامم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالد والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لاجماعهم عليكم واشارتهم يومئذ بالفضيلة اليكم كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الاولى والاخرى . ثم قال تعالى مبينا حكمته في حلول نقمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة . وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة . فقال ﴿ وَمَا جَعَلْنَا القُبْلَةَ الَّتي كُنْت عَلَيْهَا إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَبِعُ الرَسُولَ ﴾[5] قال ابن عباس: إلا لنرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة أي وان كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر إلا على الذي هدى الله أي فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويؤمنون ويعملون لأنهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيعَ إيْمَانِكُم ﴾[6] أي بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك مبسوط في التفسير وسنزيد ذلك بيانا في كتابنا الاحكام الكبير. وقد روى الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : يعني في أهل الكتاب ـ: «إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله اليها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٤٤ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٤٢ .
(٣) سورة البقرة الآية :١٤٣ .
(٤) نفس السورة الآية : ١٤٣ .
(٥) سورة البقرة الآية : ١٤٣ .
(٦) سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

وضلوا ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين ».

فصـــل :

في فريضة شهر رمضان سنة اثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير : وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل إنه فرض في شعبان منها ، ثم حكى أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى . فقال : «نحن أحق بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن ابن عباس وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَقُوْنَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيْضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعُدَّة مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ وَعلَى الَّذِيْنَ يُطِيقُونَه فِدْيَةٌ طَعَام مِسكِيْنٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِيْ أُنْزِلَ فِيْهِ القُرآنُ هُدىً لِلنَاسِ وبَيِّناتٍ مَنْ الهُدَى والفُرْقَانَ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيْضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَدَةٌ مِنْ أَيَامٍ أُخَرَ ﴾[1] الآية وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية في ذلك والأحكام المستفادة منه ولله الحمد .

وقد قال الإمام احمد حدثنا ابو النضر حدثنا المسعودي حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: احيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة احوال فذكر احوال الصلاة . قال وأما أحوال الصيام فان رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل ﴿ يَا أَيُهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِيْامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبِلِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فديةطعام مسكين﴾فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فاجزأ ذلك عنه،ثم إن الله أنزل الآية الأخرى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ إلى قوله ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فاثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وأثبت الاطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حولان . قال وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ـ ثم إن رجلا من الانصار يقال له صرمة كان يعمل صائماً حتى امسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فاصبح صائماً، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً فقال : «مالي أراك قد جهدت جهداً شديداً » فاخبره ، قال وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام فاتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله ﴿أُحِلَّ لَكُمُ لَيْلَةَ الصِيَامِ الرَفَثُ إلى نِسائِكُم هُنَّ لِبَاسٌ لَكُم﴾[2] إلى قوله: ﴿ثم أتموا الصيام إلى

---

(١) سورة البقرة الآيات : ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٧ .

الليل ﴾ . ورواه ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي نحوه وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر . وللبخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله . ولتحرير هذا ، موضع آخر من التفسير ومن الاحكام الكبير وبالله المستعان.

قال ابن جرير : وفي هذا السنة امر الناس بزكاة الفطر، وقد قيل إن رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم ـ أو يومين ـ وأمرهم بذلك ، قال وفيها صلى النبي ﷺ صلاة العيد وخرج بالناس الى المصلى فكان أول صلاة عيد صلاها وخرجوا بين يديه بالحربة وكانت للزبير وهبها له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد.

قلت : وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بِسمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

غزوة بدر العظمى . يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُم اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحقِّ وَإنَّ فَرِيْقاً مِنَ المُؤْمِنِيْنَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُوْنَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُسَاقُونَ إلَى المَوْتِ وَهُم يَنْظُرُونَ وإذْ يَعِدُكُم اللهُ إحْدَى الطائِفَتَيْنِ أنَّها لكُمْ وَتَوَدُّوْنَ أنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ويُرِيْدُ اللهُ أنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِيْنَ لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجرِمُونَ﴾[2] وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه .

قال ابن اسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلا من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلا ـ أو أربعون ـ منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص . قال موسى بن عقبة عن الزهري كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين ، قال وكان في العير ألف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى فلهذا تخلف عن بدر .

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله ابن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا : لما سمع رسول

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٢٣ .

(٢) سورة الأنفال الآيات : ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ .

الله ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس فخفف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس[1] من لقي من الركبان تخوفا على أموال[2] الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة . قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير . قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤ يا افزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤ يا أفظعتني وتخوفت أن يدخل علي قومك منها شر ومصيبة فاكتم علي ما أحدثك ، قال لها وما رأيت ؟ قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها . ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة . قال العباس : والله إن هذه لرؤ يا وأنت فاكتميها لا تذكريها لأحد ، ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة ـ وكان له صديقا ـ فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لابنه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش ، قال العباس فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤ يا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل الينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال قلت وما ذاك ؟ قال تلك الرؤ يا التي رأت عاتكة قال قلت وما رأت ؟ قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم !! قد زعمت عاتكة في رؤ ياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون . وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب ، قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير شيء إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا ، قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ؟ قال

---

(١) في الاصلين يتجسس بالجيم وفي ابن هشام يحسس بالحاء المهملة وشرحها السهيلي فقال : يتسمع .

(٢) كذا في الحلبية وفي المصرية على أمر الناس وفي ابن هشام عن امر الناس .

قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من كبير ، وأيم الله لأتعرضن لـه فاذا عـاذ لاكفيكنه ، قـال فغدوت في اليوم الثالث من رؤ يا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أني قد فـاتني منه أمـر أحب أن أدركه منه . قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع بـه ، وكان رجـلا خفيفا حـديد الـوجه حـديد اللسـان حديـد النظر ، قـال : إذ خرج نحـو باب المسجد يشتد ، قال قلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرق مني أن أشاتمـه ؟! وإذا هو قـد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهـو يصرخ ببـطن الوادي واقفـا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أمـوالكم مع أبي سفيان قـد عرض لهـا محمد في أصحـابه لا أرى أن تـدركوهـا ، الغوث الغـوث . قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر ، فتجهز الناس سراعا وقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ؟ والله ليعلمن غير ذلك . وذكر موسى بن عقبة رؤ يا عاتكة كنحو من سياق ابن اسحاق . قـال فلما جـاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفـة خافـوا من رؤ يا عـاتكة فخرجوا على الصعب والذلول .

قال ابن اسحاق : فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكـانه رجـلا ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد الا أن أبا لهب بن عبد المطلب بعث مكـانه العـاصي بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها . قال ابن اسحاق : وحدثني ابن أبي نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبي معيط وهـو جالس في المسجـد بين ظهراني قـومه بمجمـرة يحملها فيهـا نـار ومجمـر حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا علي استجمـر فانمـا أنت من النساء . قـال قبحك الله وقبـح ما جئت به ، قال ثم تجهز وخرج مع الناس هكـذا قال ابن اسحـاق في هذه القصـة . وقد رواهـا البخاري على نحو آخر فقال حـدثني أحمد بن عثمـان حدثنـا شريـح بن مسلمة ثنـا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق حدثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حـدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لأمية بن خلف وكان أمية إذا مر بـالمدينـة نزل على سعـد بن معاذ وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلمـا قدم رسـول الله ﷺ المدينـة انطلق سعـد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة ، قال سعد لأمية أنظر لي ساعة خلوه لعلي أطوف بالبيت ، فخـرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل ، فقال يا صفوان من هذا معك ؟ قال هذا سعد . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً ، فقال لـه سعد ـ ورفـع صوتـه عليه ـ أما والله لئن منعتني هذا لامنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة . فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي ، قال سعد دعنا عنـك يا أميـة فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقـول : « إنهم قاتلوك » قـال بمكة ؟ قـال : لا أدري ؟ ففزع لـذلك

أمية فزعاً شديداً فلما رجع إلى أهله قال يا أم صفوان ألم ترى ما قال لي سعد ؟ قالت وما قال لك قال زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي ، فقلت له بمكة قال : لا أدري . فقال أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر . استنفر أبو جهل الناس فقال أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلّفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذ عبتني فوالله لاشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية يا أم صفوان جهزيني فقالت له يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي قال لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا ، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا الا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر . وقد رواه البخاري في موضع آخر عن محمد بن اسحاق عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق به نحوه ، تفرد به البخاري . وقد رواه الامام احمد عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد كلاهما عن اسرائيل وفي رواية اسرائيل قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يكذب .

قال ابن اسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كانوا بينهم وبين بني بكر ابن عبد مناة بن كنانة من الحرب . فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر في ابن لحفص بن الاخيف من بني عامر بن لؤي قتله رجل من بني بكر باشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص فقتل عامراً وخاض بسيفه في بطنه ثم جاء من الليل فعلقه باستار الكعبة فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم .

قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما اجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة . فقال : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعا . قلت : وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بطراً ورئَاءَ النَّاسِ وَيَصِدُّونَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ واللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيْطٌ ، وإِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهِمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وإِنِّي جَار لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتْ الفِئتَانِ نَكَصَ عَلَى عقبيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىَ مَا لَا تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ واللهُ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾[1] غرهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وراياته كما قاله غير واحد منهم ، فأسلمهم لمصارعهم . فلما رأى الجد والملائكة تنزل للنصر وعاين جبريل نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله . وهذا كقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُر فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ

---

(١) سورة الانفال الآيات : ٤٧ و ٤٨ .

العـالمين ﴾ [1] وقـد قـال الله تعـالى :﴿ وَقُـلْ جَـاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَـاطِـلُ إنَّ البـاطِـلَ كَـانَ زَهُوقاً ﴾[2]فابليس لعنه الله لما عاين الملائكة يـومئذ تنـزل للنصر فـر ذاهبا فكـان أول من هرب يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرَّهم ووعدهم ومنَّاهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . وقال يـونس عن ابن اسحاق : خـرجت قريش على الصعب والـذلول في تسعمـائة وخمسين مقـاتلا معهم مـائتا فـرس يقودونهـا ومعهم القيـان يضـر بن بـالـدفـوف ويغنين بهجـاء المسلمين . وذكر المطعمين لقريش يوما يوما ، وذكر الاموي أن أول من نحر لهم حين خـرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيـل ابن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر فظلوا فيها وأقاموا بها يوما فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعا ، ثـم اصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم نبيه ومنبه ابنا الحاج عشرا ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشرا ، ونحر لهم على ماء بدر أبـو البختري عشـرا ، ثم أكلوا من أزوادهم . قـال الأموي حدثنا أبي حـدثنا أبو بكر الهذلي قال كان مع المشركين ستون فرساً وستمـائة درع وكـان مع رسول الله ﷺ فرسان وستون درعا .

هذا ما كـان من أمر هؤلاء في نفيـرهم من مكة ومسيـرهم إلى بدر . وأمـا رسول الله ﷺ فقال ابن اسحاق : وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في اصحابـه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بـالناس ، ورد أبـا لبابـة من الروحـاء واستعمله على المدينـة ، ودفع اللواء إلى مصعب بـن عمير وكان أبيض ، وبين يـدي رسول الله ﷺ رايتـان سوداوان إحـداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب ، والاخرى مـع بعض الانصار . قـال ابن هشام كـانت راية الانصار مع سعد بن معاذ وقال الاموي كانت مـع الحباب بن المنـذر . قال ابن اسحـاق : وجعـل رسـول الله ﷺ على السـاقـة قيس بن أبي صعصعـة أخـا بني مـازن بن النجـار . وقـال الأموي : وكان معهم فـرسان على إحديهما مصعب بن عمير وعلى الأخرى الزبير بـن العوام [3] ومن سعد بن خيثمة ومن المقداد بن الاسود . وقد روى الامـام احمد من حـديث أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد .

وروى البيهقي من طريق ابن وهب عن أبي صخر عن أبي معـاوية البلخي عن سعيـد بن جبير عن ابن عباس أن عليـا قال لـه : ما كـان معنا إلا فـرسان فـرس للزبير وفـرس للمقداد بن الاسود ـ يعني يوم بدر ـ وقال الاموي حدثنا أبي حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن التيمي قال :

---

(1) سورة الحشر الاية : ١٦ .

(2) سورة الاسراء الآية : ٨١ .

(3) قوله ومن سعد الى الأسود كذا في الأصلين ولم نقف على صحتها فيا بأيدينا من كتب السير ولعله (ويتعقبانها) مرة سعد بن خيثمة ومرة المقداد بن الأسود .

كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فارسان ، الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن الأسود على الميسرة .

قال ابن اسحاق : وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها ، فكان رسول الله ﷺ وعلي ومرثد ابن أبي مرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى . وقد قال الامام احمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زربن حبيش عن عبد الله بن مسعود . قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله ﷺ . قال فكانت عقبة رسول الله ﷺ فقالا نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما باقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة به . قلت : ولعل هذا كان قبل أن يرد أبا لبابة من الروحاء ، ثم كان زميلاه علي ومرثد بدل أبي لبابة والله أعلم . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أمر بالاجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر ، وهذا على شرط الصحيحين . وإنما رواه النسائي عن أبي الأشعث عن خالد بن الحارث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به . قال شيخنا الحافظ المزي في الأطراف وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة . وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة فالله أعلم . وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب . قال سمعت كعب بن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد تفرد به .

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق ثم على ذي الحليفة ثم على أولات الجيش ثم مر على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات اليمامة ثم على السيالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهي الطريق المعتدلة حتى إذا كان بعرق الظبية لقي رجلا من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس سلم على رسول الله ﷺ قال أوفيكم رسول الله ﷺ قالوا نعم ! فسلم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله فاخبرني عما في بطن ناقتي هذه : قال له سلمة ابن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل عليّ فأنا اخبرك عن ذلك ، نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة . فقال رسول الله ﷺ : مه أفحشت على الرجل ، ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله ﷺ سجسج[1] وهي بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا ؟ فسلك في ناحية منها حتى إذا

---

(١) السجسج : الأرض الطرية .

جزع[1] واديا يقال له وحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم انصب منه حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدى بن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وعيره وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بخبر العير استنفر الناس اليها فان كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن اسحاق محفوظا فقد بعثهما مرتين والله أعلم .

قال ابن اسحاق رحمه الله : ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل عن جبليها ما اسماؤهما ؟ فقالوا يقال لاحدهما مسلح وللآخر مخرىء ، وسأل عن أهلهما فقيل بنو النار ، وبنو حراق ، بطنان من غفار فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما وأسماء أهلهما فتركهما والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر ابن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله ﷺ خيرا ودعا له . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا عليّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال « أجل » قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله قال فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ثم قال : « سيروا وابشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم » هكذا رواه ابن اسحاق رحمه الله . وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال

---

(١) جزعه أي قطعه ولا يكون إلا عرضاً . وجزع الوادي منقطعه .

سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين . فقال : لا نقول كما قال قوم موسى لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره انفرد به البخاري دون مسلم فرواه في مواضع من صحيحه من حديث مخارق به ورواه النسائي من حديثه وعنده : وجاء المقداد بن الأسود يوم بدر على فرس فذكره . وقال الامام احمد حدثنا عبيدة ـ هو ابن حميد ـ عن حميد الطويل عن أنس قال : استشار النبي ﷺ مخرجه إلى بدر فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار : إيا كم يريد رسول الله يا معشر الأنصار . فقال بعض الأنصار : يا رسول الله إذا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك . وهذا اسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح . وقال أحمد أيضا حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلم أبو بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه فقال سعد بن عبادة إيانا يريد رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لاخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، فندب رسول الله ﷺ الناس . قال فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ،فأخذوه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول مالي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف فاذا قال ذلك ضربوه فاذا ضربوه . قال نعم ! أنا أخبركم هذا أبو سفيان فاذا تركوه فسألوه قال مالي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ، فاذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فلمّا رأى ذلك انصرف فقال والذي نفسي بيده انكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذبكم .
قال وقال رسول الله ﷺ: هذا مصرع فلان يضع يده على الأرض ههنا وههنا، فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به نحوه . وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه ـ واللفظ له ـ من طريق عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يغنمناها ؟ » فقلنا نعم ! فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا « ما ترون في القوم فانهم قد أخبروا بمخرجكم ؟ » فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم ولكنا أردنا العير ، ثم قال « ما ترون في قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك . فقام المقداد بن عمرو [فقال] : إذا لا نقول لك يا رسول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، قال فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا مثل ما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله عز وجل

على رسوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيْقاً مِنَ المُؤْمِنِيْنَ لَكَارِهُونَ ﴾[1] وذكر تمام الحديث . وروى ابن مردويه أيضا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبيه عن جده . قال خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر يا رسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا ، قال ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ »فقال سعد بن معاذ يا رسول الله ايانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسير معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههٰنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله اليك غيره فانظر الذي أحدث الله اليك فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعد : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنَ بَيْتِكَ بالحَقِّ وَإِنَّ فَرْيْقاً مِنَ المُؤْمِنِيْنَ لَكَارِهُونَ ﴾[2] الآيات . وذكره الاموي في مغازيه وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت ؛ وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت . وما أمرت به من أمر فامرنا تبع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك .

قال ابن اسحاق : ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له الديّة[3]وترك الحنّان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه . قال ابن هشام هو أبو بكر . قال ابن اسحاق ـ كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان ـ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك فقال أو ذاك بذاك ؟ قال نعم ! قال الشيخ فانه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا . للمكان الذي به قريش ، فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ نحن من ماء » ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء أمن ماء العراق ؟ قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري .

قال ابن اسحاق : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي

---

(١) سورة الانفال الآية : الخامسة .

(٢) سورة الأنفال الآية : الخامسة .

(٣) كذا في الأصلين وابن هشام وفي معجم البلدان وفي تاريخ ابن جرير في هذا الخبر : الدبة بالباء الموحدة مشددة وهو الصحيح .

طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فاصابوا روايةلقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالوا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالا نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه وسلم . وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟ قالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، والكثيب العقنقل . فقال لهما رسول الله ﷺ كم القوم ؟ قالا كثير . قال ما عدتهم ، قالا لا ندري ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالا يوما تسعاً ويوما عشراً . فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التسعمائة إلى الالف » ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبدود . قال فاقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : « هذه مكة قد القت اليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن اسحاق : وكان بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذا شناً[1] لهما يستقيان فيه ، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما يتلازمان[2] على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . قال مجدي صدقت ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء . فقال لمجدي بن عمرو هل أحسست أحداً ؟ قال ما رأيت أحداً أنكره إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا ، فأتى ابو سفيان مناخهما[3] فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى . فقال : هذه والله علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب ابن عبد مناف رؤيا . فقال : إني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن

(١) الشن : القربة .
(٢) يتلازمان : لا يفارق الواحد الآخر .
(٣) مناخهما : مكان قعود بعيريهما .

ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه فبلغت أبا جهل لعنه الله فقال هذا أيضا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش انكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا . وقال الاخنس بن شريف بن عمرو بن وهب الثقفي ـ وكان حليفا لبني زهرة ـ وهم بالجحفة : يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة لا ما يقول هذا . قال فرجعوا فلم يشهدها زهري واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد . قال : ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب ـ وكان في القوم ـ وبين بعض قريش محاورة . فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم ـ وإن خرجتم معنا ـ أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال في ذلك :

لا هُمَّ إما يغزوَنَّ طالبْ ... في عُصبةٍ مُحالِفٍ محارْب
في مِقْنَبٍ[1] من هذه المقانبِ ... فليكنِ المسلوبَ غير السالبْ
وليكن المغلوبَ غير الغالب

قال ابن اسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي وهو يليل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش ، والقليب ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال تعالى : ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالعَدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بالعَدْوَةِ القُصوَى والرَّكْبُ أسفلُ مِنْكُمْ﴾[2] أي من ناحية الساحل: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ في المِيعَادِ ولَكِنْ لِيَقْضِيَ الله أمراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾[3] ﴾ الآيات : وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً فأصاب رسول الله ﷺ

(١) مقنب : جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٢ .

(٣) نفس السورة الأنفال ونفس الآية : ٤٢ .

وأصحابه منها ماء لبدلهم الأرض ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشاً منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت وفي هذا قوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ [1] فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً ، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته الخواطر ، وهذا تثبيت الباطن والظاهر وأنزل النصر عليهم من فوقهم في قوله : ﴿ إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلى المَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ ﴾ أي على الرؤوس ﴿ واضْرِبُوا مِنْهُمُ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[2] أي لئلا يستمسك منهم السلاح ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العقابَ ، ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وأَنَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابُ النَّارِ ﴾[3] .

قال ابن جرير : حدثني هارون بن اسحاق ثناء مصعب بن المقدام ثناء اسرائيل ثناء أبو اسحاق عن حارثة عن علي بن أبي طالب . قال : أصابنا من الليل طش[4] من المطر ـ يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ـ فانطلقنا تحت الشجر والجحف[5] نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ ـ يعني قائما يصلي ـ وحرض على القتال . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال : ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد . ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح ،وسيأتي هذا الحديث مطولا . ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة به : وقال مجاهد : أنزل عليهم المطر فاطفأ به الغبار وتلبدت به الأرض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشرة من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي إلى جذم[6] شجرة هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول « يا حي يا قيوم » يكرر ذلك ويلظ به عليه السلام .

قال ابن اسحاق : فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به قال ابن اسحاق : فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح . قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر

---

(١) سورة الأنفال الآية : ١١ .
(٢) سورة الأنفال الآية : ١٢ .
(٣) سورة الأنفال الآية : ١٣ .
(٤) طش : مطر خفيف .
(٥) الجحف : التروس من جلد بلا خشب .
(٦) جذم : قطعة من شجرة .

عنه . ام هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرأي » . قال الاموي حدثنا أبي قال وزعم الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . قال بينا رسول الله ﷺ يجمع الاقماص[1] وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله ﷺ : « هو السلام ومنه السلام واليه السلام » فقال الملك إن الله يقول لك ان الأمر [هو] الذي أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله ﷺ يا جبريل هل تعرف هذا ؟ فقال ما كل أهل السماء أعرف وانه لصادق وما هو بشيطان فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فعورت ، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية . وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار على رسول الله ﷺ نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي ﷺ فقال الملك يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الرأي ما أشار به الحباب ، فنظر رسول الله ﷺ الى جبريل فقال ليس كل الملائكة أعرفهم وأنه ملك وليس بشيطان . وذكر الأموي انهم نزلوا على القليب الذي يلي المشركين نصف الليل وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤا الحياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء .

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث ان سعد بن معاذ قال : يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عنك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبالك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ينصاحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ، ثم بنى لرسول الله ﷺ عريش كان فيه .

قال ابن اسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فاقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي جاؤ وا منه إلى الوادي . قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك الله فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم[2] الغداة » . وقد قال رسول الله ﷺ - وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم وهو على جمل له احمر « إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر » إن يطيعوه يرشدوا قال : وقد كان خفاف بن ايماء بن رحضة او أبوه ايماء بن رحضة الغفاري ، بعث إلى قريش ابناً له

---

(١) الاقماص : كذا في الاصلين ولم نعثر على هذا النص في غيرهما .

(٢) أحنهم : أهلكهم من الحين وهو الهلاك ذكره الخشني في غريب السيرة .

بجزائر أهداها لهم . وقال : « إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا » قال فارسلوا اليه مع ابنه أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذي عليك ، فلعمري إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة . قال فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فكان إذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كما سيأتي بيان ذلك في فصل نعقده بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله .

ففي صحيح البخاري عن البراء . قال : كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، وما جاوزه معه إلا مؤمن . وللبخاري أيضاً عنه . قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين ، والأنصار نيفاً وأربعون ومائتان . وروى الامام أحمد عن نصر بن رئاب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه . قال : كان أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر ، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة . وقال الله تعالى : ﴿إِذْ يُرِيكَهُم اللَّهُ في مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيْراً لَفَشِلْتِمْ ولتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ ولَكِنَّ اللَّهَ سَلَّم﴾[1] الآية . وكان ذلك في منامه تلك الليلة وقيل إنه نام في العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ ، وقد أراه الله إياهم في منامه قليلاً . ذكره الأموي وهو غريب جداً . وقال تعالى : ﴿وإِذْ يُرِيكُموهُم إِذْ التَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ويُقَلِلكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيقْضي اللَّهُ أمراً كان مفعولاً﴾[2] . فعندما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما في أعين الآخرين ليجترىء هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَقَتَا ، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ ، وأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأْيَ العَيْنِ واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[3] فإن المعنى في ذلك على أصح القولين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثليْ عدد الكافرة على الصحيح أيضاً ، وذلك عند التحام الحرب والمسابقة أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٤٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٣ .

وضعفوا وغلبوا . ولهذا قال : ﴿واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولي الأَبْصَارِ﴾[١] . قال اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيد وعبد الله . لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى أني لأقول لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين ؟ فقال أراهم مائة .

قال ابن اسحاق : وحدثني أبي اسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا : لما أطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا القوم أصحاب محمد ، قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً ، أو ينقصون ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد . قال فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فرُوا رأيكم ؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي قال قد فعلت أنت علي بذلك ، إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله . فأت ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فإني لا أخشى أن يسجر[٢] أمر الناس غيره ، ثم قام عتبة خطيباً فقال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه - أو ابن خاله - أو رجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك الفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل[٣] درعا فهو يهنئها[٤] فقلت له يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي . فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع الناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه . قال فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣ .

(٢) في ابن هشام بالشين المعجمة .

(٣) نثل : نزع والقى .

(٤) في الحلبية مهملة من النقط ، وفي سيرة ابن هشام يهنئها يتفقدها ويصلحها عن محمود الامام .

قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هـو ، ثم التمس عتبة بيضـة ليدخلهـا في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له .

وقـد روى ابن جريـر من طريق مسـور بن عبد الملك اليـربـوعي عن أبيـه عن سعيـد بن المسيب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن ، قال ائذن له فلما دخل قال : مرحباً يا أبا خالد أدن ، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينـه وبين الوسادة ثم استقبله فقال : حدثنا حديث بدر . فقال : خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً ، ثم خـرجنا حتى نـزلنا العـدوة التي قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت يا أبا الوليد هل لك في أن تذهب بشرف هـذا اليـوم ما بقيت ؟ قـال أفعل مـاذا ؟ قلت إنكم لا تطلبـون من محمد إلا دم ابن الحضـرمي وهـو حليفك ، فتحمل بدينه ويرجع الناس . فقال أنت علي بذلك وأذهب إلى ابن الحنـظلية ـ يعني أبا جهل ـ فقل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته فـإذا هو في جمـاعة من بين يديه ومن خلفه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسـه وهو يقـول : فسخت عقدي من عبد شمس ، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم فقلت له يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجـع اليـوم بمن معك ؟ قـال أما وجـد رسولاً غيـرك ؟ قلت لا ، ولم أكن لأكون رسـولاً لغيره . قـال حكيم فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتني من الخبر شيء وعتبـة متكيء على ايماء بن رحضـة الغفاري ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر . فطلع أبو جهل الشرّ في وجهه فقال العتبة : انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم ، فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ، فقال ايمـاء ابن رحضـة بئس الفأل هـذا ، فعند ذلـك قامت الحـرب . وقـد صف رسـول الله ﷺ أصحـابـه وعباهم أحسن تعبية فروى الترمذي عن عبد الـرحمن بن عوف . قـال صفنا رسـول الله ﷺ يوم بـدر ليلاً . وروى الامـام أحمد من حـديث ابن لهيعة حـدثني يزيـد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمـران حدثـه أنه سمـع أبا أيـوب يقول : صفنـا رسول الله ﷺ يـوم بدر فبـدرت منا بـادرة أمام الصف فنظر اليهم النبي ﷺ فقال : « معي معي » تفرد به أحمد وهذا اسناد حسن .

وقال ابن اسحاق : وحدثني حبان بن واسـع بن حبان عن أشيـاخ من قومـه أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزية حليف بني عمي ابن النجار وهـو مستنتـل[1] من الصف ، فطعن في بطنه بالقدح وقال : « استو يا سواد » فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثـك الله بالحق والعـدل فـاقـدنـي[2] فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال استقد ، قـال فاعتنقـه فقبل بـطنه ، فقـال ما حملك على هـذا يا سـواد ؟ قال يـا

---

(١) مستنتل : متقدم .

(٢) أقدني : جعلني أقتدي .

رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله بخير ﷺ وقاله . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث ـ وهو ابن عفراء ـ قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : « غمسه يده في العدو حاسراً » فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه . قال ابن اسحاق ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معهِ فيه غيره. وقال ابن اسحاق : وغيره وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه واقفاً على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب مهيأة لرسول الله ﷺ ان احتاج اليها ركبها ورجع إلى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ . وقد روى البزار في مسنده من حديث محمد بن عقيل عن عليّ أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا أنت يا أمير المؤمنين، فقال أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس . قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يحاده ، وهذا يتلتله[1] ويقولون أنت جعلت الآلهة إلّهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ثم رفع عليّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم ، فقال علي : فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه . ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه . فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول في العريش كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه . ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به « اللهم إنك ان تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض » وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول : « اللهم أنجز لي ما ودعتني ، اللهم نصرك » ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه . وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك .

[هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال بعض مناشدتك ربك من باب الاشفاق لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر، وكان رضي الله عنه

---

(١) يتلتل : يدفع .

رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله ﷺ . وحكى السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي بأنه قال : كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف والصديق في مقام الرجاء وكان مقام الخوف في هذا الوقت ـ يعني أكمل ـ قال لأن لله أن يفعل ما يشاء فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة . قلت وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام في مقابلة ما كان يوم الغار فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم][1] .

هذا وقد تواجه الفئتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدي الرحمن واستغاث بربه سيد الأنبياء وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء . فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي . قال ابن اسحاق : وكان رجلاً شرساً سيء الخلق فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فاطن[2] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب[3] رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض . قال الأموي : فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما عفراء ، والثالث عبد الله بن رواحة ـ فيما قيل ـ فقالوا من أنتم ؟ قالوا رهط من الأنصار . فقالوا مالنا بكم من حاجة . وفي رواية فقالوا أكفاء كرام ولكن أخرجوا إلينا من بني عمنا، ونادى مناديهم : يا محمد اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال النبي ﷺ : « قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي » وعند الأموي أن النفر من الأنصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله ﷺ لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه فأحب أن يكون أولئك من عشيرته فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن اسحاق فلما دنوا منهم قالوا من أنتم ؟ ـ وفي هذا دليل أنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح ـ فقال : عبيدة عبيدة ، وقال حمزة حمزة ، وقال علي علي . قالوا نعم !! اكفاء كرام . فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله وأما علي فلم يمهل الوليد ان قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعليّ باسيافهما على عتبة فذففا عليه

---

(١) ما بين المربعين من المصرية فقط .

(٢) اطن : قطع .

(٣) تشخب : تسيل .

واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضي الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز عن قيس بن عُباد عن أبي ذر : أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[1] نزلت في حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه يوم برزوا في بدر . هذا لفظ البخاري في تفسيرها . وقال البخاري حدثنا حجاج ابن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي ثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب ، أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل في الخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، تفرد به البخاري . وقد أوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

وقال الأموي حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن ابن المبارك عن اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي . قال : برز عتبة وشيبة والوليد وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلي . فقالوا تكلموا نعرفكم . فقال حمزة : أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال كفؤ كريم . وقال علي : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وقال عبيدة : أنا الذي في الحلفاء ، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم فقتلهم الله . فقالت هند في ذلك :

أعَيْنَيَّ جُودي بدمعٍ سَرِبْ ... على خيرِ خندف لم ينقلبْ
تداعى له رهطُه[2] غُدوةً[3] ... بنو هاشمٍ وبنو المطَّلب
يُذيقونه حدَّ أسيافهم ... يعلُّونه بعدَ ما قد عَطِب[4]

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأشرفه[5] رسول الله ﷺ قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله لو رآني أبو طالب لعلم أني أحق بقوله :

ونُسْلِمُه حتى نصرَّع دونه ... ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنك شهيد » رواه الشافعي رحمه الله وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رمى بسهم فقتله . قال ابن اسحاق فكان أول من قتل ، ثم رمى بعده حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو

---

(١) سورة الحج الاية ١٩ .
(٢) رهط : جماعة .
(٣) غدوة : باكراً .
(٤) عطب : هلك .
(٥) في السيرة الحلبية فأفرشه .

يشـرب من الحوض بسهم فـأصاب نحـره فمات . وثبت في الصحيحين عن أنس أن حـارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان في النظارة أصابه سهم غرب فقتله ، فجـاءت أمه فقـالت يا رسـول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع ـ يعني من النياح ـ وكانت لم تحزم بعد . فقال لها رسول الله ﷺ : « ويحك أهبلت ، إنهـا جنان ثمـان وان ابنك أصـاب الفردوس الأعلى » .

قال ابن اسحاق : ثم تزاحف الناس ودنـا بعضهم من بعض . وقال : أمـر رسول الله ﷺ أصحـابه أن لا يحملوا حتى يـأمرهم ، وقـال إن اكتنفـكم[1] القـوم فـانضحـوهـم[2] عنكم بالنبل . وفي صحيح البخاري عن أبي أسيد . قال قال لنا رسول الله ﷺ يوم بـدر إذا أكثبوكم ـ يعني المشركين ـ فارموهم واستبقوا نبلكم . وقـال البيهقي أخبرنـا الحاكم أخبـرنا الأصم حـدثنا أحمد بن عبد الجبـار عن يونس بـن بكيـر عن أبي اسحاق حـدثني عبد الله بن الـزبير . قـال : جعل رسول‌الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر يا بني عبد الرحمن . وشعـار الخزرج يـا بني عبد الله وشعار الأوس يا بني عبيد الله ، وسمى خيله خيل الله . قال ابن هشام : كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد .

قـال ابن اسحاق : ورسـول الله ﷺ في العريش معـه أبو بكـر رضي الله عنه ـ يعني وهـو يستغيث الله عز وجل ـ كما قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُوْنَ رَبَّكُم فَاسْتَجَابَ لَكُمْ إِنِّي مُمِـدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُـرْدِفِيْنَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم وما النصرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَـزِيـزٌ حَكِيمٌ﴾[3] . قـال الإمام أحمـد حدثنـا أبـو نوح قـراد ثنا عكـرمـة بن عمـار ثنـا سمـاك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نـظر رسول الله ﷺ إلـى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلى المشركين فاذا هم ألف وزيـادة فاستقبـل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وازاره ثم قال : «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعـد في الارض أبداً » فمـا زال يستغيث بربـه ويدعـوه حتى سقـط رداؤه . فـأتـاه أبـو بكـر فـأخـذ رداءه فـرده ثـم التـزمه مـن ورائـه ثـم قال : يا رسول الله كفاك[4] مناشدتك ربك فـانه سينجـز لك مـا وعدك فـانزل الله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُـونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ إِنِّي مُمِدُّكُم بالفِ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[5] وذكر تمام الحديث كمـا سيأتي وقـد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهـم من حديث عكرمة بن عمار اليمـاني وصححه علي بـن المديني والترمذي ، وهكذا قال غير واحد عن ابن عباس والسدي وابن جريـر وغيرهم

(١) اكتنفكم القوم : أحاطوا بكم .
(٢) نضح : فرق النبل .
(٣) سورة الأنفال الاية التاسعة .
(٤) في الحلبية كذلك وفي المصرية كذاك والتصحيح من انسان العيون .
(٥) سورة الانفال الاية : التاسعة .

إن هذه الآية نزلت في دعاء النبي ﷺ يوم بدر، وقد ذكر الأموي وغيره أن المسلمين عجوا إلى الله عز وجل في الاستغاثة بجنابه والاستعانة به وقوله تعالى : ﴿بالف من الملائكة مردفين ﴾ أي ردفا لكم ومدداً لفئتكم رواه العوفي عن ابن عباس . وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن بن زيد وغيرهم . قال أبو كُدينة عن قابوس عن ابن عباس ﴿ مردفين ﴾ وراء كل ملك ملك . وفي رواية عنه بهذا الاسناد ﴿مردفين ﴾ بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة . وقد روى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه والمؤمنين بالف من الملائكة ، وكان جبريل في خمسمائة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة ، وهذا هو المشهور. ولكن قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا اسحاق ثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربعي عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي . قال : نزل جبريل في الف من الملائكة على ميمنة النبي ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل في الف من الملائكة على ميسرة النبي ﷺ وأنا في الميسرة ورواه البيهقي في الدلائل من حديث محمد بن جبير عن علي فزاد: ونزل اسرافيل في الف من الملائكة وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء، فذكر انه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة ، وهذا غريب وفي اسناده ضعف ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال ويؤيدها قراءة من قرأ ﴿ بألف من الملائكة مردفين ﴾ بفتح الدال والله أعلم. وقال البيهقي اخبرنا الحاكم أخبرنا الاصم ثنا محمد ابن سنان القزاز ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب اخبرني اسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبي رافع عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده . قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال، ثم جئت مسرعا لا نظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل، قال فجئت فإذا هو ساجد يقول «يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم » لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً ، فذهبت الى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً حتى فتح الله على يده. وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن بندار عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي . وقال الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود. قال ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر ، جعل يقول «اللهم إني انشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد» ثم التفت وكأن شق وجهه القمر. وقال « كأني أنظر إلى مصارع القوم عشية » رواه النسائي من حديث الأعمش به . وقال لما التقينا يوم بدر قام رسول الله ﷺ فما رأيت مناشداً ينشد حقا له اشد مناشدة من رسول الله ﷺ وذكره . وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم عن أنس بن مالك كما تقدم ، وسيأتي في صحيح مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب. ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة وهو مناسب ، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ولا مانع من الجمع بين ذلك؛ بأن يخبر به قبل بيوم وأكثر، وان يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الوقعة

والله أعلم. وقد روى البخاري من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً » فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله الححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول ﴿ سَيُهزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّون الدُّبُرَ بَل الساعَةُ مَوْعِدُهُم والساعةَ أدْهىَ وأمرُّ ﴾[1] وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ قال عمر : أي جمع يهزم وأي جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ وروى البخاري من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول نزل على محمد بمكة ـ وإني لجارية العب ـ ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ .

قال ابن اسحاق: وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، وقد خفق النبي ﷺ [خفقة] وهو في العريش ثم انتبه فقال : «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع» يعني الغبار. قال ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم. وقال « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة . » قال عمير بن الحمام اخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله .

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : بعث رسول الله ﷺ بسبسا عينا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي ﷺ قال لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ، قال فحدثه الحديث قال فخرج رسول الله فتكلم فقال « إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضر فليركب معنا » فجعل رجال يستأذنونه في ظهورهم في علو المدينة قال « لا إلا من كان ظهره حاضراً » وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين الى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ « لا يتقد من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ « قوموا إلى جنة عرضها السموات والارض » قال يقول عمير بن الحمام الانصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض ، قال نعم ! قال بخ بخ ؟ فقال رسول الله «ما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال لا والله يا رسول الله

---

(١) سورة القمر الأيتان : ٤٥ ـ ٤٦ .

إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال فانك من أهلهـا » قال فـأخرج تمـرات من قرنـه فجعل يـأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة ، قال فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتـل رحمه الله . ورواه مسلم عن أبي بكـر بن أبي شيبة وجمـاعة عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيـرة بـه ، وقـد ذكر ابن جـرير أن عميـراً قاتـل وهو يقول رضي الله عنه . :

ركـضـاً إلـى الله بـغـيـرِ زادِ إلا التُقى وعـمـلِ الـمـعـادِ
والـصـبـرُ في الله عـلى الـجـهـادِ وكـلُّ زادٍ عُـرضَـةَ الـنـفـاد
غيرَ التُّقى والبرِّ والرشـادِ

وقال الإمام احمد : حدثنا حجاج حدثنا اسرائيل عن أبي اسحـاق عن حارثـة بن مضرب عن علي قال : لمـا قدمنا المدينة أصبنـا مـن ثمارهـا فـاجتـويناهـا[1] وأصـابنـا بهـا وعـك[2] وكان رسول الله ﷺ يتحيز عن بدر فلما بَلَغَنا ان المشـركين قد أقبلوا سـار رسول الله ﷺ إلى بدر ـ وبدر بئر ـ فسبقنا المشركين اليها فوجدنا فيها رجلين رجلا من قريش ومـولى لعقبة بن أبي معيط فاما القرشي فانفلت ، وأما المولى فـوجدنـاه فجعلنا نقـول له كم القـوم ، فيقول هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قـال ذلك ضـربوه حتى انتهـوا به إلى رسـول الله ﷺ فقال له كم القوم ؟ قال هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجهد النبي ﷺ أن يخبـره كم هم فـابى ثم ان النبي ﷺ سألـه كم ينحرون من الجـزر فقال عشـراً كـل يـوم . فقـال النبي ﷺ «القوم ألف ، كل جزور لمائـة وتبعها » ثم إنـه أصابنـا من الليـل طش من مـطر فانـطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد » فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس ، من تحت الشجر والحجف فصلى بنـا رسول الله ﷺ وحـرض على القتـال ثم قـال «إن جمـع قـريش تحت هـذه الضلع الحمراء من الجبل » فلما دنا القـوم منا وصـافقناهم إذا رجـل منهم على جمل لـه أحمر يسيـر في القوم ، فقـال رسول الله ﷺ : «يـا علي ناد حمـزة » وكان أقـربهم من المشـركين من صاحب الجمل الاحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتـال ويقول لهم يـا قوم أعصبـوها بـرأسي وقولـوا جبن عتبة بن ربيعـة، وقد علمتم أني لست بـأجبنكم . فسمع بذلك أبـو جهل فقـال : أنت تقول ذلك والله لو غيـرك يقـولـه لا عضضتـه[3] قـد مـلأت رئتـك جوفك رعباً . فقال : إياي تعيريا مصفر استه ؟ سيعلم اليوم أينـا الجبان فبـرز عتبة وأخـوه شيبة

---

(١) اجتوى : كره المقام .

(٢) وعك : الم من شدة التعب والمرض .

(٣) اعضض : آزر .

وابنه الوليد حمية فقالوا : من يبارز فخرج فتية من الانصار مشببة فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن نبارز من بني عمنا من بني عبد المطلب فقال رسول الله ﷺ «قم يا حمزة وقم يا علي ، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب » فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين ، واسرنا سبعين وجاء رجل من الانصار بالعباس بن عبد المطلب اسيراً، فقال العباس: يا رسول الله والله إن هذا ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الانصاري : أنا اسرته يا رسول الله . فقال: «اسكت ، فقد أيدك الله بملك كريم » قال فاسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيلا ونوفل ابن الحارث هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتي . وقد تفرد بطوله الإمام أحمد. وروى أبو داود بعضه من حديث اسرائيل به ، ولما نزل رسول الله ﷺ من العريش وحرض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى آمراً لهم ﴿ يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَة فاثْبِتُوا واذْكُرْوا اللَّهَ كَثِيْراً﴾[1] الآية .

وقال الاموي حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق قال قال الاوزاعي : كان يقال قلما ثبت قوم قياما ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغض طرفه ويذكر الله رجوت أن يسلم من الرياء . وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه : ألا ترونهم - يعني أصحاب النبي ﷺ - جثيا على الركب كأنهم حرس يتلمظون[2] كما تتلمظ الحيات - أو قال الأفاعي - قال الأموي في مغازيه : وقد كان النبي ﷺ حين حرض المسلمين على القتال قد نفل كل امرىء ما أصاب. وقال « والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل [فيقتل] صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع ، ثم نزلا فحرضا وحثًا على القتال وقاتلا بالابدان جمعاً بين المقامين الشريفين . قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً . ورواه النسائي من حديث أبي اسحاق عن حارثة عن علي قال : كنا إذا حمي البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله ﷺ . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبي عون عن أبي صالح الحنفي عن علي . قال : قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر : مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل . واسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال يشهد الصف - وهذا يشبه ما تقدم من الحديث أن أبا بكر في الميمنة ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزيلاً كان جبريل على أحد المجنبتين في خمسمائة من الملائكة، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكر الصديق ، وكان ميكائيل على المجنبة الاخرى في خمسمائة من

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٤٥ .

(٢) تلمظ : حرك لسانه فمسح شفتيه .

الملائكة فوقفوا في الميسرة وكان علي بن أبي طالب فيها [وفي حديث رواه أبو يعلى من طـريق محمد ابن جبير بن مطعم عن علي . قال كنت أسبح على القليب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكـائيل في الف من المـلائكة فـوقف على يمـين رسول الله ﷺ وهنـاك أبو بكـر ، واسرافيل في الف في الميسرة وأنا فيها ، وجبريل في الف قال ولقد طفت يومئذ حتى بلغ أبطي][1]
وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أفخر بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

ويـبـئـرٍ بـدرٍ إذ يـكـفّ مَـطِـيَّـهـم   جـبـريـلُ تحتَ لـوائِـنـا ومحـمـد

وقد قال البخاري حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا جريـر عن يحيى بن سعيد عن معـاذ بن رفـاعة بن رافع الزرقي عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : جـاء جبريـل إلى رسول الله ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخاري . وقـد قال الله تعـالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّـكَ إِلى المَلاَئِكَـةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُـوا الَّذِيْنَ آمَنُـوا سَأُلقِي في قُلُوْبِ الَّـذِيْنَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فاضْـرِبُـوا فَـوقَ الاعْنَـاقِ ـ يعني الرؤ وس ـ وَاضْرِبُـوا مِنْهُم كُلَّ بَنَـانٍ ﴾[2] وفي صحيح مسلم من طـريق عكرمـة بن عمار عن أبي زميل حدثني ابن عباس . قال : بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشـركين أمـامه إذ سمع ضربة بالسـوط فوقـه وصوت الفارس . أقـدم حيزوم [3] إذ نـظر إلى المشرك أمـامه قـد خر مستلقيـا ، فنظر إليـه فاذا هـو خطم [4] وشق وجهـه بضربـة السوط وحضـر ذلك أجمـع فجاء الانصاري فحدث ذاك رسول الله ﷺ فقال «صـدقت ذلك من مـدد السماء الثـالثة » فقتلوا يـومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن اسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عمن حدثه عن ابن عباس عن رجل من بني غفـار . قال : حضـرت أنا وابن عم لي بـدراً ونحن على شـركنا ، وإنـا لفي جبل ننتـظر الوقعة عـلى من تكون الـدائرة ، فـاقبلت سحابـة فلما دنت من الجبل سمعنـا منها حمحمـة الخيل، وسمعنا قائلاً يقول : أقدم حيزوم فاما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما انا لكدت أن أهلك ثم انتعشت بعد ذلك . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالـك بن ربيعة ـ وكـان شهد بـدراً ـ قال ـ بعـد أن ذهب بصره ـ لـو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى . فلما نـزلت الملائكـة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم ﴿ إني مَعَكُم فَثَبِّتُـوا الـذِينْ آمنـوا ﴾[5] وتثبتهم أن

(١) ما بين المربعين لم يرد في المصرية .
(٢) سورة الانفال الاية : ١٢ وما بعدها .
(٣) حيزوم : اسم ترس جبريل .
(٤) خطم : ضرب أنفه .
(٥) سورة الأنفال الآية : ١٢ .

الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول لـه أبشروا فـانهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم .

وقال الواقدي حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عبـاس . قال كان الملك يتصور في صورة من يعرفون فيقول إني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون لـو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشيء إلى غير ذلـك من القول فـذلك قـوله ﴿ إذ يوحي ربك إلى المـلائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنـوا ﴾ الآية. ولما رأى إبليس الملائكـة نكص على عقبيـه وقال إني بـريء منكم إني أرى ما لا ترون وهو في صورة سراقة وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم ، فانه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه في الجبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً وروى البيهقي من طريق سلامة عن عقيـل عن ابن شهاب عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال أبـوأسيد ـ بعـد ما ذهب بصـره ـ يا ابن أخي والله لـو كنت أنا وأنت ببـدر ثم أطلق الله بصري لأريتـك الشعب الذي خـرجت علينا منـه الملائكة من غير شك ولا تمار وروى البخاري عن ابراهيم بن موسى عن عبد الوهـاب عن خالـد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر « هذا جبريل آخـذ برأس فـرسه وعليـه اداة الحرب » .

وقال الواقدي حدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وأخبرني موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه. وحدثني عابـد بن يحيى عن أبي الحويـرث عن عمارة ابن أكيمة الليثي عن عكرمة عن حكيم بن حزام قالوا : لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقـول «اللهم إن ظهروا عـلى هذه العصـابة ظهـر الشرك ولا يقـوم لك دين » وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك ؛ فانزل الله الفا من الملائكـة مردفـين عند اكتناف العدو . قال رسول الله ﷺ «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر [1] بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض . فلما نزل إلى الارض تغيب عني ساعـة ثم طلع وعلى ثنـاياه النقـع [2] يقول أتـاك نصرالله إذ دعـوته ». وروى البيهقي عن أبي أمـامة بن سهـل عن أبيـه . قال : يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وأن أحدنا ليشـير إلى رأس المشرك فيقـع رأسه عن جسـده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال ابن اسحاق حدثني والدي حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي قـال إني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه فوقع رأسا قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله. وقـال يونس بن بكيـر عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الـربيـع بن أنس . قـال : كـان النـاس

---

(١) اعتجر : لف عمامته .

(٢) النقع : ما اجتمع فيها من المياه .

يعرفون قتلي الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار وقد احرق به .

وقال ابن اسحاق : حدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس : قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارخوها على ظهورهم الا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء . وقد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكةفي يوم سوى يوم بدر من الايام، وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عدداً ومدداً لا يضربون. وقال الواقدي حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية عن مصعب بن عبد الله عن مولى لسهيل بن عمرو سمعت سهيل بن عمرو يقول : لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون. وكان ابو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره . قال : لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمتري. قال وحدثني خارجة بن ابراهيم عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ لجبريل: «من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم »؟ فقال جبريل يا محمد ما كل أهل السماء أعرف .

قلت : وهذا الاثر مرسل ، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل كما قاله السهيلي وغيره والله أعلم . وقال الواقدي حدثني اسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال فما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلمها قد رأيتها يوم بدر. وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عقيل عن أبي بردة بن نيار قال جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتهن بين يدي رسول الله ﷺ فقلت أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فاني رأيت رجلا طويلاً [قتله] فاخذت رأسه . فقال رسول الله ﷺ « ذاك فلان من الملائكة » وحدثني موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه . قال: كان السائب بن أبي حبيش يحدث في زمن عمر يقول : والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال فمن ؟ يقول لما انهزمت قريش انهزمت معها فادركني رجل اشعر طويل على فرس ابيض فاوثقني رباطا وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً فنادى في العسكر من أسر هذا ؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال من أسرك قلت لا أعرفه وكرهت أن أخبره بالذي رأيت فقال رسول الله ﷺ « أسرك ملك من الملائكة » اذهب يا ابن عوف باسيرك . وقال الواقدي حدثني عابد بن يحيى حدثنا ابو الحويرث عن عمارة بن أكيمة عن حكيم بن حزام قال لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجاد من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نهلا فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ولقيّ الملائكة [وقال اسحاق بن راهويه حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثني أبي عن محمد بن اسحاق حدثني أبي عن جبير بن مطعم . قال: رأيت قبل هزيمة القوم ـ والناس يقتتلون ـ مثل البجاد [1] الأسود

---

(١) البجاد : ثوب مخطط .

قد نزل من السماء مثل النمل الاسود، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم][1] ولما تنزلت الملائكة للنصر ورآهم رسول الله ﷺ حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ وبشر بذلك أبا بكر وقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثناياه النقع » يعني من المعركة ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش في الدرع فجعل يحرض على القتال ويبشر الناس بالجنة ويشجعهم بنزول الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم حصل لهم السكينة والطمأنينة وقد حصل النعاس الذي هو دليل على الطمأنينة والثبات والايمان ، كما قال : ﴿ إِذْ يَغْشيكُم النعاسُ أمنةً منهُ ﴾[2] و هذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن، ولهذا قال ابن مسعود : النعاس في المصاف من الايمان : والنعاس في الصلاة من النفاق. وقال الله تعالى : ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحوا فقَدْ جاءَكُم الفتحُ وإنْ تَنْتَهوا فَهُوَ خيرٌ لَكُم وإنْ تَعُودُوا نعدْ ولَنْ تُغْنى عَنْكُمْ فئتُكم شَيْئًا ولو كَثُرَتْ وإنَّ الله مَعَ المؤمنين ﴾[3] قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة ان أبا جهل قال - حين التقى القوم - اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح وكذا ذكره ابن اسحاق في السيرة ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري ، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضاً ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الاموي حدثنا اسباط بن محمد القرشي عن عطية عن مطرف في قوله ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ قال قال أبو جهل : اللهم [اعن] أعز الفئتين ، وأكرم القبيلتين، وأكثر الفريقين . فنزلت ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ وإذ يِعِدُكُم الله احدَى الطائفتين أنَّها لَكُمْ ﴾[4] قال أقبلت غير أهل مكة تريد الشام فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة فاسرعوا اليها لكيلا يغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه فسبقت العير رسول الله ﷺ وكان الله قد وعدهم احدى الطائفتين، وكانوا يحبون أن يلقوا العير ، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم . فنزل النبي ﷺ والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رملة (دعصة)[5] فاصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا ! فامطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا فاذهب الله عنهم رجز الشيطان فصار الرمل لبداً ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بالف من الملائكة. فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء

---

(١) ما بين المربعين لم يرد في المصرية .
(٢) سورة الأنفال الآية : ١١ .
(٣) سورة الأنفال الآية : ١٩ .
(٤) سورة الأنفال الآية : السابعة .
(٥) دعصة : جافة وشديدة الحر .

إبليس في جند من الشياطين ومعه ذريته وهم في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، وقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم فلما اصطف الناس قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله ﷺ يديه فقال «يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً ». فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه ـ وكانت يده في يد رجل من المشركين ـ انتزع إبليس يده ثم ولى مدبراً وشيعته ، فقال الرجل يا سراقة أما زعمت انك لنا جار ؟ قال إني أرى مالا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة رواه البيهقي في الدلائل.

[وقال الطبراني حدثنا مسعدة بن سعد العطار ثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي ثنا عبد العزيز بن عمران ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الانصاري عن رفاعة بن رافع، قال : لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق ان يخلص اليه ، فتشبث به الحارث بن هشام وهو يظن أنه سراقة بن مالك ، فوكز في صدر الحارث ثم خرج هارباً حتى القى نفسه في البحر ورفع يديه فقال : اللهم إني أسألك نظرتك إياي وخاف ان يخلص القتل إليه . وأقبل ابو جهل فقال يا معشر الناس لا يهولنكم خذلان سراقة بن مالك فإنه كان على ميعاد من محمد . ولا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد فإنهم عجلوا ، فواللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال ، فلا الفين رجلا منكم قتل رجلا ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم اياكم ورغبتهم عن اللات والعزى . ثم قال أبو جهل متمثلا :

مـا تـنقَمُ الحربُ الشموسُ مني بـازلُ عـامـينِ حديثٌ سنّي
لمثلي هذا ولدتني أمي][1]

وروى الواقدي عن موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي بكر بن أبي سليمان عن أبي حتمة سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر فجعل الشيخ يكره ذلك ، فالح عليه فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الارض مثل وقعة الحصاة في الطست، وقبض النبي ﷺ القبضة التراب فرمى بها فانهزمنا ، قال الواقدي وحدثنا اسحاق ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير سمعت نوفل ابن معاوية الديلي يقول: انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى في الطاس في افئدتنا

---

(١) ما بين المربعين سقط من المصرية .

ومن خلفنا، وكان ذلك من أشد الرعب علينا .

وقال الاموي حدثنا أبي ثنا ابن ابي اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم قطعنا للرحم وآتانا بمالا نعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح . فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال«أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع أتاك نصر الله وعدته » وأمر رسول الله ﷺ فاخذ كفا من الحصى بيده ثم خرج فاستقبل القوم فقال « شاهت الوجه » ثم نفحهم بها ثم قال لاصحابه «احملوا فلم تكن إلا الهزيمة » فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم ، وقال زياد عن ابن اسحاق ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال « شاهت الوجوه » ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال « شدوا » فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم . وقال السدي الكبير قال رسول الله ﷺ لعلي يوم بدر «أعطني حصباء من الارض » فناوله حصباء عليها تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله في ذلك ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُم وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنْ اللَّهَ رَمَى ﴾[1] وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم ان هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدر ، وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سيأتي في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة . وذكر ابن اسحاق ان رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الانصار على باب العريش ومعهم السيوف خيفة ان تكر راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ قال ابن اسحاق : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له « كأني بك يا سعد تكره ما يصنع القوم »؟ قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك. فكان الأثخان[2] في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال . قال ابن اسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض اهله عن عبد الله بن عباس أن النبي ﷺ قال لاصحابه يومئذ « إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم احداً من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فانه إنما خرج

---

(١) سورة الأنفال الآية ١٧ .

(٢) الاثخان : المبالغة في قتل الأعداء .

مستكرها » فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : انقتل آباءنا وأبناءنا وأخواننا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لالحمنه بالسيف . فبلغت رسول الله فقال لعمر : «يا أبا حفص» قال عمر : والله إنه لاول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ : بابي حفص ، «أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف»؟ فقال عمر : يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق : فقال أبو حذيفة ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه .

مقتل ابي البختري بن هشام

قال ابن اسحاق : وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل البختري لانه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة . كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقيه المجذر بن ذياد البلوي حليف الانصار فقال له : إن رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة وهو من بني ليث قال وزميلي ؟ فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ، ما امرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عن نساء قريش بمكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. وقال ابو البختري وهو ينازل المجذر :

لن يترك[1] ابنُ حرةٍ زميله ... حتى يموتَ أو يرى سبيلَه

قال فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد وقال في ذلك :

إما جهلتَ أو نسيتَ نَسَبي ... فأثبتِ النسبةَ إني من بلى[2]
الطاعنينَ[3] برماح اليَزَني[4] ... والطاعنينَ[5] الكبشَ حتى ينحني
بشّر بيتم من أبوه البختري ... أو بشّرنْ بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصْلي من بلى ... أطعنُ بالصعدةِ حتى تنثني
وأعبطُ[6] القِرنَ بعضبٍ مشرفي ... أرزُمُ[7] للموتِ كإرْزام المري

فلا يرى مجذّراً يَفْري فرى

ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به فأبى ألا أن يقاتلني ، فقاتلته فقتلته .

---

(١) وفي ابن هشام : لن يسلم ابن حر زميله .
(٢) بلى : اسم بلد وفيه ثورية .
(٣) الطاعنين : الضاربين .
(٤) اليزني : صفة للرماح .
(٥) في ابن هشام والضاربين .
(٦) اعبط : اقتل .
(٧) ارزم : اشتد .

فصـل في مقتل أمية بن خلف

قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحـدثنيه ايضـاً عبد الله بـن أبي بكـر وغيرهمـا عن عبد الـرحمن بن عوف . قـال : كان أميـة بن خلف لي صديقـاً بمكة ، وكان اسمي عبـد عمرو فتسميت حين أسلمت عبـد الرحمن فكـان يلقاني ونحن بمكـة فيقـول : يا عبـد عمرو أرغبت عن اسم سمـاكه أبـوك ؟ قال فـأقول نعم ! قـال فـاني لا أعـرف الرحمن فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به أما أنت فلا تجيبني باسمك الاول وأما أنا فلا أدعـوك بما لا أعرف. قال وكان إذا دعاني يا عبـد عمرو لم أجبـه ، قال فقلت لـه يا أبـا علي اجعل مـا شئت. قال فأنت عبد الاله قال قلت نعم!قال فكنت إذا مررت به قال يا عبد الاله فأجيبه فـاتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده،قال ومعي أدراع لي قد استلبتها فأنا أحملها فلما رآني . قال يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال يا عبد الاله فقلت نعم ! قال هل لك في فأنـا خير لـك من هذه الادراع التي معك قال قلت نعم هـا الله ، قال فـطرحت الادراع من يدي وأخـذت بيده وبيد ابنه وهو يقول : ما رأيت كـاليوم قط ، أمـا لكم حاجـة في اللبن ؟ ثم خرجت أمشي بهما . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الـواحد بن أبي عون عن سعد ابن ابراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عـوف. قال قـال لي أمية بـن خلف وأنـا بينه وبين ابنـه آخذاً بأيديهما : يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامـة في صدره ؟ قـال قلت حمزة قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل. قال عبد الرحمن فوالله إني لاقـودهما إذ رآه بـلال معي ـ وكان هو الذي يعذب بلال بمكة على الاسلام ـ فلمـا رآه قال رأس الكفـر أمية بن خلف ، لا نجـوت إن نجا،قال قلت أي بلال أسيري ، قال لا نجوت إن نجا،قال ثم صرخ بأعلا صوتـه يا أنصـار الله رأس الكفر امية بن خلف لانجوت إن نجا ، فـأحاطـوا بنا حتى جعلونـا في مثل المسكـة[1] فانا اذب عنه ، قال فاخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة مـا سمعت بمثلها قط ، قال قلت انج بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال فهبروهما باسيافهم حتى فرغوا منهما . قال فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالاً فجعني بادراعي وباسيريّ، وهكذا رواه البخاري في صحيحه قريبا من هذا السياق فقال في الوكالة حدثنا عبد العـزيز ـ هـو ابن عبد الله ـ حدثنـا يوسفـ ـ هـو ابن الماجشـون ـ عن صالـح بن ابراهيم بن عبـد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال: كاتبت أمية بن خلف كتابا بأن يحفـظني في صاغيتي[2] بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلمـا ذكرت الـرحمن قال لا أعـرف الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمـرو فلما كـان يوم بـدر خرجت إلى جبـل لاحرزه حين نام الناس فابصره بلال فخـرج حتى وقف على مجلس [من] الانصار فقـال: أمية

(١) المسكة بالتحريك السوار أي جعلونا في حلقه كالسوار واحدقوا بنا .

(٢) الصاغية : خاصة الناس والمائلون اليد .

ابن خلف ؟ لانجوت إن نجا أمية بن خلف فخرج معه فريق من الانصار في آثارنا فلما خشيت ان يلحقونا خلفت لهم ابنه لاشغلهم فقتلوه ثم اتوا حتى تبعونا وكان رجلا ثقيلا ، فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فالقيت عليه نفسي لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه . وأصاب احدهم رجلي بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه . سمع يوسف صالحا وابراهيم أباه . تفرد به البخاري من بينهم كلهم . وفي مسند رفاعة بن رافع انه هو الذي قتل أمية بن خلف .

مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب (العوان)[1] مني بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدتني امي

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه امر بابي جهل ان يلتمس في القتلى؛ وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله ابن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة[2] وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه ، فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه ، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة (أطنت)[3] قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين (طاحت)[4] إلا بالنواة (تطيح)[4] من تحت (مرضخة)[5] النوى حين يضرب بها ، قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي ، واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي وإني لاسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها . قال ابن اسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان . ثم مر بأبي جهل - وهو (عقير)[6] - معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بابي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى وقد قال لهم رسول الله ﷺ - فيما بلغني ! أنظروا إن خفي عليكم في

---

(١) العوان : الحرب الطاحنة .

(٢) الحرجة : الشجر الملتف وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه سأل اعرابيا عن الحرجة قال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل اليها .

(٣) اطن : قطع .

(٤) طاحت : تاهت في الهواء .

(٥) مرضخة : حجر كبير تكسر به الحجار الصغيرة .

(٦) عقير : مقطوع الساق .

القتلى إلى أثر جرح في ركبته فاني ازدحمت انا وهو يوما على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت اشف منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه (فحجش) [1] في أحدهما حجشا لم يزل أثره به . قال ابن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته . فوضعت رجلي على عنقه ، قال وقد كان ضبث بي [2] مرة بمكة فآذاني ولكزني ثم قلت له : هل أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال وبماذا أخزاني ؟ قال اعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال قلت لله ولرسوله .

قال ابن اسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول قال لي : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يار ويعي الغنم ، قال ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله . فقال «آلله الذيْ لا إله غيره »؟ . وكانت يمين رسول الله ﷺ فقلت نعم ! والله الذي لا إله غيره ثم القيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله . هكذا ذكر ابن اسحاق رحمه الله . وقد ثبت في الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون عن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف. قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فاذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة اسنانهما ، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما فغمزني أحدهما فقال : يا عم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك إليه ؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الا عجل منا فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها ، فلم أنشب ان نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فاخبراه فقال « أيكما قتله » . قال كل منهما أنا قتلته . قال « هل مسحتما سيفيكما »؟ قالا : لا قال فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال :«كلاهما قتله»وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح - والآخر معاذ بن عفراء . وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده. قال قال عبد الرحمن : إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل، فقلت يا ابن أخي ما تصنع به ؟ قال عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله ، قال فما سرني انني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء . وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «من ينظر ماذا صنع أبو جهل » قال ابن مسعود : أنا يا رسول الله فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . قال فأخذ بلحيته

---

(١) حجش : جرح .
(٢) ضبث : قبض عليه ولزمه .

قال فقلت أنت أبو جهل ؟ فقال وهل فوق رجل قتلتموه ـ أو قال قتله قومه ـ وعند البخاري عن أبي أسامة عن اسماعيل بن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال : هل اخزاك الله ؟ فقال هل أعمد من رجل قتلتموه وقال الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد . ومعي سيف رديء فجعلت (أنقف)[1] رأسه بسيفي وأذكر نقفا كان ينقف رأسي بمكة حتى ضعفت يده[2] فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدائرة لنا أو علينا ألست رويعينا بمكة ؟ قال فقتلته ، ثم أتيت النبي ﷺ فقلت قتلت أبا جهل ، فقال آلله الذي لا إله إلا هو؟ فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي إليهم فدعا عليهم .

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضربت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له ، فقلت الحمد لله الذي أخزاك الله يا عدو الله. قال هل هو إلا رجل قتله قومه فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده فندر[3] سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته قال ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ كأنما أقل من الأرض[4] فأخبرته فقال « آلله الذي لا إله إلا هو »؟ فرددها ثلاثا ، قال قلت آلله الذي لا إله إلا هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال «الحمد لله الذي قد أخزاك الله يا عدوالله هذا كان فرعون هذه الأمة » وفي رواية أخرى قال ابن مسعود (فنفلني) [5] سيفه .
وقال أبو اسحاق الفزاري عن الثوري عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال اتيت رسول الله ﷺ يوم بدر فقلت قد قتلت أبا جهل فقال «آلله الذي لا إله إلا هو »؟ فقلت آلله الذي لا إله إلا هو مرتين ـ أو ثلاثا ـ قال فقال النبي ﷺ : «الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » ثم قال « انطلق فأرنيه » فانطلقت فأريته فقال « هذا فرعون هذه الامة ». ورواه ابو داود والنسائي من حديث أبي اسحاق السبيعي به . وقال الواقدي وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال « رحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر » فقيل يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قال « الملائكة وابن مسعود قد شرك في قتله » رواه البيهقي .

[وقال البيهقي أخبرنا الحاكم اخبرنا الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن أبي اسحاق قال : لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلا ؟ فخلف له فخر رسول

---

(١) انقف : اضربه .
(٢) في المصرية : صفقت يده .
(٣) ندر : سقط .
(٤) أي أحمل من شدّة الفرح .
(٥) نفلني : أعطاني .

الله ﷺ ساجداً] ثم روى البيهقي من طريق أبي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء - امرأة من بني أسد - عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جيء برأس أبي جهل . وقال ابن ماجة حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال حدثتني شعثاء عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ صلى يوم بشّر برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا ابي حدثنا هشام أخبرنا مجالد عن الشعبي أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : إني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعةمعه حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً. فقال رسول الله ﷺ «ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة ». وقال الاموي في مغازيه سمعت أبي ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال إني رأيت رجلا جالساً في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الارض! فقال رسول الله «ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة «وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا ابو أسامة عن هشام عن أبيه قال قال الزبير : لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه الا عيناه ، وهويكنى أبا ذات الكرش، فقال أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه (بعنزة)[1] فطعنته في عينه فمات قال هشام فأخبرت أن الزبير قال : لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها ، قال عروة فسأله إياها رسول الله ﷺ فاعطاه إياها ، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فاعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فاعطاه اياه ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل . وقال ابن هشام حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص - ومر به - إني أراك كأن في نفسك شيئاً أراك تظن أني قتلت أباك إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة فاما أبوك فاني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله .

قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله ﷺ فاعطاه جذلا من حطب فقال «قاتل بهذا يا عكاشة » فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعاد سيفا في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحة الاسدي أيام الردة ، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله :

---

(١) عنزة : عصا لها زج في أسفلها .

عشيّةَ غادْرتُ ابنَ أقرم[1] ثاوياً وعكّاشةَ الغُنْميّ عندَ مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتي بيانه . قال ابن اسحاق : وعكاشة هو الذي قال حين بشر رسول الله ﷺ أمته بسبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أدع الله ان يجعلني منهم قال « اللهم أجعله منهم » وهذا الحديث مخرج في الصحاح والحسان وغيرهما. قال ابن اسحاق : وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - « منا خير فارس في العرب » قالوا ومن هو يا رسول الله ؟ قال عكاشة بن محصن» فقال ضرار بن الأزور ذاك رجل منا يا رسول الله ، قال ليس منكم ولكنه منا للحلف . وقد روى البيهقي عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني عمر بن عثمان الخشني عن أبيه عن عمته قالت قال عكاشة بن محصن : انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً فاذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك . وقال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الاشهل عدة قالوا : انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب[2] فقال : اضرب به فاذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة .

رده عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو سعد الماليني أخبرنا أبو أحمد بن عدي حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحماني ثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال : « لا » فدعاه فغمز حدقته براحته فكان لا يدري أي عينيه أصيب وفي رواية فكانت أحسن عينيه . وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك .

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدّ عينُه فرُدَّت بكفِّ المصطفى أيما ردِّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشداً قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن فأنشده عمر في موضعه حقا :

تلكَ المكارمُ لاقُعبانِ من لبنٍ شِيباً بماءٍ فعادا بعد أبوالا

---

(١) ابن أقرم : هو ثابت بن أقرم الأنصاري كما في ابن هشام .

(٢) عذق ابن طاب نخل بالمدينة وابن طاب ضرب من الرطب .

فصل قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ اخبرنا محمد بن صالح اخبرنا الفضل بن محمد الشعراني حدثنا ابراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز بن عمران حدثني رفاعة بن يحيى عن معاذ ابن رفاعة بن رافع عن أبيه رافع بن مالك . قال لما كان يوم بدر تجمع الناس على أبي بن خلف ، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت ابطه ، قال فطعنته بالسيف فيها طعنة ، ورميت بسهم يوم بدر ، ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فما أذاني منها شيء وهذا غريب من هذا الوجه واسناده جيد ولم يخرجوه. ورواه الطبراني من حديث ابراهيم بن المنذر . قال ابن هشام ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد فقال: اين مالي ياخبيث فقال عبد الرحمن :

لم يبقَ إلا (شكّة)[1] (ويعبوبٌ)[2] وصارم يقتُل ضلالَ الشيب

يعني لم يبق إلا عدة الحرب ، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة ، وهذا يقوله في حال كفره. وقد روينا في مغازي الأموي أن رسول الله ﷺ جعل يمشي هو وأبو بكر الصديق بين القتلى ورسول الله ﷺ يقول « نفلق هاما » فيقول الصديق :

مِن رجال أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى ان يطرحوا في القليب ، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليخرجوه فتزايل [لحمه] فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم فقال : « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » قالت فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قوما موتى فقال «لقد علموا ان ما وعدهم ربهم حق» قالت عائشة: والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم، وإنما قال رسول الله ﷺ لقد علموا قال ابن اسحاق : وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب النبي ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول «يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ،ويا شيبةبن ربيعةويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام- فعدد من كان منهم في القليب -هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » فقال المسلمون : يا رسول الله ﷺ

(١) شكة : جبل .

(٢) يعبوب : الفرس السريع .

أتنـادي قومـا قد جيفـوا ؟ فقـال «مـا أنتم بـاسمـع لمـا أقـول منهم ، ولكنهم لا يستـطيعـون ان يجيبوني » وقد رواه الامام احمد عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس فذكر نحوه . وهذا على شـرط الشيخين. قال ابن اسحـاق وحدثني بعض اهـل العلم ان رسـول الله ﷺ قـال «يـا أهـل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقـا فاني قـد وجدت مـا وعدني ربي حقا ».

قلت : وهذا مما كانت عائشة رضي الله عنها تتأوله من الاحاديث كما قـد جمع مـا كانت تتأوله من الأحاديث في جزء وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القبور﴾[1] وليس هـو بمعارض لـه والصواب قـول الجمهور من الصحـابة ومن بعـدهم للاحـاديث الدالـة نصـا على خـلاف مـا ذهبت إليـه رضي الله عنهـا وأرضاها . وقال البخاري حدثنا عبيد بـن اسماعيل حدثنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيـه قـال: ذكر عنـد عائشـة أن ابن عمـر رفـع إلى النبي ﷺ أن الميت يعـذب في قبـره ببكـاء أهله فقالت : رحمه الله ؛ إنما قال رسول الله ﷺ إنه ليعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليبكـون عليه الآن»قالت وذاك مثل قوله إن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال: قال انهـم ليسمعـون ما أقول وإنما قال إنهم الآن ليعلمون انما كنت أقـول لهم حق ، ثم قرأت [إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من في القبور] تقول حين تبوّأوا مقاعدهم من النار. وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي اسامة به ، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من الاحكام الكبيـر إن شاء الله . ثم قال البخارى حدثني عثمان ثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر قال : وقف النبي ﷺ على قليب بـدر فقال : «هـل وجدتم مـا وعد ربكم حقـا » ثم قال « انهم الآن يسمعـون ما أقول لهم » وذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي ﷺ إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت(إنك لا تسمع الموتى) حتى قرأت الآية. وقد رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي اسامة. وعن أبي بكر بن ابي شيبة عن وكيـع كلاهمـا عن هشام بن عـروة. وقال البخـاري حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال ذكـر لنا أنس ابن مالك عن أبي طلحة ان رسول الله ﷺ أمر يوم بدر باربعة وعشرين رجـلا من صناديـد قريش فقـذفوا في طـوي من أطواء بـدر خبيث مخبث ، وكان اذا ظهـر على قوم أقـام (بالعـرصة)[2] ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشد عليها رحلهـا ، ثم مشى وتبعه أصحـابه

---

(١) سورة فاطر الآية : ٢٢ .

(٢) العرصة : كل بقعة ليس فيها بناء .

وقالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفه الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال النبي ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما ، وقد أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجة من طرق عن سعيد بن أبي عروبة . ورواه الإمام احمد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث أنس بن مالك فذكر مثله . فلم يذكر أبا طلحة وهذا اسناد صحيح ، ولكن الاول أصح وأظهر والله أعلم. وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : «يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا » قال فسمع عمر صوته فقال يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا ». ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زينبَ (بالكثيبِ)(١) … كخطِّ الوحي في الورقِ (القشيبِ)(٢)
تَداولُها الرياحُ وكل (جَوْنٍ)(٣) … من الوسمي منهمرٌ سَكوب
فأمسى رسمُها خَلِقا وأمست … (يباباً)(٤) بعد ساكنها الحبيب
فدَعْ عنك التذكّر كل يوم … وردَّ حرارةَ القلب(٥) الكئيب
وخبِّر بالذي لا عيبَ فيه … بصدقٍ غير أخبارِ الكَذوب
بما صنعَ المليكُ غداةَ بدرٍ … لنا في المشركين من النصيب
غداةَ كأن جمعَهُم حِراءٌ … بدتْ أركانُه جُنحَ الغروب
فلاقيناهمُ منا بجمعٍ … كأُسْد الغاب (مُرْدانٍ)(٦) وشيب
أمامَ محمدٍ قد وازروه … على الأعداء في لفحِ الحروب
بأيديهم (صوارمُ)(٧) مرهفاتٌ … وكل مجرَّبٍ خاطي الكعوب
بنو الأوسِ (الغطارفُ)(٨) وآزرتْها … بنو النَّجار في الدِّين الصليب

(١) الكثيب : التل من الرمل .
(٢) القشيب : الأبيض .
(٣) جون : نبات أسود .
(٤) يباباً : خراباً .
(٥) في ابن هشام الصدر الكئيب .
(٦) مردان : شباب .
(٧) صوارم : سيوف ماضية .
(٨) الغطارف : الشباب الحسان .

فـغـادرْنـا أبـا جـهـلٍ صـريـعـاً　　وعتبـةَ قـد تـركْنـا بـالجـبـوب[1]

وشيـبـةَ قـد تـركْنـا في رجـالٍ　　ذوي حسبٍ إذا نُسبـوا حسـيـب

يـنـاديـهـم رسـولَ الله لـمّـا　　قـذفـنـاهـم كبـاكـبَ في الـقـليب

ألـم تـجـدوا كـلامـي كان حـقـاً　　وأمـرَ الـلّهِ يـأخـذُ بـالـقـلـوب

فمـا نـطقـوا ولـو نـطقـوا لقـالـوا　　صـدقـتَ وكـنـتَ ذا رأيٍ مـصـيـب

قال ابن اسحاق : ولما أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا في القليب أخذ عتبة بن ربيعة فحسب في القليب فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لـونه فقـال : « يا حـذيفة لعلك قـد دخلك من شأن أبيـك شيء - أو كما قـال رسـول الله ﷺ - فقـال : لا والله يا رسـول الله ما شككت في أبي ولا في مصـرعه ، ولكني كنت أعـرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسـلام ، فلما رأيت مـا أصابـه وذكرت مـا مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك فدعا له رسول الله ﷺ بخيـر وقال لـه خيراً وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان ثنـا عمرو عن عـطاء عن ابن عباس ﴿الَّـذِيْنَ بَدَّلُـوا نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً﴾[2] قـال : هم والله كفار قـريش . قال عمـرو : هم قريش ، ومحمـد نعمة الله (وأحلوا قومهم دار البوار) قال : النار يوم بدر . قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت :

قَـومـي الـذيـن هـمُ آوَوا نـبـيَّـهـم　　وصـدَّقـوه وأهـلُ الأرض كـفـار

إلا خـصـائصَ أقـوامٍ هـم سـلفٌ　　لـلصـالحيـن من الأنـصـار أنـصار

مـستبشـريـن بـقـسـمِ الله قـولُـهُـم　　لمـا أتـاهم كـريمُ الأصـل مختـار

أهـلاً وسهـلاً ففـي أمنٍ وفـي سعـةٍ　　نِـعم الـنبيُّ ونعـم الـقـسـمُ والـجـار

[فـأنـزلـوه بـدارٍ لا يَـخـافُ بهـا　　من كـان جـارُهُـم داراً هي الـدار][3]

وقـاسمـوهم بهـا الأمـوالَ إذ قَـدِمـوا　　مهـاجـرين وقسمُ الجـاحـدِ النـار

سِـرنـا وسـاروا إلى بـدرٍ لِحِينـهُـم　　لـو يعلمـونَ يَقينَ العلم مـا سـاروا

(دلاّهُـم)[4] بغـرورٍ ثـم أسلَمـهـم　　إن الـخـبـيـثَ لِـمَـنْ والاهُ غـرّار

وقـال إنـي لـكـم جـارٌ فـأوردَهـم　　شـرَّ المـوارد فيـه الخـزيُ والعـار

ثـم الـتقـيـنـا فـولّـوا عن سَـراتـهـمُ　　من مُنجـدين ومنهـم فِـرقـةٌ غـاروا

---

(١) الجبوب اسم للأرض لأنها تجب أي تحُفر .

(٢) سورة ابراهيم الآية : ٢٨ .

(٣) البيت عن ابن هشام وقوله في الذي يليه (الجاحد) في الأصل الجاهل وكذا قوله (دلاهم) في الأصل والاهموا والتصحيح عن ابن هشام .

(٤) دلاّهم : ارشدهم .

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن أبي بكر وعبد الرزاق . قالا : حدثنا اسرائيل عن عكرمة عن ابن عباس . قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قيل له عليك العير ليس دونها شيء ، فناداه العباس وهو في الوثاق : إنه لا يصلح لك . قال لم ؟ قال لأن الله وعدك احدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك . وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور الف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم أن سيسلم منهم بشر كثير . ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية ، وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط وكن سبعاً فيهن من الأمم والدواب والأراضي والمزروعات ، وما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات واتبعهن بالحجارة التي سومت لهم كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط كما تقدم .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين وبين تعالى حكمه في ذلك فقال : ﴿فَإِذَا لَقِيتُم الَّذِيْنَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُم فَشُدُّوا الوِثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بعد وإمَّا فِداء حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَها ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لانْتَصَرَ منهُمْ ولَكِنَّ لِيَبْلُوَ بَعضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾[1] الآية . وقال تعالى : ﴿قَاتِلُوهُم يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ويَخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ . وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾[2] الآية . فكان قتل أبي جهل على يدي شاب من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له لقد رقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم ، ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه والله أعلم .

وقد ذكر ابن اسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلماً ولكنه خرج معهم تقية منهم لأنه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن اسلامه جماعة منهم ؛ الحارث بن زمعة بن الاسود ، وأبو قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة] وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج . قال وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَوَفاهُمْ الملائِكَةُ ظَالِمي أَنْفُسِهُم قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِيْنَ في الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيْها فَأُولَئِكَ مأْواهُمْ جَهَنَّم وَسَاءَتْ مصيراً﴾[3] وكان جملة الاسارى يومئذ سبعين أسيراً كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم من آل رسول الله ﷺ عمه العباس بن عبد

---

(١) سورة محمد الآية الرابعة .

(٢) سورة التوبة الآية ١٤ .

(٣) سورة النساء الآية : ٩٧ .

المطلب ، وابن عمه عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد استدل الشافعي والبخاري وغيرهما بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمرة في ذلك فالله أعلم . وكان فيهم أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبي ﷺ .

فصـــل :

وقد اختلف الصحابة في الاسارى أيقتلون أو يفادون على قولين ، كما قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم عن حميد عن أنس ـ وذكر رجل ـ عن الحسن . قال استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر فقال: «إن الله قد أمكنكم منهم»قال فقام عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم ، قال فاعرض عنه النبي ﷺ ، ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق فقال يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء . قال وأنزل الله تعالى : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم﴾[1] الآية ، انفرد به احمد . وقد روى الامام أحمد ـ واللفظ له ـ ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه وكذا علي بن المديني وصححه من حديث عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً ، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوّادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان فقلت : يا رسول الله أخبرني ، ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة » ـ لشجرة قريبة ـ وأنزل الله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا واللَّهُ يُرِيْدُ الآخِرَةَ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا

---

(١) سورة الانفال الاية : ٦٨ .

كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخذْتُم﴾[1] من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم وذكر تمام الحديث .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ قال فقال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم قال وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك وكذّبوك قربهم فاضرب أعناقهم . قال وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله أنظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم به ثم أضرمه عليهم ناراً . قال فدخل رسول الله ﷺولم يرد عليهم شيئاً . فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس يأخذ بقول عمر ، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . فخرج عليهم فقال ؟ إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم قال : ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحكيم﴾[3] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلى الأَرْضِ مِنَ الكافِرينَ دِيَاراً﴾[4] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال : ﴿رَبَّنَا اطْمُسْ عَلَى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبهم فَلا يُؤْمِنوا حَتَّى يَرُوا العَذَابَ الأليمَ﴾[5] أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضربة عنق قال عبد الله : فقلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام قال فسكت ، قال فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال : « إلا سهيل بن بيضاء » قال فأنزل الله ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم﴾ إلى آخر الآيتين وهكذا رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي معاوية . وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك . وقد روى عن أبي أيوب الأنصاري بنحوه . وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرك من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال : لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الأنصار قال وقد أوعدته الانصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » قال عمر أفآتيهم ؟ قال نعم فأتى عمر الأنصار فقال لهم : أرسلوا العباس ، فقالوا لا والله لا نرسله ، فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله رضى ؟ قالوا فإن كان له رضى فخذه ، فأخذه عمر فلما صار في يده قال له عمر : يا عباس أسلم فوالله

---

(1) سورة الانفال الايتان : ٦٧ و ٦٨ .

(2) سورة ابراهيم الاية : ٣٦ .

(3) سورة المائدة الاية : ١١٨ .

(4) سورة نوح الاية : ٢٦ .

(5) سورة يونس الاية : ٨٨ .

لئن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه اسلامك . قال واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر عشيرتك فأرسلهم واستشار عمر فقال اقتلهم ، ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ الآية . ثم قال الحاكم في صحيحه هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وروى الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال خير أصحابك في الاسارى إن شاؤ وا الفداء وإن شاؤ وا القتل على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم ، قالوا الفداء أو يقتل منا . وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسلاً عن عبيدة والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في قوله ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] يقول لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . وهكذا روى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضاً واختاره ابن اسحاق وغيره وقال الأعمش سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بدراً . وهكذا روى عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، وقال مجاهد والثورى ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ أي لهم بالمغفرة . وقال الوالبي عن ابن عباس سبق في أم الكتاب الأول أن المغانم وفداء الاسارى حلال لكم ، ولهذا قال بعده ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[2] وهكذا روى عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة والأعمش ، واختاره ابن جرير وقد ترجح هذا القول بما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « لم تحل الغنائم لسود الرؤ وس غيرنا » ولهذا قال تعالى : ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً﴾ فأذن الله تعالى في أكل الغنائم وفداء الاسارى وقد قال أبو داود حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العبسي ثنا سفيان بن حبيب ثنا شعبة عن أبي العنبس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وهذا كان أقل ما فودي به أحد منهم من المال ، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهم . وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[3] الآية . وقال الوالبي عن ابن عباس نزلت في العباس ففادى نفسه بالأربعين أوقية

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٨ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٦٩ .

(٣) سورة الأنفال الآية : ٧٠ .

من ذهب قال العباس ؛ فآتاني الله أربعين عبداً ـ يعني كلهم يتجر له ـ قال وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه . وقال ابن اسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل[1] عن بعض أهله عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والاسارى محبوسون بالوثاق ، بات النبي ﷺ ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه مالك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : « سمعت أنين عمي العباس في وثاقه » فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب . قلت : وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم فقال له رسول الله ﷺ : « أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم باسلامك وسيجزيك » فادعى أنه لا مال عنده قال : « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها إن أصبت في سفري فهذا لبنيَّ الفضل وعبد الله وقثم ؟ » فقال والله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل رواه ابن اسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس . وثبت في صحيح البخاري من طريق موسى بن عقبة قال الزهري حدثني أنس بن مالك قال إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا إيذن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداءه . فقال : « لا والله لا تذرون منه درهماً » قال البخاري وقال ابراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن النبي ﷺ أتى بمال من البحرين فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ ، إذ جاءه العباس فقال : يا رسول الله أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً فقال : « خذ » فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلي . قال : « لا » قال فارفعه أنت علي ، قال : « لا » فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلي قال : « لا » قال فارفعه أنت علي قال : « لا » فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق . فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم . وقال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن اسماعيل بن عبد الرحمن السدي . قال : كان فداء العباس وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمائة دينار ، ثم توعد تعالى الآخرين فقال : ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ واللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2] .

فصل :

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد في

---

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية معقل وفي الخلاصة العباس بن عبد الله بن معبد .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٧١ .

غيـر ما حـديث مما تقـدم وسيأتي إن شـاء الله ، وكما في حـديث البراء بن عـازب في صحيح البخاري أنهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين . وقال موسى بن عقبـة : قتل يـوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعين ، وأسـر منهم تسعة وثلاثين . هكذا رواه البيهقي عنه . قـال وهكذا ذكـر ابن لهيعة عن أبي الأسـود عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين . ثم قـال أخبرنـا الحاكم أخبـرنا الأصم أخبـرنا أحمـد بن عبد الجبـار عن يونس بن بكيـر عن محمد بن اسحـاق . قـال واستشهـد من المسلمين يوم بدر أحـد عشر رجـلاً ، أربعة من قـريش وسبعة من الأنصـار وقتل من المشـركين بضعة وعشرون رجلاً وقال في مـوضع آخـر : وكان مـع رسول الله ﷺ أربعـون أسيراً ، وكـانت القتلى مثل ذلك . ثم روى البيهقي من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيـل عن الزهري قال : وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر ، ورجل من الأنصار وقتل يومئـذ من المشـركين زيادة على سبعين ، وأسـر منهم مثل ذلـك ، قال ورواه ابن وهب عن يـونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن الزبيـر قال قـال البيهقي ـ وهو الأصـح ـ فيما روينـاه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم ، ثم استدل على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضاً من طريق أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : أمر رسول الله ﷺ على الـرماة يـوم أحد عبـد الله بن جبير ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبي ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائـة ، سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً . قلت والصحيح أن جملة المشركين كانوا مـا بين التسعمائـة إلى الألف وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً ، وكأنـه أخذه من هـذا الذي ذكـرناه والله أعلم . وفي حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف ، والصحيح الأول لقوله عليه السلام « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » وأما الصحابة يومئذ فكـانوا ثـلاثمائـة وبضعة عشـر رجـلاً كما سيـأتي التنصيص على ذلك وعلى أسمـائهم إن شاء الله ، وتقـدم في حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السـابع عشـر من شهر رمضـان ، وقال أيضاً عروة بن الـزبير وقتـادة واسماعيـل والسدي الكبيـر وأبو جعفـر الباقـر . وروى البيهقي من طريق قتيبة عن جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود في ليلة القـدر قال : « تحروها لاحدى عشـرة بقين فإن صبيحتهـا يوم بـدر » . قال البيهقي وروى عن زيـد بن أرقم أنـه سئل عن ليلة القـدر فقال ليلة تسـع عشرة مـا شـك ، وقـال يـوم الفـرقـان يـوم التقى الجمعان . قال البيهقي والمشهـور عن أهل المغـازي أن ذلك لسبـع عشرة ليلة مضت من شهـر رمضان . ثم قال البيهقي أخبرنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنـا حنبل ابن اسحاق ثنا أبـو نعيم ثنا عمـرو بن عثمان سمعت مـوسى بن طلحـة يقـول سئـل أبـو أيـوب الانصاري عن يوم بدر فقال : إمـا لسبع عشـرة خلت ، أو ثلاث عشـرة خلت أو لاحدى عشـرة بقيت . وإما لسبع عشرة بقيت وهذا غريب جداً .

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قباث بن أشيم الليثي من طريق الواقدي وغيره بإسنادهم إليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال : « وجعلت أقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء والله لو خرجت نساء قريش بالها »[١] ردت محمداً وأصحابه . فلما كان بعد الخندق قلت لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع في نفسي الاسلام ، قال فقدمتها فسألت عنه فقالوا هو ذاك في ظل المسجد في ملأ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت فقال يا قباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء ، فقلت أشهد أنك رسول الله فإن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا (تزمزمت)[٢] به إلا شيئاً حدثت به نفسي ، فلولا أنك نبي ما أطلعك عليه ، هلم أبايعك على الاسلام فأسلمت][٣] .

فصــل :

وقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر في المغانم من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون . ففرقة أحدقت برسول الله ﷺ تحرسه خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه . وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن . فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في(النفل)[٤] وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين عن بواء ، يقول عن سواء . وهكذا رواه أحمد عن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق به ومعنى قوله على السواء أي ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخصص بها فريقاً منهم ممن ادعى التخصيص بها ، ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه كما قد يتوهمه بعض العلماء منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم . بل قد تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذو الفقار من مغانم بدر . قال ابن جرير : وكذا اصطفى جملاً لأبي جهل كان في أنفه برة من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً . وقال الامام أحمدحدثنا معاوية بن عمرو ثنا ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى

---

(١) في الأصلين هكذا (بالها) بدون نقط . ولعلها بآلتها أي بسلاحها .
(٢) تزمزمت : حركت شفتي .
(٣) ما بين المربعين من الحلبية فقط .
(٤) النفل : العطاء .

عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا نحن نفينا منها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ، فأنزل الله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلّهِ والرسول فاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأَطِيعُوا اللَّهَ ورسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] فقسمها رسول الله بين المسلمين . وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل راجعاً نفل الثلث وكان يكره الانفال . وقد روى الترمذي وابن ماجة من حديث الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث آخره وقال الترمذي هذا حديث حسن . ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه . وقد روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ، فسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاؤ وا يطلبون الذي جعل لهم قال الشيوخ : لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءاً لكم لو انكشفتم لفئتم الينا ، فتنازعوا فأنزل الله تعالى ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها ههنا ومعنى الكلام أن الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكما فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ولهذا قال تعالى : ﴿قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ ثم ذكر ما وقع في قصة بدر وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلْرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ﴾[2] الآية فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله في الأنفال الذي جعل مرده إليه وإلى رسوله ﷺ ، فبينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى ، وهو قول أبي زيد وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر على السواء بين الناس ، ولم يخمسها . ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدم ، وهكذا روى الوالبي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وفي هذا نظر والله أعلم . فإن في سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها في غزوة بدر فيقتضى أن ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضاً ، ثم

---

(١) سورة الانفال : الاية : الأولى .

(٢) سورة الأنفال الاية : ٤١ .

في الصحيحين عن علي رضي الله عنه أنه قال في قصة شار فيه اللذين اجتب أسنمتهما حمزة إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحاً على أبي عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم . بل خمست كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما وهو الصحيح الراجح والله أعلم .

فصـــل :

في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيداً منصوراً عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام ، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين ، فركب ناقته ووقف على قليب بدر فقرع أولئك الذين سحبوا إليه كما تقدم ذكره ، ثم سار عليه السلام ومعه الأسارى والغنائم الكثيرةوقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة . قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سوينا [التراب] على رقية بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه قد احتبس عندها بمرضها بأمر رسول الله ﷺ ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدر . قال أسامة : فلما قدم أبي زيد بن حارثة جئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة . وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري العاص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . قال قلت يا أبة أحق هذا ؟ قال إي والله يا بني . وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة ابن زيد أن النبي ﷺ خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت (الهيعة)[1] فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى . وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه . وقال الواقدي صلى رسول الله ﷺ مرجعه من بدر العصر بالاثيل فلما صلى ركعة تبسم فسئل عن تبسمه فقال : « يرى ميكائيل وعلى جناحه النقع فتبسم إلي وقال إني كنت في طلب القوم ، وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنيه الغبار فقال يا محمد إن ربي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت ؟ قال نعم. قال الواقدي قالوا وقدّم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الاثيل فجاءا يوم الاحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل

(١) الهيعة : الصحة والصوت المرتفع .

عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمعة بن الاسود ، وأمية ابن خلف ، وأسر سهيل بن عمرو ، قال عاصم بن عدي : فقمت إليه فنحوته فقلت أحقاً يا ابن رواحة ؟ فقال إي والله وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين . ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يبشرهم داراً داراً والصبيان ينشدون معه يقولون : قتل أبو جهل الفاسق ، حتى إذا انتهى إلى دار بني أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلى صاح على راحلته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وقتل أمية بن خلف وأبو جهل وأبو البختري وزمعة بن الاسود ، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثير فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاً حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا. وقدم زيد حين سوينا على رقية بنت رسول الله ﷺ بالبقيع ، وقال رجل من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه ؟ وقال آخر لأبي لبابة : قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل عليه أصحابه قتل محمد وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلاًّ فقال أبو لبابة : يكذب الله قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيد إلا فلاًّ . قال أسامة فجئت حتى خلوت بأبي فقلت أحق ما تقول ؟ فقال إي والله حق ما أقول فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت (المرجف)[1] برسول الله وبالمسلمين، لنقدمنك إلى رسول الله إذا قدم فليضربن عنقك ، فقال إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه . قال فجيء بالأسرى وعليهم شقران مولى رسول الله ﷺ وكان قد شهد معهم بدراً وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحصوا . قال الواقدي : وهم سبعون في الأصل مجتمع عليه لا شك فيه قال ولقي رسول الله ﷺ إلى الروحاء رؤوس الناس يهنئونه بما فتح الله عليه . فقال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها عير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت. فقال له رسول الله : « صدقت » . قال ابن اسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين ـ قال ابن هشام [يقال إنه] هو عدي بن أبي الزغباء ـ :

أَقمِ لها صدورَها يا بسبس ... ليس بذي الطَّلحِ لها معرَّسُ
ولا بصحراءِ عميرٍ محبسُ ... إن مطايا القوم لا تحبَّس
فحملُها على الطريقِ أكيَس ... قد نصرَ اللّهُ وفرَّ الأخنَس

---

(١) المرجف : الخائض في الأخبار السيئة .

قال ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له سَيَر إلى سرحة به فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان ما الذي تهنئوننا به . والله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « أي ابن أخي أولئك الملأ » قال ابن هشام : يعني الاشراف والرؤساء .

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن اسحاق : حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله علي ابن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط . قال ابن اسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فمن للصبية يا محمد ؟ قال : « النار » وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو ابن عوف كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر . وكذا قال موسى بن عقبة في مغازيه وزعم أن رسول الله ﷺ لم يقتل من الاسارى أسيراً غيره . قال ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت . قال : يا معشر قريش علام أقتل من بين مَنْ ههنا ؟ قال على عداوتك الله ورسوله . وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال : لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال : أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال : « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي» قال ابن هشام ويقال بل قتل عقبة علي بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل . قال ابن هشام : فقالت قتيلة بنت الحارث اخت النضر بن الحارث في مقتل أخيها :

يا راكباً انّ الاثيلَ مظنّةٌ ... من صُبحِ خامسةٍ وأنتَ موفّق
أبلغْ بها ميّتا بأنّ تحيةً ... ما إن تزالَ بها النجائبُ تخفق
مني إليكَ وعبرةً مسفوحةً ... جادتْ بوابلها وأخرى تخنق
هل يسمعنّ النضرُ إن ناديتُه ... أم كيفَ يسمع ميّتٌ لا ينطق
أمحمد يا خيرَ ضِيءٍ كريمةٍ ... من قومِها والفَحلُ فحلٌ معرق
ما كان ضرَّكَ لو مننتَ وربما ... منّ الفتى وهو المَغيظُ المحنق

أو كنتَ قابلَ فديةٍ فلينفِقن	باعزّ ما يغلو به ما ينفق
والنضرُ أقربُ من أسرتَ قرابةً	وأحقُّهم ان كان عتقٌ يعتق
ظلّتْ سيوفُ بني أبيه (تنوشُه)[1]	لله أرحامٌ هنالك تُشْقَق
صبراً يُقادُ إلى المنيّةِ متعَبا	(رسفَ)[2] المقيَّدِ وهو (عانٍ)[3] موثق

قال ابن هشام: ويقال والله أعلم أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن اسحاق : وقد تلقى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي حجامه عليه السلام ومعه زق خمر[4] مملوء حيسا ـ وهو التمر والسويق بالسمن ـ هدية لرسول الله ﷺ فقبله منه ووصى به الانصار. قال ابن اسحاق ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الانصاري بيوم. قال ابن اسحاق: وحدثني نبيه بن وهب اخو بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالاسارى فرقهم بين اصحابه وقال « استوصوا بهم خيراً » قال وكان ابو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لابيه وأمه في الأسارى، قال ابو عزيز: مربي أخي مصعب بن عمير ورجل من الانصار يأسرني فقال شديديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، قال ابو عزيز فكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فأستحي فاردها فيردها عليّ ما يمسها . قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لابي اليسر ـ وهو الذي أسره ـ ما قال قال له أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب إنه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي فقيل لها أربعة آلاف درهم . فبعثت باربعة آلاف درهم ففدته بها. قلت : وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الاثير في غابة الصحابة ، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة. وكان أخا مصعب بن عمير لابيه ، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافراً ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم. قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة . قال قدم بالاسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ، عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، قال وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب، قال تقول سودة والله إني لعندهم إذ أتينا فقيل هؤلاء الاسارى قد أتى بهم ،

(١) تنوشه : تناله .

(٢) الرسف : مشية المقيد .

(٣) عان : أسير .

(٤) كذا في الاصلين وفي ابن هشام ولقي رسول الله الخ ـ بحميت مملوء حيساً والحميت الزق .

قـالت فرجعت إلى بيتي ورسـول الله ﷺ فيه وإذا أبـو يزيـد سهيل بن عمـرو في ناحيـة الحجرة مجموعة يـداه إلى عنقه بحبـل قالت فـلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبـا يزيـد كذلـك أن قلت : أي أبا يزيد أعطيتم بايديكم ، ألا متم كراما ؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت «يا سودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين » قال قلت يا رسول الله والذي بعثك بـالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبـا يزيـد مجموعـة يداه إلى عنقـه ان قلت ما قلت . ثم كـان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكميته إن شاء الله .

ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا ابو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغـداد حدثنـا أحمد بن سلمان النجـاد حدثنـا عبد الله بن أبي الـدنيا حـدثني حمزة بن العبـاس ثنا عبـدان بن عثمان ثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن ـ رجل من أهل صنعاء ـ قال أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهـو في بيت عليه خلقان ثيـاب جالس على التـراب. قال جعفـر فاشفقنـا منه حين رأينـاه على تلك الحال، فلما أن رأى ما في وجوهنـا قال إني أبشـركم بما يسـركم. إنه جـاءني من نحو أرضكم (عين)[1] لي فاخبرني أن الله قد نصر نبيـه وأهلك عدوه وأسـر فلان وقتـل فلان وفـلان. التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كأني انظر اليه كنت أرعى لسيدي رجل من بني ضمـرة إبله ، فقال له جعفر : ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هـذه الاخلاط ؟ قـال إنا نجـد فيما أنزل الله على عيسى إن حقا على عباد الله أن يحـدثوا لله تـواضعا عنـد ما يحـدث لهم من نعمة ، فلما أحدث الله لي نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع .

وصول خبر مصاب أهل بدر الى أهاليهم بمكة

قال ابن اسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له ما وراءك ؟ قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبـو الحكم بن هشام ، وأميـة بن خلف ، وزمعة بن الاسود ونبيه ومنبه ، وأبو البختري بن هشام. فلما جعل يعدد أشـراف قريش قال صفوان بن امية والله لن[2] يعقل هذا ، فسلوه عني فقالوا ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال هـو ذاك جالسا في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا . قال مـوسى بن عقبة : ولمـا وصل الخبـر إلى أهل مكـة وتحققوه قـطعت النساء شعـورهن وعقرت خيـول كثيـرة ورواحـل. وذكـر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهل مكة هاتفا من الجن يقول:

---

(١) العين : من يأتي بالأخبار .

(٢) كذا في الحلبية أما في المصرية وابن هشام : والله ان يعقل هذا .

أزارَ الحنيفيون بدراً وقيعةً سينقضُ منها ركنُ كسرى وقيصرا
أبادتْ رجالاً من لؤيّ وابرزتْ (خرائدَ)[1] يضربنَ الترائبَ حُسَّرا
فياويحَ من أمسى عدوُّ محمد لقد جارَ عن قصدِ الهدى وتحيَّرا

قال ابن اسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فاسلم العباس واسلمت ام الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه . وكان ابو لهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ـ وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلا ـ فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً، قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل الاقداح أنحتها في حجرة رمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت اقداحي وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل ابو لهب يجر رجليه بشرّ، حتى جلس على (طنب)[2] الحجرة فكان ظهره إلى ظهري فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان ـ واسمه المغيرة ـ ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال فقال أبو لهب : هلم إليّ فعندك لعمري الخبر، قال فجلس إليه والناس قيام عليه فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ، ويأسروننا كيف شاؤ وا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال وثاورته[3] فاحتملني وضرب بي الارض ثم برك عليّ يضربني ـ وكنت رجلا ضعيفاً ـ فقامت ام الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت في رأسه شجة منكرة ، وقالت استضعفته إن غاب عنه سيده ، فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . زاد يونس عن ابن اسحاق : فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى أنتن . وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان أن أبا كما قد أنتن في بيته لا تدفنانه ؟ فقالا إنا نخشى عدوة هذه القرحة ، فقال انطلقا فانا اعينكما عليه فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فاسندوه إلى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة. [قال يونس عن ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه

---

(١) الخرائد : جمع خريدة وهي البكر التي لم تمس .

(٢) الطنب : الحبال التي يشد بها سرادق البيت .

(٣) كذا في الحلبية وابن هشام وفي المصرية وبادرته .

عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت لا تمر على مكان أبي لهب هذا إلا تسترت بثوبها حتى تجوز][1] .

قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد قال ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا لا تفعلوا يبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب[2] عليكم محمد وأصحابه في الفداء . قلت : وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم، فان البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين . قال ابن اسحاق. وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكي على بنيه قال فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له ـ وكان قد ذهب بصره ـ أنظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلي أبكي على أبي حكيمة ـ يعني ولده زمعة ـ فان جوفي قد احترق ، قال فلما رجع إليه الغلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته قال فذاك حين يقول الاسود :

أتبكي أن أضلَّ لها بعيرٌ	ويمنعُها من النوم السُّهود
فلا تبكي على بكرٍ ولكنْ	على بدرٍ تقاصرتِ الجدود
على بدرٍ سَراة بني هصيصٍ	ومخزومٍ ورهطِ أبي الوليد
وبكى إن بكيتِ أبا عقيلٍ	وبكى حارثاً أسدَ الاسود
وبكيهم ولا تُسْمي جميعاً	وما لأبي حكيمة من (نديد)[3]
ألا قد سادَ بعدهم رجالٌ	ولولا يومٌ بدرٍ لم يسودوا

بعث قريش الى رسول الله ﷺ فداء اسراهم

قال ابن اسحاق : وكان في الاسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي . فقال رسول الله ﷺ : «إن له بمكة ابنا كيسا تاجراً ذا مال وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه» فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه؛ قال المطلب بن أبي وداعة وهو الذي كان رسول الله ﷺ عني صدفتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل وقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به . .

---

(١) ما بين المربعين من الحلبية فقط ولم يرد في المصرية ولا في ابن هشام .

(٢) يأرب قال في النهاية في تفسير هذا الخبر : أي يتشددون عليكم .

(٣) النديد : من الند وهو الشبه والنظير .

قلت : وكان هذا اول أسير فدى ثم بعثت قريش في فداء أسراهم فقدم مكرز بن حفص ابن الاخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف فقال في ذلك :

أسرتُ سُهيلاً فلا ابتغي أسيراً به من جميع الأمَمْ
وخندفُ تعلمُ أنّ الفتى فتاها سهيلٌ إذا يُظَّلم
ضربتُ بذي الشّفرِ حتى انثنى وأكرهتُ نفسي على ذي العَلَم

قال ابن اسحاق : وكان سهيل رجلا اعلم من شفته السفلى . قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبداً ؟ فقال رسول الله ﷺ لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا » .

قلت : هذا حديث مرسل بل معضل قال ابن اسحاق : وقد بلغني ان رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا : «إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه » قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله ﷺ وارتد من العرب، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها. فقام بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سيأتي في موضعه .

قال ابن اسحاق : فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضائهم قالوا هات الذي لنا قال اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم وانشد له ابن اسحاق في ذلك شعراً أنكره ابن هشام فالله اعلم . قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : وكان في الاسارى عمرو بن ابي سفيان صخر بن حرب. قال ابن اسحاق وكانت امه بنت عقبة بن أبي معيط . قال ابن هشام: بل كانت أمه اخت أبي معيط . قال ابن هشام : وكان الذي أسره علي بن أبي طالب. قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال فقيل لابي سفيان أفد عمراً ابنك ، قال ايجتمع على دمي ومالي، قتلوا حنظلة وافدي عمراً؟ دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مرية له وكان شيخا مسلما في غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمراً ولم يظن انه يحبس بمكة إنما جاء معتمراً، وقد كان عهد قريش أن قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه ابو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو وقال في ذلك :

أرهطَ ابنِ أكّالٍ أجيبوا دعاءه تعاقدتمُ لا تُسلِموا السيِّد الكهلا
فإن بني عمرو لئامُ أذلةٌ لئن لم يكفّوا عن أسيرِهم الكَبْلا

قال فاجابه حسان بن ثابت يقول:

لـو كـان سعـدٌ يـومَ مكـة مـطلقـاً لأكثـرَ فيكم قبـلَ أن يؤسَـر القتـلا
بعضبٍ[1] حسامٍ أو بصـفـراءَ نـبـعـةٍ تحنّ إذا مـا (أنبضتْ)[2] تحفِزُ النَّبـلا

قال ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فاخبروه خبره وسألوه ان يعطيهم عمرو ابن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم فاعطاهم النبي فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد . قال ابن اسحاق وقد كان في الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : وكان الذي اسره خراش بن الصمة احد بني حرام . قال ابن اسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكانت امه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها وذلك قبل الوحي ، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية ـ أو أم كلثوم من عتبة بن أبي لهب ، فلما جاء الوحي قال أبو لهب: اشغلوا محمداً بنفسه ، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ومشوا إلى أبي العاص فقالوا فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأي امرأة من قريش شئت ، قال لا والله إذا لاأفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش . وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره فيما بلغني . قلت : الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابت في الصحيح كما سيأتي قال ابن اسحاق: وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على أمره، وكان الاسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما . قلت : إنما حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال. وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال «إن رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا ». قالوا نعم ! يا رسول الله، فاطلقوه وردوا عليها الذي لها.[قال ابن اسحاق: فكان ممن سمى لنا ممن مَنَّ عليه رسول الله ﷺ من الاسارى بغير فداء من بني امية أبو العاص بن الربيع ، ومن بني مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بني الحارث بن

(١) عضب : حد السيف القاطع .
(٢) انبضت : رمت سهامها .

الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه[1]] قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه ان يخلي سبيل زينب ـ يعني ان تهاجر إلى المدينة ـ فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتي . وقد ذكر ذلك ابن اسحاق عنها فاخرناه لانه انسب والله أعلم. وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ نفسه وعقيلا ونوفلا ابني أخويه بمائة اوقية من الذهب. وقال ابن هشام كان الذي اسر أبي العاص أبو ايوب خالد بن زيد . قال ابن اسحاق : وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه، فاخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم : قال حسان بن ثابت في ذلك :

مـا كـانَ صـيفّى لـيـوفي أمـانـةً قـفـا ثعلبٍ أعيـا بـبعضِ الـمـوارد

قال ابن اسحاق: وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمع كان محتاجا ذا بنات قال يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة وذو عيال فأمنن عليّ ، فمنَّ عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه ان لا يظاهر عليه أحداً فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك :

مَنَ مبلغٌ عني الرسولَ محمداً بـأنـك حقٌّ والـمـليكُ حميد
وأنت امرؤ تدعـو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امـرؤ بُـوِّئتَ فينـا (مبـاءةً)[2] لـهـا درجاتٌ سهـلة وصعـود
فـإنـك مَـن حـاربتَـه لَـمـحـارَبٌ شـقـيٌ ومَـن سـالـمتَـه لسعـيـد
ولكن إذا ذكـرّتُ بـدراً وأهـلَه تـأوَّبُ مـا بـي، حسرة وقعود

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله فرجع اليهم فلما كان يوم أحد أسر أيضاً ، فسأل من النبي ﷺ أن يمن عليه أيضاً فقال النبي ﷺ «لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمداً مرتين » ثم أمر به فضربت عنقه كما سيأتي في غزوة أُحد. ويقال إن فيه قال رسول الله ﷺ «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهذا من الامثال التي لم تسمع إلا منه عليه السلام .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير ابن وهب شيطانا من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر . قال ابن هشام : والذي أسره رفاعة بن

---

(١) ما بين المربعين مقدم في الحلبية ومؤخر في المصرية .

(٢) مباءة : مكانة رفيعة .

رافع أحد بني زريق . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن جعفر عن عروة فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما أن في العيش [بعدهم] خير ، قال له عمير صدقت ، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله فان لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم . قال فاغتنمها صفوان بن أمية فقال : على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكتم على شأني وشأنك ، قال سأفعل . قال ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد (متوشحا)[1] السيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . قال فادخله علي ، قال فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه (فلببه)[2] بها وقال لمن كان معه من الأنصار : أدخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال « أرسله يا عمر ، أدن يا عمير ، فدنا ثم قال أنعم صباحا ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة » قال أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فاحسنوا فيه ، قال « فما بال السيف في عنقك » قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال « أصدقني ما الذي جئت له ؟ » قال ما جئت إلا لذلك ، قال « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك » فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره » ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله إني كنت جاهداً على اطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم فأذن له رسول

---

(١) متوشحاً : متقلداً .

(٢) لبب : نتره أو شده .

الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن اسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . قال ابن اسحاق . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الاسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير . قال ابن اسحاق : وعمير بن وهب ـ أو الحارث بن هشام ـ وهو الذي رأى عدو الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر وفر هاربا وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون ، وكان ابليس يومئذ في صورة سراقة بن مالك بن جعشم أمير مدلج .

فَصــل :

ثم إن الامام محمد بن اسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر وهو من أول سورة الأنفال إلى آخرها فأجاد وأفاد ، وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثَمّ ولله الحمد والمنة .

فَصــل :

ثم شرع ابن اسحاق في تسمية من شهد بدراً من المسلمين فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولا ، ثم أسماء من شهدها من الأنصار أوسها وخزرجها إلى أن قال فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومنَ الأوس أحد وستون رجلا ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا . وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بأبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتبين على حروف المعجم وذلك من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي وغيره بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ .

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف

أبي بن كعب النجاري سيد القراء ، الأرقم بن أبي الأرقم وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي ، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان . أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم ، كذا قال موسى بن عقبة . وقال الأموي : سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدي شك فيه ، وقال سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق ؛ سواد بن زريق بن ثعلبة ، وقال ابن عائذ سواد بن زيد ، أسير بن عمرو الأنصاري أبو

سليط ، وقيل أسير بن عمرو بن أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجي ، ولم يذكره موسى ابن عقبة ، أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسي ، كذا سماه موسى بن عقبة ، و [سماه] الأموي في السيرة أنيس .

[قلت : وأنس بن مالك خادم النبي ﷺ لما روى عمر بن شبة النميري حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة بن أنس قال قيل لأنس بن مالك : أشهدت بدراً ؟ قال وأين أغيب عن بدر لا أم لك ؟ ! وقال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ثنا أبي عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس : شهدت بدراً ؟ قال لا أم لك وأين أغيب عن بدر ؟ قال محمد بن عبد الله الأنصاري خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه : هكذا قال الأنصاري ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي][1] . أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ أوس بن نابت بن المنذر النجاري ، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم ابن عوف بن الخزرج الخزرجي . وقال موسى بن عقبة أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولى ، أوس بن الصامت الخزرجي أخو عبادة بن الصامت ، إياس بن البكير بن عبد يا ليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني عدي بن كعب .

حرف البـاء

بجير بن أبي بجير حليف بني النجار ، بحاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي حليف الأنصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد ابن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني حليف بني ساعدة وهو أحد العينين هو وعدي بن أبي الزغباء كما تقدم ، بشر بن البراء بن معرور الخزرجي الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان بن بشير ويقال إنه أول من بايع الصديق ، بشير ابن عبد المنذر أبو لبابة الأوسي رده عليه السلام من الروحاء واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التـاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، تميم مولى خراش بن الصمة ، تميم مولى بني غنم بن السلم . وقال ابن هشام : هو مولى سعد بن خيثمة .

---

(١) ما بين المربعين من المصرية فقط .

حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان : ثابت بن ثعلبة ويقال لثعلبة هذا الجذع ابن زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة ، ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء ابن عسيرة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجاري ، ثابت بن خنساء بن عمرو ابن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار النجاري ، ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد بن مالك بن غنم بن عدي بن النجار النجاري ، ثابت بن هزّال الخزرجي ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري[1] ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجي ، ثعلبة بن عنمة بن عدي بن نابىء السلمي ، ثقف بن عمرو من بني حجر آل بني سليم وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسد .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري ، جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أحد الذين شهدوا العقبة .

[قلت : فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي أيضا فذكره البخاري فيهم في مسند عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر وقال كنت (أمتح)[2] لأصحابي الماء يوم بدر . وهذا الاسناد على شرط مسلم لكن قال محمد بن سعد ذكرت لمحمد بن عمر ـ يعني الواقدي ـ هذا الحديث فقال هذا وهم من أهل العراق وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا روح بن عبادة ثنا زكريا بن اسحاق ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحدا منعني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ عن غزاة . ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح[3]] . جبار بن صخر السلمي ، جبر بن عتيك الأنصاري ، جبير بن إياس الخزرجي .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي ، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخي سعد بن معاذ

---

(١) كذا في الأصل ونحسبه مكرراً كما في الاصابة ونظم اسماء أهل بدر .

(٢) امتح : استخرج .

(٣) ما بين المربعين عن المصرية فقط .

الأوسي ، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس رده عليه السلام من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن خزمة بن عدي بن أبي غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لبني زعور ابن عبد الأشهل ، الحارث بن الصمة الخزرجي رده عليه السلام لأنه كسر من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرفجة الأوسي ، الحارث بن قيس بن خلدة أو خالد الخزرجي ، الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري . حارثة بن سراقة النجاري أصابه سهم غرب وهو في النظارة فرفع إلى الفردوس ، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصاري حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجعي من بني دهمان هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن اسحاق . وقال الواقدي حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود كذا ذكره ابن عائذ في مغازيه . وقال ابن أبي حاتم حاطب بن عمرو بن عبد شمس سمعته من أبي وقال هو رجل مجهول ، الحباب بن المنذر الخزرجي ويقال كان لواء الخزرج معه يومئذ ، حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة وقال موسى بن عقبة حبيب بن سعد بدل أسود ، وقال ابن أبي حاتم حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج أنصاري بدري حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري أخو عبد الله بن زيد الذي أرى النداء ، الحصين بن الحارث بن المطلب ابن عبد مناف ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ .

حرف الخاء

خالد بن البكير أخو إياس المتقدم ، خالد بن زيد أبو أيوب النجاري ، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاري ، خارجة بن الحمير حليف بني خنساء من الخزرج وقيل اسمه حارثة بن الحمير وسماه ابن عائذ خارجة فالله أعلم . خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق ، خباب بن الأرت حليف بني زهرة وهو من المهاجرين الأولين وأصله من بني تميم ويقال من خزاعة ، خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين الأولين ، خراش بن الصمة السلمي ، خبيب بن أساف بن عنبة الخزرجي ، خريم بن فاتك ذكره البخاري فيهم ، خليفة بن عدي الخزرجي ، خليد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الأنصاري السلمي ، خنيس بن حذافة ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي قتل يومئذ فتأيمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خوات بن جبير الأنصاري ضرب له بسهمه وأجره لم يشهدها بنفسه ، خولى بن أبي خولى العجلي حليف بني عدي من المهاجرين الأولين ، خلاد بن رافع ، وخلاد بن سويد ، وخلاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون .

حرف الذّال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجي ، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة من غبشان بن

سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بني خزاعة حليف لبني زهرة قتل يومئذ شهيداً قال ابن هشام : واسمه عمير وإنما قيل له ذو الشمالين لأنه كان أعسراً .

حرف الرّاء

رافع بن الحارث الأوسي ، رافع بن عنجدة قال ابن هشام : هي أمه ، رافع بن المعلى ابن لوذان الخزرجي قتل يومئذ . ربعى بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة وقال موسى بن عقبة ربعي بن أبي رافع ، ربيع بن إياس الخزرجي ، ربيعة ابن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف وهو من المهاجرين الأولين ، رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي ، رفاعة بن رافع الزرقي أخو خلاد بن رافع ، رفاعة بن عبد المنذر بن زنير الأوسي أخو أبي لبابة ، رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجي .

حرف الزّاي

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه ، زياد بن عمرو وقال موسى بن عقبة زياد بن الأخرس بن عمرو الجهني . وقال الواقدي زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن رفاعة بن كليب بن برذعة بن عدي بن عمرو بن الزبعري بن رشدان بن قيس بن جهينة ، زياد بن لبيد الزرقي ، زياد بن المزين بن قيس الخزرجي ، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن عجلان بن ضبيعة ، زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه ، زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجاري أبو طلحة رضي الله عنه .

حرف السّين

سالم بن عمير الأوسي ، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجي ، سالم بن معقل مولى أبي حذيفة ، السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي شهد مع أبيه ، سبيع بن قيس بن عائذ[1] الخزرجي ، سبرة بن فاتك ذكره البخاري ، سراقة بن عمرو النجاري ، سراقة بن كعب النجاري أيضا ، سعد بن خولة مولى بني عامر بن لؤي من المهاجرين الأولين ، سعد بن خيثمة الأوسي قتل يومئذ شهيداً ، سعد بن الربيع الخزرجي الذي قتل يوم أحد شهيداً ، سعد بن زيد بن مالك الأوسي وقال الواقدي: سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجي ، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجاري ، سعد بن عبيد الأنصاري ، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجي أبو عبادة وقال ابن عائد أبو عبيدة ، سعد بن معاذ

---

(١) كذا في الاصابة . وفي المصرية ابن عيشة وفي الروض عبسه بالمهملة .

الأوسي وكان لواء الأوس معه ، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي ذكره غير واحد منهم عروة والبخاري وابن أبي حاتم والطبراني فيمن شهد بدراً ، ووقع في صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبي ﷺ في ملتقى النفير من قريش فقال سعد بن عبادة كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق قيل لاستنابته على المدينة وقيل لذعته حية فلم يتمكن من الخروج إلى بدر حكاه السهيلي عن ابن قتيبة فالله أعلم سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة ، سعد بن مالك أبو سهل قال الواقدي تجهز ليخرج فمرض فمات قبل الخروج ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب يقال قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي ، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة ، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، سليم بن الحارث النجاري ، سليم بن عمرو السلمي ، سليم بن قيس بن فهد الخزرجي ، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجاري ، سماك بن أوس بن خرشة أبو دجانة ويقال سماك بن خرشة ، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي وهو أخو بشير بن سعد المتقدم ، سهل بن حنيف الأوسي ، سهل بن عتيك النجاري . سهل بن قيس السلمي ، سهيل بن رافع النجاري الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبوي كما تقدم ، سهيل بن وهب الفهري وهو ابن بيضاء وهي أمه ، سنان بن أبي سنان بن محصن بن حرثان من المهاجرين حليف بني عبد شمس بن عبد مناف ، سنان بن صيفي السلمي ، سواد بن زريق بن زيد الأنصاري وقال الأموي سواد بن رزام ، سواد بن غزية بن أهيب البلوي ، سويبط بن سعد بن حرملة العبدري ، سويد بن مخشى أبو مخشى الطائى حليف بني عبد شمس وقيل اسمه أزيد بن حمير .

حرف الشّين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي أسد بن خزيمة حليف بني عبد شمس من المهاجرين الأولين شماس بن عثمان المخزومي قال ابن هشام واسمه عثمان بن عثمان وإنما سمي شماسا لحسنه وشبهه شماساً كان في الجاهلية ، شقران مولى رسول الله ﷺ قال الواقدي لم يسهم له وكان على الأسرى فأعطاه كل رجل ممن له في الأسرى شيئا فحصل له أكثر من سهم .

حرف الصّاد

صهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الأولين . صفوان بن وهب بن ربيعة الفهري أخو سهيل بن بيضاء قتل شهيداً يومئذ ، صخر بن أمية بن خنساء السلمي .

حرف الضاد

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمي ، ضحاك بن عبد عمرو النجاري ، ضمرة بن عمرو

الجهني وقـال موسى بن عقبـة : ضمرة بن كعب بن عمـرو حليف الأنصـار وهـو أخـو زيـاد بن عمرو .

حرف الطاء

طلحة بن عبيد الله التيمي أحـد العشرة قـدم من الشام بعـد مرجعهم من بـدر فضرب لـه رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين وهـو أخو حصين وعبيدة ، طفيل بن مالك بن خنساء السلمي . طفيل بن النعمان بن خنسـاء السلمي ابن عم الذي قبله . طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قصي ذكره الواقدي .

حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري .

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري الذي حمته الدبر حين قتل بالرجيع ، عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان رده عليه السلام من الروحـاء وضرب لـه بسهمه وأجـره ، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي عاقل بن البكير أخو إيـاس وخالـد وعامـر ، عامـل بن أمية بن زيـد بن الحسحاس النجاري ، عـامر بن الحـارث الفهري كـذا ذكره سلمـة عن ابن اسحاق وابن عـائذ وقال موسى بن عقبة وزياد عن ابن اسحاق عمرو بن الحارث ، عامر بن ربيعة بن مالك العنزي حليف بني عدي من المهاجرين ، عامر بن سلمة بن عامر بن عبـد الله البلوي القضاعي حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غنم . قال ابن هشام ويقال عمر بن سلمـة ، عامـر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبـة بن الحارث بن فهـر أبو عبيـدة بن الجراح أحـد العشرة من المهاجرين الأولين ، عـامر بن فهيـرة مولى أبي بكـر ، عامر بن مخلد النجاري ، عـائذ بن مـاعص بن قيس الخـزرجي ، عبـاد بن بشـر بن وقش الأوسي ، عبـاد بن قيس بن عـامـر الخـزرجي ، عبـاد بن قيس بن عبشـة الخـزرجي أخـو سبيـع المتقـدم ، عبـاد بن الخشخـاش القضاعي ، عبادة بن الصامت الخزرجي ، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس ، عبد الله بن أميـة ابن عرفطة ، عبـد الله بن ثعلبة بن خـزمة أخـو بحاث المتقـدم ، عبد الله بن جحش بن رئـاب الاسدي ، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي ، عبد الله بن الجد بن قيس السلمي ، عبد الله ابن حق بن أوس الساعدي . وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ عبد رب بن حق ، وقـال ابن هشام عبد ربه بن حق ، عبد الله بن الحمير حليف لبني حرام وهو أخو خـارجة بن الحميـر من أشجع ، عبد الله بن الربيع بن قيس الخـزرجي ، عبد الله بن رواحـة الخزرجي ، عبـد الله

ابن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي الذي أرى النداء(١) ، عبد الله بن سراقة العدوي لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ وذكره ابن اسحاق وغيره ، عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الأنصار ، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زعورا ، عبد الله بن سهيل ابن عمرو خرج مع أبيه والمشركين ثم فر من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم . عبد الله ابن طارق بن مالك القضاعي حليف الأوس(٢) ، عبد الله بن عامر من بلى ذكره ابن اسحاق ، عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي وكان أبوه رأس المنافقين ، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ ، عبد الله ابن عبد مناف بن النعمان السلمي ، عبد الله بن عبس ، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن تيم بن مرة بن كعب أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، عبد الله بن عرفطة بن عدي الخزرجي ، عبد الله بن عمر بن حرام السلمي أبو جابر ، عبد الله بن عمير بن عدي الخزرجي ، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري ، عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام السلمي . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار جعله النبي ﷺ مع عدي بن أبي الزغباء على النفل يوم بدر ، عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن مظعون الجمحي من المهاجرين الأولين ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمي ، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمي ، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاعي البلوي . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري أحد العشرة رضي الله عنهم ، عبس بن عامر ابن عدي السلمي ، عبيد بن التيهان أخو أبو الهيثم بن التيهان ويقال عتيك بدل عبيد ، عبيد بن ثعلبة من بني غنم بن مالك ، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر ، عبيد بن أبي عبيد ، عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر فقطعت يده ثم مات بعد المعركة رضي الله عنه ، عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجي ، عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهراني حليف بني أمية بن لوذان ، عتبة ابن عبد الله بن صخر السلمي ، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين ، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ بمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، عثمان بن مظعون الجمحي أبو السائب أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين ، عدي بن أبي الزغباء الجهني وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ وبسبس بن عمرو بين

---

(١) في الاصابة عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله .

(٢) في الاصابة عد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف بني طعر .

يديه عيناً ، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان ، عصيمة حليف لبني الحارث بن سوار من أشجع وقيل من بني أسد بن خزيمة ، عطية بن نويرة بن عـامر بن عـطية الخـزرجي ، عقبة بن عامـر بن نابي السلمي ، عقبـة بن عثمان بن خلدة الخـزرجي أخو سعـد بن عثمان ، عقبة بن عمرو أبو مسعود البدري وقع في صحيح البخاري أنه شهد بدراً وفيه نظر عند كثيـر من أصحاب المغازي ولهذا لم يذكروه ، عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدي أسد خزيمـة حليف لبني عبد شمس وهو أخـو شجاع بن وهب من المهـاجرين الأولين ، عقبـة بن وهب بن كلدة حليف بني غطفان ، عكـاشة بن محصن الغنمي من المهـاجرين الأولين وممن لا حسـاب عليه ، علي ابن أبي طالب الهاشمي أميرُ المؤمنين أحد الخلفـاء الأربعة وأحـد الثلاثـة الذين بـارزوا يومئـذ رضي الله عنه ، عمار بن ياسر العنسي المذحجي من المهاجـرين الأولين ، عمارة بن حـزم بن زيد النجاري ، عمر بن الخطاب أميـر المؤمنين أحد الخلفـاء الأربعة وأحـد الشيخين المقتدى بهم رضي الله عنهما ، عمر بن عمروَ بن إياس من أهـل اليمن حليف لبني لوذان بن عمـرو بن سالم وقيلَ هو أخو ربيع وورقة ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عـامر أبو حكيم ، عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبشة بن الحـارث بن فهر الفهـري ، عمرو بن سـراقة العـدوي من المهـاجـرين ، عمـرو بن أبي سـرح الفهري من المهاجرين . وقال الواقدي وابن عائذ معمر بدل عمرو ، عمرو بن طلق بن زيـد بن أميـة بن سنان بن كعب بن غنم وهـو في بني حرام ، عمـرو بن الجموح بن حـرام الأنصاري ، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالـك بن غنم ذكره الـواقدي والأمـوي ، عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر أبو خارجة ولم يذكـره موسى بن عقبة[1] ، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة ، عمرو بن معبـد بن الأزعر الأوسي ، عمرو بن معاذ الأوسي أخو سعد بن معـاذ ، عمير بن الحـارث بن ثعلبة ويقـال عمرو ابن الحـارث بن لبدة بن ثعلبـة السلمي ، عمير بن حـرام بن الجموح السلمي ذكـره ابن عـائـذ والواقدي ، عمير بن الحمام بن الجموح بن عم الذي قبله قتل يومئذ شهيداً ، عميْر بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني ، عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وسماه الأموي وغيره عمرو بن عوف وكذا وقـع في الصحيحين في حديث بعث أبي عبيدة إلى البحرين ، عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتـل يومئـذ شهيـداً ، عنترة مولى بني سليم وقيل إنـه منهم فـالله أعلم ، عـوف بن الحـارث بن رفـاعـة بن الحـارث النجاري وهـو ابن عفراء بنت عبيـد بن ثعلبة النجـارية قتـل يومئـذ شهيداً ، عـويم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية بن زيد ، عياض بن غنم الفهـري من المهاجـرين الأولين رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) والذي في الاصابة عمرو بن قيس بن حزن بن عدي بن مالك بن سالم بن عوف بن مالك الانصاري الخزرجي .

حرف الغين

غنام بن أوس الخزرجي ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي ، فروة بن عمرو بن ودفة[1] الخزرجي .

حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسي . قدامة بن مظعون الجمحي من المهاجرين أخو عثمان وعبد الله ، قطبة بن عامر بن حديدة السلمي . قيس بن السكن النجاري ، قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كان على الساقة يوم بدر . قيس بن محصن بن خالد الخزرجي ، قيس ابن مخلد بن ثعلبة النجاري .

حرف الكاف

كعب بن حمان ويقال جمار ويقال جماز وقال ابن هشام كعب بن عبشان ويقال كعب بن مالك بن ثعلبة بن جماز وقال الأموي كعب بن ثعلبة بن حبالة بن غنم الغساني من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة ، كعب بن زيد بن قيس النجاري ، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمي ، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين ذكره موسى بن عقبة ، كناز بن حصين بن يربوع أبو مرثد الغنوي من المهاجرين الأولين .

حرف الميم

مالك بن الدخشم ويقال ابن الدخشن الخزرجي ، مالك بن أبي خولى الجعفي حليف بني عدي ، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي ،مالك بن قدامة الأوسي ، مالك بن عمرو أخو ثَقَفَ بن عمرو وكلاهما مهاجري وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسد ، مالك بن قدامة الأوسي ، مالك بن مسعود الخزرجي ، مالك بن ثابت بن نميلة المزني حليف لبني عمرو بن عوف ، مبشر بن عبد المنذر بن زنير الأوسي أخو أبي لبابة ورفاعة قتل يومئذ شهيداً ، المجذر ابن زياد البلوي مهاجري ، محرز بن عامر النجاري ، محرز بن نضلة الأسدي حليف بني عبد شمس مهاجري ، محمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل ، مدلج ويقال مدلاج بن عمرو أخو ثَقَفَ بن عمرو مهاجري ، مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين وقيل اسمه عوف ، مسعود بن أوس الأنصاري النجاري ،

---

(١) وقال السهيلي ويقال وذفه بالذال المعجمة .

مسعود بن خلدة الخزرجي ، مسعود بن ربيعة القاري حليف بني زهرة مهاجري ، مسعود بن سعد ويقال ابن عبد سعد بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، مسعود ابن سعد بن قيس الخزرجي ، مصعب بن عمير العبدري مهاجري كان معه اللواء يومئذ ، معاذ ابن جبل الخزرجي ، معاذ بن الحارث النجاري وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي ، معاذ بن ماعض الخزرجي أخو عائذ ، معبد بن عباد بن قشير بن الفدم بن سالم بن غنم ويقال معبد بن عبادة بن قيس وقال الواقدي قشعر بدل قشير وقال ابن هشام قشعر أبو خميصة ، معبد بن قيس بن صخر السلمي أخو عبد الله بن قيس ، معتب بن عبيد بن إياس البلوي القضاعي ، معتب بن عوف الخزاعي حليف بني مخزوم من المهاجرين ، معتب بن قشير الأوسي ، معقل بن المنذر السلمي ، معمر بن الحارث الجمحي من المهاجرين ، معن بن عدي الأوسي ، معوذ بن الحارث الجمحي وهو ابن عفراء أخو معاذ بن عوف ، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمي لعله أخو معاذ بن عمرو ، المقداد بن عمرو البهراني وهو المقداد بن الأسود من المهاجرين الأولين وهو ذو المقال المحمود ابن المتقدم ذكره وكان أحد الفرسان يومئذ ، مليل بن وبرة الخزرجي ، المنذر بن عمرو بن خنَيْس الساعدي ، المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجي ، المنذر بن محمد بن عقبة الانصاري من بني جحجبي ، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب ، نعمان بن عبد عمرو النجاري وهو أخو الضحاك ، نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري ، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبني الأوسي ، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي ويقال له قوقل ، نعمان بن يسار مولى لبني عبيد ويقال نعمان بن سنان . نوفل بن عبيد الله بن نضلة الخزرجي .

حرف الهاء

هانىء بن نيار أبو بردة البلوي خال البراء بن عازب ، هلال بن أمية الواقفي وقع ذكره في أهل بدر في الصحيحين في قصة كعب بن مالك ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي ، هلال ابن المعلى الخزرجي أخو رافع بن المعلى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي من المهاجرين ، وديعة بن عمرو بن جراد الجهني ذكره الواقدي وابن عائذ ، ورقة بن إياس بن عمرو الخزرجي أخو ربيع بن إياس، وهب بن سعد

ابن أبي سرح ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدي في بني عامر بن لؤي ولم يذكره ابن اسحاق .

حَرف اليَاء

يزيد بن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمي قال السهيلي شهد هو وأبوه وابنه يعني بدراً ولا يعرف لهم نظير في الصحابة ولم يذكرهم ابن اسحاق والأكثرون لكن شهدوا معه بيعة الرضوان ، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي وهو الذي يقال له ابن قسحم وهي أمه قتل يومئذ شهيداً ببدر ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ، يزيد بن المنذر بن سرح السلمي وهو أخو معقل بن المنذر .

باب الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم ، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري وقال ابن هشام أبو الأعور الحارث بن ظالم وقال الواقدي أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم ، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم . أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصاري . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين وقيل اسمه مهشم ، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة بن عفراء ، أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجاري ، أبو سبرة مولى أبي رهم بن عبد العزى من المهاجرين ، أبو سنان بن محصن بن حرثان أخو عكاشة ومعه ابنه سنان من المهاجرين ، أبو الصياح بن النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة رجع من الطريق وقتل يوم خيبر رجع لجرح أصابه من حجر فضرب له بسهمه ، أبو عرفجة من حلفاء بني جحجبي ، أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم ، أبو مرثد الغنوي كناز بن حصين تقدم ، أبو مسعود البدري عقبة بن عمرو تقدم ، أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسي .

فَصــل :

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلثمائة وأربعة عشر رجلا منهم رسول الله ﷺ كما قال البخاري حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول حدثني أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن . ثم رواه البخاري من طريق اسرائيل وسفيان الثوري عن أبي اسحاق عن البراء نحوه . قال ابن جرير : وهذا قول عامة السلف إنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وقال أيضا حدثنا محمود ثنا وهب عن شعبة عن أبي اسحاق عن البراء . قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان

المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين . هكذا وقع في هـذه الرواية وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي ثنا أبـو مالـك الجبني عن الحجاج ـ وهـو ابن أرطأة ـ عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قـال : كان المهـاجرون يـوم بدر سبعين رجـلا . وكـان الأنصار مـائتين وستة وثـلاثين رجلا . وكـان حامـل راية النبي ﷺ علي بن أبي طـالب . وحامل رايـة الأنصار سعـد بن عبادة . وهـذا يقتضي أنهم كانـوا ثلثمائـة وستة رجـال . قال ابن جرير : وقيل كانوا ثلثمائة وسبعة رجال .

قلت : وقد يكون هذا عد معهم النبي ﷺ والأول عدهم بدونه فالله أعلم . وقد تقدم عن ابن اسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلا . وأن الأوس أحد وستون رجلا . والخزرج مائة وسبعون رجلا وسردهم . وهذا مخـالف لما ذكـره البخاري ولمـا روي عن ابن عباس فـالله أعلم . وفي الصحيح عن أنس أنه قيل له شهدت بدراً . فقال وأين أغيب ؟ وفي سنن أبي داود عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيـان طلحة بن نـافع عن جـابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال : كنت أميح[1] الأصحابي الماء يوم بدر وهذان لم يذكـرهما البخاري ولا الضياء فالله أعلم .

قلت : وفي الذين عدهم ابن اسحاق في أهل بدر من ضرب له بسهم في مغنمها وأنه لم يحضرها تخلف عنها لعذر أذن لـه في التخلف بسببها وكـانوا ثمـانية أو تسعـة وهم ، عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله ﷺ من الـروحاء حين بلغـه خروج النفيـر من مكة فـاستعمله على المدينـة وضرب لـه بسهمـه وأجـره ، والحـارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث ابن الصمة كسر بالروحاء فرجع فضرب لـه بسهمه زاد الـواقدي : وأجـره ، وخوات بن جبيـر لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الصياح بن ثابت خرج مع رسـول الله ﷺ فأصاب ساقه (فصيل)[2] حجر فـرجع وضـرب له بسهمـه وأجره قـال الواقـدي وسعد أبـو مالـك تجهز ليخرج فمات وقيـل إنه مـات بالـروحاء فضـرب له بسهمـه وأجره . وكـان الذين استشهـدوا من المسلمين يومئذاً أربعة عشر رجـلا من المهاجـرين ستة وهم ؛ عبيـدة بن الحارث بن المـطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله ، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزهري

---

(١) الميح النزول الى البئر وملء الدلو منها وذلك اذا قل ماؤها ومنه قولهم :

أيهـا المائـح دلـوي دونكا
اذا رأيت النـاس يقصدونكا .

(٢) فصيل : حائط قصير .

قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ويقال إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى فأذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه ، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي ، وصفوان بن بيضاء، وعاقل بن البكير الليثي حليف بني عدي، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان اول قتيل قتل من المسلمين يومئذ ، ومن الانصار ثمانية وهم ؛ حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث ـ ويقال ابن قسحم ـ وعمير بن الحمام، ورافع بن المعلى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عن جميعهم ، وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم . قال ابن اسحاق : وكان معهم فرسان على أحدهما المقداد بن الاسود واسمها بغرجة ـ ويقال ستجة ـ وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليعسوب وكان معهم لواء يحمله مصعب ابن عمير، ورايتان يحمل احديهما للمهاجرين علي بن أبي طالب، والتي للانصار يحملها سعد ابن عبادة. وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الانصار سعد بن معاذ.

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الالف وقد نص عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلا . وقال الواقدي كانوا تسعمائة وثلاثين رجلا وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف فلعله عدد أتباعهم معهم والله أعلم . وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له :

فأقامَ بالعطْن المعطَن منهم سبعونَ عُتبةً منهمُ والأسود

وقد حكى الواقدي الاجماع على ذلك وفيما قاله نظر، فان موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا خلاف ذلك وهما من أئمة هذا الشان فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم. وقد سرد أسماء القتلى والاسارى ابن اسحاق وغيره وحرر ذلك الحافظ الضياء في احكامه جيداً وقد تقدم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الاسود بن عبد الاسد المخزومي، وأول من فر وهو خالد بن الأعلم الخزاعي ـ او العقيلي ـ حليف بني مخزوم وما أفاده ذلك فانه أسر وهو القائل في شعره :

ولسنا على الأعقاب تدمي كلوُمنا[1] ولكنْ على أقدامنا يقطُرُ الدم

فما صدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلا صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الاسارى ، وقد اختلف في أيهما قتل أولا على قولين وأنه

(١) كلومنا : جروحنا .

عليه السلام أطلق جماعة من الاسارى مجاناً بلا فداء منهم ابو العاص بن الربيع الأموي ، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي، وصيفي بن أبي رفاعة كما تقدم، وأبو عزة الشاعر، ووهب بن عمير بن وهب الجمحي كما تقدم، وفادى بقيتهم حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لئلا يحابيه لكونه عمه مع أنه قد سأله الذين أسروه من الانصار ان يتركوا له فداءه فأبى عليهم ذلك ، وقال لا تتركوا منه درهما ، وقد كان فداؤهم متفاوتا فأقل ، ما أخذ أربعمائة، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب. قال موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة اوقية من ذهب ، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه كما قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم قال قال داود ثنا عكرمة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الانصار الكتابة ، قال فجاء غلام يوما يبكي الى امه فقالت ما شأنك ؟ فقال ضربني معلمي فقالت الخبيث يطلب بدخل بدروالله لا تأتيه أبداً. انفرد به احمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله ولله الحمد والمنة .

فصل في فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخاري في هذا الباب حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا ابو اسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول: أصيب حارثة يوم بدر فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فأن يك في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الاخرى فترى ما اصنع فقال « ويحك أو هبلت او جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس » تفرد به البخاري من هذا الوجه. وقد روى من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة عن أنس وأن حارثة كان في النظارة وفيه «ان ابنك أصاب الفردوس الاعلى » وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر فان هذا الذي لم يكن في (بحيحة)[1] القتال ولا في حومة الوغى بل كان من النظارة من بعيد وانما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي اعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة ان يسألوه إياها فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعُدداً ثم روى البخاري ومسلم جميعاً عن اسحاق بن راهويه عن عبد الله بن ادريس عن حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قصة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنقه فانه قد خان الله ورسوله والمؤمنين . فقال رسول الله ﷺ «قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت

(١) بحيحة : خطم .

لكم » ولفظ البخاري « اليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ او قد غفرت لكم » ـ فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة عن الليث عن ابي الزبير عن جابر ان عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً قال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ « كذبت لا يدخلها إنه شهد بدراً والحديبية . وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو بكر بن عياش حدثني الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية » تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أنبانا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «قال إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ». ورواه ابو داود عن أحمد بن سنان وموسى بن اسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به . وروى البزار في مسنده ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو حذيفة ثنا عكرمة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله » ثم قال لا نعلمه يروي عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه : قلت : وقد تفرد به البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم . وقال البخاري في باب شهود الملائكة بدراً حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين ـ او كلمة نحوها ـ قال وكذلك من شهد بدراً من الملائكة انفرد به البخاري .

قدوم زينب بنت الرسول ﷺ من مكة الى المدينة

قال ابن اسحاق : ولما رجع ابو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله ـ يعني كما تقدم ـ بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الانصار مكانه فقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها فتأتياني بها ، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر ـ او شيعه[1] ـ فلما قدم أبو العاص مكة امرها باللحوق بابيها فخرجت تجهز : قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن زينب أنها قالت بينا أنا أتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت يا ابنة محمد ألم يبلغني انك تريدين اللحوق بابيك قالت فقلت ما أردت ذلك ، فقالت أي ابنة عم لا تفعلي إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى ابيك فان عندي حاجتك فلا (تضطبني)[2] مني فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال، قالت والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت ولكني خفتها فانكرت ان أكون أريد ذلك . قال ابن اسحاق : فتجهزت فلما

---

(١) شيعه : نحواً من شهر كما ورد في النهاية .

(٢) تضطبني : تكفي وتمتنعي .

فرغت من جهازها قدّم اليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى وكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس عنه وأتى أبو سفيان في جلة من قريش فقال يا أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف فاقبل ابو سفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤ وس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رؤ وس الناس من بين اظهرنا إن ذلك عن ذل اصابنا وإن ذلك ضعف منا ووهن ولعمري مالنا بحبسها من أبيها من حاجة وما لنا من ثورة . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا والحقها بابيها، قال ففعل. وقد ذكر ابن اسحاق ان أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمهم على ذلك :

أفي السِّلم أعياراً جفاءً وغِلظةً وفي الحرب اشباهُ النساءِ (العوارِك) [1]

وقد قيل إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا . قال ابن اسحاق : فاقامت ليال حتى إذا هدأت الاصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها ليلا على رسول الله ﷺ. وقد روى البيهقي في الدلائل من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها وردهم لها ووضعها ما في بطنها وإن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة واعطاه خاتمه لتجيء معه فتلطف زيد فاعطاه راعياً من مكة فاعطى الخاتم لزينب فلما رأته عرفته فقالت من دفع إليك هذا؟قال رجل في ظاهر مكة فخرجت زينب ليلا فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة . قال فكان رسول الله ﷺ يقول «هي أفضل بناتي أصيبت فيّ » قال فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فاتى عروة فقال ما حديث بلغني أنك تحدثه ؟ فقال عروة والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني انتقص فاطمة حقا هو لها وأما بعد ذلك أن لا أحدث به أبداً . قال ابن اسحاق فقال في ذلك عبد الله بن رواحة او أبو خيثمة اخو بني سالم بن عوف . قال ابن هشام هي لابي خيثمة :

أتاني الذي لا يقدِرُ الناسُ قدْره لزينبَ فيهم من عُقوق ومأثم
واخراجِها لم يَخْزَ فيها محمد على (مأقطٍ)[2] وبيننا عِطرُ (مَنْشِم)[3]
أمسى أبو سفيانُ من حِلفِ (ضُمضُم)[4] ومن حربنا في رغم أنفٍ ومَندَم

(١) العوارك : المغنجات .
(٢) مأقط : موضع القتال :
(٣) منشم : عطر صعب الدقّ .
(٤) ضُمضُم : غاضب .

قـرنّـا ابنـةَ عمـراً ومـولى يمينـه	بذي حلَقٍ جَلْدٍ (الصلاصل) [1] محكم
فـاقسمـتُ لا تنفـكّ منـا كتـائبٌ	سـراة خميسٍ مـن الـهَـام مسـوَّم
نروع قريش الكفرِ حتى نعلّها	(بخاطمةٍ) [2] فوقَ الأنوف (بميْسِم) [3]
نـنـزلـهـم أكنـافَ نجـدٍ ونَـخـلـةٍ	وإن يُتْهِمـوا بـالخيـلِ والـرَّجْـل نتهم
يـدى الـدهـر حتى لا يعوّج سـرنُـا	ونـلـحـقُـهـم آثـارَ عـادٍ وجُـرهـم
وينـدم قـومٌ لم يـطيعـوا محـمـداً	عـلى أمـرهـم وأيّ حـيـنِ تـنـدُّم
فـأبلـغ أبـا سفيـانَ إمـا لـقيتَـه	لئن أنتَ لم تُخلِصْ سجـوداً وتـسلم
فـأبشر بخـزيٍ في الحيـاة معجـلٌ	(وسِرْبـالٍ) [4] قـارٍ خـالـداً في جهنم

قال ابن اسحاق : ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر وهو عامر بن الحضرمي . وقال ابن هشام إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي فاما عامر بن الحضرمي فانه قتل يوم بـدر . قال ابن اسحـاق وقد حـدثني يزيـد بن أبي حبيب عن بكير بن عبـد الله بن الاشـج عن سليمان بن يسار عن أبي اسحاق الدوسي عن أبي هريرة . قال: بعث النبي ﷺ سريـة أنا فيهـا فقال « إن ظفرتم بهبار بن الاسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار » فلّما كـان الغد بعث الينا فقال «إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخـذتمـوهـا ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لاحـد ان يحرق بـالنار إلا الله عـز وجل ، فـان ظفرتم بهمـا فاقتلوهمـا » تفـرد بـه ابن اسحاق وهو على شرط السنن[5] ولم يخرجوه وقال البخاري حـدثنا قتيبـة ثنا الليث عن بكيـر عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال بعثنا رسول الله ﷺ فـي بعـث فقال « إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار ثم قال حين أردنا الخروج » إني أمرتكم ان تحرقوا فلانا وفلانا وان النـار لا يعذب بها إلا الله ، فان وجدتموهمافاقتلوهما » وقد ذكر ابن اسحاق ان أبا العـاص أقام بمكـة على كفره واستمرت زينب عنـد أبيها بـالمدينـة حتى اذا كان قبيـل الفتح خـرج ابو العـاص في تجارة لقريش . فلّما قفل من الشام لقيته سرية فاخذوا ما معه وأعجزهم هربـا وجاء تحت الليـل إلى زوجته زينب فاستجار بها فاجارته، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاةالصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفة النساء أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال « أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت»قالوا نعم ! قال « أما والذي نفس محمد بيـده ما علمت بشيء حتى سمعت مـا سمعتم وإنه بجيـر على المسلمين أدنـاهم » ثم انصـرف رسـول الله ﷺ فدخـل على ابنته زينب فقـال «أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن اليـك فانـك لا تحلين له » قال وبعث رسول الله ﷺ فحثهم على رد ما كان معه فـردوه بأسـره لا يفقد منـه شيئاً

(١) الصلاصل : ما ابيض من ظهر الفرس .
(٢) خاطمة : الخطم حبل يجعل في عنق البعير.
(٣) ميسم : الحديدة التي يوسم فيها فتترك أثرا .
(٤) سربال : كل ما يلبس .
(٥) كذا في المصرية وفي الحلبية على شرط الشيخين .

فأخذه ابو العاص فرجع به إلى مكة فاعطى كل انسان مـا كان لـه ثم قال: يـا معشر قـريش هل بقي لاحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيـا كريمـاً ، قال فأني أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبـده ورسولـه ، والله ما منعني عن الاسـلام عنده ألا تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفـرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ قال ابن اسحاق: فحدثني داود بن الحصين عن عكـرمة عن ابن عبـاس قـال رد عليـه رسـول الله ﷺ زينب على النكـاح الاول ولم يحـدث شيئـاً ، وهـذا الحديث قد رواه الإمام احمد وأبـو داود والترمـذي وابن ماجـة من حديث محمـد بن اسحاق ، وقال الترمذي ليس باسناده بأس ولكن لا نعرف وجه الحـديث ولعله قد جـاء من قبل حفظ داود ابن الحصين. وقال السهيلي لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفي لفظ ردها عليه رسـول الله ﷺ بعـد ست سنين ، وفي رواية بعـد سنتين بالنكـاح الاول رواه ابن جريـر وفي روايـة لم يحدث نكاحا وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلمـاء فان القـاعدة عنـدهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر فان كان قبل الدخول تعجلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فان أسلم فيها استمر على نكاحها وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها وزينب رضي الله عنهـا أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشـركين عام الحديبية سنة ست، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمـان فمن قال ردهـا عليه بعـد ست سنين اي من حين هجـرتها فهـو صحيـح ومن قـال بعـد سنتين أي من حين حـرمت المسلمـات على المشركين فهو صحيح ايضاً، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضـاء عدتهـا في هذه المـدة التي أقلها سنتان من حين التحريم ، أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الاول ؟ فقـال قائلون يحتمـل ان عـدتها لم تنقض وهـذه قصة يمين يتـطرق اليها الاحتمـال ، وعارض آخـرون هـذاالحـديث بالحديث الاول الذي رواه احمد والترمذي وابن ماجة من حـديث الحجاج بن أرطأة عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسـول الله ﷺ رد بنته على أبي العـاص بن الربيـع بمهر جـديد ونكاح جديـد .قال الإمام أحمد هذا حديث ضعيف رواه ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي والعرزمي لا يساوي حديثه شيئاً والحديث الصحيح الذي روى ان النبي ﷺ أقرها على النكاح الاول. وهكذا قال الدارقطني لا يثبت هـذا الحديث والصواب حديث ابن عباس ان رسول الله ﷺ ردها بالنكاح الاول وقال الترمذي هذا حديث في اسناده مقال والعمل عليه عند اهل العلم أن المـرأة إذا أسلمت قبل زوجهـا ثم أسلم زوجها انـه أحق بها ما كانت في العدة وهو قول مالك والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق. وقال آخـرون بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن روى انه جدد لها نكاحا فضعيف ففي قضية زينب والحالة هـذه دليـل على أن المرأة إذا أسلمت وتـأخر اسـلام زوجها حتى انقضت عـدتها فنكـاحها لا ينفسـخ بمجرد ذلك بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت اسلام زوجها أي وقت كان وهي امرأته ما لم تتزوج وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم.

ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري حيث قال نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن حدثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين، كانوا مشركي اهل الحرب يقاتلوهم ويقاتلونه ، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه . فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر فاذا طهرت حل لها النكاح، فان هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حران ولهما ما للمهاجرين ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد هذا لفظه بحروفه، فقوله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر يقتضي أنها كانت تستبرىء بحيضة لا تعتد بثلاثة قروء، وقد ذهب قوم إلى هذا وقوله فان هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه يقتضي أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة أنها ترد إلى زوجها الاول ما لم تنكح زوجا غيره كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبي ﷺ وكما ذهب اليه من ذهب من العلماء والله أعلم.

ما قيل من الاشعار في بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق عن حمزة بن عبد المطلب وأنكرها ابن هشام :

ألم ترَ أمراً كان من عَجَب الدهر ... وللحين أسبابٌ مبيَّنةُ الأمر

وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم ... فخافوا تواصٍ بالعقوقِ[1] وبالكفر

عشيةَ راحوا نحو بدرٍ بجَمْعِهم ... وكانوا رُهوناً للركيَّةِ[2] من بدر

وكنّا طلبنا العِيرَ لم نبغِ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدْر

فلما التقينا لم تكنْ مثنويةٌ ... لنا غير طعنٍ (بالمثقَّفة)[3] السُّمر

وضربٍ ببيض يختلي (الهامَ)[4] حدُّها ... مشهَّرةٍ الألوانِ بيّنة الأثر

ونحن تركنا عُتبةَ الغيِّ ثاوياً ... وشَيبةَ في قتلي تُجرُجَمَ في (الجفْر)[5]

وعمروٌ ثوى فيمن ثوى من حُماتهم ... فشُقَّت جيوبُ النائحات على عمرو

جيوبُ نساءٍ من لؤيّ بنِ غالب ... كرام تفرَّعن[6] (الذوائبَ)[7] من فهر[8]

أولئك قومٌ قُتّلوا في ضلالهم ... وخلّوا لواءً غير محتضرِ النصر

لواءُ ضلالٍ قاد ابليسُ أهلَه ... فخاسَ[9] بهم إن الخبيثَ إلى غدر

---

(١) العقوق : المخالفة في الامر .
(٢) الركية : البئر .
(٣) المثقفة : الرماح .
(٤) الهام : النامة .
(٥) الجفر : البئر .
(٦) تفرعن : جعلتها فروعاً .
(٧) الذوائب : الشعر المضفور .
(٨) فهر : بطن من قريش .
(٩) خاس : نكث .

وقـال لهم إذ عـاينَ الأمـرَ واضحـاً　　بـرئتُ إليكم مـا بيَ اليـومَ من صبر
فـإنـي أرى مـا لا تـروْنَ وإنـنـي　　أخـافُ عـقـابَ الله واللهُ ذو قَسـر
فـقـدَّمهـم للحَيْـنِ حتـى تـورَّطـوا　　وكـان بمـا لم يُخبِـرِ القـومَ ذا خُبـر
فكـانـوا غـداةَ البئر ألفـاً وجمعُنـا　　ثلاثَ مئينٍ كـالمسـدَّمة(١) الـزُّهر
وفـيـنـا جنـودُ الله حيـنَ يـمـدُّنـا　　بهم في مقامٍ ثمّ مستوضَحِ الـذكـر
فشـدَّ بهم جبـريـلُ تحت لـوائـنـا　　لـدل مـأزقٍ فيـه منايـاهُم تجـري

وقـد ذكر ابن اسحـاق جوابهـا من الحارث بن هشـام تركنـاها عمـداً . وقال علي بن أبي طالب وأنكرها ابن هشام :

ألـم تَـرَ أن الله أبـلـى رسـولَـه　　بـلاءَ عـزيـزٍ ذي اقتـدارٍ وذي فضـل
بـمـا أنـزلَ الـكـفّـارَ دارَ مـذلَّـة　　فـلاقَـوا هـوانـاً من أسـارٍ ومن قتـل
فـأمسى رسـولُ الله قـد عـزَّ نصـرُه　　وكـان رسـولُ الله أُرسِـلَ بـالعـدل
فـجـاء بـفـرقـانٍ مـن الله مُـنْـزَلٍ　　مـبـيِّـنـةٌ آيـاتُـه لـذوي الـعـقـل
فـآمـنَ أقـوامٌ بـذاك وأيـقـنـوا　　فـأمسَـوا بحمـد الله مجتَمعي الشَّمـل
وأنـكـر أقـوام فـزاغـت قـلـوبُـهـم　　فزادهُمُ ذو العرش خَبلاً (٢) على خَبل
وأمـكنَ مـنـهـمْ يـومَ بـدرٍ رسـولَـه　　وقـومـاً غِضـابـا فعلُهم أحسنُ الفعـل
بـأيـديهُم بِيضٌ خفـافٌ عصوا بهـا　　وقـد حـادَثـوهـا بـالجلاءِ وبـالصَّقـل
فكم تـركـوا من نـاشىءٍ ذي حميـةٍ　　صـريعـاً ومن ذي نجـدةٍ منهمُ كهـل
تـبيتُ عيـونُ الـنـائحـات عـليـهـمُ　　تجودُ بأسبالٍ(٣) الرَّشَاشِ(٤) وبالوبل(٥)
نـوائـحُ تـنعـي عُتبـةَ الغيِّ وابنَـه　　وشـيـبـةَ تـنعـاه وتـنعـي أبـا جـهـل
وذا الـرِّجـل تنعي وابنَ جـدعـان فيهم　　مـسـلَّـبـةٌ حـرّى مـبـيِّـنـة الـثُّـكـل
ثـوى منهمُ في بئـرِ بـدرٍ عِصـابـة　　ذوو نَجَدات في الحروبِ وفي المحل
دعـا الغَيُّ منهم من دعـا فـأجـابـه　　وللغيِّ أسبـابٌ مُـرمَّقَةُ الـوصـل
فـأضحَـوا لـدى دار الجحيمِ بمعـزلٍ　　عن الشَّغْبِ والعُدوان في أسفَل السفل(٦)

وقد ذكر ابن اسحاق نقيضها من الحارث أيضاً تركناها قصداً وقال كعب بن مالك :

عـجـبـتُ لأمـرِ الله والـلّهُ قـادر　　عـلى مـا أرادَ لـيس لله قـاهـر

(١) المسدمة : بقع في الفضاء تشبه النجوم .
(٢) خبلاً : فساد .
(٣) إسبال : ارسال الدمع وكثرته .
(٤) الرشاش : نزوله متفرقا .
(٥) الوبل : نزوله مجتمعاً .
(٦) كذا في المصرية وفي ابن هشام والحلبية : في أشغل الشغل .

قضى يومَ بدرٍ أن نلاقيَ معشراً بغَوا وسبيلُ البغي وبالناس جائر
وقد حَشدوا واستَنفَروا من يليهُم من الناس حتى جمعُهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرَنا بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَه له معقِلٌ منهم عزيزٌ وناصر
وجمعُ بني النّجار تحت لوائه يمشّون في الماذيِّ والنقعُ ثائر[1]
فلما لقيناهم وكلٌ مجاهدٌ لأصحابه مستبسلُ النفس صابر
شهدنا بأنّ اللّهَ لا ربَّ غيره وأنّ رسولَ الله بالحقّ ظاهر
وقد عَرِيَتْ بيضٌ[2] ، خِفافٌ كأنها مقاييسُ يُزهيها لعينيكَ شاهر
بهنّ أبدْنا جمعَهم فتبدّدوا وكان يلاقي الحينَ من هو فاجر
فكبَّ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه وعتبةُ قد غادرتُهُ وهو عاثر
وشيبةُ وَالتَّيْمي غادرتُ في الوغى وما منهمُ إلا بذي العرش كافر
فأمسوا وقودَ النارِ في مستَقرها وكلّ كَفورٍ في جهنم صائر
تلظّى عليهمْ وهي قد شبَّ حميُمها بزبْرالحديدِ والحجارةِ ساجر[3]
وكان رسول الله قد قال أقبِلوا فولّوا وقالوا إنما أنتَ ساحر
لأمرٍ أراد الله أن يهلِكوا به وليس لأمر حَمَّهُ الله زاجر

وقال كعب في يوم بدر :

ألا هل أتى غسّانَ في نأيِ دارها وأخبرُ شيءٍ بالأمور عليمُها
بأنْ قد رمتنا عن قِسيٍّ عداوةٍ معدٌّ معاً جُهَّالها وحليمها
لأنّا عبدنا الله لم نرجُ غيره رجاءَ الجِنانِ إذ أتانا زعيمها
نبيٌّ له في قومه إرثُ عزّةٍ وأعراقُ صِدقٍ هذّبتها أرومها[4]
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا أسودُ لقاءٍ لا يرجَّى كليمها[5]
ضربناهُمْ حتى هوى في مكرّنا لمنخرِ سوءٍ من لؤيٍّ عظيمها
فولّوا ودُسْناهم بِبيضٍ صوارم سواءٌ علينا حلْفُها وصميمُها

وقال كعب أيضاً :

لعمرُ أبيكما يا ابنَيْ لؤيّ على زهوٍ لديكمْ وانتخاءِ
لَما حامتْ فوارسُكم ببدرٍ ولا صَبَروا به عند اللقاء

---

(١) الثائر : من يلقي الشرور بين الناس .
(٢) البيض : السيوف .
(٣) ساجر : سيل جارف يملأ كل شيء .
(٤) أرومها : أصولها .
(٥) كليمها : جريحها .

وَرَدْنـاهُ ونـورُ الله يـجـلو دُجـى الـظلمـاءِ عَـنّـا والـغـطاء
رسـولُ الله يَـقْـدُمـنـا بـأمـرٍ مـن أمـر الله أُحكـم بـالـقـضـاء
فـمـا ظـفـرتْ فـوارسُـكم بـبـدرٍ ومـا رجـعـوا إليـكـم بـالـسـواء
فـلا تَـعجَـلْ أبـا سفـيـان وارقـبُ جِيادَ الخيـلِ تـطلُعُ من كِـداء[1]
بـنـصـرِ الله روحِ القُـدْس فيـهـا ومـيـكـالٌ فـيـا طِيـبَ الـمـلاء

وقال حسان بن ثابت قال ابن هشام ويقال هي لعبد الله بن الحارث السهمي :

مستشعـري حَلَق المـاذيِّ يَقْـدُمُهم جلْدُ النَّحيزة ماضٍ غيرُ رعـديـد[2]
أعـنـي رسـولَ إلـه الـخلقِ فـضّله على البـريّـةِ بـالتقـوى وبـالجـود
وقـد زعمتم بأن تَحْمُوا ذِمـارَكـمُ[3] ومـاءَ بـدر زعـمتـم غيـرَ مـورود[4]
مستعصمين بحبلٍ غيرِ (مُنْجَذِمٍ)[5] مستـحكـمٍ من حبـالِ الله ممـدود
فينـا الـرسـولُ وفينـا الحقُّ نَتْبعـه حتى الممـاتِ ونصـرٍ غيـرِ محـدود
وافٍ ومـاضٍ شهـابٌ يُستضـاء بـه بـدرٌ أنـارَ عـلى كـلِّ الأمـاجيـد

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا ليتَ شعرِي هـل أتى أهـلَ مكـة إبـادتُنـا الكفّـارَ في سـاعـة العُسـر
قتلنـا سَراةَ القـومِ عنـد مجـالنـا فلم يـرجعـوا إلا بقـاصِمـةِ الـظهـر
قـتلنـا أبـا جـهـلٍ وعتبـةَ قَبْلَه وشيبـةَ يـكبـو لـليـديـن ولـلنَّحْـر
قـتلنـا سـويـداً ثـمَّ عـتبـةَ بـعـده وطعمـةَ أيضـاً عنـدَ ثـائـرة القَتْـر
فكَم قـد قتلنـا من كـريمٍ مُسَـوَّدا لـه حَسَبٌ في قـومـه نـابـهُ الـذِّكـر
تـركنـاهـمـوا للعـاويـات يَنُبْنَهُم[6] ويَصْلون نـاراً بعـدُ حـاميـةَ القعر
لعمـرُك مـا حـامتْ فوارسُ مـالـكٍ وأشيـاعُهم يـومَ التـقينـا على بـدر

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر في قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعلي مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام :

---

(١) كداء : اسم موقع .
(٢) رعديد : جبان .
(٣) ذمار : كل ما يلزم حمايته والدفاع عنه .
(٤) وبعده في ابن هشام .
ثـم وردنـاه لم نسمـع لقولكم حتـى شربنـا رواءً غـير تصريد
(٥) منجذم : منقطع .
(٦) ينبئهم : معناه يأتوهم مرة بعد مرة وفي رواية ينتشهم أي يتناولهم .

سَتَبلغُ عنا أهلَ مكّةَ وقعةٌ يهبّ لها منَ كانَ عن ذاك نائبا
بعتبةَ إذ ولى وشيبة بعده وما كانَ فيها بِكرُ عُتبةَ راضيا
فإنْ تقطعوا رجلي فإنّيَ مسلمٌ أرجّي بها عَيْشاً من الله دانيا
مع الحورِ أمثالِ التماثيل أُخلِصَت من الجنّةِ العُليا لِمن كان عاليا
وبعث بها عيشاً تعرَّفتُ صفوه وعاجلتُه حتى فقدْتُ الأدانيا
فأكرمني الرحمنُ من فضلِ منّه بثوبٍ من الإسلام غطّى المساويا
وما كان مكروهاً إليَّ قتالهُم غداةَ دعا الأكفاءَ من كان داعيا
ولم يبغِ إذ سألوا النبيَّ سواءنا ثلاثتَنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهمُ كالأُسْد تخطُرُ بالقنا نقاتلُ في الرحمنِ من كان عاصيا
فما برحتْ أقدامُنا من مَقامِنا ثلاثتَنا حتى أُزيروا [1] المنائيا [2]

وقال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يذم الحارث بن هشام على فراره يـوم بدر وتركه قومه لا يقاتل دونهم :

تبلَّتْ فؤادَكَ في المنام (خَرِيدةٌ) [3] تَشْفي الضجيعَ ببارِدٍ بسّام
كالمسكِ تخلطُه بماء سحابةٍ أو (عاتقٍ) [4] كدَمِ الذّبيح مدام
(نفجُ الحقيبَةِ) [5] (بوصُها) [6] متنضّد بلهاء غيرُ وشيكة الأقسام
بُنيت على قطَنٍ أجمَّ كأنه فضلًا إذا قَعدتْ (مداكُ) [7] رخام
وتكاد تكسَل أن تجيءَ فراشَها في جسم (خُرعُبةٍ) [8] وحُسْنِ قوام
أما النهارَ فلا أفترُّ أذكرها والليلَ توزعُني بها أحلامي
أقسمتُ أنساها وأتركُ ذِكرها حتى تغيَّب في الضريح عظامي
بل مَنْ لِعاذلةٍ تلوم سفاهةً ولقد عصيتُ على الهوى لُوّامي
بكرتْ إليّ بسَحْرةٍ [9] بعد (الكرى) [10] وتقاربٍ من حادثِ الأيام

---

(١) أزيرو : أحاطت بهم .
(٢) المنائيا : قال الخشن في غريب السيرة : المنائيا أراد المنايا فزاد الهمزة وقد تكون منقلبة عن ياء زائدة في منية .
(٣) خريدة : حسناء بكر .
(٤) عاتق : جيد الشراب .
(٥) نفجُ الحقيبة : ضخمة العجز .
(٦) البوص : الحرير الأبيض أو الكتابة .
(٧) مداك : حجر فيه رائحة الطيب .
(٨) خرعبة : مثاة حسناء .
(٩) السحرة : آخر الليل .
(١٠) الكرى : النوم .

زعمتْ بأن المرءَ يكرب عمره ... عَدَمٌ لمعتكرٍ من الإصرام
إن كنتِ كاذبةَ الذي حدَّثتِني ... فنجوتُ منجى الحارث بن هشام
تركَ الأحبةَ أن يقاتِلَ دُونَهم ... ونجا برأس (طِمرة) [1] ولجام
يذر (العناجيجَ) [2] الجيادَ بقفرةٍ ... مرّ (الذمولِ) [3] بمحصِدٍ (ورجام) [4]
ملأتْ به الفرجَيْن فارمدَّت به ... وثوى أحبتُه بشرِّ مقام
وبنو أبيهِ ورهطُه في معركٍ ... نَصَرَ الإلّهُ به ذوي الاسلام
طحنتهمُ والله ينفُذُ أمره ... حرب يَشب سعيرُها بضرام
لولا الإلّه وجريُها تركنَهُ ... جَزْرَ السِّباع ودُسنه (بحوام) [5]
من بين مأسورٍ يَشُدّ وثاقه ... صقرٌ إذا لاقى الأسنةَ حام
ومجدَّلٍ لا يستجيبُ لدعوةٍ ... حتى تزولَ شوامخُ الأعلام
بالعار والذلّ المبين إذا رأى ... بِيضَ السيوف تسوقُ كلَّ همام
بيديْ أغرَّ إذا انتمى لم يُخزِه ... نسبُ القِصار (سَمَيْدعٍ) [6] مقدام
بِيض إذا لاقتْ حديداً صمّمت ... كالبرقِ تحتَ ظِلال كلّ غمام

قال ابن هشام تركنا في آخرها ثلاثة أبيات أقذع فيها . قال ابن هشام فأجابه الحارث بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال :

القوم [7] أعلم ما تركتُ قتالَهم ... حتى رموا فرسي [8] بأشقرَ مُزْبد
وعرفتُ أني إن أقاتل واحداً ... أقتُل ولا يَنكى عدوّي مشهدي
فصددتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ ... طمعاً لهم بعقابِ يومٍ مفسد

وقال حسان أيضاً :

يا حارِ قد عوّلتَ غيرَ معوّلٍ ... عند الهياجِ وساعةَ الإحساب
إذ تمتطي سَرْحَ اليدين نجيبةً ... (مرطى) [9] الجراء طويلةَ الأقراب

---

(١) طمرة : الجواد الطويل القوائم .
(٢) العناجيج : صفة للجياد .
(٣) الذمول : التي تشير سيراً ليناً .
(٤) رجام : الابل الشديدة .
(٥) حوام : موضع شديد القتال .
(٦) سميدع : الشريف الشجاع .
(٧) في ابن هشام الله أعلم .
(٨) كذا في الحلبية وفي ابن هشام : حتى حبوا مهري وفي السهيلي علوا مهري وقوله في البيت الثالث : « يوم ممسد » الذي في الشواهد يوم مرصد .
(٩) مرطى : الناقة التي تلقي أولادها لغير تمام وبدون شعر .

والقومُ خلفك قد تركتَ قتالَهم ... ترجو النَّجاء وليسَ حينَ ذهاب
ألاّ عطفتَ على ابن أمك إذ ثوى ... (قَعْصَ)[1] الأسنّة ضائعَ الاسلاب
عَجِلَ المليكُ له فاهَلَك جمعَهُ ... (بشنارٍ)[2] مخزيةٍ وسوءِ عذاب

وقال حسان أيضاً :

لقد علمتْ قريشٌ يومَ بدرٍ ... غداةَ الأسرِ والقتلِ الشديد
بأنّا حينَ تشتجرُ العوالي ... حماةُ الحربِ يومَ أبي الوليد
قتلنا ابنَيْ ربيعةَ يومَ سارا ... إلينا في مضاعفَةِ الحديد
وفرّ بها حكيمٌ يومَ جالتْ ... بنو النّجار تخطُرُ كالأسود
وولّتْ عندَ ذاك جموعُ فِهْرٍ ... وأسلَمها الحويرثُ من بعيد
لقد لاقيتُموا ذلاّ وقتلاً ... جَهيزاً نافذاً تحتَ الوريد
وكلُّ القوم قد ولّوا جميعاً ... ولم يَلْوُوا على الحَسبِ التليد

وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب :

لقد ضمّن الصفراءَ مجداً وسؤدَداً ... وحِلماً أصيلاً وافرِ اللبِّ والعقل
عُبيدةُ فابكيهِ لأضيافِ غُربةٍ ... وأرملةٍ تهوي لأشعثَ[3] (كالجذل)[4]
وبكّيه للأقوام في كل شَتْوةٍ ... إذا احمرَّ آفاقُ السماءِ من المحل
وبكّيه للأيتام والريحُ (زفرفٌ)[5] ... وتشبيب قِدْرٍ طالما أزبدتْ تغلي
فإن تصبحِ النيرانُ قد ماتَ ضَوؤها ... فقد كان يذكيهنَّ بالحَطَب (الجزل)[6]
لطارقِ ليلٍ أو لملتمسِ القِرى ... ومستنبحٍ أضحى لديه على رَسْل

وقال الأموي في مغازيه حدثني سعيد بن قطن قال قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدراً :

ألمّا تكنْ رؤياي حقاً ويأتِكُم ... بتأويلها (فلٌّ)[7] من القوم هاربُ
رأى فأتاكم باليقين الذي رأى ... بعينيه ما تفري السيوفُ (القواضب)[8]
فقلتم ولم أكذبْ عليكم وإنما ... يكذِّبني بالصِّدق من هو كاذب
وما جاء إلا رهبةَ الموتِ هاربا ... حكيمٌ وقد أعيتْ عليه المذاهب

---

(١) مقص : مكسر .
(٢) شنار : أقبح العيب .
(٣) الأشعث : مغبر الشعر .
(٤) الجذل : من يلتجأ اليه ويستعنى برأيه .
(٥) زعزف : شديدة الهبوب .
(٦) الجزل : الغليظ .
(٧) فل : جمعٌ .
(٨) القواضب : من أسماء السيوف .

أقامت سيوفُ الهند دون رؤ وسِكم ... وخطِّيةٌ فيها الشَّبا والتغالب
كأنّ حريقَ النار لَمعُ (ظُباتها) [1] ... إذا ما تعاطتها (الليوث)[2] المشاغب
ألا بأبي يومَ اللقاء محمداً ... إذا عضّ من عُون الحروبِ الغوارب
مَرَى بالسيوف المرهفاتِ نفوسَكم ... كفاحاً كما تمري السحابَ الجنائب
فكم بردت أسيافُه من مليكة ... وزعزعَ وردٌ بعد ذلك صالب
فما بال قتلي في القليبِ ومثلهم ... لدى ابنِ أخي أسرى له ما يضارب
فكانوا نساءً أم أتى لنفوسهم ... من الله حَيْن ساق والحيْن (حالب) [3]
فكيف رأى عند اللقاءِ محمداً ... بنو عمّهِ والحربُ فيها التجارب
ألم يَغْشَكم ضربا يحارُ لوقعه الـ ... ـجبانُ وتبدو بالنهار الكواكب
حلفتُ لئن عادوا لَنَصْطلينّهم ... بحاراً تردى تجربتها (المقانب) [4]
كأنّ ضياءَ الشمس لَمْعُ ظُباتها ... لها من شعاع النور قَرنٌ وحاجب

وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأموي :

هلّا صبرتمْ للنبي محمدٍ ... ببدرٍ ومن يغشَى الوغى حقُّ صابرِ
ولم ترجعوا عن (مرهَفات) [5] كأنها ... حريقَ بأيدي المؤمنين (بواتر) [6]
ولم تصبروا للبيض حتى أخذتموا ... قليلاً بأيدي المؤمنين المشاعر
وولّيتموا نفْراً وما البطلُ الذي ... يقاتلُ مِن وقْع السلاح بنافر
أتاكم بما جاء النبيُّون قبلَه ... وما ابنُ أخي البرِّ الصدوقُ بشاعر
سيكفي الذي ضيَّعتموا من نبيِّكم ... وينصرُهُ الحيّانِ : عمرو وعامر

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ ذاك :

ألا إن عيني أنفذتْ دمعَها سَكْبا ... تبكي على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا ... وأرداهموا إذا الدهرُ واجترحوا ذنبا
وعامرُ تبكي للملمّات غدوةً ... فيا ليتَ شعري هل أرى لهمُ قُربا [7]

---

(١) ظباتها : حد السيف .
(٢) الليوث : الاسود .
(٣) حالب : معين .
(٤) المقانب : جماعة الخيل تجتمع للغارة .
(٥) مرهفات : سيوف رقيقة .
(٦) بواتر : قواطع .
(٧) واورد ابن هشام بعد هذا البيت.
هما أخواي لم يعدا لغيه ... تعدولن يستام جارهما عصبا

فيـا أخـويْنـا عبدَ شمسٍ ونـوفـلٍ فِـداً لكُما لا تبعثـوا بينَنـا حـربـا
ولا تُـصبحـوا من بـعـد وَدٍّ وإلـفـة أحـاديثَ فيهـا كلُّكم يشتكي النَّكبـا
ألم تعلمـوا ما كـان في حرب داحسٍ وحـرب أبي يكسومَ إذ ملئـوا الشِّعبا[1]
فـلولا دفـاعُ الله لا شـيء غـيـره لاصبحتُمـوا لا تمنعـون لكم سِـرْبـا
فمـا إن جَنينـا في قـريش عـظيمـةً سوى أن حَمَينا خيرَ من وَطِىء التربا
أخـا ثقـةٍ في النـائبـاتِ (مُـرَزَّءاً)[2] كـريمـاً ثَنـاهُ لا بخيـلاً ولا (ذَرْبـا)[3]
يُطيفُ بـه العـافُون يَغشـونَ بـابـه يؤمّـون نهـراً لا نَـزُوراً ولا صـربـا
فـوالـلّهِ لا تنفـكّ نفسـي حـزينـةً تَمَلمَلُ حتّى تصدُقـوا الخزرجَ الضَّربا

فَصـــل :

وقد ذكر ابن اسحاق أشعارا من جهة المشركين قوية الصنعـة يرثـون بها قتـلاهم يوم بـدر فمن ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مـرداس أخي بني محارب بن فهـر وقد أسلم بعـد ذلك ، والسهيلي في روضه يتكلم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك :

عجبتُ لفخـرِ الأوسِ والحَيْنُ دائـر عليهم غـداً والـدهـرُ فيـه بصـائـر
وفخـرِ بني النجّـار إن كـان معشـرَ أصيبـوا ببـدرٍ كـلّهـم ثَـمَّ صـائـر
فـان تـكُ قتلي غـودرتْ من رجـالنـا فـانّـا رجـالاً بـعـدهـم سـنـغـادر
وتردَى بناالجرْدُ[4] العناجيجُ[5] وَسْطَكم بني الأوسِ حتى يشفيَ النفسَ ثـائر
ووسْطُ بني النجّـار سـوف نَكِـرُّهـا لهـا بـالقَنـا والـدارعينَ (زوافـر)[6]
فنتـركُ صرعى تعصِبُ الـطيرُ حـولَهم ولـيسَ لـهـم إلا الأمـانـيّ نـاصـر
وتـبكـيهـمُ من أرضِ يـثـربَ نِـسـوةٌ لهنّ بهـا ليـل عـن النـومِ سـاهـر
وذلـك أنّـا لا تـزالُ سـيـوفُـنَـا بهنّ دمٌ ممن يـحـاربْنَ (مـائـر)[7]
فـانْ تـظفـروا في يـومِ بـدرٍ فـانمـا بـأحمـدَ أمسى جَـدُّكم وهـو ظـاهـر
وبـالـنـفـرَ الأخـيـار هـم أولـيـاؤه يُحامون في اللأْواء[8] والموتُ حاضر
يُعـدّ أبـو بـكـرٍ وحـمـزةُ فـيـهـمُ ويـدعـى عليّ وسْطَ مـن أنـتَ ذاكـر
أولئـك لا مـن نتَّجتْ من ديـارهـا بنـو الأوسِ والنجّـار حين تفـاخـر

---

(١) كذا في الأصلين . وفي ابن هشام :
وجيش أبي يكسوم اذا ملأ السقبا
(٢) مرزءاً : مصاباً .
(٣) الذرب : سلاطة اللسان .
(٤) الجرد : الملساء .
(٥) العناجيج : صفة للجياد الجيدة .
(٦) الزوافر : الأسياد والعشيرة .
(٧) مائر : فاسد .
(٨) اللأواء : الشدة أو المصيبة .

ولـكن أبـوهـم من لـؤيِّ بن غـالـبٍ إذا عُـدَّتِ الانسـابُ كعب وعـامـر
هم الـطاعنـون الليـلَ في كـل مَعـركٍ غـداةَ الهيـاجِ الأطْيَبُـونَ الأكـابـر

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها وهي قوله :

عـجـبـتُ لأمـرِ الله والله قـادر عـلى مـا أرادَ لـيسَ لله قـاهـر

قال ابن اسحاق : وقال أبو بكر واسمه شداد بن الأسود بن شعوب .

قلت : وقد ذكر البخاري أنه خلف على امرأة أبي بكر الصديق حين طلقها الصديق وذلك حرم الله المشركات على المسلمين واسمها أم بكر :

تـحَـيـي بـالـسلامـةِ أمُّ بـكـرٍ وهـل لي بعـد قـومي مـن سـلام
فـمـاذا بـالـقـليـبِ قـليـبِ بدرٍ مـن الـقَيْـنـات والـشَّـربِ الـكـرام
ومـاذا بـالـقـليـب قـليـب بـدرٍ من (الشِّيـزَى)[1] تكلَّلُ بـالسـنـام
وكـم لـك بـالـطويِّ طـويّ بـدر من (الحـومـات)[2] والنَّعَم المُسـام
وكـم لـك بـالـطوى طـوى بـدر من الغـايـات (والـدسـع)[3] العـظام
وأصـحـابِ الـكـريـم أبي عـلي أخيّ الكـأس الـكـريمـة والـنـدام
وانـكَ لـو رأيـتَ أبـا عـقـيـل وأصـحـابَ الـشـنيَّـةِ مـن نـعـام
إذاً لـظللتَ مـن وجـدٍ عـليـهـم كـأمِّ (السّقبِ)[4] جـائلة الـمـرام
يخبّـرنـا الـرسـول لَسـوف نحيـا وكـيـف حـيـاةُ أصـداءٍ وهـام

قلت وقد أورد البخاري بعضها في صحيحه ليعرف به حال قائلها . قال ابن اسحاق وقال أمية بن أبي الصلت يرثي من قتل من قريش يوم بدر :

ألّا بـكـيـتِ عـلى الـكـرا م بـني الـكـرام أولـي الـمـمـادح
كَـبُـكَـا الـحـمـام عـلى فـرو عِ الأيـك في الغُصُن الجـوانـح
يـبـكـيـن حـراً مـسـتـكـيـ ـنـاتٍ يَـرُحْـن مـع الـروائـح
أمـثـالُـهـنّ الـبـاكـيـا تُ الـمـعـولاتُ مـن الـنـوائـح
مَـن يـبـكِهـم يـبـكـي عـلى حُـزْنٍ ويـصـدُقُ كـل مـادح
مـاذا بـبـدر (والـعَـقَـنْـ ـقَلِ)[5] من مَرازبةٍ[6] جحاجح[7]
فـمـدافـع الـبـرقـيـن فـالـــــ ـحنّان من طَرَفِ (الأواشح)[8]

---

(١) الشيزي : النطاع المملوءة بالطعام .
(٢) الحومات · أشد أماكن القتل .
(٣) الدسع : العطاء الجزيل .
(٤) السقب : ولد الناقة ساعة يولد .
(٥) العقنقل : الوادِ السحيق .
(٦) مَرازبة : رؤساء .
(٧) جحاجح : المسارعين الى المكارم .
(٨) أواشح : سيوف .

شُمْطٌ[1] وشبانَ بها ليلٌ مغاويرٌ وحاوح[2]
ألّا ترون لِمَا أرى ولقد أبان لكل لامح
أنْ قد تغيّر بطنُ مكـ ـة فهي موحشةُ الأباطح[3]
من كل بِطْريقٍ لبطـ ـريقٍ نقي الودّ واضح
دُعموصِ[4] أبوابِ الملو كِ وجائبِ للخرق فاتح
ومن السّراطمة[5] الخلا جمة[6] الملاوِثة[7] المناجح[8]
القائلينَ الفاعلـ ـينَ الآمرينَ بكل صالح
المطعمينَ الشحمَ فو قَ الخبز شحماً كالانافح[9]
نُقْلُ الجفانِ مع الجفا نِ إلى جفانٍ كالمناضح
ليست بأصفارٍ لمن يعفو ولا (رحٍّ)[10] رحارح
للضيف ثم الضيف بعـ ـد الضيف والبُسُط السلاطح[11]
وُهُبَ المئينَ[12] من المئـ ـينِ إلى المئين من اللواقح
سوق المؤبّل[13] للمؤبـ ـل صادرات عن بلادح[14]
لِكرامهم فوق الكرا م مزيةٌ وَزْنُ الرواجح[15]
كمثاقل الأرطال بالـ ـقسطاس بالايدي الموائح[16]
خذلَتْهموا فئة وهم يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقدميّـ ـة بالمهنّدة الصفائح

---

(١) شمط : شيوخ .
(٢) وحاوح : أسياد وأقوياء .
(٣) الآباطح : مفردها أبطح وهو مسيل فيه رمل وحصى دقيق .
(٤) دعموص : بلعط .
(٥) السراطمة : مفردها سرطم وهو الأكول .
(٦) الخلاجمة : مفردها خلجم - صاحب الجسم الطويل المشوق .
(٧) الملاوثة : الأقوياء .
(٨) المناجح : القاضون لحاجاتهم .
(٩) الانافح : اللبن الصافي .
(١٠) الرح : الجفان الواسعة .
(١١) السلاطح : العريضة .
(١٢) المئين : المايتان (٢٠٠) .
(١٣) المؤبل : المكان الكثير الابل .
(١٤) بلادح : واد قبل مكة .
(١٥) الرواجح : الأشياء الثقيلة .
(١٦) المواثح : التي تغترف الماء اغترافاً .

ولقد عناني صوتهم من بين مستسقٍ وصائح
لله درّ بني علي أيّمٍ منهم وناكح
إن لم يُغيروا غارة شعواء تُحجُر كلّ نابح
بالمقربات المبعدا ت الطامحات مع الطوامح
مُرداً على جُردٍ إلى أُسْدٍ مكالبةٍ (كوالح)[1]
ويلاقِ قِرنٌ قِرنَه مَشْيَ المُصافح للمصافح
بزهاء ألفٍ ثم ألـ ـفٍ بين ذي بدن ورامح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ[2] .

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذي حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشام وأضرابه من الكفرة اللئام والجهلة الطغام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله فخر البشر ومنْ وجهه أنور من القمر ذي العلم الا كمل والعقل الأشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق والسابق إلى الخيرات وفعل ا لمكرمات وبذل الألوف والمئات في طاعة رب الأرض والسموات ، وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والاسلام رضي الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام . وما تعاقبت الليالي والأيام . وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردها ابن اسحاق رحمه الله خوف الاطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية ولله الحمد والمنة . وقد قال الأموي في مغازيه سمعت أبي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهلية . قال سليمان فذكر ذلك الزهري فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أمية التي ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأخوص . وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك والله أعلم .

قال ابن اسحاق : وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقب شهر رمضان ـ أو في شوال ـ ولما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ـ أو ابن أم مكتوم الأعمى ـ قال ابن اسحاق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى في اقامته تلك جل الأسارى من قريش .

---

(٦) كوالح : الذين انكشفت شفاههم عن اسنانهم .

(٧) يوجد في بعض القصائد اختلاف وتحريف اعتمدنا في تصحيحه على ابن هشام والخشني .

فَصـــل :

غزوة بني سليم
سنة اثنتين من الهجرة

قال السهيلي : والقرقرة الأرض الملساء ، والكدر طير في ألوانها كدرة . قال ابن اسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فاتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، قال ابن اسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخففون منها وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق . قال المسلمون : يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال نعم . قال ابن اسحاق وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلام بن مشكم اليهودي :

وإني تخيرت المدينة واحداً ... لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقاني فروَّاني (كميتا)[1] مدامة ... على عجل مني سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن ... لأفرجه أبشر بعز ومغنم
تأمل فإن القوم سر وإنهم ... صريح لؤي (لاشماطيط)[2] جرهم
وما كان إلا بعض ليلة راكب ... أتى ساعيا من غير خلة معدم

فَصـــل :

في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وذلك في سنة اثنتين بعد وقعة بدر لما رواه البخاري ومسلم من طريق الزهري عن علي بن الحسين

---

(١) كميتا : خمراً .

(٢) لاشماطيط : غير متفرقين .

عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال : كان لي (شارف) [1] من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفا مما أفاء الله من الخمس يومئذ فلما أردت ابتنى فاطمة بنت النبي ﷺ واعدت رجلا صوّاغا من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي (بأذخر) [2] فأردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به في وليمة عرسي فبينا أنا أجمع لشارفيّ من الأقتاب والغرائر والجبال وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت ، فاذا أنا بشارفي قد أجبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأت المنظر فقلت من فعل هذا ؟ قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت وهو في شرب من الأنصار وعنده قينته وأصحابه ، فقالت في غنائها :

* ألا يا حمز للشُّرُف النواء *

فوثب حمزة إلى السيف فأجب أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما ، قال علي فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي ﷺ الذي لقيت فقال مالك ؟ فقلت يا رسول الله ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتي فأجب أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في البيت معه شرب فدعا النبي ﷺ بردائه فارتداه ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن عليه فاذن له فطفق النبي ﷺ يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى النبي ﷺ ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال حمزة : وهل أنتم الا عبيداً لأبي فعرف النبي ﷺ أنه ثمل فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه . هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي وقد رواه في أماكن أخر من صحيحه بألفاظ كثيرة وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد خمست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال من أن الخمس انما نزل بعد قسمتها وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير وبينا غلطه في ذلك في التفسير وفيما تقدم والله أعلم . وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضي الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتي وذلك قبل تحريم الخمر والله أعلم وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوبة لا تأثير لها لا في طلاق ولا اقرار ولا غير ذلك كما ذهب اليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر في كتاب الأحكام وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل سمع عليا يقول : أردت أن أخطب الى رسول الله ﷺ ابنته فـ مت ما لي من شيء ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها اليه فقال « هل لك من شيء ؟ » قلت لا قال « فأين درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قال

---

(١) شارف : ناقة مسنة .

(٢) اذخر : حلية تعلق بالعنق .

هي عندي قال فأعطنيها قال فأعطيتها اياه هكذا رواه أحمد في مسنده وفيه رجل مبهم وقد قال أبو داود حدثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقاني ثنا عبدة ثنا سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما قال له رسول الله ﷺ أعطها شيئاً قال ما عندي شيء . قال أين درعك الحطمية ؟ ورواه النسائي عن هارون بن اسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن أيوب السختياني به . وقال أبو داود حدثنا كثير بن عبيد الحمصي ثنا أبو حيوة عن شعيب بن أبي حمزة حدثني غيلان بن أنس من أهل حمص حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن عليا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئا فقال يا رسول الله ليس لي شيء فقال له النبي ﷺ « اعطها ، درعك » فأعطاها درعه ثم دخل بها . وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت لا ، قالت فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك ، فقلت وعندي شيء أتزوج به ؟ فقالت انك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك ، قال فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ألك حاجة ؟ فسكت فقال لعلك جئت تخطب فاطمة ، فقلت نعم ! فقال « وهل عندك من شيء تستحلها به » فقلت لا والله يا رسول الله فقال « ما فعلت درع سلحتكها » فوالذي نفس علي بيده أنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم فقلت عندي . فقال قد زوجتكها فابعث اليها بها فاستحلها بها ، فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : فولدت فاطمة لعلي حسنا وحسينا ومحسنا ـ مات صغيراً ـ وأم كلثوم وزينب ثم روى البيهقي من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي قال جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل وقربة ووسادة أدم حشوها اذخر . ونقل البيهقي عن كتاب المعرفة لأبي عبد الله بن منده أن عليا تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك لسنة أخرى .

قلت: فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية والله أعلم .

فَصــل :

جُمل من الحوادث سنة اثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وذكرنا ما

سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين ، فكان ممن توفي فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجري وأنصاري تقدم تسميتهم ، والرؤساء من مشركي قريش وقد كانوا سبعين رجلا على المشهور ، وتوفي بعد الوقعة بيسير أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم ، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين وجدوا رقية بنت رسول الله ﷺ قد توفيت وساووا عليها التراب ، وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبي ﷺ له بذلك . ولهذا ضرب له بسهمه في مغانم بدر وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوجه باختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال إنه لم يغلق أحد على ابنتي نبي واحدة بعد الأخرى غيره رضي الله عنه وأرضاه . وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد في صلاة الحضر على ما سلف ، وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم وفيها فرضت الزكاة ذات النصب وفرضت زكاة الفطر وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود بني حارثة وصانعوا المسلمين وأظهر الاسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من انحل بالكلية فبقي مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله في كتابه .

قال ابن جرير وفيها كتب رسول الله ﷺ المعاقل وكانت معلقة بسيفه قال ابن جرير وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها ، قال وأما الواقدي فانه زعم أن ابن أبي سبرة حدثه عن اسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجة منها قال فان كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

تم الجزء الثالث من كتاب البداية والنهاية
ويليه الجزء الرابع وأوله سنة ثلاث من الهجرة

فهرست الجزء الثالث
من كتاب البداية والنهاية

البداية والنهاية

تأليف

أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية

دقق أصوله وحققه

دكتور أحمد أبو ملحم — دكتور علي نجيب عطوي
الأستاذ فؤاد السيد — الأستاذ مهدي ناصر الدين
الأستاذ علي عبد الساتر

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

سنَة ثلاث مِن الهجرة

في أولها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أَمَر . قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ثم غزا نجداً يريد غطفان وهي غزوة ذي أمر . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . قال ابن اسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ثم رجع ولم يلق كيداً . وقال الواقدي : بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بذي أمر يريدون حربه ، فخرج اليهم من المدينة يوم الخميس لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب أحد عشر يوما وكان معه أربعمائة وخمسون رجلا ، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله ﷺ فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمرأى من المشركين ، واشتغل المشركون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد ، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه فلما رجع الى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرت الى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله والله لا أكثر عليه جمعاً ، وجعل يدعو قومه الى الاسلام . قال : ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم إذ همَّ قومٌ أَنْ يَبْسُطُوا الَيْكُم أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أيدِيَهُم عَنكُم ﴾[1] الآية . قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصبة تشبه هذه فلعلهما قصتان ، قلت : ان كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ولم يكن عاهد

---

(١) سورة المائدة الآية ١١

النبي ﷺ أن لا يقاتله . والله أعلم .

غَزوَة الفُرُع مِن بُحران

قال ابن اسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كله أو الا قليلا منه ثم غدا يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حتى بلغ بُحران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفُرُع . وقال الواقدي : إنما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فالله أعلم .

خبر يهود بني قينقاع في المدينة

وقد زعم الواقدي أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة فالله أعلم وهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِم قَرِيْباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] قال ابن اسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع . قال وكان من حديثهم ان رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم . فقالوا : يا محمد انك ترى أنا قومك لا يغرّنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس . قال ابن اسحاق : فحدثني مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم (قُلْ للذِّينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُوْنَ وَتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَمَ وبِئْسَ المِهَاد . قَدْ كَانَ لَكُمُ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَقَتَا ﴾[2] يعني أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيْلِ اللهِ وأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِثْلَيْهِمْ رَأيَ العَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يشاءُ إنَّ في ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأوْلي الأبْصَارِ ﴾[3] قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد . قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر [بن عبد الرحمن] بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بحلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع . قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال

---

(١) سورة الحشر الآية ١٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢ ـ ١٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣ .

فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبيّ ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن في مواليَّ وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه قال فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ قال ابن هشام وكان يقال لها ذات الفضول فقال له رسول الله ﷺ أرسلني وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه طللاً[1] ثم قال ويحك أرسلني قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليَّ أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة اني والله امرؤ أخشى الدوائر . قال فقال له رسول الله ﷺ هم لكْ . قال ابن هشام واستعمل رسول الله ﷺ في محاصرته اياهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته اياهم خمس عشرة ليلة . قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبيّ وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت الى رسول الله ﷺ وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم الى رسول الله ﷺ وتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة : ﴿ يَـأَيُّهَا الَّـذِيْنَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَصَارَى أوْلِياءَ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[2] الآيات حتى قوله : ﴿ فَتَرَى الَّـذِيْنَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أنْ تُصِيْبَنَا دائِرَةٌ﴾[3] يعني عبد الله بن أبيّ الى قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَـهُ والَّذيـن آمَنُوا فَإنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبونَ ﴾[4] يعني عبادة بن الصامت . وقد تكلمنا على ذلك في التفسير .

سرية زيد بن حَارثة

الى عِير قريش صحبة أبي سفيان أيضاً وقيل صحبة صفوان . قال يونس عن بكير عن ابن اسحاق وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر . قال ابن اسحاق وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهي عُظم تجارتهم واستأجروا رجلا من بكر ابن وائل يقال له فرات بن حيان يعني العجلي حليف بني سهم ليدلهم على تلك الطريق . قال ابن اسحاق فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلتيهم على ماء يقال له القردة فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله ﷺ فقال في ذلك حسان بن ثابت :

---

(١) طللا : ندى .

(٢) سورة المائدة الآية ٥١ .

(٣) سورة المائدة الآية ٥٢ .

(٤) سورة المائدة الآية ٥٦ .

دعوا (فلجات)[1] الشام قد حال دونها	جلاد كافواه المخاض (الأوارك)[2]
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم	وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
اذا سلكت للغور من بطن (عالج)[3]	فقولا لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام وهذه القصيدة في أبيات لحسان وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث . وقال الواقدي كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال وإنما أسروا رجلا أو رجلين وقدموا بالعير فخمسها رسول الله فبلغ خمسها عشرين ألفاً وقسم أربعة أخماسها على السرية وكان فيمن أسر الدليل فرات بن حيان فأسلم رضي الله عنه . قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان ابن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الأشرف

وكان من بني طيء ثم أحد بني نبهان ولكن أمه من بني النضير . هكذا ذكره ابن اسحاق قبل جلاء بني النضير وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير والصحيح ما ذكره ابن اسحاق فيما يأتي فإن بني النضير انما كان أمرها بعد وقعة أُحد وفي محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه بطريقه ان شاء الله . قال البخاري في صحيحه قتل كعب بن الأشرف حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ من لكعب ابن الأشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال نعم . قال فأذن لي أن أقول شيئاً قال قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال ان هذا الرجل قد سألنا صدقة وانه قد عنّانا واني قد أتيتك أستسلفك . قال وأيضاً والله لتملُّنّه . قال إنا قد اتبعناه فلا نحبُّ أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا قال نعم ارهنوني قلت أي شيء تريد قال ارهنوني نساءكم فقالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال

(١) فلجات : الفوز العظيم .
(٢) الاوارك . الاقوياء .
(٣) عالج : طويل النبات .

فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن (بوسق)[1] أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة. قال سفيان يعني السلاح . فواعده أن يأتيه ليلا فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم الى الحصن فنزل اليهم فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمرو قالت أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم . قال انما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة . ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لاجاب قال ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين فقال اذا ما جاء فاني مائل بشعره فأشمه فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مرة ثم أشمكم فنزل اليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب فقال ما رأيت كاليوم ريحاً أي أطيب وقال غير عمرو قال عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب قال عمرو فقال أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال نعم . فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لي ؟ قال نعم . فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه . وقال محمد بن اسحاق كان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلا من طيء ثم أحد بني نبهان وأمه من بني النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رَواحة قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبَطن الأرض خير من ظهرها . فلما تيقن عدو الله الخبر خرج الى مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن صبيرة السهمي وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر فذكر ابن اسحاق قصيدته التي أولها :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تستهل وتدمع

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضي الله عنه ومن غيره . ثم عاد الى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبي ﷺ وأصحابه . وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بني النضير أو فيهم قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء وركب الى قريش فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك أديننا أحب الى الله أم دين محمد وأصحابه ، وأينا أهدى في رأيك وأقرب الى الحق : إنا نطعم الجَزور الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونطعم ما هبَّت الشمال . فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلا . قال فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوْتُوا نَصِيْباً مِنَ الكِتَابِ يُؤمِنُونَ بِالجِبتِ والطَاغُوتِ وَيَقُولُون لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا سَبِيلا . أُولَئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيْرَا ﴾[2] وما بعدها . قال موسى ومحمد بن اسحاق : وقدم للمدينة يعلن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ ،

---

(١) وسق : حمل البعير .

(٢) سورة النساء الآيتان ٥١ و٥٢ .

وجعل يشبب بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين . قال ابن اسحاق : فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لابن الأشرف ؟ فقال له محمد ابن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله ، قال فافعل إن قدرت على ذلك ، قال فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدري هل أفي لك به أم لا . قال : إنما عليك الجهد . قال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا أن نقول ، قال : فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك . قال : فاجتمع في قتله محمد ابن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وَقْش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل . وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وَقْش أحد بني عبد الأشهل والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة ، قال فقدموا بين أيديهم الى عدو الله كعبٍ سلكانَ بن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً ـ وكان أبو نائلة يقول الشعر ـ ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف أني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فأكتم عني ، قال أفعل . قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال وجُهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجُهد عيالنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر يصير الى ما أقول ؛ فقال له سلكان : اني قد أردتُ أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك ، قال ترهنوني أبناءكم ؟ قال لقد أردتَ أن تفضحنا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها . فقال : ان في الحلقة لوفاء . قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق فحدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله ﷺ الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعِنهم » ثم رجع رسول الله ﷺ الى بيته وهو في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا الى حصنه ، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : أنت امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ، قال انه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله اني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب لو دُعي الفتى لطعنة أجاب ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى الى شِعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال إن شئتم . فخرجوا فمشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودى رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله !

فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولاً [1] في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلاّ أوقدت عليه نار ، قال فوضعته في ثُنّتِهِ ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدوّ الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه اصابه بعض سيوفنا ، قال فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ثم على بني قريظة ثم على بُعاث حتى أسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلِّي فسلمنا عليه فخرج الينا فأخبرناه بقتل عدوّ الله وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا ورجعنا الى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه . قال ابن جرير : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف الى رسول الله ﷺ قال ابن اسحاق : وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودر منهمُ كعب صريعاً ... فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا ... الى كعب أخا كعب يسير
فماكرَه فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ستأتي . قلت : كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر ، ثم ان الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحقيق بعد وقعة أحد كما سيأتي بيانه ان شاء الله وبه الثقة . وقد أورد ابن اسحاق شعر حسان ابن ثابت :

لله درُّ عصابة لاقيتَهم ... يا ابن الحُقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم ... مرحاً كأسد في عرين مغرف [2]
حتى أتوكم في محل بلادكم ... فسقوكم حتفاً ببيض ذفف [3]
مستبصرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكل أمر مجحف [4]

قال محمد بن اسحاق : وقال رسول الله ﷺ « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسي علي بن سنينة ـ رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم ـ فقتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدوّ الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله . قال

---

(١) مغول : نصل طويل .
(٢) مغرف : الواسع .
(٣) ذفف : خفاف سريعة .
(٤) مجحف : ناقص .

محيصة : فقلت والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك ، قال فوالله إن كان لأول اسلام حويصة وقال والله لو أمرك محمد بقتلي لتقتلني ؟ قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها . قال : فوالله ان ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة . قال ابن اسحاق : حدثني بهذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها . وقال في ذلك محيصة :

يلومُ ابنُ أمٍ لو أُمِرتُ بقتْلِه ... لطَبَّقْتُ ذِفراه [1] بأبيضَ قارِبِ
حسامٍ كلونِ الملحِ أُخلِصَ صقلُه ... متى ما أصوِّبْهُ فليسَ بكاذب
وما سرَّني أني قتلتُك طائعاً ... وأنّ لنا ما بينَ بُصرَى ومارِب

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة عن أبي عمرو المدني أن هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة فان المقتول كان كعب بن يهوذا فلما قتله محيصة عن أمر رسول الله ﷺ يوم بني قريظة قال له أخوه حويصة ما قال فرد عليه محيصة بما تقدم فأسلم حويصة يومئذ . فالله أعلم .

﴿ تنبيه ﴾ : ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد والصواب ايرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن اسحاق وغيره من أئمة المغازي؛ وبرهانه أن الخمر حرمت ليالي حصار بني النضير وثبت في الصحيح انه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الخمر كانت اذ ذاك حلالاً وإنما حرمت بعد ذلك فتبين ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم .

﴿ تنبيه آخر ﴾ خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم وكذلك قتل كعب بن الاشرف اليهودي على يدي الاوس وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتي وكذلك مقتل أبي رافع اليهودي تاجر أهل الحجاز على يدي الخزرج وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الاحزاب وقصة الخندق كما سيأتي .

غزوة أُحد في شوال سنة ثلاث

﴿ فائدة ﴾ ذكرها المؤلف في تسمية أحدُ قال سمي أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال وفي الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبا » قيل معناه أهله وقيل لأنه كان يبشره بقرب اهله اذا رجع من سفره كما يفعل المحب وقيل على ظاهره كقوله : ﴿وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله ﴾ وفي الحديث عن أبي عبس بن جبر « أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة ، وعير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار » قال السهيلي مقويا لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه السلام قال « المرء مع من أحب » وهذا من غريب صنع السهيلي فان هذا الحديث إنما

(١) ذِفراه : عظمي ما خلف الأذن .

يراد به الناس ولا يسمى الجبل امرءاً . وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ومالك قال ابن اسحاق للنصف من شوال وقال قتادة يوم السبت الحادي عشر منه قال مالك وكانت الوقعة في أول النهار وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ المؤمِنِيْنَ مَقَاعِدَ لِلقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُم أنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمِنُونَ. وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أذِلَّة فاتقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشكُرُوْنَ إِذْ تَقُوْلُ لِلمؤْمِنِيْنَ أَلَنْ يكفِيكُمُ أن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُنْزَلِيْنَ. بَلَى إِنْ تَصْبُروا وتَتَّقُوا ويَأْتُوكُم مِنْ فَوْرِهِم هَذَا يُمْدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنْ المَلاَئِكَةِ مُسوِّمِين﴾[1] الآيات وما بعدها إلى قوله : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المؤمِنِيْنَ عَلَى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيْزَ الخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَطلعكُم علَى الغَيْبِ﴾[2] وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة. ولنذكر ههنا ملخص الوقعة مما ساقه محمد بن اسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رح وكان من حديث أحد كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا أو من قال منهم : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش اصحاب القليب ورجع فلهم إلى مكة ورجع ابو سفيان بعيره مشي عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤ هم وأخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . فقالوا : يا معشر قريش ، ان محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً، ففعلوا. قال ابن اسحاق : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهُمْ حَسْرَةً ثُمَ يُغْلَبُونَ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[3] قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك ابو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر . وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان في الاسارى، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، انك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك وأخرج معنا فقال : ان محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنا بنفسك فلك الله ان رجعت أن أغنيك وأن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول :

أيا بَني عبدَ مناةِ الرزامِ [4] أنتمْ حماةٌ وأبوكم حامِ

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٢١ و١٢٢ و١٢٣ و١٢٤ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٩ .
(٣) سورة الانفال الآية ٣٦ .
(٤) الرزام : الأشدّاء .

لا يعدوَني نصرُكم بعدَ العام لا تسلموني لا يحلّ إسلام

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول :

يا مالِ مال الحسَبِ المقدّمِ أنشدُ ذا القُربى وذا التذمَمَ
من كانَ ذا رحمٍ ومن لم يحرم الحلف وسْط البلدَ المحرْم
عند حطيم الكعبةِ المعظمَّ

قال : ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشياً يقال له وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها فقال له : أخرج مع الناس ؛ فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدي فأنت عتيق . قال : فخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا ، وخرج أبو سفيان صخر ابن حرب وهو قائد الناس ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أم ابنه عبدالله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بامرأته قال : وكان وحشي كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول ويهاً أبا دسمة اشف واشتف . يعني تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب . قال : فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال لهم قد رأيت والله خيراً رأيت بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة . وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم جميعاً عن أبي كريب عن أبي أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة او هجر فإذا هي المدينة يثرب ورأيت في رؤ ياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقراً والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر » وقال البيهقي أخبرنا ابو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : تعقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر قال ابن عباس وهو الذي رأى فيه الرؤ يا يوم أحد وذلك ان رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيه أن يقيم

بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدراً نخرج يا رسول الله اليهم نقاتلهم بأحد ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته ثم ندموا وقالوا يا رسول الله أقم فالرأي رأيك . فقال لهم ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد مالبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . قال وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الاداة أني رأيت في درع حصينة فأولتها المدينة وأني مردف كبشاً وأولته كبش الكتيبة ورأيت أن سيفي ذا الفقار فل فأولته فلا فيكم ورأيت بقراً يذبح فبقر والله خير » رواه الترمذي وابن ماجة من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به . وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال : رأيت فيما يرى النائم كأني مردف كبشاً وكأن ضبة سيفي انكسرت فأولت أني أقتل كبش القوم وأولت كسر ضبة سيفي قتل رجل من عترتي . فقتل حمزة وقتل رسول الله ﷺ طلحة وكان صاحب اللواء . وقال موسى بن عقبة رح ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب وسار أبو سفيان بن حرب في جمع قريش وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر حتى نزلوا ببطن الوادي الذي قبليّ أحد وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدراً قد ندموا على ما فاتهم من السابقةوتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدو عليهم وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيتنا ثم ان رسول الله ﷺ أرى ليلة الجمعة رؤيا فأصبح فجاءه فقال لهم «رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح والله خير ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ضبته. أو قال: به فلول فكرهته وهما مصيبتان ورأيت اني في درع حصينة وأني مردف كبشاً ». فلما أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا أولت رؤياك؟ قال: أولت البقر الذي رأيت بقراً فينا وفي القوم وكرهت ما رأيت بسيفي. ويقول رجال كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه فان العدو أصاب وجهه يومئذ وقصموا رباعيته وخرقوا شفته يزعمون أن الذي رماه عتبة بن أبي وقاص وكان البقر من قتل من المسلمين يومئذ. وقال أوّلت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله العدو وأولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام[1] فان دخل علينا القوم في الازقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبنيان حتى [صارت] كالحصن . فقال الذين لم يشهدوا بدراً : كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله الينا وقرب المسير وقال رجل من الانصار: متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال رجال ماذا نمنع اذا لم تمنع الحرب بروع ؟ وقال رجال قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب قال: والذي أنزل عليك الكتاب لنجادلنهم. وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم : يا نبي الله لا تحرمنا الجنة فوالذي نفسي بيده لأدخلنها. فقال له رسول الله ﷺ: بم ؟ قال: بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف . فقال له رسول

(١) الآطام : الحصون المبنية بالحجارة .

الله ﷺ : صدقت . واستشهد يومئذ. وأبى كثير من الناس إلا الخروج الى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ : ورأيه ولو رضوا بالذي امرهم كان ذلك ولكن غلب القضاء والقدر وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً قد علموا الذي سبق لاصحاب بدر من الفضيلة فلما صلّى رسول الله ﷺ الجمعة وعظ الناس وذكرهم وامرهم بالجد والجهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلأمته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج فلما رأى ذلك رجال من ذوي الرأي قالوا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحي من السماء فقالوا يا رسول الله أمكث كما أمرتنا فقال: ماينبغي لنبي اذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج الى العدو أن يرجع حتى يقاتل وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس اذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا. قال : فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم الف رجل والمشركون ثلاثة آلاف فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأحد ورجع عنه عبدالله بن أبي بن سلول ثلثمائة فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة قال البيهقي رح هذا هو المشهور عند أهل المغازي أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل قال والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن اصبغ عن ابن وهب عن يونس عن الزهري وقيل عنه بهذا الاسناد سبعمائة فالله أعلم . قال موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة قال ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة ثم ذكر الوقعة كما سيأتي تفصيلها ان شاء الله تعالى . وقال محمد بن اسحاق لما قص رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشرّ مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبدالله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرج اليهم فقال رجال من المسلمين ممن اكرم الله بالشهادة يوم احد وغيرهم ممن كان فاته بدر : يا رسول الله أخرج بنا الى اعدائنا لا يرون أنا جبنّا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبي يا رسول الله لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو فصلّى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرَهْنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك فلما خرج عليهم قالوا يا رسول الله ان شئت فاقعد فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته ان يضعها حتى يقاتل . فخرج رسول الله ﷺ. في ألف من أصحابه. قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم قال ابن اسحاق حتى اذا كان بالشوط بين المدينة واحد انخزل [1] عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال أطاعهم وعصاني ما ندري علام نقتل انفسنا ههنا ايها الناس. فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق

---

(١) انخزل : انقطع .

والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي والد جابر بن عبد الله فقال: يا قوم اذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم . قالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى ان يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه ﷺ . قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِيْنَ نَافَقُوا وَقِيْلَ لَهُمْ تَعَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ إدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاَتَّبَعْنَاكُمْ هُمُ للكُفرِ يَومَئِذٍ أقرَبُ مِنْهُم للايْمَانِ يَقُولُونَ بأفواههم مَا لَيْسَ فِي قُلوبِهُم واللَّهُ أعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُون ﴾[1] يعني انهم كاذبون في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال امره ظاهر بين واضح لاخفاء ولا شك فيه وهم الذين انزل الله فيهم ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِيْنَ فِتَتَيْنِ واللَّهُ أرْكَسَهُم بِما كَسِبُوا ﴾[2] الآية وذلك أن طائفة قالت نقاتلهم وقال آخرون لا نقاتلهم كما ثبت وبين في الصحيح . وذكر الزهري أن الانصار استأذنوا حينئذ رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال لا حاجة لنا فيهم. وذكر عروة بن موسى بن عقبة ان بني سلمة وبني حارثة لما رجع عبد الله بن أبي وأصحابه همتا ان تفشلا فثبتهما الله تعالى، ولهذا قال ﴿ إذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مَنْكُمَ أنْ تَفْشَلاَ واللَّهَ وَلِيُهُمَا وَعَلى اللَّهِ فَلْيَتَوكَل المؤُمِنُونَ ﴾[3] قال جابر بن عبد الله ما أحب أنها لم تنزل والله يقول : ﴿ والله وليهما ﴾ كما ثبت في الصحيحين عنه .
قال ابن اسحاق ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرسٌ بذنبه فأصاب كلاب سيف فاستله فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف شم سيفك أي أغمده فاني أرى السيوف ستسل اليوم. ثم قال النبي ﷺ لاصحابه: من رجل يخرج بنا على القوم من كثب ﴿أي من قريب ﴾ من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث انا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال لمربع بن قيظى وكان رجلا منافقاً ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله ومن معه من المسلمين قام يحثى في وجوههم التراب ويقول ان كنت رسول الله فانى لا أحل لك ان تدخل في حائطي . قال ابن اسحاق وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من التراب في يده ثم قال والله لو أعلم اني لاأصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ لا تقتلوه، فهذا الاعمى أعمى القلب اعمى البصر، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ فضربه بالقوس في رأسه فشجه ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وفي الجبل وجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلنَّ احد حتى آمره بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة كانت للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله عن القتال أترْعى زروع بني قيلة ولما نضارب؟ وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال وهو

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٧ .
(٢) سورة النساء الآية ٨٨ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٢٦ .

في سبعمائة رجل وأمر على الرماة يومئذٍ عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذٍ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال انضح [1] الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا او علينا فاثبت مكانك لانؤتَين من قبلك . وسيأتي شاهد هذا في الصحيحين ان شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يعني لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء الى مصعب بن عمير اخي بني عبد الدار قلت وقد رد رسول الله ﷺ جماعة من الغلمان يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت في الصحيحين قال عرضتُ على النبي ﷺ يوم أُحد فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة فأجازني وكذلك رد يومئذ اسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس بن قيظى ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي وهو الذي يقول فيه الشماخ : -

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ تلقَّاها عَرابةُ باليمين

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة ذكره السهيلي أيضاً وأجازهم كلهم يوم الخندق وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقيل يا رسول الله ان رافعاً رام فأجازه فقيل يا رسول الله فان سمرة يصرع رافعاً فأجازه . قال ابن اسحاق رح وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشام وقال رسول الله ﷺ من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال وما حقه يا رسول الله ﷺ قال أن تضرب به في العدو حتى ينحني . قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه اياه . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد وعفان قالا حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا ثابت عن النبي أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف فأخذ قوم فجعلوا ينظرون اليه فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سماك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفان به . قال ابن اسحاق وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وكان له عصابة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقاتل ، قال فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين قال : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر : انها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن . قال ابن إسحاق وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بني عبد الدار قد

---

(١) إنضح : ارمِ رمياً حسناً .

وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتَى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فأما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا : نحن نسلم اليك لواءنا ! ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذي أراد أبو سفيان . قال فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال فقالت هند فيما تقول :

وَيهاً بني عبدِ الدارْ ويهاً حماةَ الأديار ضرباً بكلّ بتّار[1]

وتقول أيضاً :

ان تُقبلوا نُعانقَ ونفرشُ النمارق [2]
أو تُدْبروا نفارقْ فِراقَ غيرِ وامق [3]

قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة وكان قد خرج الى مكة مباعدا لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاما من الأوس وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق . وكان يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق . فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديداً ثم أرضخهم بالحجارة . قال ابن اسحاق فأقبل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس قال ابن هشام وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه وسألته اياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركني والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الأنصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهَدني خليلي ونحنُ بالسّفحِ لدى النخيلِ
أن لا أقومَ الدهرَ في الكيولِ [4] أضربْ بسيفِ الله والرسولِ

وقال الأموي حدثني أبو عبيد في حديث النبي ﷺ أن رجلا أتاه وهو يقاتل به فقال لعلك أن أعطيتك تقاتل في الكيول ؟ قال لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

---

(١) بتار : سيف .
(٢) النمارق : وسادات يُتكأ عليها .
(٣) وامق : محب الينا .
(٤) الكيول : مؤخر الصفوف .

أنـا الـذي عـاهـدنـي خـليـلي ان لا أقـوم الـدهـرَ في الكُيُـول

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه اسرائيل كلاهما عن أبي اسحاق عن هند بنت خالد أو غيره يرفعه الكيول يعني مؤخر الصفوف سمعته من عدة من أهـل العلم ولم أسمع هـذا الحرف إلا في هذا الحديث . قال ابن هشام فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله وكان في المشركين رجـل لا يدع جريحاً إلا ذفف [1] عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعـوت الله أن يجمع بينهمـا فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفـه وضربـه أبو دجـانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت الله ورسوله أعلم . وقد رواه البيهقي في الدلائـل من طريق هشـام بن عروة عن أبيـه عن الزبيـر بن العوام بذلك . قال ابن اسحاق قال أبو دجانة رأيت انساناً يحمس الناس حمساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليـه السيف ولول فـاذا امرأة فـأكرمتُ سيف رسـول الله ﷺ أن أضرب بـه امرأة وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ثم طلبه منـه الزبيـر فأعرض عنه فوجدا في أنفسهما من ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبـه أبو دجـانة فـدفعه اليـه فأعـطى السيف حقه قال فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رأيت مثل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاورت فاذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول : استوسقوا كمـا استوسقت جـزر الغنم . قال واذا رجـل من المسلمين ينتظره وعليـه لأمته فمضيت حتى كنت من ورائه ثم قمت أقدّر المسلم والكافـر ببصري فـاذا الكافـر أفضلهما عدة وهيأة . قال فلم أزل أنتظرهمـا حتى التقيا فضـرب المسلم الكافـر على حبل عـاتقه ضـربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنـا أبو دجانة .

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن اسحاق وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن عبد شـرحبيل بن هـاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، وكـذلك قتـل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول :

انَّ عـلى أهـلِ الـلواءِ حـقّـا أن يخضُـبـوا الصَّـعْـدَةَ أو تَنْـدَقّـا

فحمل عليه حمزة فقتله ثم مر به سباع بن عبد العزىّ الغُبشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال حمزة : هلم اليّ يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله فقال وحشي غلام جبير بن مطعم والله أني لأنظر

(١) ذفف : اجهز عليه .

لحمزة يهد الناس بسيفه ما يليق شيئاً يمرُّ به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمني اليه سباع فقال حمزة هلم يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثُنَّتِهِ حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغُلب فوقع وأمهلته حتى اذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيتُ الى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره .

قال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار أحد بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية فأدر بنا مع الناس فلما مررنا بحمص وكان وحشي مولى جبير قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال عبيد الله بن عدي : هل لك في أن نأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له : ان شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بِفناء داره وهو رجل قد غبت عليه الخمر فان تجداه صاحياً تجدا رجلا عربياً وتجدا عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض ما به فانصرفا عنه ودعاه . قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له وإذا شيخ كبير مثل البغاث [1] ، واذا هو صاح لا بأس به ، فلما انتهينا اليه سلَّمنا عليه ، فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدي فقال : ابن عدي بن الخيار أنت ؟ قال نعم . قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى فإني ناولتكها وهي على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لي قدماك حتى رفعتك اليها فوالله ما هو إلا أن وقفتَ عليّ فعرفتهما . قال فجلسنا اليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتلته ؟ فقال : أما إني سأحدثكما كما حدثتُ رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير ابن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش الى أحد قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق . قال فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلَّ ما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة واتبصَّره حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هداً ما يقوم له شيء فوالله إني لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني إذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال هلم إليّ يا ابن مقطعة البظور ، قال فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوي فغلب وتركته وإياها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر وقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت الى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت [2] عليَّ المذاهب فقلت ألحقُ بالشام أو باليمن أو ببعض

---

(١) البغاث : طائر بطيء الطيران .
(٢) تعيت : ضاقت .

البلاد فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحك انه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق ، قال فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآني قال لي : أوحشي أنت ؟ قلت نعم يا رسول الله ، قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ؟ قال فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيِّب عني وجهك فلا أرينك ، قال فكنت أتنكب برسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله عز وجل ، فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما وبيده السيف وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحيةُ الأخرى كلانا يريده فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصاري بالسيف فربك أعلم أينا قتله ، فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ وقتلت شر الناس . قلت : الأنصاري هو أبو دجانة سماك بن خَرَشة كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة . وقال الواقدي في الردة : هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني . وقال سيف بن عمرو : هو عدي بن سهل وهو القائل :

ألم ترَ أني ووحشيُّهم ... قتلتُ مُسيلمَةَ المعتَبن
ويسألني الناسُ عن قتلِهِ ... فقلتُ ضَربتُ ، وهذا طعن

والمشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة وذفف عليه أبو دجانة ، لما روى ابن اسحاق عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن ابن عمر قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتله العبد الأسود . وقد روى البخاري قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو ابن أمية الضمري قال خرجت مع عبد الله بن عدي بن الخيار فذكر القصة كما تقدم . وذكر أن عبيد الله بن عدي كان معتجراً عمامة لا يرى منه وحشي إلا عينيه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم ، وهذه قيافة [1] عظيمة كما عرف مجزز المدلجي أقدام زيد وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما . وقال في سياقته : فلما أن صف الناس للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحادّ الله ورسوله ؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب ، قال وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنّته حتى خرجت من بين وركيه قال فكان ذلك آخر العهد به ، الى أن قال : فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرج الى مسيلمة لعلي أقتله فأكافىء به حمزة ، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال فاذا رجل قائم في ثلمة [2] جدار

(١) قيافه : معرفة بالأمر .
(٢) ثلمة : خلل او كسر.

كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، قال فرميته بحربتي فاضعها بين ثدييه حتى خرجت من كتفيه ، قال ووثب اليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته ، قال عبد الله بن الفضل فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظهر البيت : واأمير المؤمناه قتله العبد الأسود ، قال ابن هشام فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحدّ في الخمر حتى خُلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلت بان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة . قلت : وتوفي وحشي بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بحمص وكان أول من لبس الثياب المدلوكة . قال ابن اسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فرجع الى قريش فقال قتلت محمداً . قلت وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذي قتل مصعباً هو أبيّ بن خلف فالله أعلم . قال ابن اسحاق فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليّ بن أبي طالب . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : كان اللواء أولا مع علي بن أبي طالب ، فلما رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع عبد الدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أخذ اللواء من علي بن أبي طالب فدفعه الى مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواء عليّ بن أبي طالب . قال ابن اسحاق : وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين . قال ابن هشام وحدثني مسلمة ابن علقمة المازني . قال : لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار وأرسل الى علي أن قدم الراية فقدم علي وهو يقول : أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين . هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة ؟ قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه . فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال انه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله . وقد فعل ذلك علي رضي الله عنه يوم صفين مع بسر بن أبي أرطاة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه . وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي في بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع علي أيضاً . ففي ذلك يقول الحارث بن النضر :

أتى كلَّ يومٍ فارسَ غيرُ منتهٍ ... وعورته وسْط العجاجة [1] باديه
يكفّ لها عَنْهُ عليٌّ سنَانه ... ويضحك منها في الخلاءِ معاويه

وذكر يونس عن ابن اسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا الى البراز فأحجم عنه الناس فبرز اليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه فأثنى عليه رسول الله ﷺ قال « ان لكل نبيٍّ حواريا وحواريَّ الزبير » وقال : لو لم يبرز اليه لبرزت أنا اليه لما رأيت من احجام الناس عنه . وقال

---

(١) العجاجة : الجموع .

ابن اسحاق قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتل نافع بن أبي طلحة وأخاه الحلاس كلاهما يشعره سهماً فيأتي أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رماني يقول خذها وأنا ابن أبي الأقلح فنذرت أن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركا أبداً ولايمسه ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سيأتي . قال ابن اسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر واسمه عمرو ويقال عبد عمرو بن صيفي وكان يقال لأبي عامر في الجاهلية الراهب لكثرة عبادته فسماه رسول الله ﷺ الفاسق لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الاسلام ومخالفة للرسول عليه السلام وحنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل لأنه غسلته الملائكة كما سيأتي هو وأبو سفيان صخر بن حرب فلما علاه حنظلة راه شدّاد بن الأوس وهو الذي يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله فقال رسول الله ﷺ « ان صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » فسئلت صاحبته قال الواقدي : هي جميلة بنت أبيّ بن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة . فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله ﷺ : كذلك غسلته الملائكة . وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله في صدره وقال ذنبان أصبتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنتَ وصولا للرحم براً بالوالد . قال ابن اسحاق وقال ابن شعوب في دلك :

لأحمينّ صاحبي ونفسي ... بطعنةٍ مثل شُعاعِ الشمسِ

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعي يا ابنَ حربٍ ومَشهدي ... لألفيتَ يوم النعف [1] غيرَ مجيب
ولولا مكري المهر بالنعفِ فرفرتْ ... عليه ضباع أو ضراء كليب

وقال أبو سفيان :

ولو شئتُ نجّتني كُمَيْتَ [2] طِمِرَّة ... ولم أحملِ النعماء لابن شعوبِ
وما زال مهري مزجَرَ الكلب منهمُ ... لدنْ غدوةٍ حتى دنتْ لغروب
أقاتلهُم وأدّعي يا لغالبِ ... وأدفعهم عني بركن صليب
فبكِّي ولا ترعَيْ مقالةَ عاذل ... ولا تسأمي من عَبرة ونحيب
أباكِ واخواناً له قد تتابعوا ... وحق لهم من عبرةٍ بنصيب
وسَلِّي الذي قد كان في النفسِ إنني ... قتلت من النجار كل نجيب
ومن هاشمٍ قِرَماً كريماً ومُصْعَباً ... وكانَ لدى الهيجاءِ غير هيوب

(١) النعف : المكان المرتفع . (٢) كميت : خمرة .

فلو أنني لم أشفِ نفسيَ منهم ... لكانت شجىً في القلب ذاتَ نُدوب
فآبوا[1] وقد أوْدى ابلالابيبَ منهمُ ... بهم خُدبٌ من مغبطٍ [2] وكئيب
أصابهمُ مَنْ لم يكنْ لدِمائِهم ... كفاءً ولا في خطَّةٍ بضريب

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرتَ القروم [3] الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ... ولستَ لِزورٍ قُلته بمصيبِ
أتعجَبُ أن أقْصَدْت حمزةَ منهمُ ... نجيباً وقد سَمَّيْته بنجيب
ألم يقتلوا عَمراً وعتبةَ وابنَه ... وشيبة والحجّاجَ وابنَ حبيب
غداةَ دعا العاصي عَلياً فراعه ... بضربةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بخضيب

فصل :

قال ابن اسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها . وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: والله لقد رأيتني انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هو ارب ما دون اخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا طهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا ان محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد منهم ، فحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا[4] به وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول: اللهم هل أعزرت ـ يعني اللهم هل أعذرت ـ فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فَخَرْتُم باللواءِ وشرُّ فخرٍ ... لواءَ حينَ رُدَّ الى صواب
جَعلتُم فخرَكم فيهِ لعبدٍ ... وألأمِ مَن يطا عُفْرَ التراب
ظننتُم ، والسفيهُ له ظنونٌ ... وما انْ ذاكَ مِن أمرِ الصَّواب
بأنّ جِلادَنَا يومَ التقَيْنا ... بمكةَ بَيْعكُمُ حُمْرَ العِيابَ [5]
أقرَّ العينَ ان عُصبتْ يَداه ... وما أن تُعصَبانِ على خِضَاب

---

(1) أبوا : عادوا .
(2) مغبط : مسرور .
(3) القروم : الاسياد العظماء .
(4) لاثوا: اعتصموا .
(5) العياب: الثياب الملطخة بالدم.

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

إذا عضلٌ [1] سِيقتْ إلينا كأنها جدايةُ شركٍ مُعْلَماتِ الحواجب
أقمنا لهم طعناً مُبيراً منكِّلاً وحزْناهمُ بالضربِ من كل جانب
فلولا لواءُ الحارثيةِ أصبحوا يُباعونَ في الاسواقِ بَيْعَ الجلائب

قال ابن اسحاق فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله ﷺ فذب بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشج في وجهه فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله تعالى فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعذِبَهُمْ فإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[2] قال ابن جرير في تاريخه حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا أسباط عن السدي قال أتى ابن قمئة الحارثي فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل الى الصخرة وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس : اليّ عباد الله ، إليّ عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلاً فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف احد الا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمى بسهم في يده فيبست يده وأقبل أبيّ بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي ﷺ فقال بل أنا أقتله فقال يا كذاب اين تفر فحمل عليه فطعنه النبي ﷺ في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوقع يخور خُوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجزعك ؟ قال: أليس قال لاقتلنك لو كانت تجتمع ربيعة ومضر لقتلهم . فلم يلبث الا يوماً او بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل فقال بعض اصحاب الصخرة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمنة من ابي سفيان ، يا قوم ان محمداً قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن ياتوكم فيقتلوكم ، فقال انس بن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ اللهم أني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون اصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل في الذين قالوا ان محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُوْلٌ قَدْ

---

(١) عضل : رجال دهاة .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[1] الآية فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله ﷺ « ليس لهم أن يعلونا، اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد في الارض ». ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال ابو سفيان يومئذٍ : أعلُ هبل حنظلة بحنظلة ويوم أحد بيوم بدر. وذكر تمام القصة. وهذا غريب جداً وفيه نكارة قال ابن هشام : وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وان عبد الله بن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومص مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده فقال من مس دمه دمي لم تمسه النار قلت وذكر قتادة ان رسول الله ﷺ لما وقع لشقه أغمى عليه فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجسله ومسح الدم عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية رواه ابن جرير وهو مرسل وسيأتي بسط هذا في فصل وحده قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِنْ بَعْدِ مَا أراكُمُ ما تُحِبُّون مِنكُم مَن يُرِيْدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيكُم وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمُ واللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤْمِنِيْنَ. إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ والرَّسُوْلُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم فَأَثَابَكُم غماً بِغَمٍ﴾[2] الآية قال الإمام أحمد حدثنا [عبد الله حدثني أبي حدثني] سليمان بن داود اخبرنا عبد الرحمن بن ابي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أحد قال فأنكرنا ذلك فقال بيني وبين من انكر ذلك كتاب الله ان الله يقول في يوم احد ﴿ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بإذنه﴾ يقول ابن عباس والحس القتل ﴿ حتى اذا فشلتم ﴾ الى قوله ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا نغنم فلا تشركونا . فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين اكب الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف اصحاب رسول الله ﷺ فهم هكذا ﴿وشبك بين أصابع يديه ﴾ والتبسوا فلما أخلَّ الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة او تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٥٢ و١٥٣ .

يقول الناس الغار انما كان تحت المهراس، وصاح الشيطان : قتل محمد ! فلم يشك فيه أنه حق، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بتكفّيه اذا مشى قال ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال فرقي نحونا وهو يقول اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى اللهم انه ليس لهم أن يعلونا حتى انتهى الينا فمكث ساعة فاذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أعلُ هبل أعل هبل، مرتين (يعني آلهته) ؛ اين ابن أبي كبشة أين ابن ابي قحافة اين أبن الخطاب؟ فقال عمر بن الخطاب ألا أجيبه ؟ قال بلى قال فلما قال اعل هبل قال: الله اعلى وأجل . فقال أبو سفيان يا ابن الخطاب قد أنعمت عينها ، فعاد عنها ـ أو فعال عنها ـ فقال اين ابن ابي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ﷺ : وهذا ابو بكر وها انا ذا عمر، قال فقال ابوسفيان يوم بيوم بدر، الأيام دول وان الحرب سجال، قال فقال عمر : لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، . قال انكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا اذن وخسرنا . ثم قال أبو سفيان: اما انكم سوف تجدون في قتلاكم مثلة ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا . قال ثم أدركته حمية الجاهلية فقال اما إنه كان ذلك لم نكرهه. وقد رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان بن داود الهاشمي به وهذا حديث غريب وهو من مرسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ما تيسر ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان. قال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال: لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا . فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة! فقال عبد الله: عهد إليَّ النبي ﷺ أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلا وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد ؟ فقال لا تجيبوه . فقال أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال لا تجيبوه. فقال أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال إن هؤلاء قُتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت ياعدو الله ، أبقي الله عليك مايحزنك. فقال أبو سفيان: أعلُ هبُل. فقال النبي ﷺ: أجيبوه ، قالوا مانقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجلّ. فقال أبو سفيان: لنا العُزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ أجيبوه، قالوا ما نقول؟ قال قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني. وهذا من افراد البخاري دون مسلم. وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى حدثنا زهير حدثنا أبو أسحاق ان البراء بن عازب قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم احد ـ وكانوا خمسين رجلا ـ عبد الله بن جبير، قال ووضعهم موضعاً وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم [1] فلا تبرحوا حتى أرسل

(١) اوطأناهم : اصبحنا بينهم .

اليكم، قال فهزموهم ، قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن، فقال اصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة، أي قوم ، الغنيمة. ظهر أصحابكم، فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا : إنَّا والله لنأتينّ الناس فلنصيبنّ من الغنيمة ! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلا ، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد، أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ، أفي القوم ، ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ، أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله ياعدو الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءُك ، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ، ثم أخذ يرتجز : أعلُ هُبَل . أُعْلُ هُبَل . فقال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه قالوا يا رسول الله وما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجلّ. قال: إن العزّى لنا ولا عزّى لكم ؟ قال رسول الله ﷺ ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . ورواه البخاري من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً وقد تقدم روايته له مطولة من طريق اسرائيل عن أبي اسحاق. وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وعليّ بن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهقوا [1] النبي ﷺ وهو في سبعة من الانصار ورجل من قريش ، قال: من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ فجاء رجل من الانصار فقاتل حتى قُتل . فلما رهقوه أيضاً قال: من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجّنة، حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ ما أنصفْنا أصحابنا. ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال البيهقي في الدلائل : باسناده عن عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الانصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال: ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله. فقال: كما أنت ياطلحة ، فقال رجل من الانصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ، ثم قُتل الانصارى فلحقوه ، فقال: ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله. فقال رجل من الانصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قُتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة أنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما ،

---

(١) رهق : ظلم وسفه .

فقال رسول الله ﷺ : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا ، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت انامله فقال حس، فقال لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء. ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون. وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شيبة عن وكيع عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاًء وقى بها النبي ﷺ يوم احد . وفي الصحيحين من حديث موسى بن اسماعيل عن معتمر بن سليمان عن ابيه عن أبي عثمان النهدي . قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما . وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم ابن هاشم السعدي سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن ابي وقاص يقول: نثل [1] لي رسول الله ﷺ كنانته [2] يوم أحد وقال: ارم فداك أبي وأمي. واخرجه البخاري عن عبد الله بن محمد عن مروان به . وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن شداد عن علي بن ابي طالب قال ماسمعت النبي ﷺ جمع أبويه لاحد الا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول يوم أحد : يا سعد ارم فداك أبي وامي . قال محمد بن اسحاق حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن ابي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ . قال سعد فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي. حتى انه ليناولني السهم ليس له نصل فأومي به . وثبت في الصحيحين من حديث ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد ابن أبي وقاص قال: رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده. يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام. وقال أحمد حدثنا عفان أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يترس به وكان رامياً وكان اذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر اين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم ، نحري دون نحرك . وكان أبو طلحة يسوّر نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول : اني جلد يا رسول الله ، فوجهني في حوائجك ومرني بما شئت . وقال البخاري حدثنا ابو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوّب [3] عليه بجحفة له وكان ابو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثة ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لابي طلحة . قال ويُشرف النبي ﷺ ينظر الى القوم فيقول ابو طلحة بأبي أنت وأمي لاتشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحرى دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت ابي بكر وأم سليم وانهما لمشمرتان ارى خدم سوقهما تنقران القرب على مترنهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان

---

(١) نثل : استخرج النبال .

(٢) الكنانة : جعبة السهام .

(٣) مجوّب : مترس .

فتفرغانه في أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً . قال البخاري وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مراراً يسقط وآخذه ويسقط فآخذه . هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ويشهد له قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِنْ بَعْدَ الغم أمنَةً نُعَاساً يَغشَىَ طَائِفَةً مِنْكم وَطَائِفَةٌ قَدْ أهَمَّتهمُ أنْفُسُهُم يَظُنُونَ باالله غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيةِ يَقُولُونَ هِلْ لَنا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيءٍ ، قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للَّهِ يُخْفُونَ في أَنْفُسِهِمَ مالا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا، هَاهُنَا ، قُلَ لَوْ كُنْتمُ في بُيُوتكُم لَبَرَزَ الَّذِيْنَ كُتِبَ عَلَيْهُم القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِم وليبتلَى اللَّهُ ما في صُدُورِكُم وليمْحصَ مَافِي قُلَوبِكُمْ واللَّهُ عَليمَ بذَاتِ الصدُوُرِ .إنَّ الَّذِيْنَ تَوَلَوُّا مِنْكَم يومَ التقَى الجَمعَانِ إنَّمَااسَتَزَلَهمْ الشَيْطَانُ بَبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُم إنَّ الله غَفُورٌ حَلَيْمٌ﴾[1] قال البخاري: حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال من هؤلاء القعود قال هؤلاء قريش قال من الشيخ قالوا ابن عمر فأتاه فقال اني سائلك عن شيء أتحدثني. قال انشدك بحرمة هذا البيت أتعلم ان عثمان بن عفان فر يوم احد قال نعم قال فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها؟ قال نعم . قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال نعم. قال فكبر. قال ابن عمر: تعالى لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت النبي ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ ان لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه ، أما تغيبه عن بيعة الرضوان فانه لو كان أحد اعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة فقال النبي ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان. اذهب بهذا الآن معك . وقد رواه البخاري أيضاً في موضع آخر والترمذي من حديث أبي عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به . وقال الاموي في مغازيه عن ابن اسحاق حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول: وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم الى المُقَى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلي الاعوص فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا، فزعموا ان رسول الله ﷺ. قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة. والمقصود أن أحداً وقع فيها اشياء مما وقع في بدر، منها حصول النعاس حل التحام الحرب، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكلها على خلقها وبارئها. وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿إذْ يَغْشِيِّكُم النُعاسُ أمَنَةً مِنْه﴾[2] الآية وقال هاهنا ﴿ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم﴾ يعني المؤمنين الكُمل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف . : النعاس في

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٥٤ و١٥٥ .

(٢) سورة الانفال الآية ١١ .

الحرب من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ﴾ الآية. ومن ذلك أن رسول الله ﷺ استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله : «إن تشأ لاتعبد في الأرض » كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد وعفان قالا حدّثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس ان رسول الله ﷺ كان يقول يوم أُحد : « اللهم إنك ان تشأ لا تعبد في الارض» ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به . وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: «أرأيت إن قُتلتُ فأين أنا ؟ قال في الجنة، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قُتل ». ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاهما.

فَصـــل :

فيما لقي النبي ﷺ يومئذٍ من المشركين قبّحهم الله

قال البخاري : ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد . حدثنا اسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه ـ يشير الى رباعيته ـ اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله » ﷺ . وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يوم أُحد وهو يسلت [1] الدم عن وجهه وهو يقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعو الى الله » فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمون ﴾[2] . ورواه مسلم عن القعنبي عن حماد بن سلمة به ، ورواه الامام أحمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته وشجّ في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم » فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ وقال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبي حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي ﷺ فقال : أما والله اني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دووي ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله وعليّ يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة

(١) يسلت : يخرج بيده .

(٢) سورة ال عمران الآية ١٢٨ .

أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا ابن المبارك عن اسحاق عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه وأراه قال حمية ، قال فقلت كن طلحة حيث فاتني ما فاتني ، فقلت يكون رجلا من قومي أحب الي ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب الى رسول الله ﷺ منه وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح فانتهينا الى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله ﷺ « عليكما صاحبكما » يريد طلحة وقد نزف فلم نلتفت الى قوله قال : وذهبت لانزع ذاك من وجهه ، فقال : أقسم عليك بحقي لما تركتني ، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فازم عليها بفيه فاستخرج احدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبتُ لأصنع ما صنع فقال أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فكان أبو عبيدة رضي الله عنه من أحسن الناس هتما [1] . فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فاذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة واذا قد قطعت اصبعه فأصلحنا من شأنه . وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال : سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت الى النبل تأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد لانجوتُ ان نجا ، ورسول الله ﷺ الى جنبه ما معه أحد فجاوره ، فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية ، قال والله ما رأيته ، أحلف بالله أنه منا ممنوع خرجنا أربعةفتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص اليه . قال الواقدي : ثبت عندي أن الذي رمى في وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة ، والذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص ، وقد تقدم عن ابن اسحاق نحو هذا وان الرباعية التي كسرت له عليه السلام هي اليمنى السفلى . قال ابن اسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص وان كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله» وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عثمان الجرري عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال «اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً الى النار . وقال أبو سليمان الجوزجاني

(١) هتماً : الهتم ـ مقدم الاسنان .

حدثنا محمد بن الحسن حدثني ابراهيم بن محمد حدثني ابن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن حرب عن أبيه عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أحد بعظم بالٍ . هذا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب المغازي للأموي في وقعة أُحد . ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال رجع وهو يقول : قتلتُ محمداً . وصرخ الشيطان أزبُّ العقبةِ يومئذ بأبعد صوت : ألا ان محمداً قد قتل ! فحصل بهتة عظيمة في المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصمموا على القتال عن حوزة الاسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره ، وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقَابِكُم ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيُجْزِي اللهُ الشَّاكِرِيْنَ . وَمَا كَانَ لنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلَّا بإذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَلاً ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِيْنَ. وكَأَيٍّ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيْلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا واللهُ يُحبُّ الصَابرينَ . وَمَا كَانَ قَوْلَهُم إلاَّ أنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإسْرَافَنَا في أَمْرِنا وثَبِّتْ أقْدامَنَا وانْصُرْنا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِيْنَ. فآتاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِيْنَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إن تُطِيْعُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا يَرُدُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُم فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَاصِرِيْنَ . سَنُلقِي في قُلُوبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أشركُوا باللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلطَاناً وَمَأوَاهُم النَّارُ وبِئسَ مَثْوَى الظالمين ﴾[1] . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير ولله الحمد . وقد خطب الصديق رضي الله عنه في أول مَقام قامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ الآية . قال : فكأنَّ الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحد الا يتلوها . وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال : مرَّ رجل من المهاجرين يوم أُحد على رجل من الأنصار وهو يتشحط [2] في دمه . فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل . فقال الأنصاري : ان كان محمد ﷺ قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم ، فنزل : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآية . ولعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه وهو عم أنس بن مالك . قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال غبتُ عن أول قتال قاتله النبي ﷺ للمشركين ، لئن الله أشهدني قتالا للمشركين ليرينَّ ما أصنع . فلما كان يوم أُحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أعتذر اليك عما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد :

(١) سورة آل عمران من الآية ١٤٤ حتى ١٥١ . (٢) يتشحط : يمشي نازفاً .

أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أصنع ما صنع ، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت ﴿ فَمِنْهُم مَنْ قَضَى نَحبهْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ [1] . ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن اسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي : حسن ، قلت : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه . وقال أحمد حدثنا بهز وحدثنا هاشم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال أنس : عمي (قال هاشم : أنس بن النضر) سميت به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر . قال فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينَّ الله ما أصنع . قال فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة أجده دون أحدُ . قال فقاتلهم حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . قال فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر : فما عرفت أخي إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدَّلوا تبديلا ﴾ قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد . ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائي وأبو داود وحماد بن سلمة أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذي حسن صحيح . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان أبيّ بن خلف أخو بني جُمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ . فلما بلغتْ رسولَ الله ﷺ حلفته قال : بل أنا أقتله ان شاء الله . فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنعاً وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد . فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الداريقي رسول الله ﷺ بنفسه فقُتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبيّ بن خلف من فرجة[2] بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحربة فوقع الى الأرض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خُوار الثور فقالوا له: ما أجزعك ؟ انما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله ﷺ أنا أقتل أبياً ، ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات الى النار فسحقاً لأصحاب السعير . وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيّب نحوه . وقال ابن اسحاق لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول : لا نجوتُ أن نجوتَ . فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله ﷺ : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم كما ذُكر لي فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ، ثم

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

(٢) فرجة : فتحة .

استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ [1] منها عن فرسه مراراً . ذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك . قال الواقدي وكان ابن عمر يقول : مات أبيّ بن خلف ببطن رابغ ، فاني لاسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل اذا أنا بنار تأججت فهبتها واذا برجل يخرج منها بسلسلة بجذبها يهيجه العطش فاذا رجل يقول : لا تسقه ، فانه قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أبيّ ابن خلف . وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزّاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » ورواه البخاري من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « اشتد غضب الله على من قتله رسول الله بيده في سبيل الله » وقال البخاري وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابراً قال : لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهونني والنبي ﷺ لم ينه ، وقال النبي ﷺ لا تبكه أو ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع . هكذا ذكر هذا الحديث ههنا معلقاً وقد أسنده في الجنائز عن بندار عن غندر عن شعبة . ورواه مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به وقال البخاري حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأُراه قال وقتل حمزة هو خير مني ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط (أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا) وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا . ثم جعل يبكي حتى برد الطعام . انفرد به البخاري وقال البخاري حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا الأعمش عن شقيق عن خباب بن الأرت قال : هاجرنا مع النبي ﷺ نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا (نمرة)[2] كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه فقال لنا النبي ﷺ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الأذخر . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به . وقال البخاري حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ ابليس لعنة الله عليه : أي عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فاذا هو بأبيه اليمان فقال : أي عباد الله أبي أبي . قال قالت فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زال في حذيفة بقية خير حتى لقي الله عز وجل . قلت كان سبب ذلك أن اليمان وثابت ابن وقش كانا في الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما فقالا انه لم يبق من آجالنا إلا ظمء [3]

---

(١) تدأدأ : عدا اشد العدو .

(٢) النمرة : البردة .

(٣) ظمأ : شديد العطش .

حمار فنزلا ليحضـرا الحرب فجـاء طريقهمـا ناحيـة المشركين فـأما ثـابت فقتله المشركـون وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ . وتصدق حذيفة بـدية أبيـه على المسلمين ولم يعاتب أحـداً منهم لظهور العذر في ذلك .

فَصـــل :

قال ابن اسحاق : وأصيبَ يـومئذ عين قتـادة بن النعمان حتى سقـطت على وجنته فـردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما . وفي الحديث عن جابر بن عبد الله أن قتـادة ابن النعمـان أصيبت عينه يـوم أحد حتى سـالت على خده فـردها رسـول الله ﷺ مكانهـا فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما وكانت لا ترمد اذا رمدت الأخرى . وروى الدارقطني بـاسناد غـريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعـادهما مكـانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان . والمشهور الأول أنه أصيبت عينه الواحدة . ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلا :

أنـا ابنُ الذي سـالت على الخدّ عينُـه ... فـرَدت بكفّ المصـطفى أحسنَ الـرد
فعــادتْ كمـا كــانت لأولِ أمــرهــا ... فيـا حُسْنَهـا عينـاً ويـا حُسْنَ مـا خـدّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تـلك المـكــارمُ لا قَعبــانِ من لـبنٍ ... شِـيبـا بـمـاءٍ فـعـادا بعـدُ أبـوالا

ثم وصله فأحسن جائزته رضي الله عنه .

فَصـــل :

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكـر سعيد بن أبي زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كـانت تقول دخلت على أم عمـارة فقلت لها يـا خالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فـانتهيت الى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله ﷺ فقمت أباشـر القتال وأذبُّ عنـه بالسيف وأرمي عن القـوس حتى خلصت الجراح الي . قالت فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت لها من أصابك بهـذا قالت ابن قمئـة أقمـأه الله ، لما ولى النـاس عن رسول الله ﷺ أقبـل يقول دلّونـي على محمد لأنجـوتُ إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضـربني هذه الضـربة . ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليـه درعان . قـال ابن اسحاق وتـرس أبو

دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها[1] فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده . قال ابن اسحاق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال فما يجلسكم قالوا قتل رسول الله ﷺ قال، فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك . فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفَه إلا أخته ، عرفته ببنانه . قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها في رجله فعرج .

فصل :

قال ابن اسحاق : وكان اول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس قُتل رسول الله ﷺ ـ كما ذكر لي الزهري ـ كعب بن مالك قال : رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ . فأشار رسول الله ﷺ أن انصبت قال ابن اسحاق فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوّام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه ابي بن خلف (فذكر قتله عليه السلام أبياً كما تقدم) قال ابن اسحاق : وكان أبيّ بن خلف كما حدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقي رسول الله ﷺ » بمكة فيقول : يا محمد ان عندي العود ـ فرساً ـ أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه . فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك ان شاء الله . فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلني والله محمد . فقالوا له ذهب والله فؤادك ، والله ان بك بأس . قال انه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصق عليَّ لقتلني . فمات عدو الله بِسَرَف[3] وهم قافلون به الى مكة . قال ابن اسحاق فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورِثَ الضلالةَ عن أبيهِ	أبيٌّ يومَ بارزه الرسولُ
أتيتَ اليه تحملُ رِمَّ[2] عَظْمٍ	وتُوعِده وانتَ به جَهول
وقد قَتلتْ بنو النجّار منكُم	أميةَ اذ يغوّث يا عقيل

(١) سيتها : ما عُطِفَ من طرفيها . (٢) رمّ عظم : العظم البالي .
(٣) سرف : موضع قريب من مكة على ستة أميال منها ، عن معجم البلدان .

وتَبَّ ابنـا ربـيعـةَ اذْ أطـاعـا ... أبـا جَهْـلٍ لأمِّهـمـا الهبُـول [1]
وأفـلـتَ حـارثٌ لـمّـا شُـغـلْـنـا ... بـأسْـرِ الـقـومِ أُسـرتِـهِ فَـلـيـل

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا مَـن مـبـلغٌ عـنـي أُبـيّـاً ... فـقـد ألقيت في سحق السعيـر
تُـمنّي بـالـضـلالـةِ من بعـيـدٍ ... وتـقُـسِـمُ إنْ قَـدَرتَ مـع النُـذور
تـمـنّـيـكَ الامـانـيَ مـن بـعـيـدٍ ... وقـولُ الـكفـرِ يـرجـعُ في غـرور
فـقـد لاقتْـك طعـنـةُ ذي حِـفـاظٍ ... كـريـم البيتِ ليسَ بـذي فـجـور
لـه فضـلٌ على الأحيـاءِ طُـراً [2] ... اذا تـابـتْ مُـلِمّـاتُ الأمـور

قـال ابن اسحاق: فلمـا انتهى رسـول الله ﷺ الى فم الشعب خـرج علي بن أبي طـالب حتى ملأ درقته ماءً من المهراس فجاء بها الى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجـد له ريحـاً فعافـه ولم يشرب منه وغسـل عن وجهه الـدم وصب على رأسه وهـو يقول «اشتـد غضب الله على من دمى وجـه نبيه » وقـد تقدم شـواهد ذلـك من الاحاديث الصحيحة بما فيـه الكفـايـة. قـال ابن اسحاق : فبينا رسول الله ﷺ في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قـريش الجبـل قال ابن هشـام فيهم خالـد بن الوليـد قال ابن اسحـاق فقال رسـول الله ﷺ اللهم انه لا ينبغي لهم أن يعلونـا. فقاتـل عمر بن الخـطاب ورهط معه من المهـاجـرين حتى اهبـطوهم من الجبل ونهض النبي ﷺ إلى صخرة من الجبـل ليعلوها وقـد كان بـدن رسول الله ﷺ ظـاهر بين درعين فلمـا ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحتـه طلحة بن عبيـد الله فنهض بـه حتى استـوى عليها فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ «أوجب طلحة » حين صنع بـرسول الله ﷺ يـومئذ مـا صنع. قال ابن هشام وذكر عمر مولى عفرة ان رسول الله ﷺ صلّى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصلّى المسلمون خلفه قعوداً. قال ابن اسحـاق وحدثني عـاصم بن عمر بن قتـادة قال: كان فينا رجل أتيٌّ لا يُدرى من هو يقال لـه قُزمـان فكان رسـول الله ﷺ يقول اذا ذُكـر «انه لمن اهل النار» قال فلما كان يوم احد قاتل قتالاً شديداً فقتل هو وحده ثمانيةاو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر. قال بماذا ابشر فوالله ان قاتلت الا عن أحساب قومي ولـولا ذلك ما قاتلت. قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه. وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي ان شاء الله. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنـا معمر عن الزهري عن المسيب عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقـال لرجـل ممن يدّعى

(1) الهبول : المرأة الثكلى .
(2) طراً : جمعاً .

الاسلام « هذا من اهل النار » فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً فأصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذي قلت انه من اهل النار قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات فقال النبي ﷺ «الى النار » فكاد بعض القوم يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل فانه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال الله أكبر؛ أشهد أني عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالاً فنادى في الناس « انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ». وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به قال ابن اسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان احد بني ثعلبة بن الغيطون فلما كان يوم أحد قال يا معشر يهود والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق. قالوا ان اليوم يوم السبت . قال لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا الى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل. فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا «مخيريق خير يهود » قال السهيلي فجعل رسول الله ﷺ أموال مخريق - وكانت سبع حوائط - أوقافاً بالمدينة لله قال محمد بن كعب القرظي وكانت اول وقف بالمدينة. وقال ابن اسحاق وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي احمد عن أبي هريرة أنه كان يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلّ قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه . من هو فيقول اصيرم بني عبد الاشهل عمرو بن ثابت بن وقش قال الحصين فقلت لمحمود بن أسد كيف كان شأن الاصيرم ؟ قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال فبينما رجال من بني عبد الأشهل يتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه فقالوا [ما جاء بك يا عمرو] أحدب على قومك أم رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابني ما أصابني. فلم يلبث ان مات في أيديهم فذكروه لرسول الله ﷺ فقال «انه من أهل الجنة ». قال ابن اسحاق وحدثني أبي عن أشياخ من بني سلمة قالوا كان عمرو بن الجموح رجلاً اعرج شديد العرج وكان له بنون اربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد ارادوا حبسه وقالوا ان الله قد عذرك فأتى رسول الله ﷺ وقال ان بني يريدون ان يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله اني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فقال رسول الله ﷺ «اما انت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » وقال لبنيه «ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله ان يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل يوم أحد رضي الله عنه. قال ابن اسحاق: ووقعت هند بنت عتبة- كما حدثني صالح بن كيسان- والنسوة اللائي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت هند من آذان الرجل وأنوفهم خدما وقلائد واعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً. وبقرب عن كبد حمزة فلاكتها

فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها. وذكر موسى بن عقبة أن الذي بقر عن كبد حمزة وحشي فحملها الى هند فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فالله أعلم. قال ابن اسحاق ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحنُ جزَيْناكُم بيومِ بدرٍ والحربُ بعد الحربِ ذاتُ سُعْرِ
ما كانَ لي عن عُتبةٍ من صبرِ ولا أخي وعمِّهِ وبكرِ
شَفَيْتُ نفسي وقَضَيتُ نَذْرِي شَفيتَ وحشيُّ غليلَ صدري
فشكْرُ وحشيٍ عليَّ عُمري حتى ترمَّ أعظُمي في قبري

قال فأجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خَزيتِ في بدرٍ وبعد بدرِ يابنتَ وقَّاع عظيمِ الكَفر
صبّحكِ اللَّهُ غداةَ الفجر م الهاشميّين الطوالِ الزُهرِ
بكُلِّ قطّاعٍ حُسامٍ يفري حمزةُ ليثي وعليٌّ صَقْري
اذ رامَ شيبٌ وأبوكَ غدري فخضبَّا منهُ ضواحي النَّحر

ونذرِكِ السوءَ فشرُّ نَذْرِ

قال ابن اسحاق وكان الحليس بن زيان اخو بني الحارث بن عبد مناة ـ وهو يومئذ سيد الاحابيش ـ مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب يزج الرمح ويقول : ذق عقق . فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما . فقال: ويحك أكتمها عني فانها كانت زلة . قال ابن اسحاق : ثم ان أبا سفيان حين اراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت ، ان الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعلُ هبل (أي ظهر دينك) . فقال رسول الله ﷺ لعمر «قم يا عمر فأجبه فقل: الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار» فقال له ابو سفيان: هلم إليّ يا عمر. فقال رسول الله ﷺ لعمر: إئتا فانظر ما شأنه. فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟ فقال عمر : اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن. قال أنت عنديَ أصدق من ابن قمئة وأبر. قال ابن اسحاق: ثم نادى أبو سفيان: انه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت . قال: ولما أنصرف أبو سفيان نادى : ان موعدكم بدر العام المقبل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينك موعد. قال ابن اسحاق ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة . والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم . قال علي:

فخرجت في أثرهم انظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة .

دعاء النبي ﷺ يوم أحد

قال الإمام احمد حدثنا مروان بن معاوية الفراري حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن ابن رفاعة الزرقي عن أبيه قال: لما كان يوم احد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ «استووا حتى أثنى على ربي عز وجل » فصاروا خلفه صفوفاً فقال « اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم اني اسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللهم اني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف. اللهم أني عائذ بك من شر ما اعطيتنا وشر ما منعتنا. اللهم حبب الينا الايمان وزينه في قلوبنا ، وكرّه الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين واحينا مسلمين والحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك ويصدّون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين اوتوا الكتاب إله الحق» ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به.

فصـــل :

قال ابن اسحاق وفرغ الناس لقتلاهم فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخو بني النجار ان رسول الله ﷺ قال : من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الاحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الانصار: انا فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ، قال فقال له : ان رسول الله ﷺ امرني ان أنظر أفي الاحياء انت أم في الاموات فقال: انا في الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ سلامي وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : ان سعد ابن الربيع يقول لكم : انه لاعذر لكم عند الله ان خُلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف . قال ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبي ﷺ فأخبرته خبره .

قلت : كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه فلما قال ان رسول الله أمرني ان انظر خبرك أجابه بصوت ضعيف وذكره . وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب كان الرجل الذي التمس سعداً أبي كعب فالله اعلم . وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضي الله عنه وهو الذي آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف. قال ابن اسحاق: وخرج رسول الله ﷺ فيما

بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثّل به فجدع أنفه وأذناه، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ان رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : «لولا ان تحزن صفية وتكون سُنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلاً منهم » فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثّلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب. قال ابن اسحاق فحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن محمد بن كعب، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس ان الله أنزل في ذلك ﴿وإنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُم بِهِ وَلَئِنْ صَبِرْتُم لَهْو خَيْرٌ للصابِرِيْنَ ﴾[1] الآية . قال: فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة. قلت : هذه الآية مكية وقصة احد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتئم هذا فالله أعلم. قال وحدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة قال: ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة . وقال ابن هشام : ولما وقف النبي ﷺ على حمزة قال «لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ اليّ من هذا » ثم قال « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب اسد الله وأسد رسوله » قال ابن هشام: وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الاسد أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ارضعتهم ثلاثتهم ثوبية مولاة ابي لهب.

الصّلاة عَلى حمزة وقتلى أحد

وقال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : « أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجى ببردة ثم صلّى عليه فكبّر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلّى عليهم وعليه معهم حتى صلّى عليه اثنتين وسبعين صلاة » وهذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلي : ولم يقل به أحد من علماء الأمصار . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم أُحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرّ أن ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله : ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[2] فلما خلف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله ﷺ في تسعة ـ سبعةٍ من الأنصار واثنين من قريش وهو عاشرهم ـ فلما رهقوه قال : رحم الله رجلاً ردّهم عنا . . . فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا ، فجاء أبو سفيان فقال : أُعلُ هبل ! فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله أعلى وأجلّ ، فقالوا الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٦ .　(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٢ .

قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . ثم قال أبو سفيان : يوم ، بيوم بدر ، يوم لنا ويوم علينا ، ويوم نُساء ويوم نُسر ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله ﷺ : لا سواء ، أما قتلانا فأحياء يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون ، قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثلة وإن كانت لعن غير ملأ منا ، ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرني ، قال فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله ﷺ : أأكلت شيئاً ؟ قالوا لا ، قال ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار ، قال فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلّى عليه وجيء برجل من الأنصار فوُضع إلى جنبه فصلّى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة وجيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلّى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلّى عليه يومئذ سبعين صلاة » تفرد به أحمد وهذا اسناد فيه ضعف أيضاً من جهة عطاء بن السائب فالله أعلم . والذي رواه البخاري أثبتُ حيث قال : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلِّ عليهم ولم يغسلوا تفرد به البخاري دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث ابن سعد به وقال أحمد حدثنا محمد يعني ابن جعفر حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهري عن ابن جابر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال في قتلى أحد : فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامة ولم يصلِّ عليهم وثبت أنه صلّى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير كما قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا زكريا بن عدي أخبرنا المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال : صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض [1] وإني لأنظر إليه من مقامي هذا واني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ . ورواه البخاري في مواضع أخر ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث يزيد بن أبي حبيب به نحوه . وقال الأقوى حدثني أبي حدثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبي ثابت قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر مخرج رسول الله ﷺ إلى أحد نستطلع الخبر حتى إذا طلع الفجر إذا رجل محتجر يشتد ويقول :

لبّثْ قليلاً يشهدِ الهيْجا حمل

قال : فنظرنا فإذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك فإذا بعير قد أقبل ، عليه امرأة بين

---

(١) الحوض : مكان في الجنة.

وسقين قالت فدنونا منها فإذا هي امرأة عمرو بن الجموح فقلنا لها ما الخبر قالت دفع الله عن رسول الله ﷺ واتخذ من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخي وزوجي . وقال ابن اسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : القها فارجعها لا ترى ما بأخيها فقال لها : يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي . قالت ولمَ وقد بلغني انه مثل بأخي وذلك في الله فما أرضانا ما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك قال خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت . قال ابن اسحاق : ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثِّل به غير أنه لم ينقر عن كبده رضي الله عنهما . قال السهيلي : وكان يقال له المجدع في الله قال وذكر سعد أنه هو وعبد الله بن جحش دَعيا بدعوة فاستجيبت لهما فدعا سعد أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه فارس فيقتله ويجدع أنفه في الله فكان ذلك وذكر الزبير ابن بكار ان سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً [1] فصار في يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار وهذا كما تقدم لعكاشة في يوم بدر . وقد تقدم في صحيح البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد بل في الكفن الواحد وإنما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحفروا لكل واحد ويقدم في اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وبين عمرو ابن الجموح لأنهما كانا متصاحبين ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم كما روى ابن اسحاق عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير أن رسول الله ﷺ لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : أنا شهيد على هؤلاء انه ما من جريح يجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك . قال وحدثني عمي موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أمر رسول الله ﷺ يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود وقال ادفنوهم بدمائهم وثيابهم . رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به . وقال الامام أبو داود في سننه : حدثنا القعنبي أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن حميد بن هلال عن هشام

(١) العرجون : القضيب .

ابن عامر أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا قد أصابنا قرح وجهد فكيف تأمر فقال : احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد . قيل : يا رسول الله فأيهم يقدم ؟ قال: أكثرهم قرآناً . ثم رواه من حديث الثوري عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فذكره وزاد وأعمقوا . قال ابن اسحاق : وقد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : ادفنوهم حيث صرعوا . وقد قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق حدثنا عبد الله وعتاب حدثنا عبد الله حدثنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المديني حدثني أبي سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحد فأرسلني اخواتي إليه بناضح [1] لهن فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة . فقال فجئته وأعوان لي فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد فدعاني فقال : والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع اخوته فدفن مع أصحابه بأحد . تفرد به أحمد . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الأسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله أن قتلى أحد حملوا من مكانهم فنادى منادى النبي ﷺ أن ردوا القتلى إلى مضاجعهم . وقد رواه أبو داود والنسائي من حديث الثوري والترمذي من حديث شعبة والنسائي أيضاً وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة كلهم عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة الى المشركين يقاتلهم وقال لي أبي عبد الله يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما مصير أمرنا فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدي لاحببت أن تقتل بين يدي . قال : فبينا أنا في النظارين إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا إذ لحق رجل ينادي : ألا إن النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال يا جابر بن عبد الله والله لقد أثار أباك عمالُ معاوية فبدا فخرج طائفة منه . فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل ، ثم ساق الامام قصة وفائه دين أبيه كما هو ثابت في الصحيحين . وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم اليهم فأتيناهم فأخرجناهم فأصابت المسحاة [2] قدم حمزة فانبعث دماً . وفي رواية ابن اسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس . وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجري العين نادى مناديه من كان له قتيل بأحد فليشهد، قال جابر فحفرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيأته ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً ، ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضي الله عنهم أجمعين وذلك بعد ست

---

(١) ناضح :

(٢) المسحاة : آلة يزال بها الأثر .

وأربعين سنة من يوم دفنوا. وقد قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي ما أراني إلاّ مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ واني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ وأن عليّ ديناً فاقض واستوص باخواتك خيراً، فأصبحنا وكان أول قتيل فدفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه. وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن الثوب ويبكي فنهاه الناس فقال رسول الله ﷺ تبكيه أو لا تبكيه، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه. وفي رواية أن عمته هي الباكية. وقال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق حدثنا فيض بن وثيق البصري حدثنا أبو عبادة الأنصاري عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر « يا جابر ألا أبشرك؟ قال بلى بشرك الله بالخير، فقال: أشعرت أن الله أحيا أباك فقال تمنّ عليّ عبدي ما شئت أعطكه. قال يا رب عبدتك حق عبادتك أتمنّى عليك أن تردّني إلى الدنيا فأقتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى، قال: إنه سلف مني أنه إليها لا يرجع ». وقال البيهقي حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف الاسفرايني حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا علي بن المديني حدثنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصاري قال: سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الانصاري ثم السلمي قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: نظر إليَّ رسول الله ﷺ فقال: « مالي أراك مهتماً؟ قال: قلت يا رسول الله قتل أبي وترك ديناً وعيالاً، فقال: ألا أخبرك ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً وقال له يا عبدي سلني أعطك. فقال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال: إنه قد سبق مني القول: انهم إليها لا يرجعون. قال يا رب: فأبلغ من ورائي. فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاء عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] الآية. وقال ابن اسحاق: وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ: « ألا أبشرك يا جابر؟ قلت بلى، قال: إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال له: ما تحب يا عبد الله ما تحب أن أفعل بك؟ قال: أي رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » وقد رواه أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن محمد بن علي بن ربيعة السلمي عن ابن عقيل عن جابر، وزاد: فقال الله إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون. وقال أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن عبد الله عن جابر بن عبد الله قال

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا ذكر أصحاب أحد « أما واللّهِ لوددت أني غودرت مع أصحابه بحضن الجبل » يعني سفح الجبل ، تفرد به أحمد . وقد روى البيهقي من حديث عبد الاعلى ابن عبد الله بن أبي فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عميرة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه فدعا له ثم قرأ : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عليهِ﴾[1] الآية قال : « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه » وهذا حديث غريب ، وروى عن عبيد بن عمير مرسلاً . وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب عن عباد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء فإذا أتى فرضة الشعب قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعله وكان عمر بعد أبي بكر يفعله وكان عثمان بعد عمر يفعله . قال الواقدي : كان النبي ﷺ يزورهم كل حول فإذا بلغ نقرة الشعب يقول : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلمون على قوم يردّون عليكم . ثم حكى زيارتهم عن أبي سعيد وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضي الله عنهم . وقال ابن أبي الدنيا حدثني ابراهيم حدثني الحكم بن نافع حدثنا العطاف بن خالد حدثتني خالتي قالت : ركبت يوماً إلى قبور الشهداء ـ وكانت لا تزال تأتيهم ـ فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلي وما في الوادي داع ولا مجيب إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي « السلام عليكم » قالت فسمعت ردّ السلام عليّ يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرّت كل شعرة مني . وقال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد ، فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ . وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرّة عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الايةولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. فقال:

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

: اما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في ايها شاءت ثم تأوي الى قناديل معلقة بالعرش ، قال فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال: اسألوني ما شئتم فقالوا يا ربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا .

فصـــل :

في عدد الشهداء . قال موسي بن عقبة جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً فالله أعلم . وقال قتادة عن أنس قتل من الانصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معُونَة سبعون ويوم اليمامة سبعون . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه كان يقول قارب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة . وقال مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قتل من الانصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبي عبيد سبعون وهكذا قال عكرمة وعروة والزهري ومحمد بن اسحاق في قتلى أحد ويشهد له قوله تعالى : ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أنى هَـذَا﴾[1] يعني أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وعن ابن اسحاق قتل من الأنصار ـ لعله من المسلمين ـ يوم أحد خمسة وستون أربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان والباقون من الانصار وسرد أسماءهم على قبائلهم وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام وسرد ابن اسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً . وعن عروة كان الشهداء يوم أحد أربعة أو قال سبعة وأربعين وقال موسى بن عقبة تسعة وأربعون وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلاً وقال عروة تسعة عشر وقال ابن اسحاق اثنان وعشرون وقال الربيع عن الشافعي ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزّة الجمحي وقد كان في الاسارى يوم بدر فمنّ عليه رسول الله ﷺ بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله فلما أسر يوم أحد قال يا محمد امنن على لبناتي وأعاهد أن لا أقاتلك فقال له رسول الله ﷺ لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً مرتين ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جُحر مرتين » .

فصـــل :

قال ابن اسحاق ثم انصرف رسول الله ﷺ الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكر

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٥ .

لي فلما لقيت الناس نعى اليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لهـا خـالها حمـزة بن عبد المـطلب فاسـترجعت واستغفرت لـه ثم نعى لها زوجهـا مصعب بن عمير فصاحتْ وولولت فقال رسول الله ﷺ : « ان زوج المـرأة منها لبمكـان » لما رأى من تثبتهـا عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها . وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا اسحاق ابن محمد الفروي حدثنا عبد الله بن عمر عن ابراهيم بن محمد بن عبـد الله بن جحش عن أبيه عن حمنة بنت جحش أنه قيل لها : قتل أخوك . فقالت : رحمه الله وانا لله وإنا إليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قـالت : واحزنـاه . فقال رسـول الله ﷺ : « ان للزوج من المرأة لشعبـة ما هي لشيء » قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عـون عن اسماعيـل عن محمد عن سعـد بن أبي وقاص قـال : مرّ رسـول الله ﷺ بامـرأة من بني دينار وقـد أصيب زوجها وأخـوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نعُوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالـوا : خيراً يـا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ؟ قالت : أرونيه حتى أنظر اليه ، قـال : فأشيـر لها اليـه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير وهـو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَـقـتـلُ بـنـي أَسَـدٍ ربَّـهـم الا كُـلُّ شـيءٍ خَـسـلاهُ جَـلَـلَ

أي صغير وقليل . قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله ﷺ الى أهله ناول سيفه ابنتـه فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنيَّة ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » ونـاولها علي بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسـول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة » وقال موسى بن عقبة في مـوضع آخـر : ولما رأى رسـول الله ﷺ سيف علي مخضباً بـالدمـاء قـال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح والحارث بن الصمة وسهـل بن حنيف » وروى البيهقي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عبـاس قال : جـاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أُحد قد انحنى فقال لفاطمة : هاك السيف حميداً فـانها قـد شفتني ، فقال رسـول الله ﷺ : « لئن كنت أجدت الضـرب بسيفك لقـد أجـاده سهـل بن حنيف وأبـو دجـانـة وعـاصم بن ثابت والحـارث بن الصمة » قـال ابن هشـام : وسيف رسـول الله ﷺ هـذا هـو ذو الفقار ، قال : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نـادى منادٍ يـوم أُحد لا سيف الا ذو الفقـار ، قـال : وحـدثني بعض أهـل العلم أن رسـول الله ﷺ قـال لعلي : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » قـال ابن اسحاق : ومـرّ رسول الله ﷺ بـدار بني عبد الأشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال : « لكن حمـزة لا بواكي له » فلما رجع سعدِ بن معاذ وأسيد بن الحضير الى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهن أن

يتحزمـن [1] ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ . فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن » قال : ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام ، وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل وقد أسنده الامام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحباب حدثني أسامة بن زيد حدثني نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ لما رجع من أحد فجعل نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله ﷺ : « ولكن حمزة لا بواكي له » قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فهن اليوم اذاً يبكين يندبن حمزة » وهذا على شرط مسلم . وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مرَّ بنساء بني عبد الأشهل يبكين هلكاهن يوم أُحد فقال رسول الله ﷺ : « لكن حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : « ويحهن ما انقلبن بعد مرورهن فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله ﷺ أزقة المدينة اذا النوح والبكاء في الدور قال : « ما هذا » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة فمشوا الى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم النبي ﷺ فانه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا ان الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله ﷺ قال : « ما هذا » فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ما هذا أردت ، وما أحب البكاء» ونهى عنه . وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير سواء . قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين يعني فيمن قتل منهم فقال : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِيْنَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴾ [2] الآيات كلها كما تكلمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة .

---

(١) يتحزمن : يضبطن امرهن .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢١ .

خروج النبي ﷺ بأصحابه

على ما بهم من القرح والجراح في أثر أبي سفيان

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أُحد وذكره رجوعه عليه السلام الى المدينة : وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً أصبتهم شوكة القوم وحدَّهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم ، فأمر رسول الله ﷺ - وبهم أسد القرح - بطلب العدوّ ليسمعوا بذلك وقال : لا ينطلقنّ معي إلا من شهد القتال . فقال عبد الله ابن أبيّ : أنا راكب معك . فقال لا ، فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء فانطلقوا . فقال الله في كتابه : ﴿ الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوا لِلهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُم القُرْحُ لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا مِنْهُم واتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيْمٌ ﴾[1] قال وأذن رسول الله ﷺ لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على اخواته ، قال وطلب رسول الله ﷺ العدو حتى بلغ حمراء الأسد . وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ابن الزبير سواء . وقال محمد بن اسحاق في مغازيه : وكان يوم أُحد يوم السبت النصف من شوال فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدوّ وأذّن مؤذنه ألاّ يخرجنّ أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله فأذن له . قال ابن اسحاق : وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدوّ ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم . قال ابن اسحاق رحمه الله : فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلا من بني عبد الأشهل قال : شهدت أُحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منّا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان اذا غُلب حملته عقبة [2] ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون . قال ابن اسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى الى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع الى المدينة . قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عَيبة رسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك مرَّ برسول الله ﷺ وهو مقيم بحمراء الأسد فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بحمراء

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٢ .

(٢) عقبة : فترة .

الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرَّن على بقيتهم فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال فوالله لقد أجمعنا الكرَّة عليهم لنستأصل شأفتهم ، قال فاني أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر . قال وما قلت ؟ قال قلت :

كادت تُهدُّ من الأصواتِ راحلتي ... إذ سالتِ الأرض بالجُرْد [1] الأبابيل
تُردَى بأُسْد كرامٍ لا تنابلةٍ[2] ... عند اللقاء ولا مِيلٍ معازيل
فظلْتُ عَدْواً أظنّ الأرضَ مائلةً ... لما سَمَوا برئيسٍ غيرِ مخذول
فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكمُ ... اذا تغطمطت [3] البطحاء بالجيل [4]
إني نذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً ... لكل ذي أُرْبَةٍ منهم ومعقول
من جيشِ أحمدَ لا وخشٌ [5] قنابلُه ... وليسَ يوصَف ما أنذرتُ بالقِيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرَّ به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها اليه واحمل [6] لكم ابلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ اذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكذا قال الحسن البصري . وقد قال البخاري حدثنا أحمد بن يونس أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . تفرد بروايته البخاري وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ [7] قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب

---

(١) الجرد : الابل الملساء .
(٢) تنابلة : كسالى .
(٣) تغطمطت : اضطربت وثارت .
(٤) جيل : ابناء جيل واحد بنفس العمر
(٥) وخش : رديء .
(٦) احمل : اجعلها ترعى .
(٧) سورة آل عمران الآية ١٧٢ .

يـوم أُحد وانصـرف عنه المشـركون خـاف أن يرجعـوا فقال من يـذهب في أثرهم فـانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير . هكذا رواه البخاري وقـد رواه مسلم مختصراً من وجـه عن هشام وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبـو بكر الحميـدي جميعاً عن سفيـان بن عيينة . وأخـرجه ابن ماجه من طريقه عن هشـام بن عروة بـه . ورواه الحاكم في مستـدركه من طـريق أبي سعيد عن هشـام بنْ عروة بـه ورواه من حديث السـدي عن عـروة وقـال في كـل منهمـا صحيـح ولم يخرجاه . كذا قال . وهـذا السياق غـريب جداً فـان المشهور عن أصحـاب المغازي ان الـذين خرجوا مـع رسول الله ﷺ الى حمراء الأسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائـة كما تقـدم قتل منهم سبعون وبقي الباقون . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عبـاس قال : ان الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع الى مكة وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون في ذي القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى في كـل سنة مـرة وانهم قـدموا بعـد وقعة أحـد وكان أصـاب المسلمين القرح واشتكـوا ذلك الى رسـول الله ﷺ واشتـد عليهم الذي أصابهم وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقـوا بهم ويتبعوا مـا كانـوا متعبين وقال لنـا ترتحلون الآن فتـأتون الحـج ولا يقدرون على مثلهـا حتى عام قـابل فجـاء الشيطان يخـوف أولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعـوه فقال اني ذاهب وإن لم يتبعني أحد فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عـوف وأبو عبيـدة وابن مسعود وحـذيفة في سبعين رجـلا فساروا في طلب أبي سفيـان حتى بلغوا الصفـراء فأنزل الله : ﴿ الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوا لِلّهِ وَالرَّسُـولِ مِنْ بَعْدِ مَـا أَصَابَهُمُ القُـرْح لِلَّذِيْنَ أَحْسَنوا مِنْهُـمْ واتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(١) وهذا غـريب أيضاً وقـال ابن هشام : حـدّثنا أبـو عبيدة أن أبـا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أُحـد أراد الرجـوع الى المدينـة فقال لهم صفـوان بن أمية لا تفعلوا فـان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا فرجعوا فقال النبي ﷺ وهو بحمـراء الأسد حين بلغـه أنهم هموا بـالرجعـة « والذي نفسي بيـده لقد سُوِّمت لهم حجارة لـو صبحـوا بها لكـانوا كـأمس الذاهب » قـال : وأخذ رسـول الله ﷺ في وجهه ذلـك قبل رجـوعـه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الملك بن مـروان لأن عائشة بنت معـاوية وأبـا عزَّة الجمحي وكـان رسول الله ﷺ قـد أسره ببـدر ثم منَّ عليه فقـال يا رسـول الله أقلني ، فقال : لا والله لا تمسـح عارضيـك بمكة تقـول خـدعت محمـداً مـرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه . قـال ابن هشام : وبلغني عن ابن المسيب أنـه قال : قـال رسول الله ﷺ « ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه » وذكر ابن هشام أن معاويـة بن المغيرة بن أبي العـاص استأمن لـه عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاث فبعث رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجـدانه في مكـان

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٢ .

كـذا وكذا فـاقتلاه ففعـلا رضي الله عنهما . قـال ابن اسحاق : ولمـا رجـع رسـول الله ﷺ الى المدينة كان عبد الله بن أبيّ كما حدثني الزهري له مقام يقـومه كـل جمعة لا ينكـر له شـرفا في نفسه وفي قومه وكان فيهم شريفاً اذا جلس رسـول الله ﷺ يوم الجمعـة وهو يخـطب الناس قـام فقال : أيها الناس ، هذا رسـول الله بين أظهركم أكـرمكم الله به وأعـزكم به فـانصروه وعـززوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أُحد مـا صنع ورجـع الناس قـام يفعل ذلـك كما كان يفعله فـأخذ المسلمـون بثيابـه من نواحيـه وقالـوا اجلس أي عدو الله والله لست لـذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت. فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بُجـراً [1] أن قمت أشدد أمره . فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قمت أشدد أمره فوثب الي رجال من أصحابه يجبـذونني ويعنفونني لكـأنما قلت بُجـراً أن قمت أشدد أمره . قالوا ويلك ارجع يستغفـر لك رسـول الله ﷺ . قال : والله مـا أبغي أن يستغفر لي . ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن في قصة أُحد من سورة آل عمران عند قـوله : ﴿ وإذْ غَـدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ المُؤْمِنِيْنَ مَقَاعِدَ للقِتَالِ واللهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴾[2] قال الى تمام ستين آية . وتكلم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ، ثم شرع ابن اسحـاق في ذكر شهداء أُحد وتعدادهم بـأسمائهم وأسمـاء آبائهم على قبـائلهم كما جـرت عادتـه فذكـر من المهـاجرين أربعـة حمزة ومصعب بن عميـر وعبد الله بن جحش وشمـاس بن عثمـان رضي الله عنهم ومن الأنصار الى تمام خمسة وستين رجلا واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخـرى فصاروا سبعين على قـول ابن هشام ثم سمى ابن اسحـاق من قتل من المشـركين وهم اثنـان وعشـرون رجلاً على قبائلهم أيضاً . قلت : ولم يؤسر من المشـركين سوى أبي عـزَّة الجمحي كما ذكـره الشافعي وغيره وقتله رسول الله ﷺ صبراً بين يـديه أمـر الزبيـر ـ ويقال عـاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ـ فضرب عنقه .

فصــل :

فيما تقاول به المؤمنون والكفار في وقعة احد من الاشعار

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الاسلام ليكون أبلغ في وقعها من الاسمـاع والافهام وأقطع لشبهة الكفرة الطغام . قال الإمام محمد بن اسحاق رحمه الله وكان مما قيل من الشعـر يـوم أحـد قـول هبيـرة بن أبي وهب المخـزومي وهـو على دين قـومـه من قـريش فـقـال :

ما بالُ همٍّ عميدٍ باتَ يطرقني ... بالود من هند إذ تعدو عواديها
بـاتـت تعـاتـبني هنـدٌ وتـعـذلني ... والحـربُ قـد شَغلت عني مـواليهـا

(1) بجراً : شراً .

(2) سورة آل عمران الآية ١٢١ .

مهلاً فلا تعذليني ان من خُلُقي ... ما قد علمتِ وما ان لستُ أخفيها

مســاعفٌ لبني كعبٍ بمـا كَـلِفـوا ... حـمـالُ عـبءٍ وأثـقـالٍ أعـانيـهـا

وقد حملتُ سلاحي فوق مُشْتَرِفٍ [1] ... ساطٍ [2] سَبَوحٍ [3] اذا يجري يباريها

كـأنـه اذ جـرى عَيْرٌ بفـدفَـدةٍ [4] ... مكـدَّمٌ [5] لاحقٌ بـالعُـون يحميهـا

من آل أعـوجَ يـرتـاحُ النـديُّ لـه ... كجـذعِ شعْـراءَ مستعـلٍ مـراقيهـا

أعـددتُـه ورقـاقَ الحـدِّ منتخِـلاً ... و مارِناً [6] لخـطوبٍ [7] قد ألاقيهـا

هـذا وبيضـاءُ مثـلُ النُّهيِ مُحكَمـةٌ ... لـظَّت [8] عليَّ فمـا تبـدو مساويهـا

سُقْنـا كنـانـةَ من أطـراف ذي يَمَنٍ ... عـرضَ البـلادِ على مـا كـانَ يـزجيهـا

قـالت كنـانـةُ أنَّى تـذهبـون بنـا ... قلنـا : النخيـلُ فـأمُّوهـا ومن فيهـا

نحن الفـوارسُ يـومَ الجـرِّ من أُحد ... هـابتْ معـدُّ فقلْنـا نـحن نـأتيهـا

هـابوا ضِـراباً وطعنـاً صادقاً خَذِماً [9] ... ممـا يـرون وقـد ضُمَّت قـواصيهـا

ثـمَّـتَ رحنـا كـأنـا عـارضٌ بَـرِدٌ ... وقـام هـامُ بـني الـنجّـار يبكـيهـا

كـأن هـامَهم عنـد الـوغى فَلَقٌ ... من فَيْضٍ ربـدٍ [10] نفتْه عن أداحيهـا

أو حنظلٌ دعـدعتْـه الـريـحُ في غصُن ... بـالٍ تَعاوَرُه [11] منهـا سـوافيهـا [12]

قد نبذل المالَ سحّا [13] لاحسابَ له ... ونـطعنُ الخيـلَ شَـزْراً في مـآقيهـا

وليلةٍ يصطلي بالفرثِ جازرُهـا [14] ... يختصّ بـالنَّقري [15] المثرين داعيهـا

ولـيـلةٍ مـن جُمـادى ذاتِ أنـديـةٍ ... جَـرْبا جُمـادِيّـةٍ قـد بتُّ أسـريهـا

لا ينبـحُ الكلبُ فـيهـا غيـرَ واحـدةٍ ... من القَـريسِ [16] ولا تَسْري أفـاعيهـا

أوقدتُ فيها لذي الضرّاء جَاحمةً [17] ... كـالبـرقِ ذاكَيـةَ الأركـانِ أحميهـا

أورَثَـني ذلـكـم عـمـروٌ ووالـدُه ... من قبلِهِ كـانَ بـالمشتى يُغـاليهـا

كـانـوا يُبـارونَ أنـواءَ النجـومِ فمـا ... دَنَتْ عن السَّوْرةِ العَليـاسـاعيهـا

قال ابن اسحاق فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال (قال ابن هشام: وتروى ابن

---

(١) مشرق : فرس كبير .
(٢) ساطٍ : بعيد الخطو .
(٣) سبوح : سريع غير مضطرب في جريه .
(٤) فدفده : حيث تضرب العير بأقدامها .
(٥) مكدم : كثير العض متمرس في القتال .
(٦) مارنا : رمحاً صلباً .
(٧) الخطوب : الامور العظيمة .
(٨) لظّت : الحث علي .
(٩) خذما : قاطعاً .
(١٠) ربد : غبار .
(١١) تعاوره : تداوله .
(١٢) السوافي : الابل المريضة .
(١٣) سحاً : دون انقطاع .
(١٤) جازرها : ما يجزر من النوق والغنم .
(١٥) النقري : العيب .
(١٦) القريس : البرد الشديد .
(١٧) جاحمة : جمر كثير الاشتعال .

مالك وغيره. قلت وقول ابن اسحاق أشهر وأكثر والله أعلم).

سُقتم كنانةَ جهلاً من سفاهتكمْ ... الى الرسول فجندُ الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحيةً ... فالنارُ موعدُها والقتلُ لاقيها
جمعتوهم أحابيشاً بلا حَسَبٍ ... أئمةَ الكفرِ غرَّتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيلِ الله إذ قَتلت ... أهلَ القليبِ ومَن ألقينَه فيها
كم من أسيرٍ فككناهُ بلا ثمنٍ ... وجزٍّ ناصيةٍ كنّا مواليها

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب المخزومي أيضاً :

ألا هل أتى غسّانَ عنّا ودُونهم ... منَ الأرضِ خَرْقٌ سيرُهُ متنعنِع
صحارى وأعلامٌ كأنَّ قتامَها [1] ... من البُعدِ نَقْعٌ هامدٌ متقطع
تظل به البُزْلُ العراميس [2] رُزَّحاً ... ويحلو به غيثُ السنين فيمرع
به جِيَفُ الحسرى يلوحُ صَليبها ... كما لاحَ كَتّانُ التِّجارِ الموضَّع
به العِين والآرام [3] يمشين خُلفةً ... وبيضُ نعامٍ قيضُه يتفلّع
مَجالدُنا عن ديننا كلُّ فخمةٍ ... مُذَرَّبةٍ [4] فيها القوانِسُ [5] تلمع
وكلُّ صموتٍ في الصِّوان كأنها ... اذا لبستْ نهيٌ من الماءِ مُترع [6]
ولكن ببدرٍ سائلوا من لقيتُم ... من الناس والأنباءُ بالغيبِ تنفع
وانّا بأرض الخوْفِ لو كانَ أهلُها ... سِوانا لقد أجْلوا بليلٍ فأُقشعوا
إذا جاء منّا راكبٌ كان قولهُ ... أعِدّوا لما يزجي ابنُ حربٍ ويجمع
فمهما يهمُّ الناسُ مما يكيدُنا ... فنحن له من سائر الناس أوسع
فلو غيرُنا كانت جميعاً تكيدُه البريّـــةُ قد أعطوا يداً وتوزَّعوا
تُجالدُ لا تبقى علينا قبيلةٌ ... من الناس إلاّ أن يَهابوا ويفظعوا
ولما ابتنَوا بالعِرضِ قالت سُراتنا ... علامَ إذا لم نمنع العِرضَ نزرع
وفينا رسولُ الله نتْبَع أمره ... إذا قال فينا القولَ لا نتظلع
تدلّى عليه الروحُ من عند ربه ... ينزَّل من جوّ السماء ويُرفع
نُشاوره فيما نريد وقصرُنا ... اذا ما اشتهى أنّا نطيع ونسمع
وقال رسولُ الله لمّا بدوا لنا ... ذروا عنكُمُ هَوْلَ المنّيات واطمعوا
وكونوا كمن يَشري الحياةَ تقرُّباً ... الى مَلِكٍ يحيا لديه ويرجع

---

(١) قتام : غبار .
(٢) البزل العراميس : نوع من الوعول .
(٣) الارام : حجار تنصب ليهتدى بها .
(٤) مذربه : من الذرب وهو حدة اللسان .
(٥) القوانس : على الرأس .
(٦) مترع : مليء .

ولكن خُذوا أسيافَكم وتوكّلوا ... على الله إن الأمر لله أجمع
فسرْنا اليهم جهرةً (١) في رحالهم ... ضُحَيّا علينا (البِيضُ)(٢) لا (نتخشع)(٣)
بملمومة فيها السنوَّر (٤) والقَنا ... إذا ضَربوا أقدامها لا تورّع
فجئنا الى موجٍ من البحر وسْطُه ... أحابيشُ منهم حَاسرٌ ومُقنّع
ثلاثةُ آلافٍ ونحن نصيَّة ... ثلاثُ مئينٍ إن كَثُرْنا فأربع
نُغاورهم تجري المنيَّة بينَنا ... نشارعُهم حوضَ المنايا ونشرع
تَهادى قسيُّ النَّبْع فينا وفيهمُ ... وما هو إلا اليثربيّ المقطع
ومنجوفةٌ (٥) حرميّةٌ صاعدية ... يذرّ عليها السمّ ساعة تصنع
تَصُوبُ بأبدان الرجال وتارةً ... تمرّ بأعراضِ البِصَارِ تُقعقع (٦)
وخيلٌ تراها بالفضاء كأنها ... جرادُ صَبا في قَرَّةٍ يتريَّع
فلمّا تلاقينا ودارت بنا الرحا ... وليس لأمرٍ حمَّه اللّهُ مَدفع
ضربناهمُ حتى تركنا سَراتَهم ... كأنهمُ بالقاعِ خُشبٌ مصرع
لدن غدوةٍ حتى استفقْنا عشيةً ... كأنّ ذُكانا حرُّ نارٍ تلفّع
وراحوا سِراعاً موجَعين كأنهم ... جهامٌ (٧) هراقتْ ماءَه الريحُ مُقلِع
ورحنا وأُخرانا بطاءٌ كأننا ... أُسود على لحم بِبِيشةَ (٨) ضُلَّع
فنلنا ونال القومُ منّا وربما ... فَعلنا ، ولكن ما لدى الله أوسع
ودارتْ رَحانا واستدارت رحاهمُ ... وقد جعلوا ، كلٌّ من الشرّ يشبع
ونحن أناسٌ لانرى القتلَ سُبّةً ... على كل من يحمي الذمارَ (٩) ويمنع
جِلادٌ على رَيْبِ الحوادث لانرى ... على هالكٍ عيناً لنا الدهر تدمع
بنو الحربِ لانعيا بشيء نقولُه ... ولا نحنُ مما جرَّتِ الحربُ نجزع
بنو الحربِ إن نظفرْ فلسنا بفحَّشٍ ... ولا نحن مِن أظفارِنا نتوجع
وكنّا شهاباً يتقي الناسُ حرَّه ... ويُفرجِ عنه مَن يليهِ ويسفع
فخرتَ عليَّ ابن الزِّبَعْري وقد سرى ... لكم طلبٌ من آخرِ الليل متْبع
فسلْ عنك في عليا مَعَدٍ وغيرها ... من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
ومن هو لم يتركْ الحربَ مفخراً ... ومن خدُّه يومَ الكريهة أضرع
شددْنا بحول الله والنصرِ شَدّةً ... عليكم وأطراف الأسنَّةِ شرَّع

---

(١) جهرة : علناً .
(٢) البيض : السيوف .
(٣) نتخشع : نخاف .
(٤) السنَّور : كل سلاحٍ من حديد .
(٥) منجوفة : سهم ذو نصل عريض .
(٦) تقعقع : تضطرب وتتحرك .
(٧) جهام : سحاب لا ماء فيه .
(٨) بيشة : نبات فيه سم .
(٩) الذمار : كل ما يحمى ويحافظ عليه .

تَكُـرُّ القنـا فيكم كـأنَّ فـروعَهـا عـزالـى مـزادٍ مـاؤُهـا يتـهـزَّع
عمَـدنـا الى أهـلِ اللواءِ ومن يَـطِرْ بـذكْـر اللواءِ فهـو في الحمـدِ أسـرع
فخانـوا وقـد أعـطوا يـداً وتخاذلـوا أبـى الـلّهُ إلا أمـرهَ وهـو أصنـَع

قال ابنُ اسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبْعَري في يوم أحدُ وهو يومئذ مشرك بعد :

يـا غُـرابَ البَيـن أسمعتَ فقـلْ إنـمـا تَـنـطق شيـئاً قـد فُـعـلْ
إن لـلخـيـر ولـلشـرّ مَـدّى وكـلا ذلـك وَجـهٌ وقُـبـلْ
والعـطيّـاتُ خِسـاسٌ [1] بينهـم وسـواءٌ قـبـرُ مُـثـرٍ ومُـقِـلّ
كـلُّ عـيش ونـعـيـمٍ زائـلٌ وبـنـاتُ الـدهـر يلعـبـن بـكـل
أبـلغـا حـسّـانَ عـنـي آيـةً فـقـريضُ الشعـرِ يشفي ذا الغُـلل
كم تـرى بـالجـرّ من جمجمـةٍ وأكـفٍّ قـد أتـرَّت ورجـل
وسـرابـيـل حـسـانٍ سـرِّيـت عـن كمـاةٍ أُهلكـوا في المـنـتـزَل
كـم قـتـلنـا مـن كـريـم سـيـدٍ مـاجـدِ الجـدَّين مِـقـدام بـطل
صـادقِ الـنـجـدة قِـرْم بـارعٍ غيرِ ملتاث [2] لدى وقْع الأسـل [3]
فـسـل الـمـهـراسَ مـا سـاكـنـهُ بين أقـحـافٍ وهـامٍ كـالحَجَـل
ليتَ أشـيـاخي بـبـدرٍ شـهـدوا جَـزَعَ الـخـزرجِ مـن وقـع الاسـل
حـيـن حـكَّـت بـقـبـاءٍ بـركـهـا واستحـرَّ الـقتـلُ في عبـدِ الاشـل
ثـم خـفّـوا عـنـد ذاكـم رُقَّـصـاً رَقَصَ الحفَّـانِ يـعلو في الجـبـل
فـقـتـلـنـا الـضِّـعـفَ من أشـرافـهـم وعـدلـنـا مَـيـلَ بـدرٍ فـاعـتـدل
لا ألـومُ الـنـفسَ الا أنـنـا لـو كـررنـا لـفـعـلـنـا الـمفـتـعَـل
بسيـوفِ الهـنـدِ تـعلو هـامَـهـم عَـلَلاً تـعـلوهـمُ بـعـدَ نَـهَـلْ

قال ابن اسحاق : فأجابه حسّان بن ثابت رضي الله عنه :

ذهـبـتْ بـابـنِ الـزِّبْعَـري وقـعـةٌ كـانَ منا الفضـلُ فيهـا لـو عـدل
ولـقـدْ نـلـتـمْ ونـلْـنـا مـنـكُـمُ وكـذاكَ الـحـربُ أحيـانـاً دُول
نـضـعُ الاسيـافَ في أكتـافـكـم حيـثُ نـهـوى عَـلَلاً بـعـد نَـهَـل
نـخـرجُ الأصبـحَ من أستـاهكـم كـسـلاح النِّيـبِ يـأكلْـنَ العـصـل
إذْ تـولّـونَ عـلى أعـقـابـكـم هـرَبـاً في الشِّعبِ أشبـاهَ الـرِسـل

(١) خساس : ناقصات .
(٢) ملتاث : مبطىء .
(٣) الاسل : الرماح .

إذ شددنا شدّةً صادقةً　　فأجأناكم الى سفحِ الجبل
بخناطيلَ [1] كأشداقِ الملا　　من يلاقوهُ مِنَ الناسِ يهل
ضاقَ عنا الشِّعبُ إذ نجزعهُ　　وملأنا الفرطَ [2] منهُ والرجل
برجالٍ لستمُ أمثالهم　　أيّدوا جبريلَ نصراً فنزل
وعلونا يومَ بدرٍ بالتقى　　طاعةِ الله وتصديقِ الرُسُل
وقتلنا كلَّ رأسٍ منهم　　وقتلنا كلَّ جحجاحٍ [3] رفل
وتركنا في قريشٍ عورةً　　يومَ بدرٍ وأحاديثِ المثل
ورسولُ اللّهِ حقاً شاهداً　　يومَ بدرٍ والتنابيلِ الهبل
في قريشٍ من جموعٍ جمعوا　　مثل ما يُجمعُ في الخصبِ (الهمل)[4]
نحنُ لا أمثالكم وُلْدُ آستِها　　نحضرُ البأسَ إذا البأسُ نزل

قال ابن اسحاق: وقال كعب يبكي حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم:

نشجتَ [5] وهلْ لكَ من منشجِ　　وكنتَ متى تذَّكرْ تلجج
تذكُّر قومٍ أتاني لهم　　أحاديثُ في الزمنِ الأعوج
فقلبكَ من ذكرهم خافقٌ　　من الشوق والحزَنِ المنضج [6]
وقتلاهمُ في جِنانِ النعيمِ　　كرامُ المداخلِ والمخرج
بما صبروا تحتَ ظلِّ اللواءِ　　لواءِ الرسولِ بذي الأضوج
غداة أجابتْ بأسيافِها　　جميعاً بنو الاوسِ والخزرج
وأشياعُ احمدَ إذّ شايعوا　　على الحقِّ ذي النورِ والمنهج
فما برِحوا يضربون الكماة ويمضون في القسطلِ المرهج
كذلك حتى دعاهُم مليك الى جنّةٍ دوحة المولج
وكلهمُ ماتَ حرَّ البلاءِ على ملَّةِ اللَّهِ لم يحرج
كحمزةَ لما وفى صادقاً　　بذي هبةٍ صارمٍ سلجج [7]
فلاقاهُ عبدُ بني نوفلٍ　　يبربرُ كالجملِ الأدعج
فأوجَرهُ حربةً كالشهابِ　　تلهَّبُ في اللهبِ الموهج

---

(١) خناطيل: دواهي.
(٢) الفرط: الصغير.
(٣) جحجاح: بطل او سيد كريم.
(٤) الهمل: الماء السائل الذي لا مانع له.
(٥) نشج: بكى.
(٦) المنضج: القديم والمزمن.
(٧) سلجج: طيب ولذيذ.

ونـعـمـانُ أوفـى بـمـيـثـاقـهِ وحـنـظلة الخيـرِ لـم يـحـنـج [1]
عـن الـحـقِ حتـى غـدتْ روحُـه الـى مـنـزلٍ فـاخـرِ الـزبـرج
أولئـك لا مـن ثـوى مـنـكـمُ مـن الـنـارِ فـي الـدرَكِ الـمـرتـج

قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد وهي على روي قصيدة أمية بن ابي الصلت في قتلى المشركين يوم بدر. قال ابن هشام: ومن اهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان والله أعلم:

يامَيُّ قومي فاندبي بسحيرةٍ شجو النوائح كالحاملات الو قرِ[2] بالثقل الملحّاتِ الدوالح[3]
المعولات الخامشاتِ[4] وجوهَ حُرّاتٍ صحائح وكأنَّ سيلَ دموعها الانصابُ تُخضبُ بالذبائح
ينقضُ أشعاراً لهنَ هناكَ باديةَ المسائح وكأنها أذنابَ خيلٍ بالضحى شمسٌ روامح
من بين مشرورٍ ومجزورٍ يذعذَعُ[5] بالبوارح يبكينَ شجوَ مسلَّبات كدحتهن الكوادح
ولقد أصابَ قلوبها مجل له جلبُ قوارح إذ أقصد الحدَثان من كنّا نرجّي إذ نشايح[6]
أصحاب أُحدٍ غالَهم دهرٌ ألم له جوارح من كان فارسنَا وحامينا اذا بَعَثَ المسالح[7]
يا حمزُ لا واللّهِ لا أنساك ماصرَّ اللقائح لمناخ ايتام وأضيافٍ وأرملةٍ تلامح
ولما ينوبُ الدهرُ في حربٍ لحرب وهي لافح[8] يا فارساً يا (مِا رها [9] يا حمزُ قد كنت المصامح[10]
عنّا شديدات الخطوبِ إذا ينوبُ لهنّ فادح ذكّرتني أسدَ الرسول وذاك مِدْرَهنا المنافح
عنا وكان يُعدُّ إذ عُد الشريفون الجحاجح يعلو القُماقم[11] جهرة سبط اليدين أغرُّ واضح
لاطائشٌ رعش ولا ذو علّة بالحملِ آنح[12] بحرٌ فليس يغبُّ جاراً منه سَيْبُ[13] أو منادح[14]
أودى شباب الى الحفائظ والثّقيلون المرَاجحِ المطعمونَ اذا المشاتي ما يصفّقهن ناضح
لحم الجِلاد وفوقه من شحمه شُطَبٌ شرائح ليدافعوا عن جارِهم مارام ذو الضّغْنِ المكاشح[15]
لهفي لشبّانٍ رُزئناهمْ كأنّهمُ المصابح شُمٌّ بطارِقةٌ غطارِفة خضارمةٌ مسَامح
المشترونَ الحمدَ بالأموالِ أنَّ الحمدَ رابح والجامزونَ[16] بلُجْمهم[17] يوماً إذا ما صاحَ صائح

---

(١) يحنج : يميل .
(٢) الوقر : الحمل الثقيل .
(٣) الدوالح : الثقيلات المشي .
(٤) الخامشات :
(٥) يدعذع : يبدد ويفرق .
(٦) نشايح : نفادي ونخاصم .
(٧) المسالح : حاملو السلاح .
(٨) لافح : محرقه .
(٩) مدرهاً : سيد وزعيم القوم .
(١٠) المصامح : الذي يعتمد رؤوس الابطال .
(١١) القُماقم : العدد الكثير .
(١٢) آنح : عاجز .
(١٣) سيب : مجرى الماء الصغير .
(١٤) منادح : مجرى الماء الكبير .
(١٥) المكاشح : الباطن العداوة .
(١٦) الجامزون : المسرعون .
(١٧) بلجمهم : بكفهم وردهم .

مَن كان يرمي بالنواقِرِ[1] من زَمانٍ غيرِ صالح ما أن تزالُ رِكابَه يرسمن في غُبْرٍ صحاصح[2]
راحتْ تَباري وهو في ركب صدورهُم رواشح حتى تئوبَ له المعالي ليس من فَوزِ السفائح[3]
يا حمزُ قد أوحدتني كالعُودِ شذّبه[4] الكوافح[5] أشكو اليكَ وفوقك التُّربُ المكوَّر والصفائح
من جندلٍ[6] يُلقيه فوقَك إذ أجاد الضرحَ ضارح في واسعٍ يحشُونه بالتُّرب سوَّتهُ المماسح
فعزاؤنا أنّا نقول وقولُنا بُرْحٌ بوارح مَن كان أمسى وهو عما أوقعَ الحدثانِ جانح
فليأتِنا فلتبكِ عيناه لِهلكانا النوافِح[7] القائلينَ الفاعلينَ ذوي السماحة والممادح

من لا يزال ندي يديه له طوالَ الدهرِ مائح[8]

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان . قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وأصحابه :

طرقتْ همومُك فالرقاد مسهَّد وجزعتَ أن سُلخ الشبابُ الأغيد
ودعتْ فؤادَك للهوى ضمرية فهواك غوري[9] وصحْوُك مُنجد
فدعِ التمادي في الغِواية سادراً[10] قد كنتَ في طلب الغواية تفند
ولقد أتى لك أن تناهي طائعاً أو تستفيقَ اذا نهاك المرشد
ولقد هُددتَ لفقْدِ حمزةَ هدةً ظلّتْ بناتُ الجوفِ[11] منها ترعد
ولو أنه فُجعتْ حِراء بمثلِه لرأيتُ رأسي صخرها يتبدد
قِرم تمكّن في ذؤابةِ هاشمٍ حيثُ النبوَّة والندى والسؤدد
والعاقر الكومَ[12] الجلادَ اذا غدت ريحٌ يكادُ الماءُ منها يجمد
والتارك القِرنَ الكميَّ[13] مجدَّلا يومَ الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل في الحديد كأنه ذو لِبدةٍ شثنُ البراثنِ[14] أربد
عمُّ النبيِّ محمدٍ وصفيه ورَد الحِمامِ فطاب ذاك المورد
وأتى المنيةَ معلَماً في أسرةٍ نَصروا النبيَّ ومنهمُ المستشهد
ولقد إخال بذاك هنداً بشّرت لتميت داخلَ غصّة لا تبرد

(١) النواقر : الوهاد .
(٢) صحاصح : ما استوى من الأرض وكان أجرد .
(٣) السفائح : السهولة والبساطة .
(٤) شذبه : رمى عنه الاوراق .
(٥) الكوافح : الاعداء .
(٦) جندل : صخر عظيم .
(٧) النوافح : الطيبو الروائح .
(٨) مائح : يملأ الكف .
(٩) غوري : نسبه الى الغَور .
(١٠) سادر : غير متيقن من علامة .
(١١) الجوف : الطعان .
(١٢) الكوم : الاشراف .
(١٣) الكمّي : صاحب السّلاح .
(١٤) البرائن : الاسود .

مما صَبَحْنا بالعقنقل [1] قومَها ... يوماً تغيَّبَ فيه عنها الأسعد
وببئر بدرٍ إذ يردُّ وجوههم ... جبريلُ تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبي سَراتهم ... قسمين نقتل مَن نشاءُ ونطرد
فأقام بالعَطن المعطَّن منهم ... سبعون عُتبةُ منهم والأسود
وابنَ المغيرة قد ضربْنا ضربةً ... فوقَ الوريد لها رشاشٌ مزبد
وأميَّةُ الجمحيُّ قوَّم مَيْلَه ... عضبٌ بأيدي المؤمنين مهنَّد
فأتاكَ فلّ المشركين كأنهم ... والخيلُ تثفنهم [2] نعام شرَّد
شتّان من هو في جهنم ثاوياً ... أبداً ومن هو في الجنان مخلد

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن رَواحة يبكي حمزة وأصحابه يوم أُحد . قال ابن هشام : وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك فالله أعلم :

بكتْ عيني وحقَّ لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل
على أسَد الإله غداةَ قالوا ... أحمزةُ ذاكمُ الرجل القتيل
أُصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركانُ هُدَّت ... وأنت الماجد البَرُّ الوَصول
عليك سلامُ ربِّك في جنان ... مخالطُها نعيمٌ لا يزول
ألا يا هاشمَ الأخيارِ صبراً ... فكلُّ فعالكم حسَنٌ جميل
رسولُ الله مصطبرٌ كريم ... بأمر الله ينطِق إذ يقول
ألا مَن مُبلِغٌ عني لُؤياً ... فبعدَ اليوم دائلةٌ [3] تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا ... وقائعَنا بها يشفى الغليل
نسيتُم ضَرْبَنا بقليبِ بدرٍ ... غداةَ أتاكُم الموت العجيل
غداةَ ثوى أبو جهلٍ صريعاً ... عليه الطيرُ حائمة تجول
وعتبةُ وابنُه خَرّا جميعاً ... وشَيبةُ عضَّه السيفُ الصقيل
ومتركُنا أُميَّةَ مجلعبّا [4] ... وفي حَيزومه [5] لَدِنٌ نبيل
وهامَ بني ربيعة سائلوها ... ففي أسيافنا منها فلول
ألا يا هند فابكي لا تملّي ... فأنتِ الوالهُ العَبرى الهبول
ألا يا هند لا تُبدي شَماتاً ... بحمزة إنَّ عزَّكم ذليل

قال ابن اسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب

---

(١) العقنقل : الوادي السحيق .
(٢) تثفهم : تلقيهم .
(٣) دائلة : منقلب .
(٤) مجلعباً : مضطجعاً .
(٥) حيزوم : وسط الدار .

وهي أم الزبير عمّة النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين :

أسـائلة أصحابَ أُحُد مخافة بنات أَبي من أعجَمٍ وخبير
فقال الخبير إنّ حمزةَ قد ثوى وزير رسول الله خيرُ وزير
دعاه إلٰه الحق ذو العرش دعوةً الى جَنْةٍ يحيا بها وسرور
فذلك ما كنّا نرجّي ونرتجي لحمزة يوم الحشر خيرَ مصيرِ
فوالله لا أنساكَ ما هبَّت الصَّبا بكاءً وحزناً مَحْضَري ومسيري
على أسَد الله الذي كان مِدرهاً (١) يذودُ عن الاسلام كلّ كَفور
فيا ليت شلْوي (٢) عند ذا ك وأعظُمي لدى أضبُعٍ تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النعيّ عشيرتي جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن اسحاق : وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكي زوجها والله أعلم ولله الحمد والمنة :

يا عينُ جودي بفيضٍ غير إبساس (٣) على كريم من الفتيان لبّاس
صعبِ البديهة ميمونٌ نقيبتُه حَمّال ألويةٍ ركّاب أفراس
أقول لما أتى الناعي له جَزِعا أودى الجوادُ وأودى المُطْعم الكاسي
وقلتُ لمّا خلت منه مجالسُه لا يبعدُ الله منا قُرب شماس

قال فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

أقْنِيْ حياءَك في ستر وفي كَرَمٍ فانما كان شمّاسٌ من الناس
لا تقتلي النفسَ إذ حانت منيّته في طاعة الله يومَ الروع والباس
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبري فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان حين رجعوا من أُحُد :

رجعتُ وفي نفسي بلابلُ (٤) جَمّة وقد فاتني بعضُ الذي كان مطلبي
من أصحاب بدرٍ من قريش وغيرِهم بني هاشمٍ منهم ومنْ أهلِ يثرب
ولكنني قد نِلتُ شيئاً ولم يكن كما كنتُ أرجو في مسيري ومركبي

وقد أورد ابن اسحاق في هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الاطالة وخوف الملالة وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد . وقد أورد الأموي في مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن

(١) مدرهاً : سيداً .
(٢) شلوي : جسدي .
(٣) ابساس : قليل .
(٤) بلابل : شكوك .

اسحاق كما جرت عادته ولا سيما ههنا فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابت أنه قال : أنه قال في غزوة أُحد فالله أعلم :

طاوعوا الشيطانَ اذ اخزاهمُ	فاستبان الخِزي فيهم والفشلْ
حين صاحوا صيحةً واحدةً	مع أبي سفيان قالوا اُعلُ هُبل
فأجبناهم جميعا كلُّنا	ربّنا الرحمن أعلى وأَجَلْ
أثبُتوا تستعملوها مرّةً	من حياضِ الموتِ والموتُ نهل
واعلموا أنّا اذا ما نَضَحَتْ	عن خيال الموت قِدْرٌ تشتعل

وكأن هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعري والله أعلم .

فَصل :

آخر الكلام على وقعة أُحد

قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها وقعة أحد كانت في النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها ولله الحمد .

وفيها في أحد توفي شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عمارة أيضاً حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ الملقب بأسد الله وأسد رسوله وكان رضيع النبي ﷺ هو وأبو سلمة بن عبد الأسد، أرضعتهم ثويبة مولاة أبي لهب كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه ، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضي الله عنهم فانه كان من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضي الله عنهم أجمعين .

وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقية وكان عقده عليها في ربيع الأول منها وبنى بها في جمادى الآخرة منها كما تقدم فيها ذكره الواقدي .

وفيها قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب قال : وفيها علقت بالحسين رضي الله عنهم .

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيْمِ

رب يسر

سَنة أربع مِن الهجرة النبويْة

في المحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد أبي طليحة الأسدي فانتهى الى ما يقال له قَطَن . قال الواقدي : حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي عن

سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا : شهد أبو سلمة أحداً فجرح جرحاً على عضده فأقام شهراً يداوى فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة دعاه رسول الله ﷺ فقال : أخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها وعقد له لواء وقال : سر حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم ، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة فانتهى إلى أدنى قطن وهو ماء لبني أسد وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جمعا حلفاء من بني أسد ليقصدوا حرب النبي ﷺ فجاء رجل منهم الى النبي ﷺ فأخبره بما تمالأوا عليه فبعث معه أبا سلمة في سريته هذه . فلما انتهوا الى أرضهم تفرقوا وتركوا نعماً كثيراً لهم من الابل والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة مماليك وأقبل راجعاً الى المدينة فأعطى ذلك الرجل الأسدي الذي دلهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صفي النبي ﷺ عبداً وخمس الغنيمة وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة . قال عمر بن عثمان فحدثني عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن عمر بن أبي سلمة قال : كان الذي جرح أبي أبو اسامة الجشمي فمكث شهراً يداويه فبرأ فلما برأ بعثه رسول الله ﷺ في المحرم يعني من سنة أربع الى قطن فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى . قال عمر : واعتدَّت أمي حتى خلت أربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليال بقين من شوال فكانت أمي تقول : ما بأس بالنكاح في شوال والدخول فيه ، قد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبني فيه . قال : وماتت أم سلمة في ذي القعدة سنة تسع وخمسين رواه البيهقي . قلت سنذكر في أواخر هذه السنة في شوالها تزويج النبي ﷺ بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه في النكاح ومذاهب العلماء في ذلك ان شاء الله تعالى وبه الثقة .

غزوة الرجيع

قال الواقدي : وكانت في صفر يعني سنة أربع بعثهم رسول الله ﷺ الى أهل مكة ليجيزوه قال والرجيع على ثمانية أميال من عسفان . قال البخاري : حدثني ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال : بعث النبي ﷺ سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا الى فدفد [1] وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ألا نقتل

---

(١) فدفد : فلاة او مكان مرتفع .

منكم رجلاً فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهما هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر ابن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى اذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحدُّ بها فاعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله . وكانت تقول ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قِطف عنب وما بمكة يومئذ من ثمره وانه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال : لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت . فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ثم قال :

ولستُ أُبالي حينَ أُقتل مسلماً | على أي شقٍّ كانَ في الله مصرعي
وذلكَ في ذاتِ الإله وإنْ يشأ | يبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ [1] ممزّع

قال : ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبْر [2] فحمته من رُسلهم فلم يقدروا منه على شيء . وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول : الذي قتل خبيباً هو أبو سَرْوَعة قلت واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث في الرضاع وقد قيل إن أبا سروعة وعقبة أخوان فالله أعلم .

هكذا ساق البخاري في كتاب المغازي من صحيحه قصة الرجيع ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد من طرق عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان وأسد بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان والمشهور عمرو . وفي لفظ للبخاري بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح وساق بنحوه وقد خالفه محمد بن اسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ولنذكر كلام ابن اسحاق

(١) شلو : جسد .

(٢) الدَّبر : جمع (دبور) وهو الحشرة التي تلسع .

ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف على أن ابن اسحاق أمام في هذا الشأن غير مدافع كما قال الشافعي رحمه الله من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق . قال محمد بن اسحاق حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام . فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه وهم مَرْثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق وهو أمير القوم وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف وخبيب بن عدي أخو بني جَحْجَبَى بن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر رضي الله عنهم هكذا قال ابن اسحاق أنهم كانوا ستة وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماهم كما قال ابن اسحاق وعند البخاري أنهم كانوا عشرة وعنده ان كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فالله أعلم . قال ابن اسحاق فخرجوا مع القوم حتى اذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذَيلاً ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم إنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم ابن ثابت فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، وقال عاصم بن ثابت والله أعلم ولله الحمد والمنة :

ما علَّتي وأنا جَلْدٌ نابلُ والقوسُ فيها وَترٌ (عنابلُ)
تزلُّ عن صفحتِها المعابلُ الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ
وكلُّ ما حمّ الإلهُ نازل بالمرءِ والمرءُ إليه آيل
إن لم أقاتلْكم فأمّي هابل

وقال عاصم أيضاً :

أبو سليمانَ وريشُ المقعدِ وضالةٌ مثلُ الجحيمِ الموقَد
اذا النواحي افترشتْ لم أُرعِدِ ومجنأ من جِلد ثورٍ أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال أيضاً :

أبو سليمانَ ومِثلي راما وكانَ قومي مَعْشَرا كِراماً

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه . فلما قتل عاصم أرادتْ هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن سهيل وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فمنعته الدَّبْر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه ، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حيانه . قال ابن اسحاق : وأما خبيب وزيد ابن الدثنة وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره بالظهران . وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة . قال ابن اسحاق : فابتاع خبيباً حجير بن أبي اهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل وكان أبو اهاب أخا الحارث بن عامر لامه ليقتله بأبيه . قال: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه فبعثه مع مولى له نسطاس الى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك ؟ قال :

والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي

قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً قال : ثم قتله نسطاس . قال : وأما خبيب بن عدي فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبي اهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندي خبيب حبس في بيتي فلقد اطلعت عليه يوماً وان في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا : قالت قال لي حين حضره القتل ابعثي إليَّ بحديدة أتطهر بها للقتل . قالت فأعطيت غلاماً من الحي الموسى فقلت له أدخل بها على هذا الرجل البيت فقالت فوالله ان هو إلا أن ولى الغلام بها إليه فقلت ماذا صنعت أصاب والله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة الي . ثم خلى سبيله . قال ابن هشام : ويقال ان الغلام ابنها . قال ابن اسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به الى التنعيم ليصلبوه ، وقال لهم : ان رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طوَّلت جزعا من القتل

لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين[1] قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك فبلّغه الغداة ما يُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ، ثم قتلوه . وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني الى الأرض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون ان الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه . وفي مغازي موسى بن عقبة : أن خبيباً وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد وأن رسول الله ﷺ سمع يوم قُتلا وهو يقول وعليكما أو عليك السلام خبيب قتلته قريش . وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاده إلا إيماناً وتسليماً . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكُها في قدمه فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن اسحاق في قصة زيد بن الدثنة فالله أعلم . قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيباً . قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة بن الحارث قال سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً لأنا كنت أصغر من ذلك ولكنّ أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله . قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري القوم فذُكر ذلك لعمر وقيل إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمة قدمها عليه فقال : يا سعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عديّ حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غُشي عليّ . فزادته عند عمر خيراً .

---

(١) يوجد على الهامش في هذا المكان ما نصه : « حاشية بخط المصنف . قال السهيلي : وانما صارت سنّةً لانها فعلت في زمن النبيﷺ واستحسنت من صنيعه ، قال وقد صلاها زيد بن حارثة في حياة النبيﷺ ثم ساق باسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبدالله بن بكير عن الليث بن سعد قال : بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجلٍ بغلاً من الطائف واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء ، فمال به الى خربة فاذا بها قتلى كثيرة ، فلما همَّ بقتله قال له زيد : دعني حتى أُصلي ركعتين . فقال : صلِّ ركعتين فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً . قال فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا صارخ يقول لا تقتله ، فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فسمع أيضا الصوت يقولُ لا تقتله ، فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا أنا بفارس على فرس في يده حربة في رأسها شعلة من نار فطعنه بها حتى أنفذه فوقع ميتا ، ثم قال : "لما دعوت الله في المرة الأولى كنتُ في السماء السابعة ولما دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ولما دعوته في الثالثة أتيتك . قال السهيلي : وقد صلاها حجر ابن عدي بن الادبر حين حمل الى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه أنه خرج عليه وأراد خلعه ، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلما دخل على معاويه قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال أو أنا أمير المؤمنين؟ وأمر بقتله .فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله .قال وقد عاتبتْ عائشةُ معاوية في قتله فقال: انما قتله من شهد عليه ،ثم قال :دعيني وحجراً فاني سألقَاه على الجادة يوم القيامة .قالت :فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال حين غاب مثلك من قومي . اهـ من الهامش .

وقد قال الاموي حدثني أبي قال : قال ابن اسحاق وبلغنا أن عمر قال : من سره أن ينظر إلى رجل نسيج وحده فلينظر إلى سعيد بن عامر . قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه . وقد روى البيهقي من طريق ابراهيم بن اسماعيل حدثني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جدّه عمرو بن أمية أن رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده قال جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته فوقع إلى الأرض ثم اقتحمت فانتبذت قليلاً ثم التفت فلم أر شيئاً فكأنما بلعته الارض فلم تُذكر لخبيب رمة حتى الساعة .
ثم روى ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لا هم أقاموا في أهلهم ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلَهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلدُّ الخِصَامِ﴾[1] وما بعدها . وأنزل الله في أصحاب السرية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَى نَفْسَه إبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ واللَّهُ رَءُوفٌ بِالعِبادِ﴾[2] . قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيب حين أجمعوا على قتله (قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له) :

لقد جمع الأحزابُ حولي وألبّوا ... قبائلَهم واستجمعوا كل مجمع
وكلُّهم مبدي العداوةِ جاهدٌ ... عليَّ لأني في وثاق بمضبع [3]
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبْتُ من جذع طويلٍ ممنّع
إلى الله أشكو غُربتي ثم كُربتي ... وما أرصدَ الأعداءُ لي عند مصرعي
فذا العرش صبّرْني على ما يُراد بي ... فقد بَضَعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذات الإلّه وإن يشأ ... يبارِكْ على أوصال شِلوٍ ممزع
وقد خيروني الكفرَ والموتُ دونه ... وقد هَمَلتْ عيناي من غير مجزع
وما بي حَذارُ الموت إني لميِّتٌ ... ولكن حذاري جَحْمُ[4] نار ملفع [5]
فوالله ما أرجو إذا متّ مسلماً ... على أي جَنْب كان في الله مضجعي
فلستُ بمبدٍ للعدوِّ تخشّعاً ... ولا جزَعا إني إلى الله مرجعي

وقد تقدم في صحيح البخاري بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلستُ أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أي شِقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذاتِ الإلّه وإن يشأ ... يبارِكْ على أوصالِ شِلوٍ ممزع

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٤ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٧ .
(٣) مضبع : آلة يُشق بها الجلد .
(٤) جحم : نار قوية .
(٥) ملفع : متوقد .

وقال حسان بن ثابت يرثي خبيباً فيما ذكره ابن اسحاق :

مــا بـالُ عينـك لا تـرقـا مـدامعُهـا ... سحّاً على الصدر مثلَ اللؤلؤ الفلق
على خبيبٍ فتى الفتيـان قـد علمـوا ... لا فـشـلٍ حيـنَ تـلقـاه ولا نـزق
فـاذهـب خبيبُ جـزاك الله طيّبـة ... وجنّـةَ الخلد عنـد الحـور في الـرُّفُق
مـاذا تقـولـون إن قـال النبي لكمْ ... حين المـلائكـةُ الأبـرارُ في الأفق
فيمَ قـتلتمْ شـهيـدَ الله فـي رجـل ... طاغٍ قد اوعث [1] في البلدان والرُّفَق

قال ابن هشام : تركنا بعضها لأنه أقذع فيها ، وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بني لحيان فيما ذكره ابن اسحاق ، والله أعلم ولله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة .

إن سرَّك الغدرُ صِرفا لا مِـزاجَ لـه ... فـأت الـرجيـعَ فَسَلْ عن دارِ لحيـان
قـومٌ تـواصـوا بـأكـل الجـارِ بينهم ... فـالكلبُ والقـردُ والانسـان مِثْـلان
لـو ينـطقُ التّيس يـومـاً قـام يخـطبُهم ... وكـان ذا شـرف فـيـهـم وذا شـان

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هُذيلاً وبني لَحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع رضي الله تعالى عنهم أجمعين :

لعمري لقد شانت [2] هذيلَ بنَ مدركٍ ... أحـاديثُ كـانت في خبيب وعـاصم
أحـاديثُ لحيـانٍ صُلُوا بقبيحهـا ... ولحيـانُ جـرّامـون شـرَّ الجـرائم
أنـاسٌ همُ من قـومهم في صَميمهم ... بمنـزلـةِ الـزمعـان [3] دبْـر القـوادم
همُ غـادَروا يـومَ الـرجيـع وأسلمت ... أمـانـتـهـم ذا عـفّـة ومـكـارم
رسـولَ رسـولِ الله غـدراً ولم تكن ... هـذيـل تـوقّى منكَـرات المحـارم
فسـوف يـرون النصـرَ يـومـاً عليهم ... بقتـل الـذي تحميـه دون الحـرائم
أبـابيـلُ دَبْـرٌ شمَّس دون لـحـمـه ... حمتْ لحم شَهّـادٍ عـظيم المـلاحم
لعـل هـذيـلاً أن يـروا بمُـصـابـه ... مـصـارعَ قتلى أو مقـامـا لـمـاتـم
ونُـوقِـعُ فيهـا وقعـةً ذاتَ صـولـةٍ ... يـوافي بهـا الـرّكبـانُ أهـلَ المـواسم
بـأمـرِ رسـول الله ان رسـولـه ... رأى رأْيَ ذي حـزمٍ بلحيـان عـالم
قـبيـلةٌ ليس الـوفـاء يـهـمُّـهـم ... وإن ظُلمـوا لم يـدفعـوا كفَّ ظـالم
إذا النـاس حلّوا بـالفضـاء رأيتَهم ... بمجـرى مسيـل المـاء بين المخـارم
مـحـلهُـم دارُ الـبـوار ورأيُـهـم ... إذا نـابـهـم أمـرٌ كـرأي البـهـائم

---

(١) اوعث : تعثر سلوكه .

(٢) شانت : عاتب .

(٣) زمعان : الرعاع او سفلة القوم .

وقال حسان رضي الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره كما ذكره ابن اسحاق رحمه الله تعالى :

صلى الإلَهُ على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فأكرِموا وأثيبوا
رأسُ السريّةِ مَرثدٌ وأميرُهم ... وابنُ البكير إمامُهُم وخبيب
وابنٌ لطارقَ وابنُ دثنةَ منهم ... وافاه ثُمّ حِمامه المكتوب
والعاصم المقتولُ عند رجيعهم ... كَسَبَ المعالي انه لَكَسوب
منع المقادةَ أن ينالوا ظَهره ... حتى يُجالد إنه لنَجيب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

سَرية عمرو بن أمية الضمري

قال الواقدي : حدثني ابراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن] عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف (وزاد بعضهم على بعض) قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد يغتال محمداً فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا . فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتني خرجت إليه حتى أغتاله ، فإني هاد بالطريق خرّيت ، معي خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقه وقال : اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه الى محمد . قال قال العربي لا يعلمه أحد. فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصبح ظهر الحي يوم سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلّى فقال له قائل : قد توجه الى بني عبد الاشهل فخرج الاعرابي يقود راحلته حتى انتهى الى بني عبد الاشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه ان هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريده . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحني على رسول الله ﷺ كأنه يسارّه فجبذه أسيد بن حضير وقال : تنح عن رسول الله ﷺ وجذب بداخل ازاره فإذا الخنجر فقال : يا رسول الله هذا غادر . فأسقط في يد الاعرابي وقال : دمي دمي يا محمد . وأخذه أسيد بن حضير يلببه فقال له النبي ﷺ اصدقني ما أنت وما أقدمك فإن صدقتني نفعك الصدق وان كذبتني فقد اطلعتُ على ما هممتَ به . قال العربي فأنا آمن ؟ قال وأنت آمن . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد ابن حضير ثم صار له من الغد فقال قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وانك أنت رسول الله

والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت ثم اطلعت على ما هممتُ به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان. فجعل النبي ﷺ يتبسم وأقام أياماً ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن حريش أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه . قال عمرو فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي : يا عمرو هل لك في أن نأتي مكة فنطوف بالبيت سبعاً ونصلي ركعتين فقلت [أنا أعلم بأهل مكة منك انهم اذا أظلموا رشُّوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و][1] إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق . فأبى عليّ فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال : عمرو بن أمية واحزناه. فنذر بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير . وكان عمرو فاتكاً في الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل . قال‌عمرو فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشاً فقلت لسلمة بن أسلم إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، قال فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدي بخنجري فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي لا تتحرك ، فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك ؟ قال عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان قد علمنا أنه لم يأت لخير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فإنه كان بآخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [الى التنعيم] فقال صاحبي يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله ؟ فقلت له : أين هو؟ قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس . فقلت أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئاً فانحُ الى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ودعني فإني عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها يعني صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدري مع بقاء نفسي فانطلق صاحبي الى البعير فركبه وأتى النبي ﷺ فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على الغليل غليل ضجنان . فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي وخنجري فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني الدبل بن بكر أعور طويل يسوق غنماً ومعزى فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت رجل من بني بكر فقال وأنا من بني

---

(1) هذه الزيادة وما بعدها مأخوذة من الطبري المجلد الثالث صفحة ٣٢ .

بكر ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلستُ بمسلمٍ ما دمتُ حيّاً ولستُ أدينُ دِينَ المسلمينا

فقلت في نفسي والله أني لأرجو أن أقتلك . فلما نام قمت إليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط ثم خرجت حتى هبطت فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الاخبار فقلت استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقاً ثم أقبلت به الى النبي ﷺ فلما قدمت المدينة أتى صبيان الأنصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون هذا عمرو فاشتد الصبيان الى النبي ﷺ فأخبروه وأتيته بالرجل قد ربطت ابهامه بوتر قوسي فلقد رأيت النبي ﷺ وهو يضحك ثم دعا لي بخير . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام رواه البيهقي . وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمة ولا جسداً فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم . وهذه السرية انما استدركها ابن هشام على ابن اسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدي لها لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر . فالله أعلم ولله الحمد .

سرية بئر معونة

وقد كانت في صفر منها وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال انها كانت بعد الخندق . قال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيّان من بني سُليم رِعْل وذكوان عند بئر يقال لها بئر مَعُونة فقال القوم والله ما إياكم أردنا وانما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ فقتلوهم فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة وذاك بدءُ القنوت وما كنا نقنتُ . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه . ثم قال البخاري حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زُريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان رِعْلا وذكوان وعُصيَّة وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصيّة وبني لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآناً ثم ان ذلك رفع ﴿ بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِيْنَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا ﴾ ثم قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا همام عن اسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك ان النبي ﷺ بعث حراماً (أخاً لأم سُليم) في سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال فقال يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر أو أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف فطُعن عامر في بيت أم فلان فقال غدَّة كغدة البَكر في بيت امرأة من آل فلان ، ائتوني بفرسي فمات على ظهر

فرسه فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان فقال كونا قريباً حتى آتيهم فان آمنوني كنتم قريباً وان قتلوني أتيتم أصحابكم فقال أتؤمنوني حتى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يحدثهم وأومأوا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه قال همام أحسبه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزتُ ورب الكعبة فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان في رأس جبل فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ « انا لقد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » فدعا النبي ﷺ ثلاثين صباحاً على رِعل وذَكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله . وقال البخاري : حدثنا حِبَّان حدثنا عبد الله أخبرني معمر حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس انه سمع أنس بن مالك يقول لما طعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه وراسه وقال فزتُ ورب الكعبة . وروى البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل من هذا وأشار الى قتيل فقال له عمرو بن أمية هذا عامر بن فهيرة قال لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى اني لأنظر الى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال : ان أصحابكم قد أصيبوا وانهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا أخبر عنا اخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمي عروة به ومنذر بن عمرو وسمي به منذر . هكذا وقع في رواية البخاري مرسلا عن عروة وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة فساق من حديث الهجرة وأدرج في آخره ما ذكره البخاري ههنا فالله أعلم. وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت عن أبي الأسود وعن عروة فذكر القصة وشأن عامر بن فهيرة وأخبار عامر بن الطفيل انه رفع الى السماء وذكر ان الذي قتله جبار بن سلمى الكلابي قال ولما طعنه بالرمح قال فزتُ ورب الكعبة ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله فزت قالوا يعني بالجنة فقال صدق والله ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك . وفي مغازي موسى بن عقبة عن عروة انه قال لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون ان الملائكة وارته وقال يونس عن ابن اسحاق فأقام رسول الله ﷺ يعني بعد أحد بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد فحدثني أبي اسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله ﷺ بالمدينة فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك . فقال ﷺ اني أخشى عليهم أهل نجد . فقال أبو براء أنا لهم جار . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المعنق ليموت في أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر

ابن فهيرة مولى أبي بكر في رجال من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرَّة بني سُليم فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ الى عامر ابن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوا الى ما دعاهم وقالوا : لن تُخفر أبا براء وقد عَقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم ـ عُصيَّة ورِعلا وذكوان والقارة ـ فأجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فانهم تركوه به رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف ، فلم ينبئهما بمصاب القوم الا الطير تحوم حول العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن أمية ماذا ترى ؟ فقال أرى ان نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر فقال الأنصاري لكني لم أكن لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو أسيراً فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجر ناصيته وأعتقه عن رقبة كان على أمه فيما زعم . قال وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه وكان مع العامريين عهد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما قالا من بني عامر فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره بالخبر فقال رسول الله ﷺ : « لقد قتلتَ قتيلين لأدِيَنَّهما » ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا عمل أبي براء ، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوّفاً » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر إياه وما أصاب أصحابَ رسول الله ﷺ بسببه وجواره ، فقال حسان بن ثابت في إخفار عامر أبا براء ويحرض بني أبي براء على عامر :

بني أمّ البنينَ ألم يُرعْكم	وأنتمْ منّ ذوائبِ أهلِ نَجْدِ
تهكُّمُ عامرٍ بأبي بَراء	ليُخفِرَه وما خطأٌ كَعَمد
ألا أبلغْ ربيعةً ذا المساعي	فما أحدثتَ في الحدَثان بعدي
أبوكَ أبو الحروبِ أبو براءٍ	وخالُكَ ماجدٌ حَكَمُ بنِ سعد

قال ابن هشام : أم البنين أم أبي براء وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه في فخذه فأشواه ووقع عن فرسه وقال : هذا عمل أبي براء ، إن أمت فدمي لعمي فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيي .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحو سياق محمد بن اسحاق ، قال موسى وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل مرثد بن أبي مرثد .

وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة ـ فيما ذكره ابن اسحاق رحمه الله ـ والله أعلم :

على قتلي معونةَ فاستهلّي بدمع العينِ سَحّاً [1] غير نَزْر [2]
على خيلِ الرسولِ غداةَ لاقوا ولاقتْهم مَناياهم بقَدْر
أصابهمُ الفناءُ بعقدِ قومٍ تخوّنَ عقدُ حبلهمُ بغدر
فيا لهفي لمنذرَ إذ تولى وأعنَقَ في منيّته بصبر
وكائنْ قد أصيبَ غداةَ ذاكُم من آبيضَ ماجدٍ من سرّ عمرو

غزوة بني النَّضير

وفيها سورة الحشر

في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير . وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أُحد ، وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري به ، وهكذا روى حنبل بن اسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرَّقي عن مطرف بن مازن اليماني عن معمر عن الزهري فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين ، قال ثم غزا بني النضير ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع . وقال البيهقي : وقد كان الزهري يقول هي قبل أُحد ، قال وذهب آخرون الى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضاً . قلت : هكذا ذكر ابن اسحاق كما تقدم فانه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو ابن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله ﷺ ولهذا قال له رسول الله ﷺ « لقدْ قتلتَ رجلين لأدِيَنّهما » . قال ابن اسحاق ثم خرج رسول الله ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان ﷺ أعطاهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف فلما أتاهم ﷺ قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه (ورسول الله ﷺ الى جنب جدار من بيوتهم قاعد) فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه . فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو

(١) سحّاً : كثيراً .
(٢) نزر : قليل .

بكر وعمر وعلي فأتى رسولَ الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً الى المدينة فلما استلبث النبي ﷺ أصحابُه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، قال الواقدي فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مَسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث اليهم أهلُ النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم وحمى حييٌ بن أخطب وبعثوا الى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ونابذوه بنقض العهود فعند ذلك أمر الناس بالخروج اليهم ، قال الواقدي فحاصروهم خمس عشرة ليلة . وقال ابن اسحاق : وأمر النبي ﷺ بالتهيُّؤ لحربهم والمسير اليهم . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول . قال ابن اسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر حينئذ ، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب مَن صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها ، قال وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبيّ ووديعة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا الى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة وقال العوفي عن ابن عباس أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه وسقاً رواه البيهقي وروى من طريق يعقوب بن محمد عن الزهري عن ابراهيم بن جعفر ابن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة ان رسول الله ﷺ بعثه الى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال . وروى البيهقي وغيره انه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله ﷺ ضعوا وتعجلوا . وفي صحته نظر والله أعلم . قال ابن اسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان من أشراف من ذهب منهم الى خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها . فحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث انهم استُقْبِلُوا بالنساء والابناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ما رؤي مثله لحي من الناس في زمانهم . قال وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ يعني النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث شاء فقسّمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار الا ان سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقراً فأعطاهما (وأضاف بعضهم اليهما الحارث بن الصمة حكاه السهيلي) .

قال ابن اسحاق ولم يُسْلم من بني النضير الا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما . قال ابن اسحاق وقد حدثني بعض آل

يامين ان رسول الله ﷺ قال ليامين : ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك وما همَّ به من شأني ؟ فجعل يامين لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله . قال ابن اسحاق فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلَّط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم ثم شرع ابن اسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة في كتابنا التفسير ولله الحمد . قال الله تعالى : ﴿ سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانَعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ولولا ان كتب عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار وذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله ولنجزي الفاسقين ﴾ . سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة وأخبر انه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز وهو منيع الجناب فلا ترام عظمته وكبرياؤه وانه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه وما كان من السبب المفضي لقتالهم كما تقدم حتى حاصرهم المؤيد بالمرعب والرهب مسيرة شهر ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابهم على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح اهانة لهم واحتقاراً فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار . ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل مع ما ادخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم . ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم وترك ما بقي لهم وان ذلك كله سائغ فقال ما قطعتم من لينة وهو جيد التمر أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله أن الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدراً فلا حرج عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد انما هو اظهار للقوة واخزاء للكفرة الفجرة ، وقد روى البخاري ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فأنزل الله : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ ﴾[1] . وعند البخاري من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت :

وهانَ على سُراة بني لؤيّ حريقٌ بالبُويرة مستطيرُ

---

(١) سورة الحشر الآية الخامسة .

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدامَ الله ذلك من صَنيع   وحرّقَ في نواحيها السعير
ستعلم أيّنا منها بستْرٍ   وتعلمُ أي أرضينا نُضير

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف فالله أعلم .

لقد خزيَتْ بغدرتها الحبور(1)   كذاك الدهرُ ذو صَرْفٍ يدور
وذلك أنهم كفروا بربٍ   عظيمٍ أمرُهُ أمرٌ كبيرُ
وقد أُوتوا معاً فهماً وعِلماً   وجاءهمُ من الله النذير
نذيرٌ صادق أدّى كتاباً   وآياتٍ مبيَّنة تنير
فقالوا ما أتيتَ بأمرِ صِدق   وأنتَ بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أدّيتُ حقاً   يصدّقني به الفَهِم الخبير
فمن يتبعه يُهْدَ لكلّ رُشدٍ   ومن يكفُرْ به يَخْزَ الكَفور
فلما أُشْرِبوا غَدراً وكفراً   وجدَّ بهم عن الحق النُّفور
أرى الله النبيَّ برأي صدق   وكانَ اللهُ يَحْكُمُ لا يجور
فأيّده وسلّطه عليهم   وكان نصيرَهُ نِعْمَ النصير
فغُودِرَ منهم كعبٌ صريعاً   فذلَّتْ بعد مَصرعه النضير
على الكفّين ثَمّ وقد عَلَتْهُ   بأيدينا مشهَّرة ذكور
بأمر محمد إذ دسّ ليلا   الى كعبٍ أخا كعب يسير
فماكَرَهُ فأنزله بمكر   ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسور
فتلكَ بنو النضير بدار سوء   أبارَهُم (2) بما اجترموا المبير
غداةَ أتاهُمُ في الزحف رهواً (3)   رسولُ الله وهو بهم بصير
وغسّانُ الحماةُ مؤازروه   على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السِّلم ويحكمُ فصدّوا   وخالفَ أمرَهم كذب وزور
فذاقوا غِبَّ أمرهم وبالاً   لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلَوا عامدين لقِينقاع   وغُودر منهم نخلٌ ودور

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها لسمال اليهودي ، فتركناها قصداً . قال ابن اسحاق : وكان

(1) الحبور : جمع حبر وهم علماء اليهود على هامش الاصل .

(2) ابار : اهلك .

(3) رهواً : سار يسيراً خفيفاً .

مما قيل في بني النضير قول ابن لقيم العبسي ، ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعي :

أهلي فداء لأمرىء غير هالكٍ … أحلَّ اليهود بالحسِيءِ المزنّم [1]

يَقيلون في خَمر العضاةِ وبُدِّلوا … أهيضبَ عوداً بالوُدَيّْ المكمم

فإن يكُ ظنّي صادِقاً بمحمد … تروا خيلَه بين الصلا [2] ويرمرم

يؤمُّ بها عمرو بنَ بهثةَ إنهم … عدو وما حيٌّ صديق كمجرم

عليهن أبطالٌ مساعيرُ في الوغى … يهزّون أطرافَ الوشيج [3] المقوّم

وكلُّ رقيق الشّفرتين مهنّدُ … تُوورثن من أزمان عادٍ وجُرْهم

فمن مبلغ عنّي قريشاً رسالةً … فهل بعدهم في المجد من متكرّم

بأنّ أخاهم فاعلمنَّ محمدا … تليدُ الندى بين الحَجون وزمزم

فدينوا له بالحقّ تجسم أمورُكُم … وتسمو من الدنيا الى كل معظم

نبيّ تلافَتْه من الله رحمةٌ … ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مرجَّم

فقد كان في بدرٍ لعمريَ عبرةٌ … لكم يا قريشٌ والقَليب الملمم

غداةَ أتى في الخزرجية عامداً … إليكم مطيعاً للعظيم المكرّم

مُعاناً بروح القَدْس ينكَى عدوه … رسولاً من الرحمن حقا بمعلم

رسولا من الرحمن يتلو كتابه … فلما أنار الحقُّ لم يتلعثم

أرى أمْرَه يزداد في كل موطن … علوّاً لأمرٍ حَقَّه الله مُحْكَمِ

قال ابن اسحاق وقال علي بن أبي طالب ، وقال ابن هشام قالها رجل من المسلمين ولم أر أحداً يعرفها لعلي :

عرفتُ ومن يعتدلْ يعرفِ … وأيقنتُ حقاً ولم أصدُفِ

عن الكلِم المحكم اللاء من … لدى الله ذي الرأفة الأرأف

رسائلُ تُدرَسُ في المؤمنين … بهن اصطفى أحمدَ المصطفي

فأصبحَ أحمد فينا عزيزاً … عزيزَ المقامة والموقف

فيا أيها المَوعِدُوهُ سَفاهاً … ولم يأتِ جَوْراً ولم يعنُف

ألستم تخافون أدنى العذابِ … وما آمنُ الله كالأخوف

وان تُصْرعوا تحت أسيافه … كمصرع كعبٍ أبى الأشرف

---

(١) المزنم : اللاحق يقوم ليس منهم .

(٢) الصلا : وسط الظهر .

(٣) الوشيج : الرماح .

غـداةَ رأى الله طـغـيـانـه	وأعـرض كـالـجـمـل الأجـنـف [١]
فـأنـزلَ جـبـريـلَ فـي قـتـله	بـوحـيٍ الـى عـبـده مـلطف
فـدسَّ الـرسـول رسـولاً لـه	بـأبـيضَ ذي هـبَّـةٍ مـرهَـف
فـبـاتـت عـيـونٌ لـه مُـعْـوِلات	مـتى يُـنـع كـعـبٌ لـهـا تـذرف
وقـلن لأحـمـدَ ذَرْنـا قـلـيـلا	فـإنـا مـن النَـوْحِ لـم نشـتـف
فـخـلاهُم ثـم قـال اظـعـنـوا [٢]	دُحـوراً [٣] على رَغم -الآنُف- [٤]
وأجـلى الـنـضـيـر الـى غُـربـة	وكـانـوا بـدارٍ ذوي زُخـرف
الـى أذرعـات رِدافـاً وهـمْ	عـلى كـلِّ ذي دبـر أعـجـف

وتركنا جوابها أيضاً من سمال اليهوي قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفيء وأنه حكم بأموال بني النضير لرسول الله ﷺ وملكها له فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى كما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموال بين النضير مما أفـاء الله على رسول الله ممـا لم يوجف [٥] المسلمـون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصة فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعـل ما بقي في الكـراع والسلاح عـدة في سبيل الله عـز وجل. ثم بين تعـالى حكم الفيء وأنه للمهـاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان على منوالهم وطريقتهم ولـذي القربى واليتـامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ومـا آتاكم الـرسول فخـذوه وما نهـاكم عنه فـانتهوا واتقوا الله أن الله شديد العقاب. قال الإمام أحمد حدَّثنا عارم وعفان قالا حـدثنا معتمـر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن نبي الله ﷺ أن الرجـل كان يجعـل له من مـاله النخـلات أو كمـا شاء الله حتى فتحت عليـه قريـظة والنضير قـال: فجعل يـرد بعـد ذلـك. قـال: وان اهلي امروني أن آتي نبي الله ﷺ فأسأله الـذي كان أهله اعـطوه أو بعضه وكـان نبي الله ﷺ اعطاه أم أيمن أو كمـا شاء الله. قـال: فسألت النبي ﷺ فـأعطانيهن فجـاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقـول: كلا والله الـذي لا إله إلا هـو لا أعطيكهن وقـد أعطانيهن أو كمـا قالت. فقـال النبي ﷺ لك كـذا وكذا وتقـول كلا والله قـال ويقول لـك كذا وكـذا وتقول كـلا والله قال ويقول لك كذا وكذا حتى اعطاها حسبتُ أنه قال عشرة امثاله او قال قريباً من عشرة امثاله أو كما قال أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر بـه . ثم قال تعـالى ذاماً للمنـافقين الذين مـالوا الى بني النضير في الباطن كمـا تقدم ووعـدوهم النصر فلم يكن من ذلـك شيء بل خذلوهـم أحـوج ما

(١) الاجنف : المنحني الظهر .

(٢) اظعنوا : ارتحلوا .

(٣) دحوراً : مهزومين .

(٤) الآنف : السابق .

(٥) يوجف : يقلق .

كانوا اليهم وغروهم من أنفسهم فقال ﴿أَلَمْ تَرَ الى الَّذِيْنَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوانِهِم الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُم لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُم وَلاَ نُطِيْعُ فِيْكُم أَحَداً أَبَداً وإنَ قُوتِلتُم لَنَنْصُرَنَّكُم واللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكاذِبُونَ. لئن أُخْرِجُوا لا يَخْرَجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُم ولَئِنْ نَصَرُوهُم لَيُوَلَنَّ الأدْبَارَ ثُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾[1] ثم ذمهم تعالى على جبنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك أني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين

قصة عمرو بن سعدى القرظي

حين مر على ديار بني النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب وقد كانت بنو النضير أشرف بني قريظة حتى حداه ذلك على الاسلام وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة. قال الواقدي حدثنا ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سُعدى فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية. قال رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل اخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل. ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط الله بهْم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بابن الاشرف ذي عزهم ثم بيَّته في بيته آمنا وأوقع بابن سنينة سيدهم وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود وكانوا اهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب . ياقوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً والله أنكم لتعلمون أنه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان أبو عمير وابن حراش وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان[2] قدومه وأمرانا باتباعه جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا هذه ، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء . فقال الزبير ابن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا التوراة التي نزلت على موسى ليس في المثاني الذي أحدثنا، قال فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب. قال كعب فلم والتوراة ما حلُت بينك وبينه قط ، قال الزبير: بلى أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك الى أن قال عمرو ما عندي في أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً . رواه البيهقي.

---

(١) سورة الحشر الايتان ١١ و١٢ .

(٢) توكف : تعرض للشخص حتى يلقاه .

غزوة بني لحيان

ذكرها البيهقي في الدلائل ، وإنما ذكرها ابن اسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه في جمادى الاولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله اعلم . وقال الحافظ البيهقي . اخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو العباس الاصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرة ، فسلك طريق الشام ليرى انه لا يريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فقال رسول الله ﷺ : «لو انا هبطنا عسفان لرأت قريش انا قد جئنا مكة » فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاء كراع الغميم ثم انصرفا ، فذكر ابو عياش الزرقي ان رسول الله ﷺ صلّى بعسفان صلاة الخوف. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عياش قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلىّ بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم. ثم قالوا تأتي الآن عليهم صلاة هي أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿ وإذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾[1] قال فحضرت فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعاً ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء الى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء قال ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ثم سجد الصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف. قال فصلاها رسول الله ﷺ مرتين مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بني سليم. ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه. وقد رواه ابو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائي عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن محمد بن المثنى وبندار عن غندر عن شعبة ثلاثتهم عن منصور به . وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه واحد منهما لكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة فقاتلوا قتالاً شديداً فلما أن صلًى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وذكر لنا رسول الله ﷺ قال: «وقالوا ستأتيهم صلاة هي أحب اليهم من الاولاد » فذكر الحديث كنحو ما تقدم

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٢ .

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا هشام عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: «صلّى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل فهمَّ به المشركون ثم قالوا دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب اليهم من ابنائهم . قال فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره فصلّى بأصحابه صلاة العصر فصفهم صفين بين ايديهم رسول الله والعدو بين يدي رسول الله ﷺ فكبّر وكبّروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيام فلما رفعوا رؤ وسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبّروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام فلما رفعوا رؤ وسهم سجد الآخرون ، وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير عن جابر وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا سعيد بن عبيد الهُنائي حدثنا عبد الله ابن شقيق حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون إن لهؤلاء صلاة هي أحب اليهم من ابنائهم وأبكارهم وهي العصر فأجمعوا امركم فميلوا عليهم ميلة واحدة. وإن جبريل أتى رسول الله ﷺ وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلّيَ ببعضهم ويقدم الطائفة الأخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم تأتي الاخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ولرسول الله ركعتان. ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصمد به وقال الترمذي حسن صحيح. قلت إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خيبر وإلا فهو من مرسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم. ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي امر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر انها واحدة. بقي الشأن في أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها . فان من العلماء منهم الشافعي من يزعم ان صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فانهم أخّروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي: إن غزوة بني لحيان التي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بني قريظة . وقد ذكر الواقدي باسناده عن خالد بن الوليد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بأزائه وتعرضت له فصلّى بأصحابه الظهر امامنا فهممنا ان نغير عليه ثم لم يعزم لنا فأطلعه الله على ما في أنفسنا من الهمّ به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف. قلت : وعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي. وفي سياق حديث ابي عياش الزرقي ما يقتضي أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فاقتضى ذلك أنها اول صلاة خوف صلّاها والله أعلم . وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

غزوة ذات الرقاع

قال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر. قال ابن

هشام : ويقال عثمان بن عفان، قال ابن اسحاق فسار حتى نزل نخلاً وهي غزوة ذات الرقاع. قال ابن هشام لانهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدي بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض . وفي حديث أبي موسى: انما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر. قال ابن اسحاق: فلقي بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلىٰ رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ههنا عن عبد الوارث بن سعيد التنوري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر. وقد ذهب البخاري الى أن ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بأن أبا موسى الاشعري شهدها كما سيأتي وقدومه إنما كان ليالي خيبر صحبة جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال صليت مع رسول الله ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف. ومما يدل على أنها بعد الخندق ان ابن عمر انما أجازه رسول الله ﷺ في القتال اول ما أجازه يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر صلاة الخوف، وقول الواقدي انه عليه السلام خرج الى ذات الرقاع في أربعمائة ويقال سبعمائة من اصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر، ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف انما شرعت بعد الخندق لان الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهور، وقيل في شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا.

قصّة غورث بن الحارث

قال ابن اسحاق في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب. ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى وكيف تقتله ؟ قال: أفتك به . قال: رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله ﷺ في حجره . فقال يا محمد، انظر الى سيفك هذا ؟ قال: نعم ، فأخذه ثم جعل يهزه ويهم فكبته الله . ثم قال: يا محمد، أما تخافني ؟ قال: لا ، ما أخاف منك ؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف . قال: لا ، يمنعني الله منك . ثم عمد الى سيف النبي ﷺ فرده عليه فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُم إِذْا هَمَّ قَوْمٌ أن يَبْسُطُوا إِلَيْكُم أَيْدِيَهِم فَكَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُم واتقوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المؤْمنون ﴾[1] قال ابن اسحاق: وحدثني يزيد بن رومان أنها انما انزلت

(١) سورة المائدة الآية ١١ .

في عمرو بن جحاش أخي بني النضير وما همّ به . هكذا ذكر ابن اسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدري رأس الفرقة الضالة وهو ان كان لايتهم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد. فقد أورد الحافظ البيهقي هاهنا طرقا لهذا الحديث من عدة اما كن ، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة عن جابر انه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القائلة في واد كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر كان رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه . قال جابر: فنمنا نومة فاذا رسول الله ﷺ يدعونا فأجبناه واذا عنده اعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ : ان هذا اخترط [1] سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً [2] فقال من يمنعك مني ؟ قلت : الله. فقال من يمنعك مني ؟ قلت الله. فشام السيف وجلس ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك ، وقد رواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة ، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاخترطه وقال لرسول الله ﷺ تخافني ؟ قال: لا. قال فمن يمنعك مني ؟ قال: الله يمنعني منك قال: فهدده أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلقه. قال: ونودي بالصلاة فصلىّ بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلّى بالطائفة الاخرى ركعتين قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان. وقد علقه البخاري بصيغة الجزم عن أبان به. قال البخاري وقال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث . وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غره فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ . قال: تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال: لا ولكن اعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف وانه صلىّ أربع ركعات بكل طائفة ركعتين. وقد اورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل ابن أبي حثمة، وحديث الزهري عن سالم عن أبيه في صلاة الخوف بنجد وموضع ذلك كتاب الاحكام. والله أعلم.

---

(١) اخترط : انتزع .

(٢) صلتاً : مصوباً .

قصّة الذي أصيبت امرأته يومذاك

قال محمد بن اسحاق حدثني عمي صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دماً فخرج يتبع إثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال من رجل يكلؤنا [1] ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله ، فاضطجع المهاجري فنام وقام الانصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة [2] القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانتزعه ووضعه وثبت قائماً قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً قال ثم دعا له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهبّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت قال : فوثب الرجل فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به فهرب قال : ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤ ها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها . هكذا ذكره ابن اسحاق في المغازي وقد رواه أبو داود عن أبي توبة عن عبد الله ابن المبارك عن ابن اسحاق به . وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن أبيه حديث صلاة الخوف بطوله قال وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبي جارية وضيئة وكان زوجها يحبها فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبته ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن اسحاق . قال الواقدي وكان جابر بن عبد الله يقول بينا أنا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله ﷺ ينظر إليه فأقبل اليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك فقال رسول الله ﷺ أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه فوالله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه .

قصّة جمل جابر

قال محمد بن اسحاق : حدثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ

---

(١) كلأ : حرس وحفظ .

(٢) ربيئة : الشخص المخصص للمراقبة .

جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : مالك يا جابر ؟ قلت يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا . قال : أنخه ، قال فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب فركبتُ فخرج والذي بعثه بالحق يواهق (١) ناقته مواهقة. قال : وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال : أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت بل أهبه لك قال : لا ولكن بعنيه ، قال : قلت فسمُنْيه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال قلت : لا إذاً تغبنني يا رسول الله ، قال : فبدرهمين ، قال : قلت لا ، قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الاوقية ، قال فقلت : أفقد رضيتَ ؟ قال : نعم ، قلت فهو لك ، قال : أخذته ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ، قال قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ، قال : قلت بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ، قال : قلت يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن فتقوم عليهن . قال : أصبتَ إن شاء الله ، أما انا لو جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها (٢)، قال : فقلت والله يا رسول الله مالنا نمارق ، قال : انها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً ، قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت وأقمنا عليهما ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا . قال : فحدثتُ المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك فسمع وطاعة فلما أصبحتُ أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال : ما هذا ، قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر، فدعيت له ، قال فقال : يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ، قال : ودعا بلالاً فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية ، قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعني يوم الحرة . وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمري عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه . قال السهيلي : في هذا الحديث اشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له تمنَّ عليَّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ ﴾ (٣) وزادهم على ذلك في قوله : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزِيَادَة﴾ (٤) ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أمواتاً بَلْ أَحْيَاء عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٥) . والروح للانسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال :

---

(١) واهق : جعل الحبل في العنق .

(٢) النمارق : الوسادات .

(٣) سورة التوبة الآية ١١١ .

(٤) سورة يونس الآية ٢٦ .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

فلذلك اشترى رسول الله ﷺ من جابر جمله وهو مطيته فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك . قال ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيلي ها هنا اشارة غريبة وتخيّل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتي ومستبعد تعداد ذلك والله أعلم .

غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول . قال ابن اسحاق فنزل رسول الله ﷺ بدراً وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا جدب واني راجع فارجعوا . فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون إنما خرجتم تشربون السويق . قال وأتى مخشى بن عمرو الضمري وقد كان وادع النبي ﷺ في غزوة ودان على بني ضمرة فقال : يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضمرة وان شئت رددنا اليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً . قال ابن اسحاق وقد قال عبد الله بن رواحة يعني في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك قال ابن هشام وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك :

وعَدْنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صِدقاً وما كان وافيا
فأقسمُ لو لاقيْتَنا فلقِيتَنا ... لأبتَ ذميماً وافتقدت المواليا
تركْنا به أوصال عتبةَ وابنَه ... وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا
عصيْتُم رسولَ الله افٍّ لدينكم ... وأمركم السّيء الذي كان غاويا
فإني وان عنّفتموني لقائل ... فِدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدلْه فينا بغَيْره ... شهاباً لنا في ظُلمة الليل هاديا

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دعوا فَلَجاتِ الشام قد حالَ دونها ... جِلادٌ كأفواه المخاض الأوارك [1]
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو رَبّهم ... وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
إذا سلكتْ للغورِ من بطن عالجٍ ... فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرّس النزوعَ ثمانياً ... بأرعنِ جرّارٍ عريض المبارك
بكل كُميْتٍ جوْزُه نصفُ خَلْقِه ... وقُبٌّ طِوال مُشرفات الحوارك
ترى العرفَج [2] العاميّ تذري أصولَه ... مناسمُ اخفافِ المطيّ الرواتك [3]
فإن تلقَ في تطوافنا والتماسنا ... فراتَ بنَ حيّانٍ يكنْ رهْنَ هالك
وإن تلقَ قيسَ بن امرىء القيس بعده ... يزدْ في سَواد لونه لون حالك
فأبلغ أبا سفيان عني رسالةً ... فإنّك من غرِّ الرجال الصعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أحسّانُ إنا يا ابنَ آكلة الفغا [4] ... وجدِّك نغتال الخُروقَ كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافيرُ [5] بيننا ... ولو وألتْ منا بشد مدارك
إذا ما انبعثْنا من مُناخٍ حسبْتَه ... مدمّنَ أهلِ الموسم المتعارك
أقمتَ على الرسّ النزوعَ تُريدنا ... وتتركُنا في النخل عند المدارك
على الزرع تمشي خيلُنا ورِكابُنا ... فما وطئتْ ألصقْنَه بالدكادك
أقمنا ثلاثاً بين سَلعٍ وفارع ... بِجُرْدِ الجيادِ والمطيّ الرواتك
حسبتم جِلاد القومِ عند فنائكم ... كمأخذِكم بالعين أرطال آنك [6]
فلا تبعثِ الخيلَ الجيادَ وقل لها ... على نحوِ قول المعصم المتماسك
سَعِدتم بها وغيرُكم كانَ أهلَها ... فوارسُ من أبناء فهرِ بنِ مالك
فإنك لا في هجرةٍ إن ذكرتَها ... ولا حُرمات دِينها أنتَ ناسك

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها ، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعد أبي سفيان وانبعث المنافقون في الناس يثبطونهم [7] فسلم الله أولياءه ، وخرج المسلمون صحبة رسول

---

(١) الاوارك : جانب القوس من مجرى الوتر .
(٢) العرفج : رمال لا طريق فيها .
(٣) الرواتك: صفة للبعير الذي يمشي ببطء .
(٤) الفغا : التمر قبل ان ينضج .
(٥) اليعافير : الغزلان .
(٦) آنك : متوجع .
(٧) يثبطونهم : يشغلونهم عن الأمر .

الله ﷺ إلى بدر وأخذوا معهم بضائع وقالوا إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق ابن اسحاق في خروج أبي سفيان الى مجنة ورجوعه وفي مقاولة الضمري، وعرض النبي ﷺ المنابذة فأبى ذلك . قال الواقدي : خرج رسول الله ﷺ إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رَواحة . وكان خروجه اليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع ، والصحيح قول ابن اسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان لكن قال في سنة ثلاث وهذا وهم فإن هذه تواعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم . قال الواقدي : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عز وجل : ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّهِ وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُم سُوْءٌ واتبَعُوا رِضْوَانَ اللّهِ واللّهُ ذُو فَضْلٍ عظِيْمٍ﴾[1] .

فصـــل :

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه يعني من رقية بنت رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين فصلىَّ عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضي الله عنه . قلت : وفيه توفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وأمه برّة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكان رضيع رسول الله ﷺ ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهب . وكان اسلام أبي سلم وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد ، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ثم عاد إلى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة الى المدينة وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم ، وشهد بدراً وأحداً ومات من آثار جرح جُرحه بأحد رضي الله عنه وأرضاه ، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله ﷺ بأم سلمة قريباً . قال ابن جرير : وفي ليال خلون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم . قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية . وقد حكى أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني انه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم واحسانها اليهم . وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها . قال أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٤ .

العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . قال ابن الأثير في الغابة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أُحد . قال أبو عمر : ولا خلاف انها ماتت في حياة رسول الله ﷺ وقيل لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها ، وقال الواقدي في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أُمية . قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي أولادها أبي سلمة بن عبد الأسد وقد كان شهد أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أُحد فداوى جرحه شهراً حتى برىء ، ثم خرج في سرية فغنم منها نعما ومغنماً جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة وبعث اليها عمر بن الخطاب في ذلك مرراً فتذكر أنها امرأة غيرى أي شديدة الغيرة وانها مصبية أي لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون الى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : أما الصبية فإلى الله والى رسوله أي نفقتهم ليس إليك ، وأما الغيرة فادعو الله فيذهبها ، فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم فزوّج النبي ﷺ تعني قد رضيت وأذنت . فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد ، وقد جمعتُ في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك ولله الحمد والمنة . وان الذي ولى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر ولدها وساغ هذا لأن أباه ابن عمها فللابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوة بالاجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض النبوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه وهو كتاب النكاح من الاحكام الكبير إن شاء الله .

قال الامام أحمد : حدَّثنا يونس حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة ابن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولا سررت به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع [1] عند مصيبته ثم يقول اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا فعل به » . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها ، ثم رجعت الى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً [2] لي فغسلت يدي من القرظ [3] وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبني الى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك

(١) يسترجع : يقول انا لله وانا اليه راجعون .

(٢) الاهاب : الجلد الذي لم يدبغ .

(٣) القرظ : ورق يدبغ به .

الرغبة ، ولكني امرأة بي غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال . فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فانما عيالك عيالي ، فقالت : فقد سلمتُ لرسول الله ﷺ . فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه رسول الله ﷺ . وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن أبي سلمة عن أمه أم سلمة عن أبي سلمة به . وقال الترمذي حسن غريب . وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة به .

وقال ابن اسحاق : ثم انصرف رسول الله ﷺ - يعني من بدر الموعد - راجعاً الى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع . وقال الواقدي : وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . قلت : فثبت عنه في الصحيح أنه قال تعلمته في خمسة عشر يوماً والله أعلم .

سَنة خمس من الهجرة النبويّة

غزوة دَومة الجندل في رَبيع الأوّل مِنهَا

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل . قال ابن هشام في ربيع الأول ، - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن عرْفُطة الغفاري . قال ابن اسحاق : ثم رجع الى المدينة قبل أن يصل اليها ولم يلقَ كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن اسحاق . وقد قال محمد بن عمر الواقدي باسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو الى أداني الشام ، وقيل له ان ذلك مما يفزع قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مرّ بهم ، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة . فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بني عذرة يقال له مذكور هادٍ خريت . فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم [1] بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمة رجلا منهم فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس ، فعرض عليه رسول

---

(١) السوائم : الماشية والابل الراعية .

الله ﷺ الاسلام فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة . قال الواقدي : وكان خروجه عليه السلام الى دومة الجندل في ربيع الآخر[1] سنة خمس . قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه : حدّثنا محمد ابن بشار حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ، فلما قدم صلىً عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضي أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله .

غزوة الخندق أو الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الأحزاب فقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا . إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتليَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديداً . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبيَّ يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون إلا فِرارا . ولو دُخلتْ عليهم من أقطارها ثم سُئلوا الفتنةَ لأتوْها وما تلبَّثوا بها إلا يسيرا . وَلقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفِرارُ إن فَررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتَّعون إلا قليلا . قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا . قد يعلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لأخوانهم هلمَّ الينا ولا يأتون البأس إلا قليلا . أشِحةً عليكم فاذا جاءَ الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبطَ الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا . يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودُّوا لو أنهم بادون في الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كان فيكم ما قاتلوا إلا قليلا . لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بَدَّلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما . وردَّ الله الذين كفروا

---

(١) من ناريح ابن جرير عن الواقدي انه في ربيع الاول .

بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا . وأنـزل الذين ظـاهروهم من أهل الكتاب من صيَاصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسِـرون فريقـا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا ﴾ . وقـد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في التفسير ولله الحمد والمنة ، ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقـد كانت غـزوة الخندق في شـوال سنة خمس من الهجـرة نص على ذلك ابن اسحـاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغيـر واحد من العلمـاء سلفاً وخلفـاً وقد روى مـوسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع . وكـذلك قـال الامام مـالك ابن أنس فيما رواه أحمد بن حنبـل عن موسى بن داود عنـه . قال البيهقي : ولا اختـلاف بينهم في الحقيقة لأن مرادهم ان ذلـك بعد مضي أربع سنين وقبـل استكمال خمس ، ولا شـك أن المشـركين لما انصـرفوا عن أحـد واعدوا المسلمين الى بـدر العام القـابـل ، فـذهب النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقريش لجدب ذلـك العام فلم يكـونوا ليأتوا الى المـدينة بعـد شهرين ، فتعين أن الخنـدق في شوال من سنـة خمس والله أعلم . وقد صرح الزهري بان الخندق كانت بعد أحد بسنتين ولا خلاف أن أحداً في شـوال سنة ثـلاث الا على قول من ذهب الى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول الى آخرها كما حكاه البيهقي . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي وقد صرح بان بدراً في الأولى ، وأحداً في سنـة ثنتين ، وبدر المـوعد في شعبـان سنة ثـلاث ، والخندق في شـوال سنة أربـع . وهذا مخـالف لقول الجمهـور فإن المشهـور أن أميـر المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثـلاثة والله أعلم . والصحيـح قول الجمهـور أن أحداً في شـوال سنة ثلاث ، وأن الخنـدق في شوال سنـة خمس من الهجرة والله أعلم . فـأما الحـديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيـد الله عن نافـع عن ابن عمر أنـه قال : عُـرضتُ على رسول الله ﷺ يـوم أحد وأنـا ابن أربع عشـرة سنة فلم يجـزني ، وعرضت عليـه يوم الخنـدق وأنـا ابن خمس عشرة فأجازني ، فقد أجاب عنها جماعة من العلمـاء منهم البيهقي بانـه عرض يـوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الاحزاب في أواخر الخامسة عشـرة . قلت : ويحتمل أنـه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز لمثلها الغلمـان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلَّغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قـال : ان هذا الفرق بين الصغير والكبير ، ثم كتب به الى الآفاق واعتمـد على ذلك جمهـور العلماء والله أعلم .

وهـذا سياق القصـة مما ذكـره ابن اسحاق وغيـره . قـال ابن اسحـاق : ثم كـانت غـزوة

الخندق في شوال سنة خمس . فحدثني يزيد بن رومان عن عروة ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض . قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحيي بن أخطب النضري وكنانة ابن الربيع بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ الى الَّذِيْنَ أُوْتُوا نَصِيْباً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بالجُبْتِ والطَّاغُوتِ ويَقُولُونَ للَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِن الَّذِيْنَ آمَنُوا سَبِيْلاً ، أولَئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمْ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيْراً ﴾[1] الآيات . فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب النبي ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رُخَيلة بن نويرة بن طريف بن سُحْمة بن عبد الله بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة قال ابن هشام : يقال ان الذي أشار به سلمان . قال الطبري والسهيلي : أول من حفر الخنادق منو شهر بن أيرج بن أفريدون وكان في زمن موسى عليه السلام . قال ابن اسحاق : فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون ، وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من ينسلُّ خفية بغير اذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام . وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى :

﴿ إنَّمَا المؤمنُونَ الَّذِيْنَ آمَنُوا باللهِ ورَسُولِهِ وإذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أمرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأذِنُوهُ إنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَأذِنُونَكَ أوْلَئِكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ باللهِ ورَسُولِهِ فَإذَا اسْتَأْذَنُوْكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ . لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُم كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضَاً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِيْنَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُم لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أنْ تُصِيْبَهُم فِتْنَةٌ أوْ يُصِيبَهُم عَذَابٌ أليمٌ ، ألاَ أنَّ للهِ مَا فِي السَمَاوَاتِ والأرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ

(١) سورة النساء الآية ٥١ .

يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم﴾[1]

قال ابن اسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى احكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جعيل سماه رسول الله ﷺ عَمْراً ، فقالوا فيما يقولون :

سَمَّاه من بعدِ جُعَيلٍ عَمْراً وكانَ للبائسِ يوماً ظَهرا

وكانوا اذا قالوا عمْراً قال معهم رسول الله ﷺ عمرا ، واذا قالوا ظهراً قال لهم ظهرا . وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً قال : خرج رسول الله ﷺ الى الخندق فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداةٍ باردةٍ ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم ان العيش عيش الآخرة ، فأغفر الأنصارَ والمهاجرة » فقالوا مجيبين له :

نحنُ الّذين بايَعوا محمّدا على الجهادِ مَا بقينا أَبَدا

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس نحوه . وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سَلمة عن ثابت وحميد عن أنس بنحوه . وقال البخاري حدثنا أبو مَعْمَر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا على الاسلام ما بقينا أبدا

قال يقول النبي ﷺ مجيباً لهم « اللهم انه لا خير الا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » قال يؤتون بملء كفي من الشعير فيصنع لهم باهالة سنخة [2] توضع بين يدي القوم والقوم جياع ، وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن . وقال البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » . ورواه مسلم عن القعنبي عن عبد العزيز به . وقال البخاري : حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبرَّ بطنه يقول :

واللهِ لولا اللهُ ما اهتَدَينا ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا

---

(١) سورة النور الآيات ٦٢ ، و٦٣ و ٦٤.

(٢) باهالة سنخة : نوع من الطعام .

فـأنـزلـن سَكِـينـةً عـليـنـا   وثـبِّـتِ الاقـدامَ إن لاقـيـنـا
إنّ الألـى قـد بَـغَـوا عـليـنـا   إذا أرادوا فِـتـنـةً أبَـيـنـا

ورفع بها صوته : أبَينا ، أبَينا . ورواه مسلم من حديث شعبة به . ثم قال البخاري : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مَسلمة حدثني ابراهيم بن يوسف حدثني أبي عن أبي اسحاق عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الترابُ جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رَواحة وهو ينقل من التراب يقول :

الـلهمَّ لـولا أنـتَ مـا اهتـدَينـا   ولا تـصـدَّقـنـا ولا صـلَّيـنـا
فـأنـزلْـن سَكِـينـةً عـلَيـنـا   وثـبِّـتِ الاقـدامَ إن لاقـيـنـا
ان الأُلـى قـد بَـغَـوا عـليـنـا   وإن أرادوا فِـتـنـةً أبـيـنـا

ثم يمد صوته بآخرها . وقال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا اسماعيل بن الفضل البجلي حدثنا ابراهيم بن يوسف البلخي حدثنا المسيب بن شريك عن زياد بن أبي زياد عن أبي عثمان عن سلمان أن رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال :

بـسـمِ الله وبـه هُـدينـا   ولـو عـبـدْنـا غيـرَه شَقـيـنـا
يا حبَّذا ربًا وحبَّ دِينا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس ان رسول الله ﷺ قال وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير الا خير الآخرة ، فأصلح الأنصار والمهاجرة » وأخرجاه في الصحيحين من حديث غندر عن شعبة .

قال ابن اسحاق وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون . فمن ذلك أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كُدْيَة [1] فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب [2] ما تردّ فأساً ولا مسحاة . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وقد قال البخاري رحمه الله حدثنا خلّاد بن يحيى حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال إنا يوم

---

(١) الكدية : ما جُمع من التراب .   (٢) الكثيب : التل من الرمل .

الخندق نحفر فعرضت كُدْية شديدة فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا هـذه كدية عرضت في الخنـدق ، فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نـذوق ذَواقاً فـأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أَهْيَلَ أو أَهْيَمَ فقلت يا رسول الله ائذن لي إلى البيت ، فقلت لامـرأتي رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت عنـدي شعير وعنـاق ، فذبحتُ العناق وطَحَنَتِ الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمـة [1] ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسـر والبـرمـة بين الأثـافي قـد كـادت أن تنضَـج فقلت طعيِّم لي فقم أنت يـا رسـول الله ورجـل أو رجلان . قال كم هو ؟ فذكرت له ، فقال كثير طيب ، قل لها لا تَنْزِع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى ، فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار . فلما دخل على امرأته قال ويحـك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت هل سألك ؟ قلت نعم فقال ادخلوا ولا تَضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمِّر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرِّب إلى أصحـابه ، ثم ينـزع فلم يزل يكسـر الخبزَ ويغـرف حتى شبعوا وبقي بقيـة قال : كلي هـذا وأهدي ، فـإن الناس أصابتهم مجاعة . تفرد به البخاري . وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم عن جابر بقصة الكـدية وربط الحجـر على بطنـه الكريم . ورواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس ابن بكير عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة الكدية والـطعام وطـوله أتم من روايـة البخـاري قال فيـه : لما علم النبي ﷺ بمقـدار الطعـام قال للمسلمين جميعـاً قومـوا الى جابـر فقـاموا ، قـال فلقيت من الحياء مـا لا يعلمـه إلا الله وقلت جـاءنـا بخلق على صـاع من شعيـر وعنـاق . ودخلت على امـرأتي أقـول : افتضحت جـاءك رسـول الله ﷺ بـالخنـدق أجمعين ، فقالت : هل كان سألك كم طعامـك ؟ قلت : نعم . فقالت الله ورسـوله أعلم . قـال فكشفتْ عني غماً شديداً ، قال فدخل رسول الله ﷺ فقال خدمي ودعيني من اللحم . وجعل رسـول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ويخمـر هذا ويخمـر هذا فمـا زال يقرب إلى النـاس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقـدر أملأ مـا كانـا ، ثم قال رسـول الله ﷺ كلي واهدي فلم تـزل تأكـل وتهدي يومها . وقد رواه كذلـك أبو بكـر بن أبي شيبة عن عبـد الرحمن بن محمـد المحاربي عن عبـد الـواحد بن أيمن عن أبيـه عن جابـر به وأبسط أيضـاً ، وقال في آخـره : وأخبـرني أنهم كـانـوا ثمانمائة أو قال ثلثمائة . وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن أبي الزبير عن جابر . فذكر القصة بطولها في الطعام فقط وقال وكـانوا ثلثمـائة . ثم قـال البخاري : حـدّثني عمرو بن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبي سفيان عن أبي الزبير حدثنا ابن ميناء سمعت جابر بن عبد الله قـال : لما حفـر الخندق رأيت من النبي ﷺ خمصـاً [2] فانكفـأتُ إلى امـرأتي فقلت هـل

(١) البرمة : القدر من الحجر .

(٢) خمصاً : جوعاً وضموراً في البطن .

عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً . فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها فطحنت ففرغت الى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه ، فجئته فساررته فقلت يا رسول الله ذبحت بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح رسول الله ﷺ فقال : يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سؤراً [1] فحيهلا [2] بكم ، فقال رسول الله ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء . فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت . فأخرجت لنا عجيناً فبسق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معكَ واقدحي من برمتك ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا كما هو . ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم به نحوه . وقد روى محمد بن اسحاق هذا الحديث وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال حدثني سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وكانت عندي شويهة غير جد سمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ قال وأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق قال وكنا نعمل فيه نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا فقلت يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فأنا أحب أن تنصرف معي الى منزلي قال وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده . قال فلما أن قلت ذلك قال نعم ثم أمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال قلت إنا لله وإنا إليه راجعون . قال فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه فجلس وأخرجناها إليه قال فبرّك وسمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . والعجب أن الامام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق عنه عن جابر مثله سواء . قال محمد بن اسحاق وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعتني أمي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت أي بنية اذهبي الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت فأخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي فقال تعالى يا بنية ما هذا معك قالت قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغذيانه . فقال هاتيه قالت فصببته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان

---

(١) سؤراً : طعاماً .   (٢) حيهلا : من عبارات النداء .

عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب . هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد . قال ابن اسحاق: وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليَّ صخرة ورسول الله ﷺ قريب مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليَّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال قلت : نعم . قال : أما الأولى فإن الله فتح عليّ باب اليمن وأما الثانية فإن الله فتح عليّ باب الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق . قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن اسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه ، وذكره أبو الأسود عن عروة ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر . لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خطّ الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتقَّ المهاجرون والأنصار في سلمان فقال رسول الله ﷺ سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرّن وستة من الانصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى اذا بلغنا الندى ظهرت لنا صخرة بيضاء مَرْوَة فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها ـ يعني المدينة ـ حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ وسألوه عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فابشروا ، واستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل فيهم ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾[1] وهذا

---

(١) سورة الاحزاب الآية ١٢ .

حديث غريب . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هارون بن ملول حدّثنا أبو عبد الرحمن حدّثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال لما أمر رسول الله ﷺ بالخندق فخندق على المدينة قالوا يا رسول الله انا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها فقام النبي ﷺ وقمنا معه فلما أتاها أخذ المعول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت فارس ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط فقال فتحت الروم ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط فقال : جاء الله بحمير أعواناً وأنصاراً . وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي فيه ضعف فالله أعلم . وقال الطبراني أيضاً : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سعيد بن محمد الجرمي حدَّثنا أبو نميلة حدّثنا نعيم بن سعيد الغري أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال : هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة ؟ قال رجل نعم . قال أما لا فتقدّم فدلنا عليه : فانطلقوا الى [بيت] الرجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه فأرسلت امرأته أن جيء فإن رسول الله ﷺ قد أتانا فجاء الرجل يسعى وقال : بأبي وأمي وله معزة ومعها جديها فوثب إليها فقال النبي ﷺ الجدي من ورائها فذبح الجدي وعمدت المرأة الى طحينة لها فعجنتها وخبزت فأدركت القدر فثردت قصعتها فقربتها الى رسول الله ﷺ وأصحابه فوضع رسول الله ﷺ اصبعه فيها وقال بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقي ثلثاها فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا الينا بعدتكم فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا الى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله ﷺ : دعوني فأكون أول من ضربها . فقال : بسم الله فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة . فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم ، ثم قال الحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا هوذة حدثنا عوف عن ميمون بن استاذ الزهري حدثني البراء بن عازب الانصاري قال لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول فشكوا ذلك الى رسول الله ﷺ فلما رآها أخذ المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر ان شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من

مكاني الساعة . وهذا حديث غريب أيضاً تفرد بـه ميمون بن استاذ هذا وهـو بصري روي عن البـراء وعبد الله بن عمـرو وعنه حميـد الطويـل والجُريـري وعوف الاعـرابي قال أبـو حـاتم عن اسحاق بن منصور عن ابن معين كان ثقة وقال علي بن المديني كـان يحيى بن سعيد القـطان لا يحدث عنه . وقال النسائي حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبي زرعة السيباني عن أبي سكينـة رجل من البحـرين عن رجل من أصحـاب النبي ﷺ قال لمـا أمـر رسـول الله ﷺ بحفـر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي ﷺ وأخذ المعول ووضـع رداءه نـاحية الخنـدق وقال : ﴿وتَمَّتْ كَلِمَـةُ رَبِّكَ صِـدْقـاً وعَـدْلاً لا مُبَـدِّلَ لِكَلِمـاتِـهِ وَهُـوَ السَّمِيـعُ العَلِيمُ﴾(1) فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقـة ثم ضرب الثانية وقال وتمت كلمـات ربك صـدقاً وعـدلاً لا مبدل لكلمـات الله وهو السميـع العليم فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآهـا سلمان ثم ضـرب الثالثـة وقال وتمت كلمـات ربك صـدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الباقي وخـرج رسول الله ﷺ فـأخذ رداءه وجلس فقال سلمان : يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة الا كانت معها برقة قال رسول الله ﷺ يا سلمان رأيتَ ذلك ؟ قـال أي والذي بعثـك بالحق يـا رسول الله قـال فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني فقال له من حضره من أصحابه يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصـر وما حـولها حتى رأيتهـا بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم فـدعا ثم قـال ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتىٰ رأيتهـا بعيني . ثم قال رسول الله ﷺ : « دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا التـرك ما تـركوكم » هكـذا رواه النسائي مطولاً وانما روى منه أبو داود دعوا الحبشة ما ودعوكم واتـركوا التـرك ما تـركوكم عن عيسى بن محمد الرملي عن ضمـرة بن ربيعة عن أبي زرعـة يحيى بن أبي عمرو السيبـاني به ثم قـال ابن اسحـاق وحدثني من لا أتهم عن أبي هـريرة انـه كان يقـول حين فتحت هذه الامصـار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفـاتيحها قبـل ذلك . وهـذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه ولله الحمد فقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقـول بعثت بجوامـع الكلم ونصرت بـالرعب وبينـا أنا نـائم أتيت بمفـاتيـح خـزائن الأرض فوضعت في يدي . وقد رواه البخاري منفرداً به عن يحيى بن بكير وسعد بن عقيـر كلاهمـا عن الليث به وعنده قال أبو هريرة فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها وقال الامام أحمد حدثنا يـزيد

(1) سورة الانعام الآية ١١٥ .

حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتلت في يدي . وهذا اسناد جيد قوي على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفي الصحيحين اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله . وفي الحديث الصحيح ان الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها .

فَصــل :

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقمي الى جانب أحد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام[1] قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، قلت وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاؤُكُم مِنْ فَوْقِكُم وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُم وَقَدْ زَاغَتِ الأَبْصارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونَا ﴾[2] . قال البخاري : حدّثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُم وإِذْ زَاغَتِ الأَبْصار ﴾[3] قالت ذلك يوم الخندق . قال موسى بن عقبة ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم . قال ابن اسحاق وخرج حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لي . قال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءً وصدقا . قال ويحك افتح لي أكلمك . قال ما أنا بفاعل . قال والله إن أعلقت دوني الا خوفاً على جشيشتك[4] أن آكل معك منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام قال وما ذاك قال جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه . فقال كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام[5] قد هراق

(١) الآطام : حصن من الحجارة .
(٢) سورة الاحزاب الآية العاشرة .
(٣) سورة الاحزاب الآية العاشرة .
(٤) جشيشتك : طعام يصنع من القمح .
(٥) جهام : سحاب لا ماء فيه .

ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فاني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقا وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ومعاقدتهم اياه على نصره وقال : اذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه . قال ابن اسحاق فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذورة والغارب حتى سمع له - يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ وفي محاربته مع الأحزاب - على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد العهد وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم ان هم رجعوا ولم يناجزوا محمدا ، قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم . فنازلهم حيي على ذلك . فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد الا بني سعنة أسد وأسيد وثعلبة فانهم خرجوا الى رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : فلما انتهى الخبر الى رسول الله ﷺ والى المسلمين بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم فان كان حقاً فالحنوا [1] لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد المسلمين وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال فخرجوا حتى أتوهم . قال موسى بن عقبة فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم الى الموادعة وتجديد الحلف فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بني النضير) ونالوا من رسول الله ﷺ فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ انا والله ما جئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشاتمة ، ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال انكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمرَّ منه . فقالوا أكلت أير أبيك . فقال غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن . وقال ابن اسحاق : نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمدٍ . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم لما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارَةُ أي كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين . قال موسى بن عقبة ثم تقنع رسول الله ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا أنه لم يأته عن بني قريظة خير . ثم انه رفع رأسه وقال ابشروا بفتح الله ونصره . فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمي بالنبل والحجارة قال

(١) الحنوا : قولوا لي قولاً افهمه .

سعيد بن المسيب قال رسول الله ﷺ : اللهم اني أسألك عهدك ووعدك اللهم ان تشأ لا تعبد .
قال ابن اسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط . وحتى قال أوس بن قيظي : يا رسول الله أن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه فأذن لنا أن نرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة . قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ الَّا غُرُوْرَا . وإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُم يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيْقٌ مِنْهُم النَبيّ يَقُولُون إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُوْنَ الَّا فَرارا ﴾[1] .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله ﷺ مرابطاً وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن الزهري الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان واعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث الى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة و كالبوكم [2] من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمرٍ مًّا . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قِرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ﷺ : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا . قال فأقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش ـ منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس أحد بني عامر بن لؤيّ ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر ـ تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيَّأوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون مَن

(١) سوره الاحزاب الآيتان ١٢ و١٣ .

(٢) كالبوكم : احاطوا بكم

الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق [1] بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثخنته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليُرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : يا عمرو انك كنتَ عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا أخذتها منه ، قال أجل . قال له عليّ : فاني أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فاني أدعوك الى النزال . قال له : لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك . فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا فقتله عليّ رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة . قال ابن اسحاق وقال عليّ بن أبي طالب في ذلك :

نصرَ الحجارةَ من سفاهة رأيه ... ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصواب
فصدرتُ حين تركتُه متجدِّلا [2] ... كالجذع بين دكادِك [3] وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو أنني ... كنتُ المقطَّر بَزَّني أثوابي
لا تحسبنَّ الله خاذلَ دينِه ... ونبيِّه يا معشَرَ الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعليّ . قال ابن هشام : وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال في ذلك حسان بن ثابت :

فرَّ وألقى لنا رمحَه ... لعلّك عكرمٌ لم تفعلِ
ووليتَ تعدو كعدْو الظَّليـ ... ـم ما أن يحوَّر عن المعدلِ
ولم تلوِ ظهرَك مستأنِساً ... كأنَّ قفاكَ قفا فَرْعَل [4]

قال ابن هشام : الفراعل صغار الضّباع . وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن اسحاق في موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام عليّ بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : انه عمرو ، أجلس . ثم

---

(١) تعنق : تميل .
(٢) متجدلا : مرميا .
(٣) دكادك : ارض صعبة .
(٤) فرعل : صغار الضباع .

نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إليَّ رجلا ؟ فقام عليّ فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بححتُ من النداءِ لِجَمعِهم هلْ من مُبارز
ووقفتُ إذ جَبُنَ المشجَّعُ موقفَ القِرنِ المناجز
ولذاكَ إني لم أزلْ متسرِّعاً قَبْلَ الهَزَاهز
انّ الشجاعةَ في الفتى والجودُ من خَيرِ الغرائز

قال فقام عليّ رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : انه عمرو ، فقال وان كان عمراً . فأذن له رسول الله ﷺ فمشى اليه حتى أتى وهو يقول :

لا تَعْجَلَنَّ فقد أتاك مجيبُ صوتِك غيرُ عاجز
في نيَّةٍ وبصيرةٍ والصدقُ مَنجَى كل فائز
إني لأرجو أن أقيـ ـمَ عليك نائحةَ الجنائز
من ضربةٍ نجلاء يبقى ذكرُها عند الهزاهز[1]

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا عليّ ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا عليّ بن أبي طالب . فقال : يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فاني أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له عليّ : لكني والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو عليّ مغضباً واستقبله عليٌّ بدرقته فضربه عمرو في درقته فقدَّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه عليٌّ على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرفنا أن علياً قد قتله . فثمَّ يقول علي :

أعليَّ تقتحمُ الفوارسَ هكَذا عنّي وعنهُم أخّروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي ومصمَّم في الرأس ليس بنابي

إلى ان قال :

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت ربَّ محمدٍ بصواب

الى آخرها . قال ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلاَّ استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه ، قال وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق :

---

(١) الهزاهز : الحروب والشدائد .

وذكر ابن اسحاق فيما حكاه عن البيهقي أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات في الخندق ؛ وبعث المشركون الى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال هو لكم لا نأكل ثمن الموتى . وقال الامام أحمد حدَّثنا نصر بن باب حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلا من المشركين فأعطوا بجيفته مالا ، فقال رسول الله ﷺ ادفعوا اليهم جيفته فانه خبيث الجيفة خبيث الدية ، فلم يقبل منهم شيئاً . وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حجاج وهو ابن أرطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قتل يوم الأحزاب فبعثوا الى رسول الله ﷺ أن ابعث الينا بجسده ونعطيهم اثني عشر ألفا فقال رسول الله ﷺ « لا خير في جسده ولا في ثمنه » . وقد رواه الترمذي من حديث سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب . وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين انما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل وعرضوا عليه الدية فقال : « إنه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته . فلا أرب لنا في عبد الله بن المغيرة المخزومي فسأل المبارزة فخرج اليه الزبير ابن العوام فضربه فشقه باثنتين حتى فلَّ في سيفه فلًّا وانصرف وهو يقول :

انـي امـرؤ أحـمـي وأحـتـمـي[1] عـن الـنـبـي الـمـصـطـفى الأمّي

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل اليه عليٌّ فقتله وطلب المشركون رمته من رسول الله ﷺ بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئا ومكّنهم من أخذه اليهم وهذا غريب من وجهين . وقد روى البيهقي من طريق حماد بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم ومعي عمر بن أبي سلمة فجعل يطأطىء لي فاصعد على ظهره فأنظر قال فنظرت الى أبي وهو يحمل مرَّة هاهنا ومرة هاهنا فما يرتفع له شيء الا أتاه فلما أمسى جاءنا الى الأطم قلت يا أبة رأيتك اليوم وما تصنع قال ورأيتني يا بني قلت، نعم قال فدى لك أبي وأمي . قال ابن اسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت فمر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرفل بها ويقول :

لبِّثْ قليلاً يشهدِ الهيجَا جَمَلْ لا بأسَ بالموتِ إذا حَانَ الأجل

---

(١) هكذا في النسخ .

فقالت له أمه الحق بني فقد والله أخرت . قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . قالت وخفتُ عليه حيث أصاب السهم منه . فرُمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل . قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حيان ابن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها مني وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد عرق الله وجهك في النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فانه لا قوم أحب الي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقرعيني من بني قريظة . قال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعداً يومئذ الا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل :

أعكرمُ هلّا لَمتني إذ تقولَ لي ... فِدَاكَ بآطامِ المدينةِ خالدَ
ألستُ الذي ألزمت سعداً مَريشة ... لها بين أثناءِ المرافقِ عاند
قضى نحبَه منها سعيدَ فأعولت ... عليه مع الشمطِ(١) العَذارى النواهدَ
وأنتَ الذي دافعتَ عنهُ وقد دعا ... عبيدة جمعاً منهمُ إذ يكابد(٢)
على حين ما هم جائر عن طريقهِ ... وآخرُ مرعوبٌ عن القصدِ قاصد

قال ابن اسحاق والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن هشام ويقال ان الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان قلت وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتي بيانه فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم حتى قال له رسول الله ﷺ لقد حكمتَ فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة . قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم الينا اذ أتانا آت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه فأنزل اليه فأقتله . قال يغفر الله لكِ يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزتُ ثم أخذت عموداً ثم نزلت

---

(١) الشمط : العجائز الشائبات .
(٢) يكابد : يتحمل المشاق في العمل .

من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغتُ منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان أنزل فاستلبه فانه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال مالي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب . قال موسى بن عقبة وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدري أتم أم لا قال ووجهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فقاتلوهم يوماً الى الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفأت الكتيبة مع الليل فزعموا ان رسول الله ﷺ قال شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم وفي رواية وقبورهم نارا . فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول « والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة واني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله إليَّ مفاتيح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقُن كنوزهما في سبيل الله » .

وقد قال البخاري : حدثنا اسحاق حدثنا روح حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن عليّ عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجة من طرق عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي به ورواه مسلم والترمذي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حسان الاعرج عن عبيدة عن على به وقال الترمذي حسن صحيح. ثم قال البخاري حدثنا المكيُّ بن ابراهيم حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله ما كدت أن أصلّي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ﷺ والله ما صليتها فنزلنا مع رسول الله ﷺ بطْحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلّى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلّى بعدها المغرب. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس قال قاتل النبي ﷺعدواً فلم يفرغ منهم حتى أخر العصر عن وقتها فلما رأى ذلك «اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملأ بيوتهم ناراً واملأ قبورهم ناراً » ونحو ذلك تفرد به احمد وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره . وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الوُسْطَى وقُومُوا للّهِ قَانِتِينَ ﴾[1] وقد استدل طائفةبهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٨ .

لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والاوزاعي وقد بوب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب الى بني قريظة - كما سيأتي - «لايصلينّ أحد العصر إلا في بني قريظة » وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ومنهم من لم يصلّ إلا في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقتراب فتح الحصن . وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور منهم الشافعي هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا أخروها يومئذ وهو مشكل قال ابن اسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبيﷺ صلّى صلاة الخوف بعُسفان وقد ذكرها ابن اسحاق وهو امام في المغازي قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالله أعلم. وأما الذين قالوا ان تأخير الصلاةيوم الخندق وقع نسيانا كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظةالصلاةكيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء من روايةأبي هريرةوأبي سعيد قال الإمام حدثنا يزيد وحجاج قالا حدثنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هويّ من الليل حتى كفينا وذلك قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ المؤْمِنِيْنَ القِتَالَ وكَانَ اللَّهُ قَوِّياً عِـزْيزاً ﴾[1] قال فدعا رسول الله ﷺ بلالاً فأمره فأقام فصلّى الظهر كما كان يصليها في وقتها ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل ان ينزل. قال حجاج في صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا وقد رواه النسائي عن الفلّاس عن يحيى القطان عن ابن أبي ذئب به قال شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره وقال أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الزبير عن نافع بن جبير عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله قال فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلّى الظهر ثم أقام فصلّى العصر ثم أقام فصلّى المغرب ثم أقام فصلّى العشاء : وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا مؤمل يعني ابن اسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن عبد الكريم يعني ابن ابي المخارق عن مجاهد عن جابر بن عبد الله أن النبيﷺ شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلّى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلّى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلّى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء ثم قال « ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » تفرد به البزار وقال لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله .

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٢٥ .

فصل في دعائه عليه السلام على الأحزاب

قال الإمام أحمد : حدثنا ابو عامر حدثنا الزبير ـ يعني ابن عبد الله ـ حدثنا ربيح بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ، قال «نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح . وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن أبي عامر ـ وهو العقدي ـ عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان.عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد فذكره وهذا هو الصواب. وقال الإمام أحمد حدثنا حسين عن ابن أبي ذئب عن رجل من بني سلمة عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ أتى مسجد الاحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصلّ قال ثم جاء ودعا عليهم وصلى . وثبت في الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الاحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم . وفي رواية اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم . وروى البخاري عن قتيبة عن الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ كان يقول : « لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده » وقال ابن اسحاق وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيانهم اياهم من فوقهم ومن أسفل منهم . قال ثم أن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاَوَه بن أشجع بن ريث ابن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أني قد أسلمت وأن قومي لم يعلموا بأسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله ﷺ «إنما أنت فينا رجل واحد ، فَخَذِّل عنا أن استطعت ، فأن الحرب خدعة » فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال: يابني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم ان قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدُهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أصابوها وأن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا لقد أشرت بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً ، وانه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني . قالوا نفعل قال تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذلك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم

فنعطيكم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم . فأرسل اليهم أن نعم . فان بعثتّ اليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنكم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناس إليَّ ولا أراكم تتهموني. قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا عني قالوا نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلةالسبت من شوال سنةخمس وكان من صنيع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤ وس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم انا لسنا بدار مقام هلك الخف والحافر فاعدّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فانا نخشى ان ضرستكم [1] الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت اليهم الرسل. بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله أن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحقّ. فأرسلوا إلى بني قريظة : انا والله لاندفع اليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا أن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فأن رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا الى قريش وغطفان إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم .

وهذا الذي ذكره ابن اسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة . وقد أورده عنه البيهقي في الدلائل فانه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث، فاتفق انه مر برسول الله ﷺ ذات يوم عشاء ، فأشار إليه أن تعال ، فجاء فقال : ما وراءك : فقال : أنه قد بعثت قريش وغطفان الى بني قريظة يطلبون منهم ان يخرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت قريظة فأرسلوا إلينا بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حي بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال فقال له رسول الله ﷺ : إني مُسرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره ، قال: انهم قد أرسلوا إليَّ يدعونني إلى الصلح وأردُّ بني النضير الى دورهم وأموالهم؛ فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان . وقال رسول الله ﷺ «الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا » فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة

---

(١) ضرستكم : اشتدت عليكم .

عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلّت اليهود بالسبت . ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا. قلت : وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله ﷺ يريدون منه الصلح على أن يرد بني النضير إلى المدينة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فلما انتهى الى رسول الله ﷺ ما أختلف من أمرهم وما فرق الله من جمعهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال: نعم يا ابن أخي ، قال فكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجتهد ، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على أعناقنا، قال فقال حذيفة : يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هوِيّا [1] من الليل ثم التفت الينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة ـ أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد، فلما لم يقم أحد دعاني، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال: يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فأنظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ، قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقرّ لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه. قال حذيفة فأخذتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت من أنت ؟ قال فلان ابن فلان ؛ ثم قال: يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل، ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فماأطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ لا تحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت الى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط [2] لبعض نسائه مرحّل فلما رآني أدخلني الى رجليه وطرح عليّ طرف المرط ثم ركع وسجد واني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم . وهذا منقطع من هذا الوجه . وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه من حديث الاعمش عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال له رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال له

---

(١) هوياً : ردحاً .

(٢) مرط : ماوى .

حـذيفة: أنت كنت تفعـل ذلك ؟ لقـد رأيتنا مـع رسول الله ﷺ ليلة الاحـزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله ﷺ ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يـوم القيامة ؟ فلم يجبـه منا احد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال: يا حـذيفة قم فـأتنا بخبـر القوم ، فلم أجـد بّداً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال ائتني بخبر القوم ولا تـذعـرهم[1] عليَّ . قال فمضيت كأنما أمشي في حَمّام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يُصْلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تذعر هم عليَّ، لو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمـام فـأتيت رسول الله ﷺ فـأصابني البـرد حين رجعت وقـررت فأخبـرت رسـول الله ﷺ وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ابـرح نائـماً حتى الـصبح ، فلما أن أصبحت قـال رسول الله ﷺ : قم يانومان :

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطـاً من حديث عكـرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤ لي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهـدهم مع رسول الله ﷺ فقـال جلساؤه : أمـا والله لوكنـا شهدنـا ذلك لكنـا فعلنا وفعلنـا فقال حـذيفة لا تمنّوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينـا وما أتت علينـا ليلة قط أشد ظلمـة ولا أشد ريحـا منها في أصـوات ريحهـا أمثال الصـواعق وهي ظلمة مـا يرى أحـدنا اصبعـه فجعل المنـافقون يستـأذنـون النبي ﷺ ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه احد منهم إلا أذن له ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلا رجلا حتى أتى عليّ ومـا عليَّ جُنـةٌ من العدو ولا من البرد إلاَ مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي قال : فأتاني وأنا جاث عـلى ركبتي فقال: من هـذا ؟ فقلت حذيفة فقال حذيفة ! فتقاصرت للارض فقلت : بلى يا رسـول الله كراهيـة ان أقوم فقمت فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم. قال: وأنا من أشد الناس فزعاً وأشـدهم قراً قـال: فخرجت فقال رسول الله ﷺ «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينـه وعن شمالـه ومن فوقه ومن تحته» قال فوالله ما خلق الله فزعا ولا قراني جوفي إلا خرج من جوفي فما أجد فيه شيئاً .
قال فلما وليت قال: يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئاً حتى تـأتيني. قال: فخـرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نـار لهم توقـد واذا رجل أدهم ضخم يقـول بيديـه على النـار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي أبيض

(١) تذعرهم : تخيفهم .

الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه بـه في ضوء النـار فذكـرت قول رسـول الله ﷺ لاتحدثن فيهم شيئـاً حتى تأتيني فـأمسكت ورددت سهمي الى كنانتي ثم أني شجعت نفسي حتى دخلت العسكـر فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقـام لكم . وإذا الريـح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبـراً فوالله اني لأسمـع صوت الحجـارة في رحالهم وفـرشهم الريـح تضـرب بها ثم أني خـرجت نحو رسـول الله ﷺ فلما انتصفت بي الطريق أو نحـو من ذلك إذا أنـا بنحـو من عشرين فـارساً أو نحـو ذلك معتمـين فقالـوا : أخبر صـاحبك ان الله قـد كفاه . قـال فرجعـت إلى رسول الله ﷺ وهـو مشتمل في شملة يصـلّي فـوالله مـا عـدا أن رجعت راجعني القر وجعلت أقـرقـف[1] فـأومأ إليَّ رسـول الله ﷺ بيده وهو يصـلي فدنـوت منه فأسبل عليَّ شملته ؛ وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلّى . فأخبرتـه خبر القـوم ، أخبرتـه أني تركتهم يـرحلون قال وأنزل الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اذكُروا نِعْمَةَالله عَلَيْكُم إِذْ جَاءَتْكَم جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمَ رِيْحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيْراً ﴾[2] يعني الآيات كلها الى قوله : ﴿ وردَّ اللَّهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِم لَمْ يَنَالوا خَيْراً وكَفَى اللَّهُ المؤْمِنِيْنَ القِتَـالَ وَكَانَ اللَّهُ قوياً عَزِيـزاً ﴾[3] أي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي ارسلهـا عليهم والجنود من المـلائكة وغيـرهم التي بعثها الله إليهم وكفى الله المؤمنين القتال أي لم يحتاجوا الى منازلتهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوتـه .

لهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرةقال: كان رسول الله ﷺ يقول : لا إله إلا الله وحده صدق وعـده ونصر عبـده وأعز جنـده وهزم الاحـزاب وحده فـلا شيء بعده . وفي قـوله : ﴿وكفى الله المؤمنين القتال ﴾[4] اشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم وهكذا وقع ولم ترجـع قريش بعـدها الى حرب المسلمين كما قال محمـد بن اسحاق رحمـه الله ، فلما انصرف أهـل الخندق عن الخنـدق قال رسـول الله ﷺ فيما بلغنـا : لن تغزوكم قـريش بعد عـامكم ولكنكم تغزونهم . قـال : فلم تغـز قريش بعد ذلك وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن إسحاق . وقد قال الإمام أحمد حدثنـا يحيى عن سفيان حـدثني أبو اسحـاق سمعت سليمان بن صـرد رضي الله يقول قال رسول الله ﷺ : الآن نغزوهم ولا يغزوننا. وهكـذا رواه البخاري من حـديث اسرائيـل وسفيـان الثوري كـلاهما عن أبي اسحـاق السبيعي عن سليمان بن صـرد بـه قـال ابن اسحـاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بني عبد الاشهل وهم سعـد بن معاذ ـ وستـأتي وفاتـه مبسـوطة ـ وأنس بن أوس بن عتـك بن‌عمرووعبـد الله بن سهل والـطفيل بن النعمـان وثعلبة بن غنمـة الجشميان السلميـان وكعب بن زيد البخـاري أصابـه سهم غرب فقتله . قـال : وقتـل من المشركين ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه

---

(١) اقرقف : ارتجف .

(٢) سورة الاحزاب الآية ٩ .

(٣) نفس السورة الآية ٢٥ .

بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمن كبير كما تقدم وعمرو بن عبدود العامري قتله علي بن أبي طالب. قال ابن هشام : وحدثني الثقة انه حدث عن الزهري أنه قال: قتل عليٌّ يومئذ عمرو بن عبدود وابنه حسل بن عمرو قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبدود ويقال عمرو بن عبد .

فصل في غزوة بني قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدَّ الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ وممالأتهم الأحزاب عليه فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وباؤوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وقد قال الله تعالى : ﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾[1] قال البخاري حدّثنا محمد بن مقاتل حدّثنا عبد الله حدّثنا موسى بن عقبة عن سالم ونافع عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيكبر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثني الزهري معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، فقال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فأني عامد إليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس : منْ كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

---

(١) ورد ذكرها سابقاً

وقال البخاري : حدثني عبد الله بن أبي شيبة حدثنا ابن نُمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه ! فاخرج إليهم ، قال فإلى أين ؟ قال ها هنا وأشار إلى بني قريظة ، فخرج النبي ﷺ وقال أحمد : وحدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاء جبريل فرأيته من خلل البيت قد عصَّب رأسه الغبار ، فقال: يا محمد أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال : وضعنا أسلحتنا فقال : انا لم نضع أسلحتنا بعد انهَدْ[1] إلى بني قريظة ، ثم قال البخاري : حدثنا موسى حدثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك قال كأني أنظر الى الغبار ساطعاً في زقاق بني غَنم موكبَ جِبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة . ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد بن اسماء حدثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي لم يُرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنّف واحداً منهم . وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به. وقال الحافظ البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن خالد بن علي حدثنا بشر بن حرب عن أبيه حدثنا الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الاحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستحم ، فتبدَّى له جبريل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد ، قال فوثب النبي ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر إلا في بني قريظة . قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة فإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ فليس علينا اثم وصلى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين . ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في البيت فقام رسول الله ﷺ فزعاً وقمت في أثره فإذا بدحية الكلبي ، فقال : هذا جبريل أمرني أن أذهب الى بني قريظة وقال : قد وضعتم السلاح لكنا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى

(١) انهد : اسرع في القتال .

بلغنا حمراء الاسد وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق فقام رسول الله ﷺ فزعاً وقال لأصحابه : عزمت عليكم أن لا تُصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : ان رسول الله ﷺ لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا ، وقالت طائفة : والله إنا لفي عزيمة رسول الله ﷺ وما علينا من إثم ، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ولم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله ﷺ فمرّ بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا مرّ علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب فحاصرهم النبي ﷺ وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم ، فناداهم يا اخوة القردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحاشا ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم . ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها . وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو؟ بل الاجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف . فقالت طائفة من العلماء : الذين أخّروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون ، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً . قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصلَ العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماش على قاعدته الاصلية في الأخذ بالظاهر . وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لمّا أدركتهم وهم في مسيرهم همُ المصيبون لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير الى بني قريظة لا تأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الادلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم باعادة الصلاة في وقتها التي حولت اليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخّروا فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه . وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا فلا إشكال على من أخّر ولا على من قدَّم أيضاً والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وقدَّم رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ومعه رايته وابتدرها الناس . وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينما رسول الله ﷺ في مغتسله كما يزعمون قد رجّل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له جبريل : غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟

قال نعم . فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدوّ وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله ـ ويقولون ان على وجه جبريل لأثر الغبار ـ فقال له جبريل : ان الله قد أمرك بقتال بني قريظة فأنا عامد إليهم بمن معي من الملائكة نزلزل بهم الحصون فأخرج بالناس ، فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل فمر على مجلس بني غنم وهم ينتظرون رسول الله ﷺ فسألهم فقال : مرّ عليكم فارس آنفاً ؟ قالوا مرَّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه اللأمة ، فذكروا أن رسول الله ﷺ قال : ذاك جبريل ، وكان رسول الله ﷺ يشبّه دحية الكلبي بجبريل ، فقال الحقوني ببني قريظة فصلوا فيهم العصر ، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا إلى بني قريظة فحانت صلاة العصر وهم بالطريق فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة ، فصلّى منهم قوم وأخّرت طائفة الصلاة حتى صلّوها في بني قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله ﷺ من عجّل منهم الصلاة ومن أخرّها فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعنّف واحداً من الفريقين . قال فلما رأى عليٌّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود ، وكان عليّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه رضي الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : لم تأمرني بالرجوع ؟ فكتمه ما سمع منهم فقال : أظنك سمعت فيّ منهم أذى فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت ، فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيبوا يا معشر يهود يا اخوة القردة قد نزل بكم خزي الله عز وجل ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حيي بن أخطب حتى دخل حصن بني قريظة وقذف الله في قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر ـ وكانوا حلفاء الأنصار ـ فقال أبو لبابة لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ قد أذنت لك ، فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فإنه لا طاقة لنا بالقتال ؛ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه وأمرّ عليه أصابعه ، يريهم إنما يراد بهم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سقط في يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أُحدث لله توبة نصوحاً يعلمها الله من نفسي ، فرجع إلى المدينة فربط يديه الى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة، فقال رسول الله ﷺ حين غاب عليه أبو لبابة : أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ، فذكر له ما فعل ؟ فقال : لقد أصابته بعدي فتنة ولو جاءني لاستغفرت له وإذ قد فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضي الله فيه ما يشاء . وهكذا رواه ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة وكذا ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهري ومثل رواية أبي الاسود عن عروة . قال ابن اسحاق ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها بئر اني فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف في

قلوبهم الرعب وقد كان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون واني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا بما شئتم منها . قالوا وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره . قال فإذا أبيتم عليَّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء. قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم عليّ هذه فالليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة . قالوا أنفسد سبتنا وتحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخفَ عنك من المسخ فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً . ثم انهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره في أمرنا . فأرسله رسول الله ﷺ فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت . وعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ولا أُرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً . قال ابن هشام وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمنوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولُ وتَخُونُوا أمانَاتِكُمْ وأنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) . قال ابن هشام : أقام مرتبطاً ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى :﴿ وآخرون اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى الله أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنَّ اللَّهَ غَفُوْرٌ رَحِيمٌ﴾(٢) وقول موسى بن عقبة انه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به والله أعلم . وذكر ابن اسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم سلمة فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة فاستأذنته أن تبشره فأذن لها فخرجت فبشرته فثار الناس اليه يبشرونه وأرادوا أن يحلوه من رباطه فقال والله لا يحلني منه إلا رسول الله ﷺ فلما خرج رسول

---

(١) سورة الانفال الآية ٢٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٢ .

الله ﷺ إلى صلاة الفجر حله من رباطه رضي الله عنه وأرضاه قال ابن اسحاق ثم ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدي القرظي فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال من هذا ؟ قال أنا عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن سلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب لم يُدر أين توجه من الأرض الى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . قال وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة[1] فيمن أوثق من بني قريظة فأصبحت رمته ملقاة ولم يدر أين ذهب فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة والله أعلم أي ذلك كان . قالَ ابن اسحاق فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله انهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي اخواننا بالأمس مَا قد علمت يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن أبيّ كما تقدم . قال ابن اسحاق فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوي الجرحى فلما حكّمه في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم وكان رجلاً جسيماً جميلاً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ قوموا الى سيدكم فأما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد الانصار واما الانصار فيقولون قد عم رسول الله ﷺ المسلمين فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ها هنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ اجلالاً له فقال رسول الله ﷺ نعم قال فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء . قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال قال رسول الله ﷺ لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . وقال ابن هشام حدثني من أثق به من أهل العلم ان علي بن أبي طالب

---

(١) رمة : حبلٌ بال .

صالح وهم محاصرو بني قريظة يا كتيبة الايمان وتقدم هو والزبير بن العوام وقال والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو اقتحم حصنهم فقالوا يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ . وقد قال الامام أحمد حدّثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت أبا امامة بن سهل سمعت أبا سعيد الخدري قال نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ قال فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ : قوموا لسيدكم أو خيركم . ثم قال ان هؤلاء نزلوا على حكمك قال نقتل مقاتلتهم ونسبي ذريتهم قال فقال رسول الله ﷺ قضيتَ بحكم الله . وربما قال قضيت بحكم الملك وفي رواية الملك . أخرجاه في الصحيحين من طرق عن شعبة وقال الامام أحمد حدّثنا حجين ويونس قالا حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال رمى يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله (فحسمه)[1] رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده فنزفه فحسمه أخرى فانتفخت يده فنزفه فلما رأى ذلك قال اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد فأرسل اليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم يستعين بهم المسلمون فقال رسول الله ﷺ أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات . وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام أحمد حدّثنا ابن نمير عن هشام أخبرني أبي عن عائشة قالت لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال قد وضعتَ السلاح فوالله ما وضعتها أخرج اليهم . قال رسول الله ﷺ فأين قال ها هنا وأشار إلى بني قريظة فخرج رسول الله ﷺ اليهم . قال هشام فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ فرد الحكم فيهم الى سعد قال فإني أحكم أن تقتل المقاتلة ونسبى النساء والذرية وتقسم اموالهم . قال هشام قال أبي فأخبرت ان رسول الله ﷺ قال لقد حكمت فيهم بحكم الله . وقال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عبد الله بن نُمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حِبّان بن العرقة رماه في الاكحل فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعته أخرج إليهم . قال النبي ﷺ فأين فأشار الى بني قريظة فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذريةوأن تقسم أموالهم قال هشام فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال اللهم انك تعلم أنه ليس أحد أحب إلى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك وان كنت وضعت

---

(١) حسم : قطعه ثم كواه .

الحرب فافجرها واجعل موتي فيها . فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها . وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نمير به . قلت كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ولهذا قال فيه ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فاستجاب الله له فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أيّ قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضي الله عنه وأرضاه . وسيأتي ذكر وفاته قريباً ان شاء الله . وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً جداً وفيه فوائد فقال حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرتني عائشة قالت خرجت يوم الخندق أقفو [1] الناس فسمعت وئيد الأرض ورائي فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه ، قالت فجلست الى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد ، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول :

لبّث قليلاً يدْرِك الهيجا جمَلْ ... ما أحسن الموتَ إذا حانَ الاجل

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فاذا نفر من المسلمين فاذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة له تعني المغفر فقال عمر: ما جاء بك والله انك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوّز [2] فما زال يلومني حتى تمنيت ان الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل السبغة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله فقال: يا عمر ويحك انك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار الا إلى الله عز وجل . قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش يقال له ابن العرقة وقال خذها وأنا ابن العرقة فاصاب أكحله فقطعه فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقأ كلمه وبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم [3] ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد في المسجد قالت : فجاء جبريل وأن على ثناياه لنقع الغبار فقال: أقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن في الناس بالرحيل ان يخرجوا فمر على بني غنم ، وهم جيران المسجد حوله فقال: من مرَّ بكم ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلبي ـ وكان دحيةُ الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام ـ

---

(١) اقفو : اتبع الاثر .

(٢) تحوز : هزيمه .

(٣) الصياصي : الحصون وكل ما امتنع فيها .

فاتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتـد البلاء قيـل لهم انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فاشار اليهم أنه الذبح قالوا ننزل على حكم سعـد بن معاذ فقـال رسول الله ﷺ انـزلوا على حكم سعـد بن معاذ، فأتي به على حمار عليه اكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت قالت ولا يرجع اليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لي أن لا أبـالي في الله لومـة لائم . قـالت : قـال أبو سعيـد: فلما طلع قال رسول لله ﷺ: قوموا إلى سيدكم فانزلوه قال عمر : سيدنا الله ، قال: انزلوه ، فانزلوه . قال رسول الله ﷺ : أحكم فيهم ، فقال سعد : فاني احكم فيهم أن تقتـل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أمـوالهم فقال رسـول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسـوله ثم دعـا سعد فقـال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيـك من حـرب قـريش شيئـاً فـأبقني لهـا وان كنت قـطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك قالت : فانفجر كلمه وكان قد برىء حتى لا يُرى منـه الا مثل الخـرص[1] ورجـع الى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة : فحضره رسـول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت : فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله « رحماء بينهم » قال علقمة : فقلت يا أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان اذا وجد فـانما هـو آخذ بلحيتـه .
وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة، وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين مـرة قبل حكمه في بني قريظة ومرة بعد ذلك كما قلناه أولاً ولله الحمد والمنة وسنـذكر كيفيـة وفاتـه ودفنه وفضله في ذلك رضي الله عنه وأرضاه بعد فـراغنا من القصـة . قال ابن اسحـاق : ثم استنزلـوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار قلت : هي نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله ابن عـامر بن كـريز، ثم خـرج ﷺ الى سوق المـدينة فخنـدق بها خنـادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق فخرج بهم إليه ارسالا وفيهم عدو الله حي بن أخـطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائـة. والمكثر لهم يقـول كانـوا ما بين الثمـانمائـة والتسعمائـة. قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث. عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا اربعمائةفالله أعلم. قـال ابن اسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسـول الله ﷺ ارسالاً : يـا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينـزع ومن ذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل. فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم وأتى بحيى بن أخطب وعليه حلة لـه فقاحية[2] قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل. فلما

---

(١) الخرص : الجوع او البرد.

(٢) فقاحية : قال ابن هشام : ضرب من الوشي .

نظر إلى رسول الله ﷺ قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس ، انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبي .

لعمرُك مالامَ ابنُ أخطبَ نفسهُ ولكنّه مَنْ يَخذِلِ اللّهُ يُخذلِ
لجاهدَ حتى أبلغَ النفسَ عُذْرَها (وقلقَلَ)(1) يبغي العز كلَّ مقلقل

وذكر ابن اسحاق قصة الزبير بن باطا وكان شيخاً كبيراً قد عمى وكان قد منَّ يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال: هل تعرفني يا أبا عبد الرحمن؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك فقال له ثابت أريد ان أكافئك فقال: ان الكريم يجزي الكريم فذهب ثابت الى رسول الله ﷺ فاستطلقه فاطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال شيخ كبير لا أهل ولا ولد فما يصنع بالحياة فذهب الى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده فأطلقهم له ثم جاءه فقال أهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت الى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزبير بن باطا فأطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال له يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى حي كعب بن أسد ؟ قال: قتل . قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيى بن أخطب ؟ قال قتل ، قال: فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا : عزال بن شموال ، قال: قتل. قال فما فعل المجلسان ؟ - يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة - قال: ذهبوا قتلوا ، قال فاني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، فقدمه ثابت فضربت عنقه ، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الاحبة » قال «يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً » قال ابن اسحاق «فيلة » بالفاء والياء المثناة من أسفل وقال ابن هشام بالقاف والباء الموحدة. وقال ابن هشام : الناضح البعير الذي يستقى عليه الماء لسقي النخل، وقال ابو عبيدة: معناه افراغة دلو .

قال ابن اسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد امر بقتل كل من انبت منهم . فحدثني شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من انبت منهم وكنت غلاماً فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي. ورواه اهل السنن الاربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي نحوه. وقد استدل به من ذهب من العلماء الى أن انبات الشعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ بل هو بلوغ في أصح قولي الشافعي. ومن العلماء من يفرق بين ضبيان أهل الذمة يكون بلوغاً في حقهم دون غيرهم لان

(1) قلقل : ضرب في الأرض .

المسلم قد يتأذى بذلك المقصد. وقد روى اسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن ان سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن شموال، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله أن رفاعة يزعم أنه سيصُلي ويأكل لحم الجمل. فأجابها الى ذلك فأطلقه . قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت والله انها لعندى تحدث معي تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق إذ هتف باسمها اين فلانة ؟ قالت أنا والله، قالت قلت لها: ويلك مالك ؟ قالت أقتل! قلت ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت فانطلق بها فضربت عنقها . وكانت عائشة تقول فوالله ما انسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل. وهكذا رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . قال ابن اسحاق : هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ، يعني فقتلها رسول الله ﷺ به . قال ابن اسحاق. في موضع آخر وسماها نباتة امرأة الحكم القرظي. قال ابن اسحاق. ثم أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس، وقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين للفرس وسهماً لراكبه وسهماً للراجل. وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين. قال وكان اول فيء وقعت فيه السهمان وخمس . قال ابن اسحاق: وبعث رسول الله ﷺ سعيد بن بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا. وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بني عمرو بن قريظة وكان عليها حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الاسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسُرّ رسول الله ﷺ باسلامها وقد عرض عليها ان يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون اسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام، ثم تكلم ابن اسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الاحزاب. وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها ولله الحمد والمنة . وقد قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طرحت عليه رحا فشدخته[1] شدخاً شديداً فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجر شهيدين. قلت : كان الذي ألقى عليه الرحى تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم . قال ابن اسحاق: ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان من بني اسد بن خزيمة ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم.

---

(١) شدخ : كسر .

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

قد تقدم أن حبان بن العرقة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ كياً بالنار فاستمسك الجرح، وكان سعد قد دعا الله أن لا يميته حتى يقر عينه من بني قريظة، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الاحزاب، فلما ذهب الاحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وسار اليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدم فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما أراه الله فرد الحكم فيهم إلى رئيس الاوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية وهو سعد بن معاذ فرضوا بذلك ويقال بل نزلوا ابتداء على حكم سعد لما يرجون من حنوه عليهم واحسانه وميله اليهم ولم يعلموا بأنهم أبغض اليه من أعدادهم من القردةوالخنازير لشدة ايمانه وصديقيته رضي الله عنه وأرضاه فبعث إليه رسول الله ﷺ وكان في خيمة في المسجد النبوي فجيء به على حمار تحته أكاف قد وطيء تحته لمرضه ولما قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له قيل لينزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه والله أعلم ، فلما حكم فيهم بالقتل والسبى وأقر الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله ﷺ دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً. حدثني معاذ بن رفاعة الزرقي قال حدثني من شئت من رجال قومي : ان جبريل أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه الى سعد فوجده قد مات رضي الله عنه ، هكذا ذكره ابن اسحاق رحمه الله وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل: حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبي وشعيب بن الليث قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبريل الى رسول الله ﷺ فقال: من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش؟ قال فخرج رسول الله ﷺ فاذا سعد بن معاذ، قال فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن، فبينما هو جالس اذ قال « سبحان الله » مرتين، فسبح القوم، ثم قال «الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم، ثم قال رسول الله ﷺ « عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره حتى كان هذا حين فرج له ».

وروى الإمام أحمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر قال قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن : سبحان الله لهذا الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له ابواب السماء شدد عليه ثم فرج الله عنه . وقال محمد بن اسحاق : حدثني معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله قال: لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت ؟ قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه. وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق به قال ابن هشام ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله ﷺ ان للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ. قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن نافع عن عائشة عن النبي ﷺ قال: ان للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ. وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين إلا أن الإمام أحمد رواه عن غندر عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن انسان عن عائشة به ورواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر قال: حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا داود عن عبد الرحمن حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك الى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ولقد ضمه القبر ضمة . ثم بكى نافع . وهذا اسناد جيد لكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلاً ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف عن أبي عتاب عن سكين بن عبد الله بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون الف ملك ما وطء الارض قبلها وقال حين دفن سبحان الله لو انفلت احد من ضغطة القبر لا نفلت منها سعد وقال البزار حدثنا اسماعيل بن حفص عن محمد بن فضيل حدثنا عطاء ابن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ فقيل انما يعني السرير ورفع أبويه على العرش قال تفتحت اعواده قال: ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبس فلما خرج قيل له يا رسول الله ما حبسك قال ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشفت عنه قال البزار تفرد به عطاء بن السائب. قلت : وهو متكلم فيه. وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضي الله عنه في القبر أثراً غريباً فقال حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا ؟ فقالوا ذكر لنا ان رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال: كان يقصّر في بعض الطهور من البول. وقال البخاري حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا الفضل بن مساور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ. وعن الاعمش حدثنا أبو صالح عن

جابر عن النبي ﷺ مثله فقال رجل الجاسر فان البراء بن عازب يقول: اهتز السرير انه كان بين هذين الحيين ضغائن سمعت النبي ﷺ يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن ادريس وابن ماجة عن علي بن محمد عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به وليس عندهما زيادة قول الاعمش عن أبي صالح عن جابر وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني ابو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق به وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أبو نضرة سمعت أبا سعيد عن النبي ﷺ اهتز العرش لموت سعد بن معاذ. ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى به وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد قال قتادة حدثنا انس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنازته موضوعة اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الازدي عن عبد الوهاب به وقد روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصري قال اهتز عرش الرحمن فرحا بروحه . وقال الحافظ البزار حدثنا زهير بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما حملت جنازة سعد قال المنافقون ما أخف جنازته وذلك لحكمه في بني قريظة فسئل رسول الله ﷺ فقال لا ولكن الملائكة تحملته اسناد جيد. وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول أهديت للنبي ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال اتعجبون من لين هذه لمناديل سعد ابن معاذ خير منها أو ألين ثم قال رواه قتادة والزهري سمعنا أنساً عن النبي ﷺ وقال أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أكيدر دومة أهدى الى رسول الله ﷺ جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها فعجب الناس منها فقال والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه . وهذا اسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه وانما ذكره البخاري تعليقاً وقال أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو وحدثني واقد بن عمرو ابن سعد بن معاذ قال محمد وكان واقد من أحسن الناس واعظمهم وأطولهم قال دخلت على أنس بن مالك فقال لي من أنت ؟ قلت أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ فقال إنك بسعد لشبيه ثم بكى وأكثر البكاء وقال رحمة الله على سعد كان من أعظم الناس وأطولهم ثم قال بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أكيدر دومة فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب فلبسها رسول الله ﷺ فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون اليها فقال رسول الله ﷺ أتعجبون منها لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون. وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح. قال ابن اسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ وفي ذلك يقول رجل من

الأنصار :

وما اهتزّ عرشُ الله من موتِ هالكٍ سمعنـا بـه إلا لِسَعـدِ أبي عـمـرو

قال : وقالت أمه يعني كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه :

ويـل أم سـعـدٍ سـعـدا صـرامـةً وحـدا
وسـؤدداً ومـجْـداً وفـارسـاً مُـعـدّا
سـدَّ بـه مـسدّا يـقـدّها مـا قـدّا

قال : يقول رسول الله ﷺ : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، إذ كان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم فأقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قريظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة خمس والله أعلم . وهكذا قال محمد ابن اسحاق : ان فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر ذي الحجة قال : وولى تلك الحجة المشركون . قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ رضي الله عنه :

لقد (سجمتْ)[1] من دمع عيني عبرة وحقّ لعيني أن تفيضَ على سعدِ
قتيلٌ ثوى في معركٍ فَجعتْ به عيون ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملّة الرحمن وارثُ جنّة مع الشهداء وفْدها أكرمُ الوفد
فإن تكُ قد ودعتنا وتركتنا وأمسيتَ في غبراءَ مظلمةِ اللحد
فأنت الذي يا سعدَ أُبتَ بمشهد كريم وأثوابِ المكارم والمجد
بحكمك في حيّيْ قُريْظة بالذي قضى اللّهُ فيهم ما قضيتَ على عمد
فوافقَ حكمُ الله حكمُكَ فيهمُ ولم تعفُ إذ ذكرْتَ ما كان من عهد
فإن كان ريبُ الدهر أمضاك في (الألى [2] شروا هذه الدنيا بجنّاتها الخلد
فنعم مصيرُ الصادقين إذا دُعوا إلى الله يوماً للوجَاهةِ والقصد

فصل الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال حدّثنا شعبة حدّثنا عدي بن ثابت أنه سمع البراء ابن عازب قال قال النبي ﷺ لحسان : اهجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخاري : وزاد

(١) سجمت : سالت .
(٢) الألى : البشر .

ابراهيم بن طَهمان عن الشيباني عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال قال النبي ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت : أهجُ المشركين فإن جبريل معك . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخاري يوم بني قريظة. قال ابن اسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق (قلت : وذلك قبل إسلامه) :

ومُشفقةٍ تظنّ بنا الظُّنونا	وقد قُدْنا عَرندسةَ (١) طَحونا
كأن زهاءَها أحدٌ إذا ما	بدتْ أركانهُ للناظرينا
ترى الأبدانَ فيها مسبَغاتٍ	على الأبطال واليلْب (٢) الحصينا
وجُرداً كالقِداح مسوَّماتٍ	نؤمَ بها الغُواةَ الخاطئينا
كأنهم إذا صالوا وصلُنا	بباب الخندقَيْن مصافحونا
أناسٌ لا نرى فيهم رَشيداً	وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهُمُ شهراً كريثاً (٣)	وكنّا فوقَهمْ كالقاهرينا
نُراوحهم ونغدو كلّ يوم	عليهم في السّلاح مدججينا
بأيدينا صوارمُ مرهَفاتٌ	نقدُّ بها المفارق والشئونا
كأنَّ وميضَهنّ مُعرَّياتٍ	إذا لاحت بأيدي مَصْلتينا
وميضُ (عقيقةٍ (٤) لمعتْ بليلٍ	ترى فيها العقائقَ مستبينا
فلولا خندقٌ كانوا لديه	لدمَّرْنا عليهم أجمعينا
ولكن حالَ دونهم وكانوا	به من خوفِنا متعوِّذينا
فإن نرحلْ فإنا قد تركْنا	لدى أبياتِكم سَعداً رهينا
إذا جن الظلامُ سمعتَ نوحاً	على سَعدٍ يرجِّعن الحنينا
وسوف نزوركم عمّا قريبٍ	كما زرْناكمُ متوازرينا
بجمعٍ من كنانةَ غيرِ عُزلٍ	كأسْد الغابِ إذ حَمَتِ العرينا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضي الله عنه فقال:

وسائلةٍ تسائلُ ما لقينا	ولو شهدتْ رأتنا صابرينا
صَبرْنا لا نرى لله عدلاً	على ما نَابَنا متوكِّلينا
وكان لنا النبي وزير صدقٍ	به نعلو البريّة أجمعينا

---

(١) عرندسة : سيل كثير أو حرب طاحنة

(٢) اليلب : الدروع من الجلود .

(٣) كريثا : شديداً بلغ منهم المشقة .

(٤) عقيقه : سهم يرمى به نحو السماء .

نقاتلَ معشراً ظَلَموا وعقّوا — وكانوا بالعداوة مُرْصدينا
نعالجهم إذا نهضوا إلينا — بضرب يُعْجِلَ المتسرعينا
ترانا في (فضافضَ)[1] (سابغاتٍ)[2] — كغُدران الملا مُتَسَرّبلينا
وفي أيماننا بيضَ خِفافَ — بها نشفي (مراحَ)[3] الشاغبينا
ببابِ الخندقين كأن أسْداً — شوابكُهنّ يحْمين العَرينا
فوارسُنا إذا بكروا وراحوا — على الأعداء (شَوساً)[4] معلمينا
لننصر أحمداً والله حتى — نكونَ عبادَ صدقٍ مخلصينا
ويعلمُ أهل مكّةَ حين ساروا — وأحزابُ أتَوا متحزِّبينا
بأن الله ليس له شريكٌ — وأن الله مولى المؤمنينا
فأما تقتلوا سعداً سفاهاً — فإنَّ اللّهَ خيرَ القادرينا
سيُدخله جناناً طيباتٍ — تكونُ مقامةً للصالحينا
كما قد ردّكم فلاًّ شريداً — بغيظِكُم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيراً — وكِدْتم أن تكونوا دامرينا
بريحٍ عاصفٍ هبتْ عليكم — فكُنْتم تحتَها متكمِّهينا

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن الزبعري السهمي في يوم الخندق (قلت وذلك قبل أن يسلم) :

حيِّ الديارَ محا معارفَ رسمها — طولُ البلى وتراوحُ الاحقاب
فكأنما كتبَ اليهودُ رسومَها — الا الكنيفَ ومعقدَ الأطناب
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها — في نعمةٍ بأوانسٍ أتراب
فاترك تذكُّر ما مضى من عيشةٍ — ومحلَّة خلقِ المقام يَباب
واذكر بلاء معاشرٍ واشكرهُمُ — ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصابِ مكةَ عامدين ليثربٍ — في ذي غياطلَ [5] جحفلٍ جَبْجابِ [6]
يَدَع الحزون مَناهجاً معلومة — في كل نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعاب
فيها الجيادُ شوازبٌ [7] مجنوبةٌ — قُبٌّ [8] البطون لواحقُ الأقراب

---

(١) فضافض : دروع واسعة .
(٢) سابغات : رغيدة .
(٣) مراح : مكان واسع .
(٤) شوساً : رافعي الرؤوس .
(٥) غياطل : مفردها غيطل وهو الليل الشديد الظلمة .
(٦) جبجاب : كثير العدد .
(٧) شوازب : ضامرة .
(٨) قُبٌّ : دقاق .

من كـل سلهبـةٍ [1] وأجـردَ سلهبٍ ... كـالسيـدِ بـادرَ غـفـلةَ الـرّقـاب
جـيشٌ عـيـينـةُ قـاصـدٌ بـلوائـه ... فـيـه وصـخـرٌ قـائـد الأحـزاب
قِرمـانِ [2] كـالبـدرَيْن أصبحَ فيهما ... غيثُ الـفـقـيـر ومعـقـلُ الـهُـرّاب
حتى إذا وَرَدوا الـمـدينـةَ وارتَـدوا ... للمـوتِ كـلّ مجـرَّبٍ -قضَّـاب [3]
شهـراً وعشْـراً قـاهـرين محمـداً ... وصِحابُهُ في الحربِ خيرُ صِحاب
نـادَوا بـرحـلتهـم صبيحـةَ قُلتُم ... كِـدنـا نكـون بهـا مـع الـخيّـاب
لـولا الخنـادقُ غـادروا من جَمْعِهِم ... قـتلى لـطيـرٍ سُـغّب [4] وذئـاب

قال فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال :

هـل رسم دارسـة المقـام يبـابِ ... مـتـكـلم لـمـحـاورٍ بـجـواب
قفرٌ عفا (رهمٌ) [5] السحابِ رسومَـه ... وهبـوبُ كـل مُـطِلَّةٍ مـربـاب [6]
ولـقـد رأيتُ الـحُـلولَ يَـزيـنُـهـم ... بيضُ الـوجـوه ثـواقبُ الاحـسـاب
فـدعِ الديـارَ وذكْـرَ كـلّ (خـريـدةٍ) [7] ... بيضـاءَ آنسةِ الحـديثِ (كَعـاب) [8]
واشـكُ الهموم إلـى الإلَـه ومـا تـرى ... من معشرٍ ظَلموا الـرسـولَ غضـاب
سـاروا بـأجـمـعِـهـم إليـه وألّـبـوا ... أهـلَ الـقـرى وبـواديَ الأعـراب
جـيشٌ عيـينـةُ وابـنُ حـربٍ فـيـهـم ... مُتخـمِّطـون [9] بحلبـةِ الأحـزاب
حتى إذا وردوا الـمـدينـة وارتـجَـوا ... قـتـلَ الـرسـول ومغـنـمَ الاسـلاب
وغـدَوا عـلينـا قـادريـن بـأيْـدِهـم ... رُدوا بـغـيـظهـمُ عـلى الأعـقـاب
بهـبـوبِ (معصفـةٍ) [10] تُفـرِّق جَمْعَهم ... وجـنـودُ ربِّـك سـيِّـدُ الأربـاب
فـكفـى الإلَـهُ المـؤمنينَ قـتـالَـهـم ... وأثـابَـهـم في الأجْـرِ خيـرَ ثـواب
من بعدِ ما (قَنِطوا) [11] ففرَّقَ جَمْعَهم ... تـنـزيـلُ نصـرِ مـليكـنـا الـوهّـاب
وأقـرَّ عـيـنَ مـحـمّـدٍ وصِـحـابَـهُ ... وأذلَّ كـل مـكـذِّبٍ مـرتـاب
عـاتـي الـفـؤادِ مـوقَّـعٌ ذي ريبـة ... فـي الكـفـرِ ليس بـطاهـرِ الأثـواب
عـلِقَ الـشـقـاءُ بـقـلبـه فـفـؤادِه ... فـي الكـفـرِ آخـرُ هـذه الأحـقـاب

---

(١) سلهب : فرس جسيمة .
(٢) قرمان : سيدان عظيمان .
(٣) قضاب : شديد القطع .
(٤) سغّب : جائعة .
(٥) رهم : مطر حفيف .
(٦) مرباب : أرض كثيرة النبات .
(٧) خريدة : حسناء .
(٨) كعاب : ناهدة الثدي .
(٩) خمط : طابت ريحه .
(١٠) معصفة : ريح شديدة .
(١١) قنط : يئس .

قال وأجابه كعب بن مالك رضي الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حدثُ الحروبِ بقيّةً ... من خيرِ (نحلةِ) [1] ربِّنا الوهّاب

بيضاءَ مشرفةَ الذُّرى (ومعاطناً) [2] ... حُمَّ الجذوعِ غزيرةَ الاحلاب

(كاللوبِ) [3] يُبذَل جمُّها وحَفِيلُها [4] ... للجارِ وابنِ العمِّ والمنتاب

(ونزائعاً)[5] مثلَ السراج نمى بها ... علفُ الشعيرِ وجزَّةُ (المقضاب)[6]

عرَّى الشَّوى منها وأردف (نَحْضَها)[7] ... جردُ المتونِ وسائرُ (الآراب)[8]

(قَوْداً)[9] تُراح إلى الصَّباح إذا غدتْ ... فِعلَ الضِّراءِ تُراحَ للكُلّاب

وتحوطُ (سائمةَ)[10] الديار وتارةً ... تُردي العِدى وتئوبُ بالاسلاب

حَوْشُ[11] الوحوش مطارةً[12] عند الوغى ... عُبْسُ اللقاءِ مُبينةُ الانجاب

عُلِفتْ على دَعَةٍ فصارت بُدْناً ... دُخْسَ[13] البَضيع[14] خفيفةَ الأقصاب

يغدون (بالزغف)[15] المضاعَفِ شكُّه ... وبمَتَرصاتٍ[16] في الثِّقافِ[17] صِياب

وصوارمٍ نَزَعَ الصياقلُ[18] عُلْبَها[19] ... وبكلِّ أروعَ ماجدِ الانساب

يصلُ اليمينَ (بمارنٍ)[20] متقاربٍ ... وكِلَتْ وقيعتُه الى خَبْاب[21]

وأغرَّ أزرقَ في القناة كأنه ... في (طُخْيةٍ)[22] الظلماء ضوءُ شهاب

وكتيبةً ينفي القِران (قتيرُها)[23] ... وتردُّ حدّ (قَواحِزٍ)[24] النشّاب

جأوى[25] ململمةً كأنّ رماحها ... في كل مُجْمَعَةٍ صريمةِ[26] غابِ

تأوي الى ظلّ اللواءِ كأنه ... في صعدة الخطّيّ فيءُ عُقاب

أعيَتْ أبا كربٍ وأعيتْ تُبّعاً ... وأبتْ بسالتُها على الأعراب

ومواعظٍ من ربِّنا نُهدي بها ... بلسانِ أزهرَ طيِّب الأثواب

عَرضتْ علينا فاشتهينا ذكْرَها ... من بعد ما عَرِضَتْ على الأحزاب

حكماً يراها المجرمون بزعمهم ... حَرِجاً ويفهمُها ذوو الألباب

جاءت سَخِينةُ كي تغالبَ ربَّها ... فليُغلبنّ مُغالِبُ الغُلّاب

---

(١) نحلة : مذهب أو ديانة .
(٢) معاطناً : مبارك الابل .
(٣) اللوب : العطاش .
(٤) حفيل : كثير .
(٥) نزائع : الخيل والابل .
(٦) المقضاب : المنجل .
(٧) النحض : اللحم الكثير .
(٨) الآراب : الحاجات .
(٩) قوداً : ممسكا بقيادتها .
(١٠) سائمة : الدابة الراعية .
(١١) حوش : ساق وجمع .
(١٢) مطارة : سريعة .
(١٣) دخس : سمينة .
(١٤) البضيع : اللحم .
(١٥) الزغف : الدروع الواسعة .
(١٦) مترصات : الرمح المثقفة .
(١٧) الثقاف : الرماح .
(١٨) الصياقل : السيوف .
(١٩) علبها : حدها .
(٢٠) مارن : رمح صلب .
(٢١) خباب : مخادع .
(٢٢) طخية : شدة الظلام .
(٢٣) القتير : رؤوس المسامير في الدرع .
(٢٤) القواحز : السهام الشديدة .
(٢٥) جأوى : غليظة .
(٢٦) صريمة : عزيمة .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال له لما سمع منه هذا البيت : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا . قلت ومراده بسخينة قريش وانما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي فالله أعلم . قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك أيضاً :

من سرَّهُ ضربٌ يُمَعْمِعُ [١] بعضُه ... بعضاً كمعمعة الإناء المحْرَق
فليأت مأسدةً تسنّ سيوفَها ... بين (المذادِ) [٢] وبين جِذْع الخندق
دَربوا بضَرْبِ المُعْلمين وأسلموا ... مهجاتِ أنفسهم لربِّ المشرق
في عُصبةٍ نَصرَ الإِلَهُ نبيَّه ... بهم وكانَ بعبدِهِ ذا مرفق
في كل سابغةٍ [٣] تخطّ فُضُولها ... كالنِّهي هبَّتْ ريُحُهُ المترقرق
بيضاءَ مُحْكَمَةٍ كأنَّ قتيرَها [٤] ... حَدَقُ الجنادب [٥] ذاتِ شكٍّ موثق
جدلاءَ [٦] يحفرها نِجَادُ مهنَّدٍ ... صافي الحديدة صارم ذي رونق
تِلكمْ مع التقوى تكونُ لباسَنا ... يومَ الهياج وكلَّ ساعة مصدق
نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرنَ بخطْونا ... قُدُماً ونَلحقها اذا لم تلحق
فترى الجماجمَ ضاحياً هاماتُها ... بُلْهَ [٧] الأكفُّ كأنَّها لم تخلق
نلقى العدوَّ بفخمةٍ ملمومةٍ ... تنفي الجموع كقصد رأس المشرق
ونُعدُّ للأعداءِ كلَّ مقلّصٍ [٨] ... ورِدٍ ومحجولٍ [٩] القوائم أبلق [١٠]
تردَى بفرسانٍ كأن كُماتهم ... عند الهياج أسودُ طلٍّ ملثق [١١]
صُدْقٍ يعاطون الكُماة حُتوفَهم ... تحتَ العِماية بالوشيج [١٢] المزهق [١٣]
أمر الإِلَهُ بربطها لعدوّه ... في الحرب ان الله خيرُ موفق
لتكونَ غيظاً للعدوِّ وحيّطاً ... للدارِ إنْ دَلَفت [١٤] خيول النزَّق [١٥]
ويعيننُا الله العزيزُ بقوَّةٍ ... منهُ وصدقِ الصبْرِ ساعةَ نلتقي
ونطيعُ أمرَ نبيِّنا ونجيبه ... وإذا دعا لكريهة لم نُسبق

---

(١) يمعمع : يقاتل شديدا .
(٢) المذاد : اسم مكان .
(٣) سابغة : درع واسعة .
(٤) قتير : رؤوس المسامير في الدرع
(٥) جنادب : جراد .
(٦) جدلاء : محُكمة .
(٧) بله : تاركه .
(٨) مقلص : فرس طويل القوائم .
(٩) محجول : في قوائمه بياض .
(١٠) أبلق : لونه سواد وبياض .
(١١) ملثق : كثير الندى .
(١٢) وشيج : رماح .
(١٣) المزهق : الذي يصيب الهدف .
(١٤) دلفت : تقدمت .
(١٥) النزق : الصعبة الانقياد .

ومتى يُنادَى للشدائدِ نَأْتِها ... ومتى ترى الحومات [1] فيها نُعنق
من يتّبع قول النبي فإنه ... فينا مَطاعُ الأمر حقّ مصدّق
فبذاك ينصُرنا ويُظهر عزّنا ... ويصيبنا من نيْلِ ذاك بمرفق
إن الذين يكذّبون محمداً ... كفروا وضلّوا عن سبيل المتقي

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد علمَ الأحزابُ حين تألّبوا ... علينا وراموا ديننا ما نوادع
أضاميمِ [2] من قيس بن غيلان أصفقتْ ... وخندف لم يدروا بما هو واقع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ... عن الكفر والرحمنُ راء وسامع
إذا غايظونا [3] في مقامٍ أعاننا ... على غيظهم نصرٌ من الله واسع
وذلك حِفظُ الله فينا وفضلُه ... علينا ومَن لم يحْفظِ الله ضائع
هدانا لِدين الحقّ واختارَه لنا ... ولِلّهُ فوق الصانعين صانع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له ـ يعني طوّيلة ـ قال ابن اسحاق : وقال حسان ابن ثابت في مقتل بني قريظة :

لقد لقيتْ قُرَيظةُ ما ساءها ... وما وَجَدَتْ لذلٍّ من نصير
أصابهمُ بلاءٌ كان فيه ... سِوى ما قد أصابَ بني النضير
غداةَ أتاهمُ يهوي إليهم ... رسولُ الله كالقمر المنير
له خيل مجنَّبةٌ تَعادى ... بفرسانٍ عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء ... دِماؤهُم عليها كالعبير
فهم صرعى تحومَ الطير فيهم ... كذاك يُدانُ ذو العنَدِ الفجور
فأنذرْ مثلها نُصْحاً قريشاً ... من الرحمن إنّ قَبِلَتْ نذيري

قال وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قريظة :

تعاقد معشرَ نصروا قُريشاً ... وليسَ لهم ببلدتِهم نصير
همُ أوتوا الكتاب فضيعوه ... وهم عميٌّ من التوراة بورُ [4]
كفرتم بالقرانِ وقد أتيتم ... بتصديقِ الذي قالَ النذير
فهان على سراة بني لؤيّ ... حريقٌ بالبويرة مستطير

---

(١) الحومات : أشد مواضع القتال .
(٢) أضاميم : جماعة .
(٣) عايظونا : أغضبونا .
(٤) بور : هالكين .

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلبَ فقال :

أدام الله ذلكَ من صَنيعٍ ... وحرّق في طوائفها السعيرُ
ستعلم ايّنا منْها بنزهٍ ... وتعلم أي أرْضينا تضير
قد كان النخيل بها ركابا ... لقالوا لا مَقَامَ لكُم فسيروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم في صحيح البخاري بعض هذه الأبيات . وذكر ابن اسحاق جواب حسان في ذلك لجبل بن جوال الثعلبي تركناه قصداً. قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قريظة :

ألا يا لقومي هل لما حمَّ دافعٌ ... وهل ما مضى من صالحِ العيش راجع
تذكَّرتَ عصراً قد مضى فتهافتَتْ ... بناتُ الحشا وانهلَّ مني المدامع
صبابةُ وَجدٍ ذكَّرتني إخوة ... وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعدٌ فأضحَوا في الجنان وأوحشَتْ ... منازلُهم فالأرضُ منهم (بلاقع)[1]
وفَوا يومَ بدرٍ للرسول وفوقهم ... ظلالَ المنايا والسيوفُ اللوامع
دعا فأجابوه بحقٍّ وكلّهم ... مطيعٌ له في كل أمر وسامع
فما نَكَلُوا حتى توالوا جماعةً ... ولا يقطعُ الآجالَ الا المصارع
لأنهمُ يرجُون منه شفاعة ... إذا لم يكن إلا النبيّون شافع
فذلك يا خيرَ العباد بلاؤنا ... إجابَتُنا للّهِ والموت ناقع
لنا القَدَمُ الأولى إليكَ وخلْفَنا ... لأولنا في ملَّةِ الله تابع
ونعلمُ أن المُلْكَ لله وحدَه ... وان قضاء الله لا بُدّ واقع

مقتل أبي رافع اليهودي

قال ابن اسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وامر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق -وهو أبو رافع- فيمن حزب الاحزاب على رسول الله ﷺ وكانت الأوس قبل أُحدُ قد قالت كعب بن الاشرف فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم. قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الانصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين لاتصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ الا وقالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلاً

(١) بلاقع : قفر .

علينا عند رسول الله ﷺ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الاوس مثل ذلك. قال: ولما أصابت الاوسُ كعبَ بن الاشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلاً علينا ابداً. قال: فتذاكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الاشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا الرسول ﷺ في قتله فأذن لهم فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربعي وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمرَّ عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ونهاهم ان يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله قال: وكان في علية له اليها عجلة قال: فأسندوا اليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذا كم صاحبكم فادخلوا عليه. فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفاً ان يكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال: فصاحت امرأته فنوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه باسيافنا فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة . قال: فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن انيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني أي حسبي حسبي ، قال: وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثبت يده وثباً شديداً وحملناه حتى نأتي به منهراً [1] من عيونهم فندخل فيه فاوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبونا حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه وهو يقضي قال فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ قال فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس قال: فوجدتها ـ يعني امرأته ـ ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول : أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت : أني ابن عتيك بهذه البلاد. ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت : فاظ واله يهود ، فما سمعت كلمة كانت ألذَّ على نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله كلنا يدّعيه . قال فقال : هاتوا أسيافكم . فجئنا بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله أرى ، فيه أثر الطعام . قال ابن اسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك .

لله درُّ عصابةٍ لاقيتُهم	يا ابنَ الحقيق وأنتَ يا ابنَ الأَشرف
يسرُون بالبِيضِ الخِفافِ اليكمُ	مَرَحاً كأُسْد في عرينٍ مغرف
حتى أتَوْكم في محلِّ بلادِكم	فسقُوكم حتفاً ببيضٍ ذُفَّفِ[2]
مستبصِرين لنصرِ دينِ نبيِّهم	مستصغرينَ لكل أمرٍ مجحِفِ

---

(١) منهراً : خرق في الحصن .

(٢) الذفف : السيوف السريعة والخفيفة .

هكذا اورد هذه القصة الامام محمد بن اسحاق رحمه الله . وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري حدثنا اسحاق بن نصر حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال: بعث النبي ﷺ رهطاً الى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله . قال البخاري: حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الانصار وأمرَّ عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فاني منطلق متلطف للبواب لعلي أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب ياعبد الله إن كنت تريد ان تدخل فادخل فاني أريد ان أغلق الباب. فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق على وَدّ قال: فقمت الى الاقاليد وأخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل فقلت ان القوم سدروا لي لم يخلصوا اليّ حتى أقتله . فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري اين هو من البيت قلت أبا رافع . قال من هذا. فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع فقال لأمك الويل ان رجلا في البيت قتل بالسيف . قال فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت صبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى اني قد انتهيت فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال انعي ابا رافع ناصر اهل الحجاز فأنطلقت إلى أصحابي فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم اشتكها قط. قال البخاري حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الاودي حدثنا شريح حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق سمعت البراء قال بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله بن عتيك امكثوا انتم حتى انطلق انا فانظر قال: فتلطفت حتى أدخل الحصن ففقدوا حمار لهم فخرجوا (بقبس)[1] يطلبونه قال: فخشيت ان اعرف قال: فغطيت رأسي وجلست كاني اقضي حاجة فقال: من أراد أن يدخل فليدخل قبل ان أغلقه. فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن فتعشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا الى بيوتهم فلما هدأت الاصوات ولا أسمع حركة خرجت قال ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة فأخذته ففتحت به باب الحصن قال قلت ان نذر بي

(١) القبس : الشعلة .

القوم انطلقت على مهل ثم عمدت الى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت الى أبي رابع في سلم فاذا البيت مظلم قد طفىء سراجه فلم أدر اين الرجل فقلت يا أبا رافع قال من هذا فعمدت نحو الصوت فاضربه وصاح فلم تغن شيئاً قال ثم جئته كأني اغيثه فقلت مالك يا أبا رافع وغيرت صوتي قال لا أعجبك لأمك الويل دخل عليّ رجل فضربني بالسيف قال فعمدت اليه أيضاً فأضربه اخرى فلم تغن شيئاً فصاح وقام أهله ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فاذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف في بطنه ثم انكفىء عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد ان أنزل فاسقط منه فانخلعت رجلي فعصبتها ثم أتيت أصحابي احجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ فاني لا أبرح حتى اسمع الناعية فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال انعي ابا رافع قال فقمت امشي مابي قلبه فادركت اصحابي قبل ان يأتوا رسول الله ﷺ فبشرته. تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة ثم قال: قال الزهري قال أبي بن كعب فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال أفلحت الوجوه قال أفلح وجهك يارسول‌الله قال أفتكتموه قالوا نعم قال ناولني السيف فسله فقال اجل هذا طعامه في ذباب السيف . قلت يحتمل أن عبد الله ابن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثبت رجله فلما عصبها استكن ما به لما هو فيه من الأمر الباهر ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ثم لما وصل الى رسول الله ﷺ واستقرت نفسه ثاوره [1] الوجع في رجله فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل جمعا بين هذا الرواية والتي تقدمت والله اعلم. هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن اسحاق وسمى الجماعة الذين ذهبوا اليه كما ذكره ابن اسحاق وابراهيم وأبو عبيد.

مقتل خالد بن سفيان الهذلي

ذكر الحافظ البيهقي في الدلائل تلو مقتل أبي رافع . قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: انه قد بلغني ان خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني وهو بِعُرَنَة فائته فاقتله . قال قلت : يا رسول الله انعته لي حتى أعرفه . قال. اذا رأيته وجدت له قشعريرة قال فخرجت متوشحاً سيفي حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلا وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه اومىء برأسي للركوع والسجود فلما انتهيت اليه قال: من الرجل ؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال أجل انا في ذلك قال فمشيت معه شيئاً حتى اذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه [2]

---

(١) ثاوره : عاد ثانية .

(٢) الظعائن : النساء .

مكبات عليه فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال أفلح الوجه قال قلت قتلته يا رسول الله قال صدقت قال ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال: امسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس. قال فخرجت بها على الناس فقالوا ما هذه العصا ؟ قال قلت أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها قالوا أولا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك . قال فرجعت الى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال آية بيني وبينك يوم القيامة أن أقل الناس المنحصرون يومئذ . قال فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت في كفنه ثم دفنا جميعاً ثم رواه الإمام احمد عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن انيس - أو قال عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس - عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه . وهكذا رواه أبو داود عن أبي معمر عن عبد الوارث عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر عن عبد الله ابن انيس عن أبيه فذكر نحوه ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكره. وقد ذكر قصة عروة ابن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهما مرسلة فالله أعلم . قال ابن هشام وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان :

تركتُ ابن ثورٍ كالحوار وحولَه ... نوائحُ تفري كلَّ جَيبٍ مُعدَّدَ

تناولتَه والظعْن خلفي وخَلفَه ... بأبيض من ماء الحديد المهند

أقول له والسيف يعجم رأسه ... أنا ابن انيسٍ فارسٌ غيرَ قعدد

أنا ابنَ الذي لم يَنزل الدهرَ قَدَرَه ... رحيبَ فناء الدار غير مزند

وقلت له خذْها بضربةِ ماجدٍ ... خفيفٍ على دينِ النبي محمد

وكنت اذاهمَّ النبي بكافر ... سبقت اليه باللسان وباليد

قلت عبد الله بن انيس بن حرام أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر كان فيمن شهد العقبة وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك، وتأخر موته بالشام الى سنة ثمانين على المشهور وقيل توفي سنة أربع وخمسين والله اعلم . وقد فرق علي بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن انيس أبي عيسى الانصاري الذي روى عن النبي ﷺ أنه دعا يوم أحد باداوة فيها ماء فحل فمها وشرب منها كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري عن عيسى بن عبد الله بن انيس عن أبيه ثم قال الترمذي وليس اسناده يصح وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه .

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي

قال محمد بن اسحاق بعد مقتل أبي رافع وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب بن اوس الثقفي عن حبيب بن اوس حدثني عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا يوم الاحزاب عن الخندق جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله أني أرى أمر

(١) عجوم : متنكر .

محمد يعلو الامور علواً منكراً واني لقد رأيت امراً فما ترون فيه . قالوا وما رأيت قال رأيت أن نلحق بالنجاشي عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فأنا أن نكن تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدي محمد وأن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا : ان هذا لرأي . قلت : فأجمعوا لنا ما نهدي له فكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الادم [1] فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لاصحابي: هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي هل أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال: قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً. قال ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له أيها الملك اني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لاقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت الارض لدخلتُ فيها فرقا . ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه. قال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله ؟ قال قلت أيها الملك أكذاك هو ؟ قال ويحك يا عمرو أطعني وأتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده قال قلت أفتبايعني له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي اسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين أبا سليمان ؟ فقال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبي أذهب والله أسلم فحتى متى ؟ قال قلت والله ما جئت إلا لأسلم . قال فقدمنا المدينة على النبي ﷺ فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله اني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر. قال فقال رسول الله ﷺ : يا عمرو بايع فان الاسلام يجبُّ ما كان قبله وأن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها. قال فبايعته ثم انصرفت . قال ابن اسحاق وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما، أسلم حين أسلما . فقال عبد الله بن أبي الزبعري السهمي :

أنشدُ عثمانَ بن طلحةَ خلفنا	وملقى نعال القوم عند المقبل
وما عقد الآباءُ من كلِّ حِلفة	وما خالدَ من مثلِها بمحلل
أمفتاح بَيت غير بيتك تبتغي	وما تبتغي من بيت مجدُ مُؤثل [2]
فلا تأمننَّ خالداً بعد هذه	وعثمان جاءا بالدُهيم [3] المعضّل

(١) الأدم : طعام يطيب مع الخبز .
(٢) مؤثل : متأصل في الشرف .
(٣) الدهيم : الأحمق .

قلت كان اسلامهم بعد الحديبية وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه فكان ذكر هذا الفصل في اسلامهم بعد ذلك أنسب ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن اسحاق رحمه الله تعالى لأن أول ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشي كان بعد وقعة الخندق الظاهر انه ذهب بقية سنة خمس والله أعلم

فصل في تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾(١) قال هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين . ثم قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن نجدة حدثنا يحيى بن عبد الحميد أنبأنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن أم حبيبة أنها كانت عند عبد الله بن جحش وكان رحل الى النجاشي فمات وان رسول الله ﷺ تزوج بأمّ حبيبة وهي بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهزها من عنده وما بعث رسول الله ﷺ بشيء . قال وكان مهور أزواج النبي ﷺ أربعمائة . قلت والصحيح ان مهور أزواج النبي ﷺ كانت اثنتي عشرة أوقية ونشّاً والوقية أربعون درهماً والنش النصف وذلك يعدل خمسمائة درهم . ثم روى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة ان عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله ﷺ زوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قلت أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه وذلك على أثر ما هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة استنزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار إليه حتى مات عليه لعنة الله وكان يعير المسلمين فيقول لهم أبصرنا وصأصأتم (٢) وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة . وأما قول عروة أن عثمان زوجها منه فغريب لأن عثمان كان قد رجع الى مكة قبل ذلك ثم هاجر الى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله أعلم . والصحيح ما ذكره يونس عن محمد بن اسحاق قال بلغني أن الذي ولى نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص . قلت وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أصحمة النجاشي ملك الحبشة كما قال يونس عن محمد بن اسحاق حدثني أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين قال بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربعمائة دينار .

وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن اسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول

---

(١) سورة الممتحنة الآية : السابعة .

(٢) صأصأ : كاد يفتح عينيه .

النجاشي جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ووهنه فاستأذنتْ عليَّ فأذنت لها فقالت : إن الملك يقول لكِ ان رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجكِه فقلت بشرك الله بالخير وقالت يقول لك الملك وكلي من يزوجك . قالت : فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخذمتين من فضة كانتا عليَّ وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلي سروراً بما بشرتني به . فلما أن كان من العشى أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا وخطب النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم . أما بعد فإن رسول الله ﷺ طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت الى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقها أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدي القوم . فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد فقد أجبت الى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ ودفع النجاشي الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد الخندق انما كان في قضية أم حبيبة فالله أعلم . لكن قال الحافظ البيهقي ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست وان تزويجه بأم سلمة كان في سنة أربع . قلت وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المثنى وابن البرقي وان تزويج أم حبيبة كان في سنة ست وقال بعض الناس سنة سبع . قال البيهقي هو أشبه قلت قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ويحتمل أن يكون بعده وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي فهو في قضيتها والله أعلم . وقد حكى الحافظ ابن الأثير في الغابة عن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة الى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها . وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد اسلام أبيها بعد الفتح واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليماني عن أبي زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطنيهن ـ قال نعم . قال تؤمرني على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال نعم . قال ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال نعم . قال وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها . الحديث بتمامه . قال ابن الاثير وهذا الحديث مما أنكر على مسلم لأن ابا سفيان لما جاء يجدد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنتْ عنه فراش النبي ﷺ فقال والله ما أدري أرغبتِ بي عنه أو به عني ؟ قالت بل هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك . فقال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر وقال ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لا يتابع عليه . وقال آخرون أراد أن يجدد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه . وقال بعضهم لانه اعتقد انفساخ نكاح ابنته باسلامه . وهذه كلها ضعيفة

والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى مرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما في الصحيحين وانما وهم الراوي في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً . قال أبو عبيد القاسم بن سلام توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين وقال أبو بكر بن أبي خيثمة توفيت قبل معاوية لسنة وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

تزويجه بزينب بنت جحش

ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدية أم المؤمنين وهي بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة تزوجها عليه السلام سنة خمس زاد بعضهم في ذي القعدة قال الحافظ البيهقي تزوجها بعد بني قريظة وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده تزوجها سنة ثلاث والأول أشهر وهو الذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه السلام حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا ايراده قصداً لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾[1] . ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[2] .

وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية فالمراد بالذي أنعم الله عليه ها هنا زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق وزوجه بابنة عمه زينب بنت جحش . قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وخمسين مداً وعشرة أمداد من تمر فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله ﷺ فكان ﷺ يقول له : اتق الله وامسك عليك زوجك . قال الله : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[3] قال علي بن الحسين زين العابدين والسدي : كان الله قد علم أنها ستكون من أزواجه فهو الذي كان في نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف ها هنا بآثار غريبة وبعضها فيه نظر تركناها . قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾[4] ، ذلك أن زيداً طلقها فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله ﷺ يخطبها الى نفسها ثم تزوجها وكان الذي زوجها منه رب العالمين

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٧ .
(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٨ .
(٣) سورة الأحزاب الآية : ٣٧ .
(٤) سورة الأحزاب الآية : ٣٧ .

تبارك وتعالى كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات . وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : أنكحني الله من السماء . وفيها نزلت آية الحجاب ﴿يٰأَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِيْنَ إِنَاهُ﴾[1] الآية . وروى البيهقي من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله ﷺ يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال أنس : فلو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات ثم قال : رواه البخاري عن أحمد عن محمد بن أبي بكر المقدمي عن حماد بن زيد ، ثم روى البيهقي من طريق عفان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش فقال النبي ﷺ : أمسك عليك أهلك فنزلت ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ . ثم قال البخاري عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن محمدمختصراًوقال ابن جرير حدَّثنا ابن حميد حدَّثنا جرير عن مغيرة بن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي ﷺ اني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد تعني عبد المطلب فإنه أبو أبي النبي ﷺ وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب واني أنكحنيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه السلام . وقال الامام أحمد حدَّثنا هاشم ـ يعني ابن القاسم ـ حدَّثنا النضر حدَّثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد اذهب فاذكرها علي فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي . وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ بذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي عز وجل ثم قامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ اطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر . قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به [لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم] الآية ؛ وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة .

نزول الحجاب صبيحة عرس زينب

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأنواتها من أمهات المؤمنين وذلك وفق الرأي العمري . قال البخاري : حدّثنا محمد بن عبد الله الرقاش حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٣ .

أبو مجلز عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر وجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ . الآية ، وقد رواه البخاري في مواضع أُخَر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر . ثم رواه البخاري منفرداً به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه . وقال البخاري : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بُني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي ﷺ فانطلق الى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ؟ فتقرّى حجر نسائه كلهن ، ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي ﷺ فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون وكان النبي ﷺ شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فخرج حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب ، تفرد به البخاري من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن اسحاق هو ابن نصر عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد ابن أنس بنحو ذلك ، وقال « رجلان » بدل ثلاثة فالله أعلم .

قال البخاري : وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه . وقد قال ابن أبي حاتم حدّثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه فصنعت أم سليم (حيساً)[1] ثم حطته في ثور فقالت اذهب الى رسول الله ﷺ وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في جهد فجئت به فقلت يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك وهي تقرئك السلام وتقول ان هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال ضعه في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً فسمى رجالاً كثيراً قال ومن لقيتَ من المسلمين فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس . فقلت يا أبا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلثمائة . قال أنس فقال لي رسول الله ﷺ جيء فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتحلق عشرة عشرة ويسموا وليأكل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله ﷺ ارفعه قال فجئت فأخذت الثور فنظرت فيه فلا أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ

---

(١) حيساً : طعام من تمر وسمن .

وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولية وجهها الى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله ﷺ وكان أشد الناس حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً فقام رسول الله ﷺ فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا انهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً وأنزل الله القرآن فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن إذا دعيتم فأدخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعد أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً . ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ . قال أنس فقرأهن عليّ قبل الناس وأنا أحْدَثُ الناس بهن عهداً . وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد أبي عثمان به وقد روى هذا الحديث البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن أبي بشر الاحمسي الكوفي عن أنس بنحوه ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي نضرة العبدي عن أنس بنحوه ولم يخرجوه . ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس نحو ذلك . قلت : كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من المهاجرات الأول وكانت كثيرة الخير والصدقة وكان اسمها أولاً بره فسماها النبي ﷺ زينب وكانت تكنى بأم الحكم قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى الله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة . وثبت في الصحيحين كما سيأتي في حديث الافك عن عائشة انها قالت وسأل رسول الله ﷺ عني زينب بنت جحش وهي التي كانت تساميني من نساء النبي ﷺ فعصمها الله بالورع فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري ، ما علمت الا خيراً . وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه حدَّثنا محمود بن غيلان حدثنا الفضل بن موسى الشيباني حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله ﷺ أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً قالت فكنا نتطاول أيّنا أطول يداً قالت فكانت زينب أطولنا يداً لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق . انفرد به مسلم . قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازي والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالبقيع وهي أول امرأة صنع لها النعش .

سنة ستٍ من الهجرة

قال البيهقي كان يقال في المحرم منها سريّة محمد بن مسلمة قِبل نجد وأسروا فيها ثمامة بن أثال اليمامي قلت : لكن في سياق ابن اسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه شهد ذلك وهو انما هاجر بعد خيبر فيؤخر الى ما بعدها والله أعلم . وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان

على الصحيح قال ابن اسحاق وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة وولّى تلك الحجة المشركون يعني في سنة خمس كما تقدم . قال ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهري ربيع وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة الى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع حبيب وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم والمقصود انه عليه السلام لما انتهى الى منازلهم هربوا من بين يديه فتحصنوا في رؤ وس الجبال فمال الى عُسفان فلقي بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف . وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقي والأشبه ما ذكره ابن اسحاق انها كانت بعد الخندق وقد ثبت انه صلى بعسفان يوم بني لحيان فلتكتب هاهنا وتحول من هنالك اتباعا لامام أصحاب المغازي في زمانه وبعده كما قال الشافعي رحمه الله من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق . وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

لـو أن بني لحيـان كـانـوا تنـاظَـروا ... لقـوا عُصبـاً في دارهم ذاتِ مصـدق
لقَـوا سَـر عـانـاً يمـلأ السِّـرب رَوْعَـه ... أمـام طحـونٍ[1] كـالمجرَّة[2] فيلق[3]
ولكنَّهم كـانـوا (وبـاراً)[4] تتبَّـعتَ ... شعـابَ حجـازٍ غيـرِ ذي متنـفَّق

غزوة ذي قَرَد

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة فلم يقم بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزاري في خيل من غطفان على (لقاح)[5] النبي ﷺ بالغابة وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح . قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ كل قد حدث في غزوة ذي قَرد بعض الحديث ـ أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى إذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فاشرف في ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل ويقول :

خُـذْهـا وأنـا ابـنُ الأكـوع الـيـومَ يـومُ الـرضَّـع .

فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمي رمى ثم قال :

خُـذْهـا وأنـا ابـن الأكـوع الـيـومَ يـومُ الـرضـع

---

(١) طحون : حرب عظيمة .
(٢) المجرة : آلة الجز أو القطع .
(٣) فيلق : جيش عظيم .
(٤) وبار : كثير الوبر .
(٥) لقاح : نوق .

قال فيقول قائلهم : أويكعنا [١] هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع . فترامت الخيول الى رسول الله ﷺ فكان أول من انتهى اليه من الفرسان المقداد بن الأسود ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن ظهير ـ يشك فيه ـ وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمة وأبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق قال : فلما اجتمعوا الى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد ابن زيد ثم قال : أخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس وقد قال النبي ﷺ لأبي عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس ، ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة وكان ثامناً قال وبعض الناس يعد سلمة بن الأكوع ثامنا ويطرح أسيد بن ظهير فالله أعلم أي ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارسا قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا فحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة وكان يقال له الأخرم ويقال له قمير وكانت الفرس التي تحته لمحمود بن مسلمة وكان يقال للفرس ذو اللمة فلما انتهى الى العدو قال لهم : قفوا معشر بني اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية من بني عبد الأشهل أي رجع الى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن اسحاق ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره قال ابن هشام وقد ذكر غير واحد من أهل العلم انه قد قتل معه أيضا وقاص بن مجزز المدلجي . قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزا كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها الجناح فقتل محرز واستلب جناح فالله أعلم . قال ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيبَ بن عيينة وغشاه برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فاذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله ﷺ ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه قال وادرك عكاشة بن محصن أو بارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح قال وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق به الناس فأقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الأكوع يا رسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم فقال رسول الله ﷺ فيما بلغني : أنهم الآن ليغبقون [٢] في غطفان فقسم رسول الله ﷺ في

(١) أويكع : تصغير أكوع .

(٢) يغبقون : يحلبون قطعانهم عشاءً .

أصحابه في كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة قال وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من ابل النبي ﷺ حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر فلما فرغت قالت يا رسول الله إني قد نذرت الله أن أنحرها ان نجاني الله عليها قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال« بئسما جزيتيها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين انما هي ناقة من ابلي فارجعي الى أهلك على بركة الله » قال ابن اسحاق والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة بما ذكر من الاسناد والسياق . وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خيبر غزوة ذي قرد وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد سمعت سلمة بن الأكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالأولى وكانت لقاح النبي ﷺ ترعى بذي قرد قال فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح النبي ﷺ فقلت من أخذها قال غطفان قال فصرخت ثلاث صرخات واصباحاه قال فاسمعت ما بين لابتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً وأقول أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة قال وجاء النبي ﷺ والناس فقلت يا رسول الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش فابعث اليهم الساعة . فقال « يا ابن الأكوع ، ملكت فأسجح » ثم رجعنا وردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ورواه البخاري عن أبي عاصم السهلي عن يزيد بن أبي عبيدة عن مولاه سلمة بنحوه .

وقال الامام أحمد حدّثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثني اياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ فخرجت أنا ورباح غلام النبي ﷺ بظهر رسول الله ﷺ وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الإبل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله ﷺ فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل فقلت يا رباح اقعد على هذا الفرس فالحقه بطلحة وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أغير على سرحه . قال : وقمت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه ! قال : ثم اتبعت القوم معي سيفي ونبلي فجعلت أرميهم وأعقر بهم وذلك حين يكثر الشجر فاذا رجع إلى فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت فلا يقبل إلى فارس إلا عقرت به فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال : فالحق برجل منهم فارميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كتفه فقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فاذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل فاذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرديتهم بالحجارة فما زال ذاك شأني وشأنهم اتبعهم وارتجز حتى ما خلق الله شيئا من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري فاستنقذته من أيديهم ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله ﷺ حتى اذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مدداً لهم وهم في ثنيَّةٍ ضيقة ثم علوت الجبل فأنا فوقهم فقال عيينة ما هذا الذي أرى ؟ قالوا لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم اليه نفر منكم . فقام اليه نفر منهم أربعة فصعدوا في الجبل فلما أسمعتهم الصوت قلت أتعرفونني قالوا ومن أنت قلت أنا ابن الاكوع والذي كرم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم أن أظن . قال فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت الى فوارس رسول الله ﷺ يخللون الشجر واذا أولهم الأخرم الأسدي وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ وعلى أثره المقداد ابن الأسود الكندي فولّى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ائذن القوم ـ يعني أحذرهم ـ فاني لا آمن أن يقتطعوك فاتئد [1] حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . قال : يا سلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال فخليت عنان فرسه فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين فعقر الأخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم . ثم اني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي ﷺ شيئا ويعرضون قبل غيبوبة الشمس الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فأرادوا أن يشربوا منه فابصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية ثنية ذي بئر وغربت الشمس وألحق رجلا فارميه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع . قال فقال يا ثكل أم أكوع بكرة . فقلت نعم أي عدو نفسه . وكان الذي رميته بكرة وأتبعته سهما آخر فعلق به سهمان ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقهما الى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ذو قرد واذا بنبي الله ﷺ في خمسمائة واذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفتُ فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله خلني فأنتحب من أصحابك مائة فآخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال أكنت فاعلا ذلك يا سلمة ؟ قال قلت نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ثم قال : انهم يقرون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا

---

(١) إتئد : تمهل .

هرابا فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة ، فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين الى المدينة فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يُسبق جعل ينادي : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق الى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفي فقلت له : أما تكرم كريما ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا الا رسول الله ﷺ قال قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلا سابق الرجل . قال : ان شئت . قلت أذهب اليك فطفر عن راحلته وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة ثم أني ربطت عليه شرفا أو شرفين يعني استبقيت من نفسي ثم اني عدوت حتى ألحقه فاصك بين كتفيه بيدي قلت سبقتك والله أو كلمة نحوها قال فضحك وقال : أنْ أظن . حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده فسبقته الى المدينة فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا الى خيبر . ولأحمد هذا السياق . ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر وهو أشبه مما ذكره ابن اسحاق والله أعلم فينبغي تأخيرها الى أوائل سنة سبع من الهجرة فان خيبر كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن اسحاق بروايته عن أبي الزبير عن الحسن البصري مرسلا . وقد جاء متصلا من وجوه أخر .

وقال الامام أحمد حدَّثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلب عن عمران بن حصين قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال فمر به رسول الله ﷺ وهو في وثاق ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة [1] فقال يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله ﷺ نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف قال وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي ﷺ . وقال فيما قال مسلم فقال رسول الله ﷺ لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح قال ومضى رسول الله ﷺ فقال يا محمد اني جائع فاطعمني واني ظمآن فاسقني فقال رسول الله ﷺ هذه حاجتك ثم فدى بالرجلين وحبس رسول الله ﷺ العضباء لرحله . قال ثم ان المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به وكانت العضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين . قال وكانوا اذا نزلوا أراحوا ابله بأفنيتهم قال فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء فأتت على ناقة ذلول مجرسة فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة قال ونذرت ان الله انجاها عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة عرفت الناقة فقيل ناقة رسول الله ﷺ قال وأخبر رسول الله ﷺ بنذرها أو أتته فأخبرته فقال بئس ما جزيتيها أو بئس ما جزتها أن أنجّاها الله عليها لتنحرنها . قال ثم قال رسول الله ﷺ لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا

(١) قطيفة : دثار من مخمل .

يملك ابن آدم . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد .

قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لولا الذي لاقتْ ومسَّ نسورَها	بجنوبِ سايةَ أمسِ في التَّقواد
لَلَقينكم يحملْنَ كلَّ مدجَّج [1]	حامي الحقيقة ماجدَ الأجداد
ولسَرَّ أولادَ اللقيطةِ اننا	سَلَمٌ غداةَ فوارسِ المقداد
كنّا ثمانيةً وكانوا جحفلا [2]	لجباً [3] فشكوا بالرماح بداد [4]
كنّا من القوم الذين يَلُونَهُم	ويقدِّمونَ عَنَانَ كلِّ جواد
كَلاّ وربِّ الراقصاتِ الى مِنَى	يَقطعْن عرضَ مخارمِ الأطواد
حتى نُبيلَ الخيلَ في عَرَصَاتكم [5]	ونئوبَ بالملكَاتِ والأولاد
رَهْواً [6] بكلِّ مُقَلِّصٍ [7] وطمرَّةٍ [8]	في كلِّ معتركٍ عَطَفْنَ وَوَاد
أفنى دوابرَها ولاحَ مُتُونَها	يومٌ تقادُ به ويومُ طراد [9]
فكذاك إن جيادَنا ملبونةٌ [10]	والحربُ مُشْعَلةٌ بريح غواد [11]
وسيوفُنا بيضُ الحدائد تجتلي	جَنَنَ [12] الحديدِ وهامةَ المرتاد
أخَذَ الاله عليهمُ لحرامه	ولعزَّةِ الرحمن بالأسداد
كانوا بدارٍ ناعمين فبُدِّلوا	أيامَ ذي قَرَدٍ وجوهَ عِناد

قال ابن اسحاق فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسان وحلف لا يكلمه أبداً وقال انطلقَ الى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد . فاعتذر اليه حسان بأنه وافق الروي اسم المقداد ، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد :

إذا أردتمُ الأشدَّ الجلْدا	أو ذا غَناءٍ فعليكم سعدا

سعدَ بنَ زيدٍ لا يهدُّ هدّا

---

(١) مدجج : فارس كثير السلاح .
(٢) جحفل : جيش عظيم .
(٣) لجباً : كثيرو الصوت .
(٤) بداد : متعبين .
(٥) عرصاتهم : ساحات ديارهم .
(٦) رهوا : سيراً بتمهل .
(٧) مقلص : صفة للناقة .
(٨) طمرة : صفة للخيل .
(٩) طراد : رماح قصيرة .
(١٠) ملبونة : سكرى .
(١١) غواد : مبكرة .
(١٢) جنن : تروس .

قال فلم تقع منه بموقع ، وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد :

أظـنَّ عـيـينـةُ اذ زارها ... بـأنْ سـوفَ يهـدم فيهـا قصـورا
فـأكـذبتُ مـا كـنـتُ صـدّقتـه ... وقـلتـم سـنـغـنـم أمـراً كـبـيـرا
فـعـفـتُ الـمـديـنـةَ اذ زرتـهـا ... وآنستُ لـلأسـدِ فـيـهـا زئـيـرا
وولَّـوا سِـراعـا كـشـدِّ الـنـعـام ... ولم يكشِفـوا عن مُلطٍّ [1] حصيرا
أمـيـرٌ عـليـنـا رسـولُ الـمـليـك ... أحـبـبْ بـذاك الـيـنـا أمـيـرا
رسـولٌ يـصـدِّق مـا جـاءه ... ويـتـلو كِـتـابـاً مـضـيـئـاً مـنـيـرا

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :

أيـحـسـبُ أولادُ الـلقـيـطة أنـنـا ... على الخيلِ لسنا مثلَهم في الفـوارس
وإنّـا أنـاسٌ لا نـرى القتـلَ سُبَّـة ... ولا ننثني عنـدَ الرمـاح المـداعس [2]
وإنـا لَنقـري الضيفَ من قمـع الـذرى ... ونضربُ رأسَ الأبلج[3] المتشاوس [4]
نـردّ كـمـاة المُـعْلَمـين اذا انتحَـوا ... بضـربٍ يسلّي نخـوةَ الـمتـقـاعس
بكـل فتى حـامي الحقيقـة مـاجـدٍ ... كريم كسرحان العَضَاة [5] مخالس [6]
يـذودون عن أحسـابـهـم وبـلادِهـم ... ببِيضٍ تقدّ الهامَ تحت القوانس [7]
فسـائلْ ابنـي بـدرٍ اذا مـا لقـيتَـهم ... بمـا فعـل الإخـوانُ يـوم التمـارس
اذا مـا خـرجتم فـاصـدقـوا من لقيتمُ ... ولا تكتُمـوا أخبـارَكم في المجـالس
وقـولوا زلَلْنـا عن مخالبِ خـادرٍ [8] ... بـه وَحَـرٌ في الصـدر مـا لم يمـارس

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخاري وهي غزوة المريسيع . قال محمد بن اسحاق وذلك في سنة ست . وقال موسى ابن عقبة سنة اربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الافك في غزوة المريسيع هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة انها كانت في سنة أربع . والذي حكاه عنه وعن عروة انها كانت في شعبان سنة خمس. وقال الواقدي كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعمائة من أصحابه . وقال محمد بن اسحاق بن يسار بعد ما أورد قصة ذي قرد فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست . قال ابن هشام

(١) ملط : خبثاء .
(٢) مداعس : رمح يطعن به .
(٣) الابلج : الحسن الوجه .
(٤) المتشاوش : البطل .
(٥) العضاة : الشجر الكبير .
(٦) مخالس : شجاع حذر .
(٧) القونس : أعلى بيضة الحديد .
(٨) خادر : متحير .

واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ويقال نميلة بن عبد الله الليثي قال ابن اسحاق حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا : بلغ رسول الله ﷺ ان بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد هذا، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه وقال الواقدي خرج رسول الله ﷺ لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه الى بني المصطلق وكانوا حلفاء بني مدلج فلما انتهى اليهم دفع راية المهاجرين الى أبي بكر الصديق ويقال إلى عمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة، ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى في الناس ان قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد . وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال: قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون في أنعامهم تسقي على الماء فقتل مقاتلهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه قال - جويرية بنت الحارث. وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش قال ابن اسحاق وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الانصار وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ.

وذكر ابن اسحاق ان أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكة مظهراً للاسلام فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ لانه قتل خطأ فاعطاه ديته ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع مرتداً الى مكة وقال في ذلك :

شفى النفسَ ان قد باتَ بالقاعِ مسنداً ... يضرِّجُ ثوبيْه دماءُ الاخادع
وكانت همومُ النفس من قبلِ قتله ... تُلِمُّ فتحميني وِطاءَ المضاجع
حللتُ به وتري وأدركتُ ثُؤْرتي ... وكنتُ الى الاوثان أولَ راجع
ثأرتُ به فهراً[1] وحمّلتُ عَقَلَهُ ... سراةَ بني النجّار أربابَ (فارع)[2]

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الاربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم وان وجدوا معلقين باستار الكعبة . قال ابن اسحاق فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان ابن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني : يا معشر الانصار

---

(١) فهراً : تعباً .

(٢) فارع : أشراف .

وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدُّنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الاول «سمن كلبك يأكلك » أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال من مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا ولكن آذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول الى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلّغه ما سمع منه فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان في قومه شريفاً عظيماً فقال من حضر رسول الله ﷺ من الانصار من أصحابه يا رسول الله عسى ان يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حدباً على ابن أبيّ ودفعا عنه . فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال: يا رسول الله والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال أي صاحب يا رسول الله ؟ قال عبد الله بن أبيّ. قال وما قال قال زعم أنه ان رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل قال فأنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز قال يا رسول الله أرفق فوالله لقد جاءنا الله بك وأن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه فأنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً. ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما . وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبيّ ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوفوها فقال رسول الله ﷺ : لا تخوفوها فانما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار. فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان عظيماً من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين مات ذلك اليوم . وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي .وروى مسلم من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر نحو هذه القصة الا أنه لم يسم الذي مات من المنافقين قال هبت ريح شديدة والنبي ﷺ في بعض اسفاره فقال هذه لموت منافق فلما قدمنا المدينة اذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين . قال ابن اسحاق ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره فأخذ رسول الله ﷺ بأُذن زيد بن أرقم وقال هذا الذي أوفى لله بأذنه . قلت وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن اعادته هاهنا وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ولله الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب ان يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك وبالله التوفيق. قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد

الله بن أبيّ بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلاً فمر لي به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني وأني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتله. فقال عمر قد والله علمتُ لامر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري . وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان أبنه عبد الله رضي الله عنه وقف لابيه عبد الله بن أبيّ بن سلول عند مضيق المدينة فقال قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة. قال ابن اسحاق وأصيب يومئذ من بني المصطلق ناس وقَتل علي بن أبي طالب منهم رجلين مالكا وابنه. قال ابن هشام وكان شعار المسلمين : يا منصور أمت أمت .

قال ابن اسحاق وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً فقسمهم في المسلمين وقال البخاري حدثنا قتيبة بن سعد أخبرني اسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز أنه قال دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل فقال أبو سعيد خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتهينا النساء وأشدت علينا العزوبة وأحببنا العزل وقلنا نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة الا كائنة وهكذا رواه . قال ابن اسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء مالم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال أقضي عنك كتابك وأتزوجك. قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت: قالت : وخرج الخبر الى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس أصهار رسول الله ﷺ

فارسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها . ثم ذكر ابن اسحاق قصة الافك بتمامها في هذه الغزوة وكذلك البخاري وغير واحد من أهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور فليلحق بكماله إلى هاهنا وبالله المستعان .

قال الواقدي حدثنا حرام عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت جويرية بنت الحارث رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ فلما سُبينا رجوت الرؤيا قالت : فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين ارسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى . قال الواقدي: ويقال ان رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق اربعين من بني المصطلق. وذكر موسى بن عقبة عن بني المصطلق أن أباها طلبها وافتداها ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوجه إياها .

قصة الأفـك

وهذا سياق محمد بن اسحاق حديث الأفك : قال ابن اسحاق حدثني الزّهري عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة قال الزهّري : وكل قد حدثني بهذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت كل الذي حدثني القوم . قال ابن اسحاق : حدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع [1] بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله ﷺ قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن وكنت اذا رُحل لي بعيري جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملونني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلا حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن مؤذن في الناس

(١) أقرع : أجرى القرعة .

بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري فلما رجعتُ الى الرجل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم اجده وقد أخذ الناس في الرحيل فرجعت الى مكاني الذي ذهبت اليه فألتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أني فيه ثم أخذوا برأس البعير فأنطلقوا به فرجعت الى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس . قالت فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني وعرفت ان لو افتقدت لرجع الناس الي . قالت فوالله اني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس فرأى سوادي فأقبل حتى وقف على وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب فلما رآني قال: إنا الله وإنا إليه راجعون ظعينة رسول الله ﷺ ؟ وأنا متلفقة في ثيابي . قال ماخلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته . ثم قرب اليَّ البعير فقال اركبي واستأخر عني . قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما أطمأنوا طلع الرجل يقود بي فقال أهل الافك ما قالوا وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن أشتكيت شكوى شـديدة لايبلغني من ذلـك شيء . وقد انتهى الحديث الى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليَّ وعندي أمي[1] تمّرضني قال كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك قالت حتى وجدت في نفسي فقلت يا رسول الله حين رجيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني قال لا عليك قالت فانقلبت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة وكنّا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الاعاجم نعافها ونكرهها إنما كنا نخرج في فسح المدينة وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب قالت فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في (مرطها)[2] فقالت تعس مسطح (ومسطح لقب واسمه عوف) قالت فقلت بئس لعمرو الله قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدراً قالت أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر قالت قلت وما الخبر فاخبرتني بالذي كان من قول أهل الافك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي قالت وقلت لامي يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً قالت أي بنية خففي عليك الشأن فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير

---

(١) في سيرة ابن هشام : هي أم رومان واسمها زينب بنت عبد دهمان أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة .

(٢) مرطها من مرط وهو الثوب الغير مخيط .

الحق والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه الا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي ، قالت وكان كبرُ ذلك عند عبد الله بن أبيّ بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن امرأة من نسائه تناصبني في المنزلة عنده غيرها فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير يا رسول الله أن يكونوا من الأوس نكفيكهم وان يكونوا من أخواننا من الخزرج فمرنا امرك فوالله أنهم لأهل أن تضرب أعناقهم قالت فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحاً فقال كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة الا أنك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد بن حضير كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين قالت وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الاوس والخزرج شر ، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليّ فدعا عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما فأما أسامة فأثنى خيراً . ثم قال يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً وهذا الكذب والباطل . وأما علي فانه قال يا رسول الله ان النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها قالت : فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ويقول : أصدقي رسول الله ﷺ . قالت فتقول والله ما أعلم إلا خيراً وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله . قالت ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي وعندي امرأة من الانصار وأنا أبكي وهي تبكي فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا عائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقى الله وان كنت قد قارفت سواءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده . قالت فوالله أن هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئاً. وانتظرت أبوي أن يجيبا عني رسول الله ﷺ : فلم يتكلما . قالت وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله في قرآناً به ويُصلي به ، ولكني كنت أرجو أن يرى النبي ﷺ في نومه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي ويخبر خبراً وأما قرآناً ينزل فيَّ فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك قالت فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ فقالا والله ما ندري بما نجيبه . قالت ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام قالت فلما استعجما عليَّ استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً والله أني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم إني منه بريئة لأقولن مالم يكن ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني قالت ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت ولكن سأقول كما قال أبو يوسف ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللَّهُ المُسْتَعانُ عَلَى مَا تَصِفُون ﴾[1] قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه ووضعت وسادة من أدم

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٨ .

تحت رأسه فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت اني بريئةوأن الله غير ظالمي وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ماسرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتحرجن انفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . قالت ثم سرى عن رسول الله ﷺ فجلس وانه ليتحدر من وجهه مثل الجمان في يوم (شات)[1] فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: أبشري يا عائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت قلت : الحمد لله. ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدَّهم .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين عن الزهري . وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حد القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود في سننه . قال ابن اسحاق وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاقَ حسّانُ الذي كان أهلَه ... وحمنة اذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوجَ نبيِّهم ... وسخطةَ ذي العرشِ الكريم فأترحوا [2]
وآذَوا رسولَ الله فيها فجللوا ... مخازيَ تبقى عمّموها وفضّحوا
وصُبَّتْ عليهم محصَداتٌ كأنها ... شآبيبُ قَطرٍ في ذرا المزْن [3] تسفح

وقد ذكر ابن اسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء من أصحاب جهجهاه كما تقدم أوله هي :

أمسى الجلابيبُ قد عزّوا وقد كثُروا ... وابنُ الفريعةِ أمسى بَيْضَةَ البَلَد
قد ثكلتْ أُمه من كنتَ صاحبَه ... أو كان منتَشِبا في بُرثُن الأسد
ما لقتيلي الذي أعدو فآخذه ... من دِيَةٍ فيه يُعطاها ولا قَوَد
ما البحر حين تهبّ الريح سامِيةً ... فيغطَئلّ [4] ويرمي العَبْرَ بالزبد
يوما بأغلبَ مني حينَ تُبصرني ... مِلْغَيْظٍ [5] أفري كفَرْيِ العارِض البرد

(١) شات : كثير الشتاء .
(٢) أترحوا : حزنوا .
(٣) المزن : السحاب .
(٤) يغطئل : يفيض ويرتفع .
(٥) ملغيظ : اي من الغيظ .

أمـا قـريش فـاني لا أسـالـمهـا حتى يُنيبـوا من الغيّـات لـلرشَـد
ويتـركـوا الـلاتَ والعـزى بمعـزلـةٍ ويسجُـدوا كلُّهم لـلواحـدِ الصمـد
ويشهـدوا أن مـا قـال الرسـول لهم حـقٌّ فيُوفوا بـحـقّ الله والـوكـد[1]

قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تـلقَّ ذُبـابَ الـسـيف عـنـي فـانـني غـلامٌ اذا هُـوجيتُ لستُ بـشـاعـر

وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله هل علم رسول الله ﷺ بشيء من ذلك ؟ قال لا . فأطلقه ثم أتوا كلهم رسول الله ﷺ فقال ابن المعطل : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني الغضب فضربته . فقال رسول الله ﷺ : يا حسان أتشوهت على قومي اذ هداهم الله . ثم قال : أحسن يا حسان فيما أصابك . فقال : هي لك يا رسول الله . فعوضه منها بيرحاء التي تصدق بها أبو طلحة وجاريةً قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن . قال : وكانت عائشة تقول سئل عن ابن المعطل فوجد رجلا حصورا ما يأتي النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة :

حَـصـانٌ رزانٌ مـا تَـزَنُّ بـريـبـة وتُصبحُ غَـرثَى من لُحُـومِ الغـوافـل
عـقـيلةُ حيّ مـن لـؤيّ بـن غـالـبٍ كـرامِ المسـاعي مجدُهم غيرُ زائـل
وإنّ الـذي قـد قيـلَ ليس بـلائطٍ[2] بكَ الدهـرَ بل قيـلُ أمرىء بيَ ماحل
فـان كنتُ قـد قلتُ الـذي قـد زعمتُم فـلا رفـعت سـوطي اليَّ أنـامـلي
فـكيـف وودّي مـا حييتُ ونُـصْـرتي لآلِ رسـول الله زَيـنِ الـمـحـافـل
وان لـهم عـزاً تـرى الـنـاسَ دونـه قِصـاراً وطـالَ العـزُّ كـل التـطاولِ .

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهي من قوله تعالى : ﴿ إنّ الَّذِيْنَ جَاءُوا بالأفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُم لاَ تَحْسَبُوه شَرّاً لكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُم لِكُلِّ امرِىءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الأثْمِ ـ الى ـ مَغْفِرَةٌ ورزقٌ كَرِيْمٌ ﴾[3] . وما أوردناه هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق .

---

(١) الوكد : السعي والجهد .
(٢) بلائط : يلاصق .
(٣) سورة النور : الآية : ١١ حتى ٢٦ .

غـزوة الحَـديْبيـة

وقد كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف . وممن نص على ذلك الزهري ونافع مولى ابن عمر وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذي رواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة انها كانت في ذي القعدة سنة ست . وقال يعقوب بن سفيان حدّثنا اسماعيل بن الخليل على علي بن مسهر أخبرني هشام بن عروة عن أبيه قال خرج رسول الله ﷺ الى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال . وهذا غريب جدا عن عروة . وقد روى البخاري ومسلم جميعاً عن هدبة عن همّام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره ان رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر في ذي القعدة الا العمرة التي مع حجته عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ومن الجعرانة في ذي القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ البخاري . وقال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوال وخرج في ذي القعدة معتمرا لا يريد حربا قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي . قال ابن اسحاق واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس انه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له . قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قالا خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة . قال الزهري وخرج رسول الله ﷺ حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر[١] بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل [٢] قد لبسوا جنود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا الى كراع الغميم قال فقال رسول الله ﷺ يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال مَن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها . قال ابن

---

(١) قال ابن هشام ويقال « بسر » .

(٢) العوذ المطافيل : الحديثة النتاج من الابل .

اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ان رجلا من أسلم قال أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقاً وعرا أجرل [١] بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها لَلْحِطَّة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها . قال ابن شهاب فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق يخرجه على نية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش . وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأَتْ [٢] فقال ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس انزلوا . قيل له يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه . فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن . قال ابن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم ان الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب [٣] سائق بدن رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ فالله أعلم أي ذلك كان . ثم استدل ابن اسحاق للأول ان جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية أسفله يميح فقالت :

يا أيّها المائحُ دلوي دونكا ... إني رأيتُ الناسَ يحمدونكا
يُثنونَ خيراً ويمجِّدُونَكا

فأجابها فقال :

قد علمتْ جاريةٌ يمانيه ... إني أنا المائحُ واسمي ناجيه
وطعنةٍ ذاتِ رِشاشٍ واهيه ... طعَنْتُها عندَ صُدورِ العاديه

قال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وانما جاء زائراً للبيت ومعظما لحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم

---

(١) الاجرل : الخشن من الأرض .

(٢) خلأت : لم تبرح مكانها .

(٣) تمام الحديث عند ابن هشام : ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن أبي حارثة .

تعجلون على محمد ، وان محمداً لم يأت لقتال انما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم وقالوا وإن جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب . قال الزهري : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله ﷺ وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحوا مما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ثم بعثوا بحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الأحابيش وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه رسول الله ﷺ قال : ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى[1] في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله ﷺ اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك . قال فقالوا له : اجلس فانما أنت اعرابي لا علم لك . قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حلفناكم ولا على هذا عاهدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لانفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به . قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا الى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا معشر قريش اني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد واني ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسَيْتكم بنفسي . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال يا محمد أجمعت أوشاب[2] الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ فقال : امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه ؟ قال من هذا يا محمد ؟ قال هذا ابن أبي قحافة . قال اما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بهذه قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد ، قال : فجعل يقرع يده اذ يتناول لحية رسول الله ﷺ ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل اليك قال فيقول عروة ويحك ما أفظك وأغلظك . قال : فتبسم رسول الله ﷺ فقال له عروة من هذا يا محمد ؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة ابن شعبة قال أي غُدَر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس . قال الزهري فكلمه رسول الله ﷺ الله بنحو

---

(١) الهدى : النوق السمينة .

(٢) أوشاب : أخلاط الناس وأوباشهم .

مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع الى قريش فقال : يا معشر قريش اني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قومه قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم . قال ابن اسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين أمروهم أن يطيفوابعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا فأتى بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رَموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله ﷺ إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل . قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم . ودعا رسول الله ﷺ الى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله ﷺ على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله ﷺ الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة وكان جابر بن عبد الله يقول والله لكأني انظر اليه لاصقاً بأبط ناقته قد (ضبأ)[1] اليها يستتر من الناس . ثم أتى رسولَ الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل . قال ابن هشام وذكر وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي . قال ابن هشام وحدثني من أثق به عمن حدثه باسناد له عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان فضرب باحدى يديه على الأخرى . وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الأسناد ضعيف لكنه ثابت في

---

(١) ضبأ : اختبأ واستتر .

الصحيحين . قال ابن اسحاق : قال الزهري ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي الى رسول الله ﷺ وقالوا آت محمداً وصالح ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهل الى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غَرْزَه فاني اشهد انه رسول الله قال عمر وأنا أشهد انه رسول الله : ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ألست برسول الله قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال انا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني . وكان عمر رضي الله عنه يقول ما زلت أصوم واتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذٍ حتى رجوت أن يكون خيرا . قال ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم قال فقال رسول الله ﷺ اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . قال فقال سهيل : لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك . ولكن أكتب اسمك واسم أبيك . قال فقال رسول الله ﷺ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا أغلال وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها . قال : فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلتَ الى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤ يا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه وقال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجرّه يعني يردّه الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أُردُّ الى المشركين يفتنونني في ديني ! فزاد ذلك الناسَ الى ما بهم . فقال رسول الله ﷺ « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً

ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنّا لا نغدر بهم » قال : فوثب عمر بـن الخطاب مع أبي جندل يمشي الى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فانما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قـال : يقول عمـر : رجـوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضنّ الرجل بأبيه ونفذت القضية . فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود ابن مسلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلي بن أبي طالب ، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة .

وكـان رسول الله ﷺ (مضـطربـاً في الحـل)[1] وكـان يصلي في الحـرم ، فلمـا فـرغ من الصلح قـام إلى (هَدْيـه)[2] فنحره ، ثم جلس فحلق رأسـه ، وكان الـذي حلقه في ذلـك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسـول الله ﷺ قد نحـر وحلق تواثبـوا ينحرون ويحلقون . قال ابن اسحاق : حدَّثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبيـة وقصّر آخـرون ، فقال رسـول الله ﷺ : « يرحم الله المحلِّقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « يـرحم الله المحلّقين » قالـوا : والمقصّرين يـا رسول الله ؟ قـال : « يرحم الله المحلقين » قـالوا والمقصـرين يا رسـول الله ! قـال : « والمقصـرين » قالوا : يا رسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قـال : لم يشكوا . وقـال عبد الله بن أبي نجيح : حدّثني مجاهـد عن ابن عباس أن رسـول الله ﷺ أهدى عـام الحديبيـة في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين .

هذا سياق محمـد بن إسحاق رحمـه الله لهذه القصـة ، وفي سياق البخـاري كما سيـأتي مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سنراها إن شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ونذكر في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه . . . ان شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان .

قال البخاري : حدّثنا خالد بن مَخْلد حدَّثنا سليمان بن بلال حدَّثنا صالح بن كيسـان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنـا رسول الله ﷺ الصبـح ، ثم أقبل علينـا بوجهـه فقـال : أتـدرون مـاذا قـال ربكم ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قـال الله تعالى : أصبـح من عبادي مؤمن بي وكـافر بي ، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بـالكوكب ، وأمـا من قـال مُطرنـا بنجم كذا فهـو مؤمن بـالكـوكب كـافـر بي . وهكـذا رواه في غيـر مـوضـع من

---

(١) مضطربا بالحل : ضارباً خيامه خارج منطقة الحرم .

(٢) الهدي : أول رعيل من الابل .

صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهري ، وقد روى عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة .

وقال البخاري حدّثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال : تعدُّون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتْنا ما شئنا نحن وركابنا . انفرد به البخاري .

وقال ابن اسحاق في قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُوْنِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيْباً﴾[1] صلح الحديبية . قال الزهري : فما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلّم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلّم أحد في الاسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة رجل في قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

وقال البخاري : حدّثنا يوسف بن عيسى حدثنا ابن فُضَيل حدثنا حُصين عن سالم عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسولُ الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله ﷺ مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب الا ما في ركوتك . فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابركم كنتم يومئذ ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به .

وقال البخاري : حدَّثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة . فقال لي سعيد : حدثني جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية . تابعه أبو داود حدثنا قُرّة عن قتادة . تفرَّد به البخاري .

ثم قال البخاري حدَّثنا علي بن عبد الله حدَّثنا سفيان قال عمرو سمعت جابراً قال : قال

(١) سورة الفتح الآية : ٢٧ .

لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية « أنتم خير أهل الأرض » وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة . وقد روى البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر قال : إن عبداً لحاطبٍ جاء يشكوه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت لا يدخلها ، شهد بدراً والحديبية » رواه مسلم . وعند مسلم أيضاً من طرق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول أخبرتني أم ميسر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » فقالت حفصة : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة : ﴿وإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدَها﴾[1] فقال رسول الله ﷺ قد قال تعالى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِيْنَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[2] قال البخاري : وقال عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مُرّة حدثني عبد الله بن أبي أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة وكانت أسلم ثُمن المهاجرين . تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة . هكذا رواه البخاري معلقاً عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المثنى عن أبي داود عن اسحق بن ابراهيم عن النضر بن شميل كلاهما عن شعبة به .

ثم قال البخاري : حدَّثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن مروان والمِسْور بن مَخْرَمة قالا : خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بذي الحُلَيفة قلَّد الهدْي وأشعر وأحرم منها . تفرد به البخاري وسيأتي هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن اسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة ، وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه من حيث أن البُدن كنّ سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره فيكون المهلون سبع مائة ، ولا يلزم أن يهدي كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضاً، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يحرم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه وحملوا منه الى رسول الله ﷺ في أثناء الطريق فقال : هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا ما بقي من الحمار . وقد قال البخاري : حدّثنا شعبة بن الربيع حدثنا علي بن المبارك عن يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحديبية فأحرم أصحابي ولم أحرم .

---

(١) سورة مريم الآية : ٧١ .

(٢) سورة مريم الآية : ٧٢ .

وقال البخاري حدثنا محمد بن رافع حدثنا شبابة بن سَوار الفزاري حدثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا طارق عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا . وقال البخاري أيضاً حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون ، فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد : حدثني أبي انه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها . ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يعلموها ، وعلمتموها أنتم ! فأنتم أعلم ؟ ورواه البخاري ومسلم من حديث الثوري وأبي عوانة وشبابة عن طارق . وقال البخاري حدّثنا سعيد حدثني أخي عن سليمان عن عمرو بن يحيى عن عبّاد بن تميم قال : لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : على ما يبايع ابنَ حنظلة الناسُ قيل له على الموت ، قال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ ؛ وكان شهد معه الحديبية . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به . وقال البخاري : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قلت لسلمة بن الأكوع : على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال : على الموت . ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبي عبيد . وفي صحيح مسلم عن سلمة.أنه بايع ثلاث مرات في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم . وفي الصحيح عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس ، وكان أول من بايع رسولَ الله ﷺ يومئذ أبو سنان وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن وقيل سنان بن أبي سنان .

وقال البخاري : حدَّثني شجاع بن الوليد سمع النَّضْر بن محمد حدثنا صخر بن الربيع عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك ، ولكن عمرُ يوم الحديبية أرسل عبد الله الى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدري بذلك ، فبايعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ ، وهي التي تحدّث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر. وقال هشام بن عمّار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجرة فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ فقال يا عبد الله أنظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع . تفرد به البخاري من هذين الوجهين .

سياق البخاري لعمرة الحديبية

قال في كتاب المغازي : حدّثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الاشطاط أتاه عينه قال : إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك ، فقال : أشيروا أيها الناس عليّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركنا لهم محروبين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا نريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه . قال امضوا على اسم الله . هكذا رواه ها هنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال في كتاب الشهادات[1] : حدَّثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : إن خالد بن الوليد بالغَميم في خيلٍ لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس : حلْ حل ، فألحت . فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء ، فقال رسول الله ﷺ : ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد [2] قليل الماء يتبرّضه [3] تبرضاً فلم يلبّثه الناس حتى نزحوه، وشُكى إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء الخراعي في نفر من قومه من خزاعة ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة ـ فقال : إني تركت كعب ابن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت . فقال النبي ﷺ انا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشاً قد نهكتهم

(١) هو في (كتاب الشروط) .
(٢) ثمد : حوض .
(٣) يتبرض : يأخذ منه القليل .

الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا، وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن أمر الله . قال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال : أيْ قوم ، ألست بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أولستم بالولد ؟ قالوا بلى قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهلَ عكاظ فلما بلحوا [1] عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه ، فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك . أي محمد أرأيت ان استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وان تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً واني لأرى أشواباً [2] من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر : أمصصْ بظر اللات ، أنحن نفرّ عنه وندعه ؟ قال من ذا ؟ قالوا أبو بكر . قال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا قالوا المغيرة بن شعبة . فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ : أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه قال فوالله ما تنخم [3] رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون اليه النظر تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون عليّ وضوئه وإذا تكلم

---

(١) بلحوا : تجاحدوا .

(٢) أشواب : أخلاط الناس وأوباشهم .

(٣) تنخم : تدفع أو تلطم .

خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له، وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه . فقالوا ائته . فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : هذا فلان وهو من قوم يعظمون (البُدْن)[1] فابعثوها له . فبعثت له واستقبله الناس (يلبون) . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت. فلما رجع الى أصحابه قال: رأيت البُدْن قد قُلّدت وأشعرت ، فما أرى أن يُصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مِكرز بن حفص فقال دعوني آتيهِ . قالوا ائته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : لقد سهل لكم من أمركم. قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل فقال هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا باسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله ﷺ والله إني لرسول الله وان كذبتموني . اكتب محمد بن عبد الله . قال الزهري : وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله ، الا أعطيتهم إياها ؟ فقال له النبي ﷺ : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . قال سهيل : والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضُغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب . فقال سهيل وعلي أنه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته إلينا . قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلماً . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يوسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده اليّ فقال النبي ﷺ انا لم نقض الكتاب بعد . قال فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي ﷺ : فأجزه لي . قال ما أنا بمجيزه لك . قال: بلى فافعل قال: ما أنا بفاعل . قال مكرز: بلى قد أجزناه لك . قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أردُّ الى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قدلقيت -وكان قدعذب عذاباً شديداً في الله - فقال عمر رضي الله عنه فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا اذن . قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري . قلت : أولست كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنا

---

(١) البُدن : النوق المسمنة .

نأتيه العام ؟ قال قلت لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال: فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال : قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا اذن . قال أيها الرجل انه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق . قلت أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام . فقلت لا . قال فإنك آتيه ومطوّف به .
قال الزهري قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً . قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس . فقالت أم سلمة : يا نبيّ الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدنه ودعا حالقه فحلَقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ- حتى بلغ - بِعَصَمِ الكَوَافِرِ﴾[1] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبي ﷺ الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهدَ الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً . فاستلّه الآخر فقال : أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير أرني أنظر إليه . فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرَّ الآخر حتى أتي المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه « لقد رأى هذا ذُعراً » فلما انتهى الى النبي ﷺ قال : قُتل والله صاحبي واني لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى اللّهُ ذمتك ، قد رددتَني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي ﷺ « ويل امه مسعر حرب لو كان له أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه اليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر . قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عِصابة ، فوالله ما يسمعون بِعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلتْ قريش الى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم لّما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ اليهم فأنزل الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيْهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ - حتى بلغ - الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ﴾[2] وكانت حميتهم انهم لم يقرّوا أنه نبي الله ولم يقرّوا ببسم الله

---

(١) سورة الممتحنة الآية : العاشرة .

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٤ .

الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن اسحاق عن الزهري ، فقد رواه عن الزهري عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمر ومحمد ابن اسحاق كلهم عن الزهري عن عروة عن مروان ومسور ، فذكر القصة .

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بُكير عن الليث بن سعد عن عُقيل عن الزهري عن عروة [1] عن مروان بن الحكم والمسْور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله ﷺ فذكر القصة . وهذا هو الأشبه فان مروان ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وقال البخاري : حدّثنا الحسن بن اسحاق حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مِغْوَل سمعت أبا حُصين قال قال أبو وائل : لما قدم سُهيل بن حُنيف من صفين أتيناه نستخبره فقال : اتهموا الرأي ، فلقد رأيتُني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيافنا عن عواتقنا لأمر يُقْطِعنا الا أسهلن بنا الى أمر نعرفه ، قبل هذا الأمر ما نَسُدُّ منه خُصْماً [2] الا انفجر علينا خُصم ما ندري كيف نأتي له [3] .

وقال البخاري : حدّثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلتك أمك يا عمر نَزَرْت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن ، فما نَشِبْتُ أن سمعت صارخاً يصرُخ بي ، قال فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن ، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال « لقد أنزلت عليَّ الليلَة سورة لهي أحبُّ اليَّ مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ : ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ [4] قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكمالها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل .

---

(١) في صحيح البخاري (دار الطبعة العامة ١٣١٥ الجزء الثالث صفحة ١٧٢) عقيل عن ابن شهاب عن عروة .

(٢) خصما : جانبا أو زاوية .

(٣) كانوا جماعة اتهموا سهل بن حنيف بأنه قصر في القتال يوم صفين فقال لهم اتهموا رأيكم ولا تتهموني ، فإني لا أقصر وقت الحاجة ، كنا زمن النبي ﷺ لا نلبس السلاح لأمر يشتد علينا إلا أفضى بنا سلاحنا الى سهولة ، وأما أمر صفين فنحن لا نسد منه جانباً حتى ينفجر علينا منه جانب آخر فلا يمكننا اصلاحه وتلافيه .

(٤) سورة الفتح الآية : الأولى .

فصـل في السرايـا
التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

في ربيـع الأول منها أو الآخـر بعث رسول الله ﷺ عكـاشـة بن محصن في أربعين رجـلا الى . . . . فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث في آثارهم وأخذ منهم مائتي بعيـر فاستـاقها الى المدينة .

وفيها كان بعث أبي عبيدة بن الجراح الى ذي القصة بأربعين رجلا أيضاً فساروا اليهم مشاة حتى أتوها في عماية الصبح فهربوا منه في رؤوس الجبال فأسر منهم رجلا فقدم به على رسول الله ﷺ وبعثه محمد بن مسلمة في عشرة نفر وكمن القوم لهم حتى باتوا . . . أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وافلت هو جريحا .

وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالحموم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فأصابوا منها نعما وشاءً وأسروا . . . وكان فيهم زوج حليمة هذه فوهبه رسول الله ﷺ لزوجها وأطلقهما .

وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضا في جمادى الأولى الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فهربت منه الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال .

وفيها خرج زيد بن حارثة في جمادى الأولى الى العيص .

قال وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع فاستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته . وقد ذكر ابن اسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفر هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بدر فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح فأجاره لها رسول الله ﷺ وأمر الناس بردّ ما أخذوا من عيره فردّوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها الى مكة وأدّى الى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم وخرج من مكة راجعا الى المدينة فردَّ عليه رسول الله ﷺ زوجتـه بالنكاح الأول ولم يحدث نكاحا ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين اسلامه وهجرتها ست سنين ويروى سنتين . وقد بينا أنه لا منافاة بين الروايتين وان اسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين وكان اسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام الواقدي من أنه سنة ست فالله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر قد أجازه بأموال وخلع ، فلما كان بحسمي لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث اليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضا رضي الله عنه .

قال الواقدي حدَّثني عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال خرج علي رضي الله عنه في مائة رجل الى أن نزل الى حي من بني أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن لهم جمعا يريدون أن يمدُّوا يهود خيبر ، فسار اليهم بالليل وكمن بالنهار وأصاب عيناً لهم فأقر له أنه بعث الى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

قال الواقدي رحمه الله تعالى وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ، وقال له رسول الله ﷺ ان هم أطاعوا فتزوّج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الأصبع الكلبية وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقدي في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري الى العُرَنيين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارسا فردّوهم وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس ابن مالك أن رهطاً من عُكْل وعُرَينة ـ وفي رواية من عكل أو عرينة ـ أتَوْا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله انا أناس أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ وراعٍ وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا بناحية الحَرَّة قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم ، فبعث النبي ﷺ في طلبهم فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان اذا خطب بعد ذلك حَضَّ على الصدقة ونهى عن المُثْلة . وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك . وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس أن نفراً من عـرينة أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم ـ وهو البرسام ـ فقالوا هذا الموم قد وقع يا رسول الله ، لو أذنت لنا فرجعنا الى الابل . قال نعم فاخرجوا فكونوا فيها . فخرجوا فقتلوه الراعيين وذهبوا بالابل . وعنده سار من الأنصار قريب عشرين فأرسلهم اليهم وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم . وفي صحيح البخاري من طريق أيوب عن أبي قلابة عن أنس أنه قال قدم رهط من عكل فأسلموا (واجتووا)[1] المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال الحقوا بالابل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها ما شاء الله ،

---

(١) اجتووا : كرهوا المقام .

فقتلوا الراعي واستاقوا الابل ، فجاء الصريخ الى رسول الله ﷺ فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحميت فكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم وألقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحمهم . وفي رواية عن أنس قال فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش . قال أبو قلابة فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ﷺ . وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان عن محمد بن عبيد الله عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال « اللهم عمِّ عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مَسْك جمل قال فعمَّى الله عليهم السبيل فأدركوا فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم . وفي صحيح مسلم انما سملهم لانهم سملوا أعين الرعاء .

فصل فيما وَقع من الحوادث في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كما قرره الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى : ﴿ وأَتِمُوا الحَجَّ والعُمْرَةَ لِلهِ ﴾[1] ولهـذا ذهب الى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لأنه ﷺ لم يحج إلا في سنة عشر . وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ وإنما في هذه الآية الأمر بالاتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة بما فيه كفاية .

وفي هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عـام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الـذين آمَنُوا إِذَا جَا ءكُم المُؤمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَـامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلمُ بـإِيمَانِهِنَّ ، فَـإِنْ عَلَّمْتُمُوهُنَّ مُؤمِنَاتٍ فَلاَ تُرْجِعُوهُنَّ الى الكُفَّارِ لاَ هُنَّ حُلُّ لَهُم وَلاَ هُمْ يَحُلُّونَ لَهُنَّ ﴾[2] الآية .

وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الافك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم .

وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صدّ المشركين رسول الله ﷺ وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمن الناس فيهنّ بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال وقد تقدم كل ذلـك مبسوطـاً في أماكنـه ولله الحمد والمنـة . وولى الحج في هـذه السنة المشركون .

قال الواقدي وفيها في ذي الحجة منها بعث رسول الله ﷺ ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبي

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٦ .

(٢) سورة الممتحنة الآية : العاشرة .

بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة شهد بدراً الى الحارث ابن أبي شمر الغساني يعني ملك عرب النصارى ، ورضية بن خليفة الكلبي الى قيصر وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري الى هوذة ابن علي الحنفي ، وعمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمه ابن الحُرِّ .

سَنة سَبع مِن الهجرة

غزوة خيبر في أولها

قال شعبة عن الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله : ﴿ وَأَثَابَهُم فَتْحاً قَرِيْباً ﴾[1] قال خيبر . وقال موسى بن عقبة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج الى خيبر وهي التي وعده الله إياها . وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست ، والصحيح ان ذلك في أول سنة سبع كما قدمنا : قال ابن اسحاق . ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرَّم ، ثم خرج في بقية المحرم الى خيبر ، وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور قالا : انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار الى خيبر فنزل بالرجيع واد بين . . . غطفان فتخوّف أن تمدهم غطفان حتى أصبح فغدا عليهم . قال البيهقي وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخه في خروجه أول سنة سبع من الهجرة . وقال عبد الله بن ادريس عن اسحق حدَّثني عبد الله بن أبي بكر قال : لما كان افتتاح خيبر في عقيب المحرم وقدم النبي ﷺ في آخر صفر قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي . وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا حسيم يعني ابن عراك عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي ﷺ في خيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة يعني الغطفاني على المدينة قال فانتهيت اليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كهيعص وفي الثانية ويل للمطففين ، فقلت في نفسي ويل لفلان اذا اكتال بالوافي واذا كال كال بالناقص قال فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي ﷺ خيبر قال فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم . وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خيثم بن عراك عن أبيه عن نفر من بني غفار قال ان أبا هريرة قدم المدينة فذكره . قال ابن اسحاق وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة الى خيبر سلك على مصر وبنى له فيها مسجداً ثم على الصهباء ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول

---

(١) سورة الفتح الآية : ١٨ .

الله ﷺ فبلغني ان غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه حتى اذا ساروا منقلةسمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا اليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أموالهم وأهليهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر. وقال البخاري حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بُشير ان سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر حتى اذا كانوا بالصهباء ـ وهي من أدنى خيبر ـ صلّى العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فثرّى فأكل وأكلنا ثم قام الى المغرب فمضمض ثم صلّى ولم يتوضأ . وقال البخاري : حدَّثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم بن اسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع : قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ـ وكان عامر رجلا شاعراً ـ فنزل يحدو بالقوم يقول :

لا هُمَّ لـولا أنتَ مـا اهـتـدَيْنـا ... ولا تـصـدَّقْـنـا ولا صـلَّيـنـا
فـاغفـرْ فـداءً لـك مـا أبقينـا ... وألـقِيَـنْ سَـكـيـنـةً عـلـيـنـا
وثـبِّـتِ الأقـدامَ إنْ لاقـيـنـا ... إنـا إذا صِـيـح بـنـا أبـيـنـا
وبالصياح عوَّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق قالوا عامر بن الأكوع قال يرحمه الله . فقال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به . فأتينا خيبر فناصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة . ثم ان الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة فقال رسول الله ﷺ ما هذه النيران على أي شيء توقدون قالوا على لحم قال على أي لحم قالوا لحم الحمر الانسية قال النبي ﷺ اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها فقال أو ذاك . فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا قال سلمة رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي قال مالك قلت فداك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله قال النبي ﷺ كذب من قاله ان له لأجرين ـ وجمع بين أصبعيه ـ انه لجاهد مجاهد قلَّ عربي مشى بها مثله . ورواه مسلم من حديث حاتم بن اسماعيل وغيره عن يزيد بن أبي عبيد مثله . ويكون منصوباً على الحالية من نكرة وهو سائغ اذا دلت على تصحيح معنى كما جاء في الحديث فصلَّى وراءه رجل قياما . وقد روى ابن اسحاق قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال حدَّثني : محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الاسلمي أن أباه حدّثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره الى خيبر لعامر بن الأكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : انزل يابن الأكوع فخذلنا من هناتك فقال فنزل يرتجز لرسول الله ﷺ :

والله لـولا الله مـا اهـتـديـنـا ... ولا تـصـدقـنـا ولا صـلَّيـنـا
انـا اذا قـوم بـغـوا عـلـيـنـا ... وإن أرادوا فـتـنـة أبـيـنـا

فـأنـزلـن سكـينـة عـلينـا وثـبـت الأقـدام ان لاقـينـا

فقال رسول الله ﷺ يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب وجبت يا رسول الله لو أمتعتنا به . فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاري . قال ابن اسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لاصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقـدموا بسم الله . وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه ، وقد رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العطاردي عن يونس بن بكير عن ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن صالح بن كيسان عن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر حتى إذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ للناس قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم .

قال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ اذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح فان سمع أذاناً أمسك وان لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله ﷺ حتى أصبح لم يسمع أذانا فركب وركبنا معه وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم[1] ومكاتلهم[2] ، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا : محمد والخميس[3] معه ! فأدبروا هرابا ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال ابن اسحاق حدثنا هارون عن حميد عن أنس بمثله .

وقال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا أبو عيينة حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال : صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادي النبي ﷺ : ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فانها رجس . تفرد به البخاري دون مسلم .

---

(١) المساحي : من عدة العمل .
(٢) المكاتل : زنابيل يحمل فيها التمر .
(٣) الخميس : الجيش .

وقال الامام أحمد حدّثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما أتى النبي ﷺ خيبر فوجدهم حين خرجوا الى زرعهم ومساحيهم فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبي ﷺ الله أكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرَّد به أحمد وهو على شرط الصحيحين .

وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال ﷺ الصبح قريب من خيبر بـغلـس[1] ، ثم قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم ساء صباح المنذرين . فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها . قال عبـد العزيـز بـن صهيب لثابت يا أبا محمد أأنت قلت لأنس ما أصْدقها ، فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن لحوم الحمر الأهلية من طرق تذكر في كتاب الأحكام .

وقد قال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو طاهر الفقيه أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسي حدثنا محمد بن حميد الابيوردي حدثنا محمد بن الفضل عن مسلم الأعور الملائي عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بني قريظة والنضير على حمار ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف وتحته أكاف من ليف . وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي عن علي بن حجر عن علي بن مسهر ، وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان وعن عمر بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملائي الأعور الكوفي عن أنس به . وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديثه وهو يضعف . قلت والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس ان رسول الله ﷺ أجري في رفاق خيبر حتى انحسر الإزار عن فخذه ، فالظاهر انه كان يومئذ على فرس لا على حمار ، ولعل هذا الحديث ان كان صحيحا محمول على انه ركبه في بعض الأيام وهو محاصرها والله أعلم .

وقال البخاري حدثنا محمد بن سعيد الخزاعي حدثّنا زياد بن الربيع عن أبي عمران الجوني قال نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فـرأى طيـالسـة[2] فقال كأنهم الساعة يهود خيبر وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم عن زيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال: كان علّي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله ﷺ في خيبر وكان رَمِداً فقال أنا أتخلّف عن النبي ﷺ ؟ فلحق به . فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال: لأعطين الراية غداً ﴿أو ليأخذن الراية غداً﴾ رجل يحبه الله ورسوله يُفتح عليه . فنحن نرجوها . فقيل هذا علّي فأعطاه ففتح عليه . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به. ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم

---

(١) غلس : ظلمة آخر الليل .

(٢) طيالسة : كساء يلبسه الخواص من العلماء .

قال: أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال فبات الناس يَدوكون [1] ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غَدَوْا على النبي ﷺ كلّهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال فأرسل إليه فأتى فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم. وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به. وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه، قال عمر فما أحببت الامارة إلا يومئذ، فدعا علياً فبعثه ثم قال: اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت. قال علي: على ما أقاتل الناس؟ قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله لفظ البخاري.

وقال الإمام أحمد حدثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المثنى قالا حدثنا اسرائيل حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول. أن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها ثم قال: من يأخذها بحقها؟ فجاء فلان فقال أنا، قال: امض، ثم جاء رجل آخر فقال امض، ثم قال النبي ﷺ: والذي كرم وجه محمد لاعطينها رجلا لا يفر فقال هاك ياعلي. فأنطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها. تفرد به أحمد واسناده لا بأس به، وفيه غرابة وعبد الله بن عصمة ويقال ابن أعصم وهكذا يكنى بأبي علوان العجلي وأصله من اليمامة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين! وقال ابو زرعة لا بأس به، وقال أبو حاتم شيخ، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال يخطىء كثيراً وذكره في الضعفاء، وقال يحدث عن الاثبات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة.

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق: حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد: ثم بعث عمر رضي الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح. فقال رسول الله ﷺ: لاعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه وليس بفرّار. قال سلمة فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يومئذ أرمد فتفل في عينيه ثم قال: خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك، فخرج بها والله يصول[2]

---

(١) يدوكون: يضطربون.

(٢) في نسخة يساج.

يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم[1] من حجارة تحت الحصن فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب فقال اليهودي : غَلبتم وما أُنزل على موسى ، فيما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقي : أنبانا الحاكم أنبأنا الاصم أنبأنا العطاردي عن يونس بن بكير عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة أخبرني أبي قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : «لا دفعن لوائي غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح الله له ، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً ، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ثم دعا باللواء وقام قائماً فما منا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تطاولت أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه ، فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه قال فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبد الله بن بريدة يقول: حدثني أبي أنه كان صاحب مرحب .

قال يونس قال ابن اسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحى منه فقتلته .

ثم روى البيهقي عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلمة الازدي حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ربما اخذته الشقيقة[2] فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس، وان أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الاول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال لاعطينها غداً [3] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخـذها عنـوة . وليس ثمَّ عليٌّ ، فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطري ، فقال رسول الله ﷺ : مالك ؟ قال: رمدتُ بعدك ، قال ادنُ مني فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قـد عـلمتْ خيبـرُ أني مـرحبٌ ... شـاكٍ سـلاحـي بـطَلٌ مـجـرَّب
إذا الـليـوثُ أقـبـلتْ تَـلهَّـب ... وأحـجمتْ عن صَـولـة الـمـغلّب

(١) رضم : صخور أو حجار ، بعضها فوق بعض .
(٢) الشقيقة : صداع يعرض في مقدم الرأس أو الى أحد جانبيه .
(٣) يظهر سقوط « رجلاً » كما تقدم في الأحاديث السابقة .

فقال عليّ رضي الله عنه :

أنا الذي سمّتني أُمّي حَيْدَرَه كليثِ غاباتٍ شديدِ القَسْوره
أكيلكُم بالصاع كَيْلَ السندره[1]

قال فاختلفا ضربتين، فبدره علي بضربة فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة .

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب عن عبد الله بن بكر عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث علي فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة وفي اسناده من هو متهم بالتشيع والله اعلم .

وقد روي مسلم والبيهقي واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة قال: فلم نمكث الا ثلاثاً حتى خرجنا الى خيبر . قال: وخرج عامر فجعل يقول:

والله لولا أنت ما اهتدَيْنا ولا تصدَّقنا ولا صلّينا
نحنُ من فضلك ما استغنيْنا فأنزلنّ سكينةً علينا
وثبّتِ الأقدامَ إن لاقينا

قال فقال رسول الله ﷺ : من هذا القائل ؟ فقالوا عامر. فقال غفر لك ربك . قال وما خصَّ رسول الله ﷺ قط أحداً به الا استشهد. فقال عمر وهو على جمل: لولا متعتنا بعامر. قال فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:

قد علمتُ خيبرُ أني مرحب شاكي السلاحِ بطل مجرَّب
إذا الحروبُ أقبلتْ تَلَهَّبُ

قال فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسعل[2] له فرجع على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه . قال فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال مالك ؟ فقلت قالوا ان عامراً بطل

(١) السندرة : مكيال واسع . أدار قتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً . (٢) يسعل : ينشط .

عمله . فقال من قال ذلك ؟ فقلت نفر من أصحابك . فقال كذب أولئك بل له الاجر مرتين . قال وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه يدعوه وهو أرمد وقال لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله ﷺ في عينه فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له عليّ وهو يقول :

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غاباتٍ كريهِ المنظَرَه
أو فيهمُ بالصاع كَيْل السندره

قال فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح . هكذا وقع في هذا السياق ان علياً هو الذي قتل مرحباً اليهودي لعنه الله .

وقال أحمد حدَّثنا حسين بن حسن الاشقر حدثني قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن جده عن علي قال : لما قتلت مرحباً جئت برأسه الى رسول الله ﷺ

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري ان الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة . وكذلك قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن سهل أحد بني حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب   اذا الليوث أقبلت تلهَّب
إن حمايَ لَلْحمى لا يقرب

قال فأجابه كعب بن مالك :

قد عْلَمتْ خيبر أني كَعْبُ   مفرِّج الغُمَاء جريٌّ صَلْب
إذ شبَّتِ الحربُ وثارَ الحربُ   معي حُسامٌ كالعقيق عَضْبُ
يطأكمو حتى يذلَّ الصعبُ   بكفٍّ كاضٍ ليس فيه عَيْبُ

قال وجعل مرحب يرتجز ويقول : هل من مبارز : فقال رسول الله ﷺ من لهذا . فقال محمد ابن مسلمة أنا له يا رسول الله ، أنا والله الموتور ، والثائر أخي بالامس . فقال قم إليه اللهم أعنه

عليه . قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما (شجرة عُمْرِية)[١] من شجرة العُشَر[٢] المسد فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه ما دونه حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فتن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت فاستله وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن ابن اسحاق بنحوه :
قال ابن اسحاق : وزعم بعض الناس ان محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قَد علمت خيبر اني ماضِ حُلْوٌ اذا شئتُ وسُمٌّ قاضِ

وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ان محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً ثم ذكر الواقدي ان محمداً قطع رجلي مرحب فقال له أجهز عليَّ . فقال لا ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به علي وقطع رأسه فاختصما في سلبه إلى رسول الله ﷺ فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيفُ مَرْحَبْ من يَذُقْهُ يَعْطَبْ

ثم ذكر ابن اسحاق ان أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول هل من مبارز . فزعم هشام ابن عروة ان الزبير خرج له فقالت أم صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله فالتقيا فقتله الزبير . قال فكان الزبير اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ صارماً يقول والله ما كان بصارم ولكني أكرهته .

وقال يونس عن ابن اسحاق عن بعض اهله عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : خرجنا مع علي إلى خيبر بعثه رسول الله ﷺ برايته فلما دنا من الحصن خرج إليه اهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه . وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . ولكن روى الحافظ البيهقي ما لحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر الباقر عن جابر ان علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا . وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة عن جابر ثم أجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم أن أعادوا الباب .

---

(١) الشجرة العُمرية : شجرة عظيمة قديمة أتى عليها عمر طويل .
(٢) هو شجر له صمغ يقال له سكر العشر .

وقال البخاري حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي ﷺ: فنفث فيه ثلاث تفثات فما اشتكيتها حتى الساعة.

ثم قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال: التقي النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا، فمال كل قوم الى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه. فقيل يا رسول الله ما أجزأ منا أحد ما اجزأ فلان. قال انه من أهل النار. فقالوا أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: لا تبعنه فاذا اسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه. فجاء الرجل الى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله. قال وما ذاك؟ فأخبره فقال: ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وانه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وأنه من أهل الجنة. رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب عن أبي حازم عن سهل فذكره مثله او نحوه.

ثم قال البخاري: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الاسلام هذا من أهل النار. فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه. فقال قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر.

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الايمان والشهادة في ساعة واحدة. وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قالا وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال ما تريدون قالوا نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي. فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله ﷺ فقال إلى ما تدعو؟ قال أدعوك إلى الاسلام الى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن لا تعبدوا إلا الله. قال فقال العبد فماذا يكون لي أن شهدت بذلك وآمنت بالله قال رسول الله ﷺ الجنة إن مت على ذلك. فأسلم العبد فقال يا نبي الله ان هذه الغنم عندي أمانة. فقال رسول الله ﷺ أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا فان الله سيؤدي عنك أمانتك به ففعل فرجعت الغنم الى سيدها فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم. فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس فذكر الحديث في اعطائه الراية علياً. ودنوه من حصن اليهود وقتله مرحباً وقتل مع علي ذلك العبد الأسود فاحتمله المسلمون الى عسكرهم فادخل في الفسطاط فزعموا ان رسول الله ﷺ اطلع في الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال: لقد أكرم

الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام في قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين .

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة .

ثم قال البيهقي حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه حدثنا أبوبكر القطان حدثنا أبو الأزهر حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى اقتل أدخل الجنة ؟ قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول فقال : لقد حسن الله وجهك وطيب ربعك وكثر مالك وقال لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته . ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج أخبرني عكرمة بن خالد عن ابن أبي عمار عن شداد بن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتبعه فقال أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ فقسمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله ﷺ فقال ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعك على أن أرمي ها هنا وأشار الى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال ان تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا الى قتال العدو فأتى به رسول الله ﷺ يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ هو هو؟ قالوا نعم . قال صدق الله فصدقه . وكفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد . وقد رواه النسائي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه .

فصـــل :

قال ابن اسحاق : وتدنَّى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالاً مالاً ويفتتحها حصناً حصناً وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحيّ منه فقتلته ثم القموص حصن بني أبي الحقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهن صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها . قال وفشت السبايا من خيبر في المسلمين وأكل الناس لحوم الحمر فذكر نهى رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها . وقد اعتنى البخاري بهذا الفصل فأورد النهي عنها من طرق جيدة وتحريمها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الائمة الأربعة . وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس إلى إباحتها وتنوعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها فقيل لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في

الحمولة وقيل لأنها لم تكن خمست بعد وقيل لأنها كانت تأكل العذرة يعني جلالة والصحيح أنه نهى عنها لذاتها فإن في الاثر الصحيح انه نادى منادي رسول الله ﷺ ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس فاكفئوها والقدور تفور بها . وموضع تقرير ذلك في كتاب الاحكام . قال ابن اسحاق : حدثني سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله ولم يشهد جابر خيبر أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في الخيل . لفظ البخاري .

قال ابن اسحاق : وحدَّثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مكحول أن النبي ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلي ، وعن أكل كل ذي ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم ، وهذا مرسل . وقال ابن اسحاق وحدّثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرزوق مولى نجيب عن حسن الصنعاني قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاري المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فيها خطيباً فقال : أيها الناس اني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله ﷺ فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماء زرع غيره يعني اتيان الحبالى من السبي لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوماً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه . وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن اسحاق . ورواه الترمذي عن حفص بن عمر الشيباني عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ربيعة بن سليم عن بشر ابن عبيدالله عن رويفع بن ثابت مختصراً وقال حسن .

وفي صحيح البخاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم . وقد حكى ابن حزم عن علي وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم النيء. والذي نقله الترمذي عنهما الكراهة فالله أعلم . وقد تكلم الناس في الحديث الوارد في الصحيحين من طريق الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية . هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره عن الزهري وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين : أحدهما ان يوم خيبر لم يكن ثم نساء يتمتعون بهن إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسباء عن نكاح المتعة . الثاني : أنه قد ثبت في صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة عن معبد عن أبيه أن رسول الله ﷺ أذن لهم في المتعة زمن الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى

عنها وقال : ان الله قد حرمها الى يوم القيامة فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد . ومع هذا فقد نص الشافعي على أنه لا يعلم شيئاً أبيح ثم حرم ثم أبيح ثم حرم غير نكاح المتعة وما حداه على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه[1]

وقد حكى السهيلي وغيره عن بعضهم أنه ادَّعى أنها أبيحت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات وقال آخرون أربع مرات وهذا بعيد جداً والله أعلم . واختلفوا أي وقت اول ما حرمت فقيل في خيبر وقيل في عمرة القضاء وقيل في عام الفتح وهذا يظهر وقيل في أوطاس وهو قريب من الذي قبله وقيل في تبوك وقيل في حجة الوداع رواه أبو داود .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي رضي الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير وانما المحفوظ فيه ما رواه الامام أحمد : حدَّثنا سفيان عن الزهري عن الحسن وعبد الله ابني محمد عن أبيهما ـ وكان حسن أرضاهما في أنفسهما ـ أن علياً قال لابن عباس : ان رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر . قالوا فاعتقدنا الراوي ان قوله خيبر ظرف للمنهى عنهما وليس كذلك إنما هو ظرف للنهي عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً وانما جمعه معه لأن علياً رضي الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين علي : إنك امرؤ تائه أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقده في ذلك من الاباحة . والى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي تغمده الله برحمته آمين . ومع هذا ما رجع ابن عباس عما يذهب [إليه] من [اباحة] الحمر والمتعة ، أما النهي عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولتهم وأما المتعة فإنما كان يبيحها عند الضرورة في الأسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرفاهية والوجدان وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ولم يزل مشهوراً عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جريج وبعده . وقد حكى عن الامام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس وهي ضعيفة وحاول بعض من صنف في الحلال نقل رواية عن الامام بمثل ذلك ولا يصح أيضاً والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب الاحكام وبالله المستعان .

قال ابن اسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض من أسلم أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنى وأكثرها طعاماً (وودكاً) [2] . فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان

---

(١) بياض بالأصل بمقدار سطر .

(٢) الودك : الدسم من اللحم ودهنه الذي يستخرج منه

أكثر طعاماً وودكاً منه .

قال ابن اسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا الى حصنهم الوطيح والسُّلالم وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرةليلة ـ قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر يا منصور أمت أمت .

قال ابن اسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان الأسدي الاسلمي عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال : اني لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية اذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله ﷺ من رجل يطعمنا من هذه الغنم قال أبو اليسر فقلت أنا يا رسول الله قال فافعل . قال فخرجت أشتد مثل الظليم فما نظر إليّ رسول الله ﷺ مولياً قال اللهم أمتعنا به قال فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن فأخذتُ شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدي ثم جئت بهما أشتد كأنه ليس معي شيء حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ فذبحوهما فأكلوهما فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً وكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امتعوا بي لعمري حتى كنت من آخرهم . وقال الحافظ البيهقي في الدلائل أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني حدثنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا سعدان بن نصر حدثنا أبو معاوية عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدي أو عن أبي قلابة قال لما قدم النبي ﷺ خيبر قدم والثمرة خضرة قال فأسرع الناس اليها فحمّوا فشكوا ذلك إليه فأمرهم أن يقرّسوا الماء في الشنان[1] ثم يجرونه عليهم إذا أتى الفجر ويذكرون اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عقل . قال البيهقي ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً وعنه بين صلاتي المغرب والعشاء . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى وبهز قالا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال حدثنا عبد الله بن مغفل قال دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت لا أعطي أحداً منه شيئاً قال فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ يتبسم ـ وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال كنا نحاصر قصر خيبر فألقى الينا جراب فيه شحم فذهبت فأخذته فرأيت النبي ﷺ فاستحيت وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ عن عثمان بن المغيرة . وقال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال أصبت من فيء خيبر جراب شحم قال فاحتملته على عنقي الى رحلي وأصحابي قال فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها فأخذ بناحيته وقال هلم حتى تقسمه بين المسلمين قال وقلت لا والله لا أعطيكه قال وجعل يجاذبني الجراب قال فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكاً ثم قال لصاحب المغانم خل بينه وبينه قال فأرسله فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه. وقد استدل الجمهور بهذا الحديث على الامام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال

(١) الشنان : الاسقية الخلقة وهي أشد تبريداً للماء من الجُدد .

وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال لكم قال وليس هذا من طعامهم فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم . وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يخمس ويعضد ذلك ما رواه الامام أبو داود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية حدثنا اسحاق الشيباني عن محمد بن أبي مجالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال قلت كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ فقال أصبنا طعاماً يوم خيبر وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف . تفرد به أبو داود وهو حسن .

ذكر قصّة صفية بنت حيي النضرية

كان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة كما تقدم فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي الحقيق وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها فلما زفت إليه وأدخلت اليه بنى بها ومضى على ذلك ليالي رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها فقصت رؤ ياها على ابن عمها فلطم وجهها وقال أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك . فما كان الا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إياهم فكانت صفية في جملة السبي وكان زوجها في جملة القتلى . ولما اصطفاها رسول الله ﷺ وصارت في حوزه وملكه كما سيأتي وبنى بها بعد استبرائها وحلها وجد أثر تلك اللطمة في خدها فسألها ما شأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤ يا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها قال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال : صلى النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلس ثم قال : الله أكبر خربت خيبر ، انا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين فخرجوا يسعون في السكك فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبى الذرية ، وكان في السبي صفية فصارت الى دِحْية الكلبي ثم صارت الى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها . ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن زيد وله طرق عن انس . وقال البخاري : حدثنا آدم عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سبى النبي ﷺ صفية فأعتقها وتزوجها . قال ثابت لأنس ما أصدقها قال أصدقها نفسها فاعتقها تفرد به البخاري من هذا الوجه . وقال البخاري حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح . وحدثنا أحمد بن عيسى حدثنا ابن وهب أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك قال : قدمنا خيبر فلما فتح ﷺ الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروساً فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه فخرج بها حتى بها سُدَّ الصهباء حلت فبنى بها رسول الله ﷺ ثم صنع حيساً[1] في نَطـع[2] صغير ثم قال لي : آذنَ مَن حولكَ فكانت تلك وليمته على صفية . ثم خرجنا الى المدينة

---

(١) الحيس : طعام من التمر والسمن .

(٢) نطع : بساط من الجلد توضع عليه الوليمة .

فرأيت النبي ﷺ يحوّي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب . تفرد به دون مسلم . وقال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حُميد أنه سمع أنساً يقول : أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبنى عليه بصفية فدعوت المسلمين الى وليمته وما كان فيها من خبز ولحم وما كان فيها الا أن أمر بلالاً بالانطاع فبسطت فألقى عليها التمر والاقط والسمن فقال المسلمون احدى امهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ فقالوا ان حجبها فهي احدى أمهات المؤمنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب . انفرد به البخاري . وقال أبو داود وحدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدحية الكلبي ثم صارت لرسول الله ﷺ . وقال أبو داود حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : جمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله اعطني جارية من السبي قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله أعطيت دحية قال يعقوب صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك قال ادعوا بها فلما نظر اليها النبي ﷺ قال خذ جارية من السبي غيرها وان رسول الله ﷺ أعتقها وتزوجها . وأخرجاه من حديث ابن علية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن خلاد الباهلي حدثنا بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس قال وُقع في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ثم دفعها الى أم سلمة تصنعها وتهيئها قال حماد وأحسبه قال وتعتد في بيتها صفية بنت حيي تفرد به أبو داود .

قال ابن اسحاق فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص حصن بني أبي الحقيق أتى بصفية بنت حيي بن أخطب وأخرى معها فمر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال : أعربوا عني هذه الشيطانة . وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه . وقال رسول الله ﷺ لبلال فيما بلغني حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمراً وقع في حجرها ، فعرضت رؤ ياها على زوجها فقال : ما هذا الا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هذا ، فأخبرته الخبر . قال ابن اسحاق : وأتى رسول الله بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه فجحد ان يكون يعلم مكانه . فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله ﷺ لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ قال نعم . فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال عذبه

حتى تستأصل ما عنده . وكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

فَصــل :

قال ابن اسحاق وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل ، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم الا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع أهل فَدَك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله ﷺ ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيّصة بن مسعود أخو بني حارثة . فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وعامل أهل فدك بمثل ذلك .

فَصــل :

فتح حصونها وقسيمة أرضها

قال الواقدي لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ الى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة وتحرج الى أهل الشق فان أهل الشق قد هلكوا رعباً منك قال فأمنه رسول الله على أهله وماله فقال له اليهودي انك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك ، ان لهم تحت الأرض دبولاً[1] يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون الى قلعتهم . فأمر رسول الله ﷺ بقطع دبولهم فخرجوا فقاتلوا أشد القتال وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة وافتتحه رسول الله ﷺ وكان آخر حصون النطاة . وتحول الى الشق وكان به حصون ذوات عدد فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا الى البراز فبرز اليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعاً فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه[2] وبرز منهم آخر فقام اليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي فنهض اليه أبو دجانة فقتله وأخذ سلبه وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجانة فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا

---

(١) دبول : جدول ماء .

(٢) عرقوب : عصب غليظ فوق العَقِب .

وغنما وطعاماً وهرب من كان فيه من المقاتلة وتقحموا الجزر كأنهم الضباب حتى صاروا الى حصن البزاة بالشق وتمنعوا أشد الامتناع فزحف اليهم رسول الله ﷺ وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة حتى أصاب نبلهم بنانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساخ في الأرض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد . قال الواقدي : ثم تحول رسول الله ﷺ الى أهل الأخبية والوطيح والسلالم حصني أبي الحقيق وتحصنوا أشد التحصن وجاء اليهم كل من كان انهزم من النطاة الى الشق فتحصنوا معهم في القموص وفي الكتيبة وكان حصناً منيعاً وفي الوطيح والسلالم وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى همَّ رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوما نزل اليه ابن أبي الحقيق فصالحه على حقن دمائهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء[1] والكراع والحلقة وعلى البز الا ما كان على ظهر انسان يعني لباسهم فقال رسول الله ﷺ وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتم شيئاً فصالحوه على ذلك .

قلت ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك[2] الذي كان فيه أموال جزيلة تبين أنه لا عهد لهم فقتل ابني أبي الحقيق وطائفة من أهله بسبب نقض العهود منهم والمواثيق .

وقال الحافظ البيهقي حدَّثني أبو الحسن علي بن محمد المقري الاسفرايني حدثنا الحسن بن محمد بن اسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبيد الله بن عمر فيما يحسب أبو سلمة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم الي قصرهم فغلب على الأرض والزرع والنخل فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء ويخرجون منها واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يُغَيِّبوا شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا فيه مال وحلي لحيي بن أخطب وكان احتمله معه الى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله ﷺ حينئذ : ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير فقال أذهبته النفقات والحروب فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله ﷺ الى الزبير فمسه بعذاب وقد كان حيي قبل ذلك دخل خربة فقال قد رأيت حيياً يطوف في خربة هاهنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنكث الذي نكثوا وأراد اجلاءهم منهما فقالوا يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلال يقومون عليها وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها فأعطاهم خيبر على أن لهم

---

(١) الصفراء والبيضاء : الذهب والفضة .

(٢) المسك : الجلد .

الشطر من كل زرع ونخيل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول الله ﷺ شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله تطعموني السحت[1] والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الي ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض . قال فرأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة فقال يا صفية ما هذه الخضرة فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قمراً وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال تتمنين ملك يثرب . قالت وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس اليّ قتل زوجي وأبي فما زال يعتذر إلي ويقول ان أباك ألَّب عليَّ العرب وفعل ما فعل حتى ذهب ذلك من نفسي . وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير فلما كان في زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا[2] يديه فقال عمر : من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها بينهم . فقال رئيسهم لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال عمر : أتراني سقط على قول رسولَ الله ﷺ كيف بك إذا وقصت[3] بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً . وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية . وقد رواه أبو داود مختصرا من حديث حماد بن سلمة . قال البيهقي وعقله البخاري في كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره في الأطراف فالله أعلم . وقال أبو داود وحدَّثني سليمان بن داود المهري حدثنا ابن وهب أخبرني أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن عبد الله ابن عمر قال : لما فتحت خيبر سألتْ يهود رسول الله ﷺ أن نقرهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله ﷺ أقركم فيها على ذلك ما شئنا فكانوا على ذلك وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقا من شعير . فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل الى أزواج النبي ﷺ فقال لهن : من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤ ها ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا . وقد روى أبو داود من حديث محمد بن اسحاق حدَّثني نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر قال أيها الناس ان رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يخرجهم اذا شاء فمن كان له مال فليلحق به فاني مخرج يهود . فأخرجهم وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال مشيت أنا وعثمان بن عفان الى رسول الله ﷺ فقلنا أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : انما بنو هاشم

(١) السحت : الحرام .
(٢) فدعوا : شقوا .
(٣) وقص : رمى من عليه .

وبنو المطلب شيء واحد . قال جبير بن مطعم ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً . تفرد به دون مسلم . وفي لفظ أن رسول الله ﷺ قال : ان بني هاشم وبني عبد المطلب شيء واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام . قال الشافعي دخلوا معهم في الشعب وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم .قلت وقد ذم أبو طالب بني عبد شمس ونوفلا حيث يقول :

جزى اللهُ عنّا عبدَ شمسٍ ونوفَلا عقوبة شرٍّ عاجِلاً غيرَ آجلِ

وقال البخاري حدثنا الحسن بن اسحاق ثنا محمد بن ثابت ثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما . قال فسره نافع فقال : اذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس فله سهم . وقال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر أخبرني زيد عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس ببّانا[1] ليس لهم شيء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر ، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها . وقد رواه البخاري أيضا من حديث مالك وأبو داود عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر به . وهذا السياق يقتضي أن خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين . وقد قال أبو داود ثنا ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها [على الجلاء] بعد القتال ، وبهذا قال الزهري خمس رسول الله ﷺ خيبرثم قسم سائرها على من شهدها . وفيما قاله الزهري نظر فان الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الامام مخير في الأراضي المغنومة إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح . قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا حدثني سفيان عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبي حثمة قال : قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين ؛ نصفا لنوائبه ، ونصفا بين المسلمين ،قسمهابينهم على ثمانية عشر سهما . تفرد به أبو داود ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلا فعين نصف النوائب الوطيح والكتيبة والسلالم وما حيز معها ، ونصف المسلمين الشق والنطاة وما حيز معهما وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهما . وقال أيضاً حدثنا حسين بن علي ثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر فقسمها على ستة وثلاثين سهما ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس . تفرد به أبو داود . قال أبو داود حدثنا

(١) بتشديد الباء الثانية كما في النهاية والمصباح .

محمد بن عيسى ثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصاري سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري ـ وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن ـ قال قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهما ، وكان الجيش الفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما تفرد به أبو داود . وقال مالك عن الزهري أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة . ورواه أبو داود ثم قال أبو داود : قرىء على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم ابن وهب حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة وبعضها صلحاً والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت لمالك وما الكتيبة ؟ قال أرض خيبر وهي أربعون الف عذق . قال أبو داود والعذق والنخلة . والعذق العرجون . ولهذا قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا حرمي ثنا شعبة ثنا عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر . حدثنا الحسن ثنا قرة ابن حبيب ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال ما شبعنا ـ يعني من التمر ـ حتى فتحنا خيبر . وقال محمد بن اسحاق ! كانت الشق والنطاة في سهمان المسلمين الشق ثلاثة عشر سهماً ونطاة خمسة أسهم قسم الجميع على الف وثمانمائة سهم ودفع ذلك إلي من شهد الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله فضرب له بسهمه ، قال وكان أهل الحديبية الفاً وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان فصرف الى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهماً ، وزيد المائتا فارس أربعمائة سهم لخيولهم . وهكذا رواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن صالح بن كيسان أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة معهما مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن عدي .

قال ابن اسحاق : وكانت الكتيبة خمسا لله تعالى وسهم للنبي ﷺ وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وطعمة أزواج النبي ﷺ وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فدك ، منهم محيصة بن مسعود أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير ، قال وكان وادياها اللذان قسمت عليه يقال لهما وادي السرير ووادي خاص . ثم ذكر ابن اسحاق تفاصيل الاقطاعات منها فأجاد وأفاد رحمه الله ـ قال وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية ابن خنساء أخو بني سلمة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خرص[1] نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم لما

---

(١) خرص : جريد النخل .

قتل رضي الله عنه كما سيأتي في يوم مؤتة ولي بعده جبار بن صخر رضي الله عنه وقد قال البخاري حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمر جنيب[1] ، فقال رسول الله ﷺ « أكل تمر خيبر هكذا ؟ » قال لا والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة ، فقال « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا » . قال البخاري وقال الدراوردي عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر وأمره عليها ، وعن عبد المجيد عن أبي صالح السمان عن أبي سعيد وأبي هريرة مثله .

قلت : كانَ سهم النبي ﷺ الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بني النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف[2] المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ثم يجعل ما بقي مجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبي ﷺ ـ أو أكثرهن ـ أن هذه الأراضي تكون موروثة عنه ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة » ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه إليهم ؛ وذكر لهم قول رسول الله ﷺ «لا نورث ما تركنا صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي ، وصدق رضي الله عنه وأرضاه فأنه البار الراشد في ذلك التابع للحق ، وطلب العباس وعلي على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظرا في هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي ﷺ يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه . فتغضب فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعد الموجدة ولم يكن لها ذلك . والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محله ومنزلته من رسول الله ﷺ وقيامه في نصرة النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته فجزاه الله عن نبيه وعن الاسلام وأهله خيراً ، وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد على البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة الى علي والعباس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضي الله عنه ذلك وذلك لكثرة اشغاله وأتساع مملكته وامتداد رعيته ، فتغلب علي على عمه العباس فيها ثم تساوقا يختصمان الى عمر وقدما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فأمتنع عمر

(١) جنيب : جيد .

(٢) يوجف : يعدو ويسير .

من ذلك أشد الأمتناع وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث وقال انظرا فيها وأنتما . جميع فأن عجزتما عنها فادفعاها الي ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاء غير هذا . فأستمرا فيها ومن بعدهما إلى ولدهما إلى أيام بني العباس تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها ؛ أموال بني النضير وفدك وسهم رسول الله ﷺ من خيبر .

فَصــل :

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ[1] لهم رسول الله ﷺ شيئا من الغنيمة ولم يسهم لهم . قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ثنا بشر بن المفضل عن محمد بن زيد حدثني عمير مولى آبي اللحم قال : شهدت خيبر مع سادتي فكلموا فيّ رسول الله ﷺ فأمر بي فقلدت سيفا ، فاذا أنا أجره ، فأخبر أني مملوك فأمر لي بشيء من طريق المتاع ورواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن بشر بن المفضل به [وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر عن منقذ عن عمير به .

وقال محمد بن اسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء فرضخ لهن [من الفيء] ولم يضرب لهن بسهم حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قد سماها لي قالت أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار ، فقلنا يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا ـ وهو يسير الى خيبر ـ فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال « على بركة الله » قالت فخرجنا معه ، قالت وكنت جارية حدثة السن فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رحله ، [قالت فوالله لنزل رسول الله ﷺ الى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ، قالت] وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها ، قالت فتقبضت الى الناقة واستحيت . فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال « مالك ؟ لعلك نفست » قالت قلت نعم ، قال « فاصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك » قالت فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي فوالله لا تفارقني أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها ، قالت وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت في طهورها ملحا وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت . وهكذا رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن اسحاق به . قال شيخنا أبو الحجاج المزي في أطرافه ورواه الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن أم علي بنت أبي الحكم عن أمية[2] بنت أبي الصلت عن النبي ﷺ به . وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى ثنا رافع بن

(١) قال السهيلي أصل الرضخ (بالمعجمة) ان تكسر من الشيء الرطب كسرة فتعطيها وأما الرضح بالحاء المهملة فكسر اليابس .
(٢) وفي الاصابة ان اسمها أمه أو أمامة أو امينة أو أمية وقال في موضع أميمة بنت قيس بن أبي الصلت .

سلمة الأشجعي حدثني حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت فبلغ النبي ﷺ أن معه نساء ، قالت فأرسل الينا فدعانا . قالت فرأينا في وجهه الغضب فقال : « ما أخرجكن وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا خرجنا نناول السهام ونسقي السويق ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشعر فنعين به في سبيل الله قال فمرن فانصرفن ، قالت فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها يا جدة وما الذي أخرج لكن ؟ قالت تمرا .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا : والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ أن عبد الله الأصبهاني أخبره حدثنا الحسين بن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا الواقدي حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله ﷺ الى خيبر ومعي زوجتي وهي حبلى فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي « انقع لها تمراً فاذا انغمر فأمر به لتشربه » ففعلت فما رأت شيئا تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجدى النساء ولم يسهم لهن ، فأجدى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون

قال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة والآخرة أبو رهم ، إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو أثنين وخمسين رجلا من قومي، فركبنا سفينةفألقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة ، ودخلت أسماء بنت عميس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصةوأسماء عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه؟ قالت أسماء ابنةعميس، قال عمر الحبشيةهذه؟ البحريةهذه؟ قالت أسماء نعم! سبقناكم بالهجرةفنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار ـ أوفي أرض ـ البعداء والبغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ ، وأيم الله لاأطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ وأسأله ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا قالت وقال«فما قلت له؟»قالت قلت كذا وكذا، قال«ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » قالت فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح وَلا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ قال أبو بردة قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد هذا

الحديث مني . وقال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي ﷺ «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام اذا لقي العدو ـ أو قال الخيل ـ قال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » . وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن براد عن أبي أسامة . به . ثم قال البخاري قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا حفص بن غياث ثنا يزيد بن [عبد الله بن]أبي بردة عن أبي موسى قال : قدمنا على النبي ﷺ بعد أن أفتتح خيبر فقسملنا ولميقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرد به البخاري دون مسلم . ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث يزيد به . وقد ذكر محمد بن اسحاق أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبي ﷺ خيبر . قال وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال «ما أدري بأيهما أنا أسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلاً وأسند البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال: لما قدم رسول الله ﷺ ، من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقاه وقبل جبهته وقال«والله ما أدري بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»ثم قال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا الحسين بن أبي اسماعيل العلوي ثنا احمد بن محمد البيروتي ثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة حدثني مكي بن ابراهيم الرعيني ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله ﷺ ، فلما نظر جعفر إليه حجل ـ قال مكي يعني مشي على رجل واحدة ـ إعظاما لرسول الله ﷺ ، فقبل رسول الله ﷺ بين عينية. ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يعرف إلى الثوري .

قال ابن اسحاق: وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلا ، وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم ؛ جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وأمرأته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامرأته أمينة[1] بنت خلف بن سعد، وولداه سعيد ، وأمه بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو ابن سعيد بن العاص، ومعبعيب بن أبي فاطمة وكان إلى آل سعيد بن العاص، قال وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ؛ وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي ، وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل العبدري ، وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة، وابنا عمرو ، وابنته خزيمة ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهري ، وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت

---

(١) كذا في ابن هشام وفي الاصابة : أميمة بنت خلف بن أسعد الخ وقال يقال أمينة وهمينة .

الحارث رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجمحي ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم، ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدوي، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة ابن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدي ، والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهري :

قلت : ولم يذكر ابن اسحاق اسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخاري . وكأن ابن اسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك والله أعلم قال وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد حررها هنا شيئاً كثيراً حسنا . قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان سمعت الزهري وسأله اسماعيل بن أمية قال أخبرني عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة أتى رسول الله ﷺ وسأله - يعني أن يقسم له - فقال بعض بني سعيد بن العاص لاتعطه ، فقال أبو هريرة هذا قاتل ابن قوقل فقال : واعجبا لو يرتد لي من قدوم الضأل[1] تفرد به دون مسلم. قال البخاري ويذكر عن الزبيدي عن الزهري أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال: بعث رسول الله ﷺ أبانا على سرية من المدينة قبل نجد ، قال أبو هريرة فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعد ما افتتحها. وأن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة فقلت يا رسول الله لا تقسم لهم ، فقال أبان وأنت بهذا ياوبر تحدر من رأس ضأل. وقال النبي ﷺ «يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم، وقد أسند أبو داود هذا الحديث عن سعيد بن منصور عن اسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحو ثم قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل الى النبي ﷺ فسلم عليه ، فقال أبو هريرة يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل ، فقال أبان لأبي هريرة: واعجبا لك يا وبر تردي من قدوم ضأل تنعي على امرءاً أكرمه الله بيدي، ومنعه أن يهينني بيده ؟ هكذا رواه منفرداً به هاهنا وقال في الجهاد بعد حديث الحميدي عن سفيان عن الزهري عن عنبسة بن سعيد عن أبي هريرة قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحها، فقلت يا رسول الله أسهم لي ، فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له ، فقلت يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل الحديث . قال سفيان حدثنيه السعيدي - يعني عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبي هريرة بهذا . ففي هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم في أول هذه الغزوة . رواه الامام أحمد من طريق عباك بن مالك عن أبي هريرةوأنه قدم على رسول الله ﷺ بعد ما افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا في أسهامهم وقال الإمام أحمد حدثنا روح ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار قال: ما شهدت مع رسول الله

---

(١) الضأل : حية دقيقة .

ﷺ مغنما قط إلا قسم لي، إلا خيبر فانها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت: وكان أبو هريرةوأبو موسى جاآبين الحديبيةوُخيبر. وقد قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن مالك بن أنس حدثني ثور حدثني سالم مولى [عبد الله] ابن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول: افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال مدعم أهداه بعض بني الضبيب فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ آذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس هنيئا له الشهادة فقال رسول الله ﷺ « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين فقال: هذا شيء كنت أصبته ، فقال رسول الله ﷺ « شراك أو شراكين من نار ».

قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر

قال البخاري : رواه عروة عن عائشة عن النبي ﷺ ثم قال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثني سعيد بن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم هكذا أورده هاهنا مختصراً . وقد قال الإمام أحمد حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ « أجمعوا لي من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له فقال النبي ﷺ « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه ؟» قالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ « من أبوكم ؟ » قالوا أبونا فلان ، فقال رسول الله ﷺ « كذبتم بل أبوكم فلان » قالوا صدقت وبررت فقال « هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم عنه ؟» قالوا نعم يا أبا القاسم ، وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا ، فقال رسول الله ﷺ « من أهل النار ؟» فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ « والله لا نخلفكم فيها أبداً » ثم قا ل لهم «هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم، فقال « هل جعلتم في هذا الشاة سما » فقالوا نعم ! قال « ما حملكم على ذلك »؟ قالوا أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك وإن كنت نبياً لم يضرك. وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف . وفي المغازي أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث به . وقال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة فقال لأصحابه « أمسكوا فانها مسمومة » وقال لها « ما حملك على ما صنعت ؟» قالت أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه ، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك . قال فما عرض لها رسول الله ﷺ . رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به . ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك. وقال الإمام أحمد حدثنا شريح ثنا عباد عن هلال ـ هو ابن

خباب ـ عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فأرسل إليها فقال « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت أحببت ـ أو أردت ـ إن كنت نبياً فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك . قال فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً أحتجم ، قال فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم . تفرد به أحمد واسناده حسن . وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد عن انس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك ؟ قالت أردت لأقتلك ، فقال « ما كان الله ليسلطك علي » أو قال « على ذلك » قالوا ألا تقتلها قال « لا » قال أنس فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ وقال أبو داود حدثنا سليمان بن داود المهري ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية[1] ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها فقال لها « أسممت هذه الشاة ؟» قالت اليهودية من أخبرك ؟ قال « أخبرتني هذه التي في يدي » وهي الذراع ، قالت [نعم] قال « فما أردت بذلك »؟ قالت قلت إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبي ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولي لبني بياضة من الأنصار. ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر، قال فمات بشر بن البراء بن معرور، فأرسل إلى اليهودية فقال « ما حملك على الذي صنعت »؟ فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله ﷺ فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة . قال البيهقي ورويناه من حديث حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال: ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها . وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت الى رسول الله ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال « ما هذه ؟» قالت هدية، وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل ، قال فأكل وأصحابه ثم قال « امسكوا » ثم قال للمرأة «هل سممت ؟» قالت من أخبرك هذا ؟ قال « هذا العظم » لساقها وهو في يده ، قالت نعم قال «لم ؟ » قالت أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك . قال فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا. ومات بعضهم . قال الزهري فأسلمت فتركها النبي ﷺ . قال البيهقي هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه . وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل منهم من قتل،

---

(١) صلى اللحم يصليه صلياً شواه في النار كأصلاه وصلاه عن القاموس .

أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها ، وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة الى رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بني سلمة ، فقدمت إليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها ، وتناول بشر عظما فانتهش منه ، فلما استرط[1] رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء مافي فيه ، فقال رسول الله ﷺ «ارفعوا أيديكم فان كتف هذه الشاة يخبرني أني نعيت [2] فيها » فقال بشر بن البراء والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعني أن الفظها إلا أني أعظمتك أن أبغضك طعامك ، فلما أسغت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان[3] وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول. قال الزهري قال جابر واحتجم رسول الله ﷺ يومئذ حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشفرة وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال « ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري[4] فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً.

وقال محمد بن اسحاق: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية، وقد سألت اي عضو أحب الى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال « إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم » ثم دعا بها فاعترفت، فقال «ما حملك على ذلك » قالت بلغت من قومي مالم يخف عليك ، فقلت إن كان كاذباً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر. قال فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل .

قال ابن اسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه ـ ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور ـ «يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر » . قال ابن هشام : الأبهر العرق المعلق بالقلب . قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحراني قالا ثنا أبو غياث سهل بن حما د ثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أن يهودية أهدت الى رسول الله ﷺ شاة سميطا ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله ﷺ «أمسكوا فان عضوا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » فأرسل الى صاحبتها « أسممت طعامك » قالت نعم قال « ما حملك

---

(1) استرط : بلع .

(2) نعاه له نعيا ونعياً أخبره بموته والنَّعي الناعي .

(3) الطيلسان : كساء أخضر يلبسه الخواص .

(4) ابهري : الأبهر هو الشريان المعلق بالقلب .

على ذلك ؟» قالت إن كنت كذاباً أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه . فبسط يده وقال « كلوا بسم الله » قال فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحداً منا . ثم قال لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة والله اعلم . وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤ يا ورسول الله ﷺ محاصر خيبر فطمع من رؤ ياه أن يقاتل رسول الله ﷺ فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها ؛ فقال: يا محمد اعطني ما غنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله ﷺ « كذبت رؤ ياك » وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة فلقيه الحارث ابن عوف فقال: ألم أقل إنك توضع في غير شيء ، والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا . ولنا منه ذبحان؛ واحد بيثرب وآخر بخيبر : قال الحارث : قلت لسلام يملك الأرض ؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

فَصــل :

قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليال ثم انصرف راجعا الى المدينة . ثم ذكر من قصة مدعم وكيف جاءه سهم غارب[1] فقتله ، وقال الناس هنيئا له الشهادة فقال رسول الله ﷺ « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » . وقد تقدم في صحيح البخاري نحو ما ذكره ابن اسحاق والله أعلم . وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى . قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبي عمرة عن زيد بن خالد الجهني أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفي يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « صلوا على صاحبكم » فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال « إن صاحبكم غل في سبيل الله » ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوي درهمين وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو داود وبشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به وقد ذكر البيهقي أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث اليهم يواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب وتقدم أن رسول الله ﷺ لما حلت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سد الصهباء في أثناء طريقه الى المدينة ؛ وأولم عليها بحيس[2] ، وأقام ثلاثة أيام يبني عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها

---

(١) غارب : سهم لا يدرى راميه .

(٢) حيس : طعام من تمر وسمن .

وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضي الله عنها . وذكر محمد بن اسحاق في السيرة قال : لما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التي جمّلتها الى رسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله ﷺ في قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانه قال « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » ثم قال حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظا فقال « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ، قال « صدقت » ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصليها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسلا وهذا مرسل من هذا الوجه . وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة حتى اذا أدركنا الكرى عرس وقال لبلال : « اكلأ لنا الليل » قال فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ النبي ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاضا ففزع رسول الله ﷺ وقال « يا بلال » قال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قال فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ رسول الله ﷺ فأمر بلالا فأقام الصلاة وصلّى لهم الصبح ، فلما أن قضي الصلاة قال : « من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى يقول : ﴿ وَأَقِم الصلاةَ لِذِكرى ﴾[1] قال يونس وكان ابن شهاب يقرأها كذلك . وهكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر . وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن ابن أبي علقمة عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالا هو الذي كان يكلؤهم ، وفي رواية عنه أنه هو الذي كان يكلؤهم . قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة وفيه حديث الميضاة فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة . قال وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال وروى زافر ابن سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك فالله أعلم . ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الأعرابي عن أبي رجاء عن عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطيحتين

---

(١) سورة طه الآية : ١٤ .

وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله ولم ينقص ذلك منهما شيئا . ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . وقال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبراً ، وقال لما توجه رسول الله ﷺ الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ « أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال « يا عبد الله بن قيس » قلت لبيك يا رسول الله قال « ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة » قلت بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي قال « لا حول ولا قوة إلا بالله » . وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرحمن بن مل أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري ، والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر فان أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ قد أعطى ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لقيم في فتح خيبر :

رُميتُ نطاةُ من الرسول بفيلقٍ ... شهباء ذاتِ مناكب وفقار[1]

واستيقنتُ بالذل لمّا شيعت ... ورجالُ أسلمَ وسَطَها وغفار

صَبَحَتْ بني عمرو بنِ زرعةَ غَدوةً ... والشقُّ أظلمَ أهلُه بنهار

جرَّت بأبطحها الذيولَ فلم تدَعْ ... إلا الدجاجَ تصيحُ بالأسحار

ولكلِّ حصنٍ شاغلٍ من خيلهم ... من عبدِ الأشهل أو بني النجّار

ومهاجرينَ قد اعلموا سيماهمُ ... فوقَ المغافرِ لم ينَوا لفرار

ولقد علمتُ ليغلِبَنَّ محمد ... وليثوينَّ بها الى أصفار

فرَّتْ يهودُ عندَ ذلك في الوغى ... تحتَ (العَجاجِ)[2] غمائم الأبصار

---

(١) سماه في الاصابة لقيم الدجاج وأورد له هذا البيت الأول هكذا .

رميت مطاه من الرسول يقتون ... شهباء ذات مذاكر وحفار

ونطاة حصن بخيبر وقيل عين ماء بقرية منها وقيل هو اسم لأرض خيبر وقد تقدم ذكره .

(٢) العجاج : العباد الكثيف .

فَصــل :

من استشهد بخيبر من الصحابة

على ما ذكره ابن اسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي .

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدي مولى بني أمية ، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح حلفاء بني أمية ، وعبد الله بن الهبيب بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بني سعد ابن ليث حليف بني أسد وابن أختهم ، ومن الأنصار بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله ﷺ كما تقدم ، وفضيل بن النعمان السلميّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزّرقي ، ومحمود بن مسلمة الأشهلي ، وأبو ضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمري ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس الفائد[1] وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة بن عمرو بن الأكوع أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعي . وقد أفرد ابن اسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : وممن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بني زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضي الله عنهم أجمعين .

خبر الحجاج بن علاط البهزي

قال ابن اسحاق : ولما فتحت خيبر كلم رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي فقال : يا رسول الله إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة ـ وكانت عنده له منها معوض بن الحجاج ـ ومالا متفرقا في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله فأذن له ، فقال إنه لا بد لي يا رسول من أن أقول ، قال قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ وقد بلغهم أنه قد سار الى خيبر وقد عرفو أنها قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان ، فلما رأوني قالوا الحجاج بن علاط ـ قال ولم يكونوا علموا باسلامي ـ عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فانه قد بلغنا أن القاطع قد سار الى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز ؟ قال قلت قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال (فالتبطوا)[2] بجنبي ناقتي يقولون إيه يا حجاج ؟ قال قلت هزم

---

(١) قال في الاصابة أوس بن فائد وقيل ابن فاتك وقيل ابن الفاتك وفي الاصل الفارض .

(٢) التبطوا : تمرغوا .

هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقد قتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسراً وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة] وقالوا . قد جاءكم الخبر وهذامحمدإنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال قلت أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى ما هنالك قال فقاموا فجمعوا لي ما كان لي كأحث جمع سمعت به ، قال وجئت صاحبتي فقلت مالي وكان عندها مال موضوع فلعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار ، قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما جاءه عني أقبل حتى وقف الى جنبي وأنا في خيمة من خيم التجار ، فقال يا حجاج ما هذا الذي جئت به ؟ قال قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال نعم ! قال قلت فاستأخر حتى ألقاك على خلاء فإني في جمع مالي كما ترى فانصرف حتى أفرغ ، قال حتى اذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ما شئت قال افعل قلت فاني والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم ـ يعني صفية بنت حيي ـ وقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه ، قال ما تقول يا حجاج ؟! قال قلت أي والله فأكتم عني ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي فرقا عليه من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب ، قال حتى إذا كان اليوم الثالث ليس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال كلا والله الذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها وأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر ؟ قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، فقالوا يا لعباد الله انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن اسحاق هذه القصة منقطعة ، وقد أسند ذلك الامام أحمد بن حنبل فقال حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر سمعت ثابتا يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلا وإني أريد أن آتيهم أفأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئا ؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء . فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندك فاني أريد أن أشترى من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم . قال وفشي ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسروراً ، قال وبلغ الخبر العباس فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرني عثمان الخزرجي عن مقسم قال : فأخذ ابنا يقال له قثم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول :

حبي قثم شبه ذي الأنف الأشم　　　بني ذي النعم برغم من زعم

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له الى حجاج بن علاط فقال ويلك ما جئت به وماذا

تقول ؟ فما وعد الله خيرمما جئتبه ، فقال حجاج بن علاط : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه فان الخبر على ما يسره ، فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال أبشر يا أبا الفضل ، قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال حجاج فأعتقه ، قال ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجه أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ، قال ولكني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فاذهب به فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت ، فأخف على ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك . قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي أو متاع فجمعته ودفعته اليه ثم انشمر به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأةِ الحجاج فقال ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك ، قال أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما احببنا ، فتح الله خيبر على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه ، فان كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قال فاني صادق والأمر على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل ، قال لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب ، قال فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون وردّ ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين . وهذا الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن اسحاق بن ابراهيم عن عبد الرزاق به نحوه . ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه . وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خيبر ، وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خيبر ، وكان تحته أم شيبة أخت عبد الدار بن قصي ، وكان الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خيبر استأذن الحجاج رسول الله ﷺ في الذهاب الى مكة يجمع أمواله فأذن له نحو ما تقدم والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حسان :

بئسَ ما قاتلتْ خيابرَ عمّا ... جمعوا من مزارع ونخيل

كرهوا الموت فاستُبيحَ حماهم ... وأقرّوا فعل الذميم الذليل

أمن الموت يهربون فانّ المو ت موتَ الهزال غير جميل

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

ونحنُ وردْنا خيبراً وفروضَه بكلّ فتى عاري الأشاجعِ مزود
جوادٍ لدى الغايات لا واهنَ القوى جريء على الأعداءِ في كل مشهد
عظيمِ رمادِ القدر في كل شتوة ضروب بنصل المشرفيّ المهنّد
يرى القتلَ مدحاً إن أصابَ شهادة من الله يرجوها وفوزاً بأحمد
يذود ويحمي عن (ذمار)[1] محمد ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصرُه من كل أمرٍ يريبه يجودُ بنفس دون نفس محمد
يصدّق بالأنباءِ بالغيبِ مخلِصاً يريدُ بذاك العزَّ والفوزَ في غد

فَصل :

مروره ﷺ بوادي القرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة [قال خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر الى وادي القرى وكان رفاعة بن] زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له مدعم وكان يرحل لرسول الله ﷺ ، فلما نزلنا بوادي القرى انتهينا الى يهود وقدم اليها ناس من العرب ، فبينا مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ وقد استقبلتنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم نكن على تعبية ، وهم يصيحون في آطامهم فيقبل سهم عاثر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس هنيئا له بالجنة . فقال النبي ﷺ « كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فلما سمع بذلك الناس جاء رجل الى رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين . فقال النبي ﷺ : « شراك من نار أو شراكان من نار » . وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه .

قال الواقدي : فعبى رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة ، وراية الى الحباب بن المنذر ، وراية الى سهل بن حنيف ، وراية الى عباد بن بشر ، ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله ، قال فبرز رجل منهم فبرز اليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز اليه عليّ فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا كل ما قتل منهم رجلا دعى من بقي منهم الى الاسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم

(١) ذمار : كل ما يحمى .

فيصلي بأصحابه ثم يعود فيدعوهم الى الاسلام والى الله عز وجل ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيراً وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطىء به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن ما دون وادي القرى الى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام ، قال ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً الى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن الحارث بن عبد الله بن كعب عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت فذهب رجل من الحي فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلي سبيلها ولم يهجر وضن بزوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله ﷺ فرأى ما يكره .

فصــل :

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع . وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالها ، وفي بعضها وقال لهم النبي ﷺ : « نقركم ما شئنا » . وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمنهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب الاحكام إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن اسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم فأقركم ما أقركم الله » فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص . فلما توفى الله نبيه ﷺ أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفي ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت ، فأرسل الى يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلائكم . وقد بلغني أن رسول الله ﷺ

قال : « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله ﷺ .

قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلثمائة أن بأيديهم كتاباً من رسول الله ﷺ فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغتر بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال باسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون وهو كتاب مزور مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد ، وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن الصباغ في مسائله ، والشيخ أبي حامد في تعليقته ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تحركوا به بعد السبعمائة وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره وكتبه علي بن أبي طالب وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذ من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال فعدى علي تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففدعت[1] يداي من مرفقي ، فلما استصرخت على صاحباي فأتياني فسألاني من صنع هذا بك ؟ فقلت لا أدري فأصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر ، فقال هذا عمل يهود خيبر . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصاري قبله لا نشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به فإني مخرج يهود فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ كما هو ثابت في الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقي في الدلائل : جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

---

(١) الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى أنسيها .

سرية أبي بكر الصديق الى بني فزارة

قال الامام أحمد : حدثنا بهزثنا عكرمة بن عمار ثنا أياس بن سلمـة حدثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر [ابن] أبي قحافة وأمره رسول الله ﷺ علينا فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مر قبلنا ، قال سلمة ثم نظرت الى عنق من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم فخشيت أن يسبقوني الى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل ، قال فجئت بهم أسوقهم الى أبي بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال فنفلني أبو بكر بنتها ، قال فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أكشف لها ثوباً ، قال فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي : « يا سلمة هب لي المرأة » قال فقلت والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً ، قال فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال « يا سلمة هب لي المرأة » قال فقلت يا رسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً ، قال فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال : « يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك » قال قلت يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوباً وهي لك يا رسول الله ، قال بعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفي أيـديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة . وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

سرية عمر بن الخطاب الى تربةَ وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكباً ومعه دليل من بني هلال وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا الى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعاً الى المدينة ، فقيل لها هل لك في قتال خثعم ؟ فقال إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق ابراهيم بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرقرة نيار وهي من خيبر على ستة أميال ندم يسير بـن رزام فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يسير وفي يده مخراش من شوحط فضرب به

وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة . وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين أحد ، وبصق رسول الله ﷺ في شجة عبد الله بن رواحة فلم تقيح ولم تؤذه حتى مات .

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي باسناده أن رسول الله ﷺ بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرة من أرض فدك فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتالاً شديداً ، ثم لجأ إلى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كر راجعاً الى المدينة .

قال الواقدي : ثم بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدري ، وكعب بن عجرة . ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرة وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ من بني سلمة عن رجال من قومه أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله الكلبي الى أرض بني مرة فأصاب مرداس بن نهيك [حليفاً لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد ابن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعني مرداس بن نهيك -] فلما شهرنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل ، قال : « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها علي حتى تمنيت أن ما مضى من اسلامي لم يكن ، وأني أسلمت يومئذ ولم اقتله . فقلت إني أعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ، فقال : « بعدي يا أسامة » فقلت بعدك . قال الامام أحمد : حدثنا هشيم بن بشير أنبأنا حصين عن أبي ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يحدث قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة ، قال فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، وإذا أدبروا كان حاميتهم ، قال فغشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلما تغشيناه قال لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل ، قال فكررها على حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ . وأخرجه البخاري ومسلم من حديث هشيم به نحوه .

وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهني عن جندب بن مكيث الجهني قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث الى بني الملوح بالكديد وأمره

أن يغير عليهم وكنت في سريته ، فمضينا حتى إذا كنا بالقديد[1] لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك ، قال فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويجلا أسود كان معنا وقال: أمكث معه حتى نمر عليك فإن نازعك فاحتز رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكديد فنزلنا عشية بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه فعمدت إلى تل يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التل فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته في أول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت والله ما أفقد منها شيئاً ، قال فناوليني قوسي وسهمين من نبلي فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جبيني فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك. فقال لامرأته أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ريبةلتحرك، فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما لا تمضغهما على الكلاب ، قال فأمهلنا حتى إذا راحت روايحهم وحتى احتلبواوعطنوا[2]وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ، شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به وخرج القوم الى قومهم بقربنا، قال وخرجنا اسراعاً حتى نمر بالحارث ابن مالك بن البرصاء وصاحبه، فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم الا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء ماء ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً، وجاء بما لا يقدر أحد ان يقدم عليه، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون الينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه، ونحن نجدبها أو نحدوها ـ شك النفيلي ـ فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حذرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا. وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن اسحاق في روايته عبد الله بن غالب، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم . وذكر الواقدي هذه القصة باسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة وثلاثون رجلاً. ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضاً الى ناحية خيبر فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعماً كثيراً، وكان بعثه في هذه السرية باشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليل حسيل بن نويرة وهو الذي كان دليل النبيﷺ إلى خيبر قاله الواقدي.

سرية بني حدرد الى الغابة

قال يونس عن محمد بن اسحاق : كان من حديث قصة أبي حدرد وغزوته الى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حدرد قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقتها مائتي درهم، قال فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت مائتي درهم ، فقال « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتم ، والله ما عندي ما أعينك به » فلبثت أياماً ثم أقبل

---

(١) القديد : مكان قريب من مكة .

(٢) عطنوا : ارتاحوا بعد الشراب .

رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس ـ أو قيس بن رفاعة ـ في بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم وشرف في جشم ، قال فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدم لنا (شارفاً)[1] عجفاء فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلغوا على هذه » فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت في ناحية وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت وشددت في العسكر فكبرا وشدا معي ، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقنن أمر راعينا ولقد أصابه شر ، فقال نفر ممن معه والله لا تذهب نحن نكفيك ، فقال لا إلا أنا ، قالوا نحن معك . فقال والله لا يتبعني منكم أحد ، وخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده ، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتززت رأسه ثم شددت ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا ، فوالله ما كان إلا التجأ ممن كان فيه عندك[2] بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم ؛ واستقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة فجئنا بها الى رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الابل ثلاثة عشر بعيراً في صداقي فجمعت إليّ أهلي .

السرية التي قتل فيها محلمُ بن جثامة عامر بن الاضبط

قال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى أضم في نفر من المسلمين منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربعي ومحلم ابن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر بن الأضبط الاشجعي على قعود له معه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن ﴿يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلقَى إِلَيْكُمْ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمَ كَثِيرَة كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهِ كَانَ بِما تَعْمَلون خَبِيْراً﴾[3] هكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدود عن أبيه فذكره .

(١) شارف : ناقة مسنة .

(٢) كذا في الأصول والذي في ابن هشام : فوالله ما كان إلا التجاء ممن فيه عندك الخ .

(٣) سورة النساء الآية : ٩٤ .

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمري يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وعن جده قالا ـ وكانا شهداً حنيناً ـ قالا : فصلى رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقام الى ظل شجرة فقعد فيه فقام إليه عيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الاشجعي وهو سيد عامر هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي ، فقال رجل من بني ليث يقال له ابن مكيتل وهو قصير من الرجال فقال : يا رسول الله ما أجد لهذا القتيل شبهاً في غرة الاسلام إلا كغنم وردت فشربت[1] أولاها فنفرت أخراها (استن)[2] اليوم وغير غدا ، فقال رسول الله ﷺ : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن وخمسين إذا رجعنا الى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محلم بن جثامة إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ قال فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تهيأ فيها للقتل فقام بين يدي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : « اللهم لا نغفر لمحلم » قالها ثلاثاً ، فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن اسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك . وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن اسحاق، ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر عن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه ، والصواب كما رواه ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة[3] عن أبيه وعن جده وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وعن عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرةعن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن اسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال لم يقبلوا الدية حتى قام الاقرع بن حابس فخلا بهم وقال يا معشر قيس سألكم رسول الله ﷺ قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ فيغضب الله لغضبه ويلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتسلمنه إلى رسول الله ﷺ أو لآتين بخمسين من بني تميم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ما صلى قط فلا يطلبن دمه ، فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية . وهذا منقطع معضل وقد روى ابن اسحاق عمن لايتهم عن الحسن البصري أن محلما لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له « أمنته ثم قتلته ؟» ثم دعا عليه ، قال الحسن فوالله ما مكث محلم الا سبعاً حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله ﷺ فقال ان الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم

---

(١) في ابن هشام : فرميت .

(٢) استن : اشترع .

(٣) كذا في الأصل والخلاصة وفي ابن هشام زياد بن ضميرة بن سعد .

ما بينكم لما أراكم منه » وقال ابن جرير ثنا وكيع ثنا جرير عن ابن اسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ محلم بن جثامة مبعثاً فلقيهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الاسلام - وكانت بينهم هنةفي الجاهلية فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فتكلم فيه عيينة والأقرع فقال الأقرع: يا رسول الله سن اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال رسول الله ﷺ «لا غفر الله لك » فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض فجاءوا النبي ﷺ فذكروا ذلك له فقال « إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه في جبل فالقوا عليه من الحجارة ونزلت ﴿ يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ الآية. وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ورواه شعيب عن الزهري عن عبد الله بن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة إلا أنه لم يسم محلم بن جثامة ولا عامر بن الاضبط وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ الآية.

قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية و لله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حزافة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن علي بن أبي طالب قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الانصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال فاغضبوه في شيء فقال أجمعوا لي حطباً فجمعوا فقال أوقدوا ناراً فاوقدوا ثم قال ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا بلى قال فادخلوها قال فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، قال فسكن غضبه وطفئت النار، فلما قدموا على النبي ﷺ ذكروا ذلك له فقال « لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف» وهذه القصة ثابتة أيضاً في الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية في التفسير ولله الحمد والمنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء

ويقال القصاص ورجحه السهيلي ويقال عمرة القضية فالاولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى : ﴿والحرمات قصاص ﴾ والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم

عليها على أن يرجع عنهم عامة هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلا في جلبان[1] السلاح وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِد الحَرام إنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤسَكُم ومُقَصِّرِيْنَ لَا تَخَافِونَ﴾[2] الآية وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال « بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال لا قال « فانك آتيه ومطوف به » وهي المشار اليها في قول عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ الى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خلُّوا بني الكفّارِ عن سبيله ... اليومَ نَضربْكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله

أي هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر الى المدينة أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك سراياه ثم خرج من ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الدؤلي ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقتص رسول الله ﷺ منهم فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من سنة سبع ، بلغنا عن ابن عباس أنه قال فأنزل الله تعالى في ذلك [والحرمات قصاص] وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في مغازيه لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذي القعدة فنادى في الناس أن تجهزوا للعمرة فتجهزوا وخرجوا الى مكة .

وقال ابن اسحاق : وخرج مع المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك وهي سنة سبع فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً في عسرة وجهد وشدة . قال ابن اسحاق : فحدثني من لا أتهم عن عبد الله عن عباس قال: صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد (اضطبع)[3] بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال « رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول اصحابه معه حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة اطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم

(١) جُلبان : بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف وقيل القوس أو السهم ونحوه .

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٧ .

(٣) اضطبع : أدخل الرداء تحت ابطه .

وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها . وقال البخاري ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد ـ هو ابن زيد ـ عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا[1] الاشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الابقاء عليهم . قال أبو عبد الله ورواه ابو سلمة ـ يعني حماد بن سلمة ـ عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ لعامهم الذي استأمن قال « ارملوا ليرى المشركون قوتكم »و] المشركين من قبل قعيقعان . ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد وأسند البيهقي طريق حماد بن سلمة. وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا اسماعيل بن أبي خالد سمع بن أبي اوفى يقول: لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن اسحاق : وحدثني الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله	خلّوا فكلُّ الخيرِ في رسوله
ربٍّ إني مؤمنٌ بِقِيله	أعرِفُ حقَّ الله في قبوله
نحنُ قتلْناكم على تأويله	كما قتلْناكم على تنزيله
ضَرْباً يزيلَ الهامَ عن مقيله[2]	ويُذهلُ الخليلَ عن خليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم ـ يعني يوم صفين ـ قاله السهيلي ـ قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين والمشركون لم يقروا بالتنزيل وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل، وفيما قاله ابن هشام نظر فإن الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس قال: لما دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وفي رواية وهو آخذ بغرزه وهو يقول.

خلوا بني الكفار عن سبيله	قد نزَّلَ الرحمنُ في تنزِيله
بأن خيرَ القتل في سبيله	نحنُ قتلناكم على تأويله

(١) يرملوا : يهرولوا .

(٢) مقيله : مكان راحته .

وفي رواية بهذا الاسناد بعينه :

خلوا بني الكفّار عن سبيله ... اليومَ نضربكُم على تنزيله
ضرباً يزيل الهامَ عن مَقِيله ... ويذهل الخليلَ عن خليله
يا رب إني مؤمنٌ بِقِيلهِ

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ان رسول الله ﷺ دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمحجنه . قال ابن هشام من غير علة ، والمسلمون يشتدون حوله وعبد الله بن رواحة يقول :

بسمِ الذي لا دينَ إلا دينه ... بسم الذي محمدٌ رسوله
خلّوا بني الكفّار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع وهو الشهر الذي صده المشركون عن المسجد الحرام حتى إذا بلغ يأجج وضع الاداة كلها (الحجف)[1] (والمجان)[2] والرماح والنبل ودخلوا بسلاح الراكب السيوف وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحارث فزوجها العباس رسول الله ﷺ فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه قال « اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف » ليرى المشركون جلدهم وقوتهم وكان يكايدهم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحا بالسيف وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله ... أنا الشَّهيدُ أنه رسوله
قد أنزلَ الرحمنُ في تنزيله ... في صُحُفٍ تُتلى على رسوله
فاليوم نضربُكم على تأويله ... كما ضربْنَاكم على تنزيله
ضرباً يزيلُ الهامَ عن مَقِيله ... ويُذهِلُ الخليلَ عن خليله

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ غيظاً وحنقاً ، ونفاسة وحسداً. وخرجوا إلى الخندمة فقام رسول الله ﷺ بمكة وأقام ثلاث ليال، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله ﷺ في مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب بن عبد

---

(١) الحجف : التروس .

(٢) المجان : الدروع الصلبة .

العزى : نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد بن عبادة : كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطباً فقال: «إن قد بكت فيكم امرأة لا يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا» فقالوا نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف فبنى بها ثم أدلج فسار حتى أتى المدينة، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ. ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة ﴿ الشَهْرُ الحَرَامُ بالشَهْرِ الحَرَام والحرماتُ قصَاصٌ ﴾[1] فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صدفيه . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ففي صحيح البخاري من طريق فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفاً، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا ، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج . وقال الواقدي ؛ حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: لم تكن هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدهم فيه المشركون وقال أبو داود ثنا النفيلي ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن عمرو ابن ميمون سمعت أبا حاضر الحميري يحدث أن ميمون بن مهران قال: خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة وبعث معي رجال من قومي بهدى ، قال فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال فنحرت الهدى [2] مكاني ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لاقضي عمرتي فأتيت ابن عباس فسألته فقال: أبدل الهدى فان رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدى الذي نحروا عام الحديبية في عمرة القضاء . تفرد به أبو داود من حديث أبي حاضر عثمان بن حاضر الحميري عن ابن عباس فذكره . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا الحاكم أنبأنا الاصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني عمرو بن ميمون قال: كان أبي يسأل كثيراً أهل كان رسول الله ﷺ أبدل هديه الذي نحر حين صده المشركون عن البيت ! ولا يجد في ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر الحميري عن ذلك فقال له : على الخبير سقطت ، حججت عام ابن الزبير في الحصر الأول فاهديت هديا فحالوا بيننا وبين

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٤ .

(٢) الهدى : رعيل الابل الأول .

البيت ، فنحرت في الحرم ورجعت الى اليمن وقلت لي برسول الله ﷺ أسوة، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحرت عليّ بدله أم لا ،؟ قال نعم فابدل، فان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدى الذي نحروا عام صدهم المشركون فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، فعزت الابل عليهم فرخص لهم رسول الله ﷺ في البقر.

وقال الواقدي: حدثني غانم بن أبي غانم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: جعل رسول الله ﷺ ناجيةبن جندب الأسلمي على هديهيسير بالهدى أمامهيطلب الرعي في الشجر معه أربعةفتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرةالقضية ستين بدنة . فحدثني محمد بن نعيم المجمر عن أبيه عن أبي هريرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها . قال الواقدي وسار رسول لله ﷺ يلبي والمسلمون معه يلبون، ومضى محمد بن مسلمة بالخيل الى مر الظهران فيجد بها نفراً ، من قريش فسألوا محمد بن مسلمة ؟ فقال هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله ، ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً فاخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيل،ففزعت قريش وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا وهدنتنا ففيم يغزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران، وقدم رسول الله ﷺ السلاح الى بطن يأجج حيث ينظر اليّ أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله ﷺ في أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحقوا، فقالوا يا محمد ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب، فقال النبي ﷺ «إني لا أدخل عليهم السلاح » فقال مكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة . فلما أن جاء مكرز ابن حفص بخير النبي ﷺ خرجت قريش من مكة الى رؤ وس الجبال وخلوا مكة وقالوا لا ننظر اليه ولا إلى أصحابه ، فأمر رسول الله ﷺ بالهدى أمامه حتى حبس بذي طوى، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم محدقون به (يلبون)[1] وهم متوشحون السيوف. فلما انتهى إلى ذي طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة آخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله إلى آخره

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعني من ذي القعدة سنة سبع ـ فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفدٌ قد وهنتهم حمى يثرب ، فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم . قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ثنا اسماعيل بن

(١) يلبون : يلازمون .

زكريا عن عبد الله بن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل مر الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول : ما يتباعثون من العجف ، فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحومه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة ، فقال « لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشى كل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطبع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم (غميزة)[1] » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيب بالركن اليماني مشى الى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالمشي أما أنهم لينفرون نفر الظباء ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة . قال أبو الطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود ثنا أبو سلمة موسى ثنا حماد ـ يعني ابن سلمة ـ أنبأنا أبو عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك سنّة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا ، قلت ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال صدقوا رمل رسول الله ﷺ ، وكذبوا ليس بسنة، إن قريشاً زمن الحديبية قالت دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت (النغف)[2] ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قعيقعان، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثاً » قال وليس بسنة . وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وعبد الملك بن سعيد ابن أبجر ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن ابن عباس به نحوه . وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله ﷺ رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانة أيضاً كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره . وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان وقد أطال الله الاسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ ، وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام . وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة كما ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال : إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركين قوته . لفظ البخاري . وقال الواقدي : لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول !! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حتى

---

(١) غميزة : نقيصة يشار اليها .

(٢) النغف : الدود الموجود في أنوف الابل .

يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم .
قال الحافظ البيهقي : قد أكرم الله أكثرهم بالاسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان في عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح والله أعلم .

قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن اسحاق : حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس، فزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة درهم . وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيراً قالت: الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ . قال وفيها نزلت الآية : ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُوْنِ المُؤْمِنِيْنَ﴾[1] . وقد روى البخاري من طريق أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال ، وماتت بسرف . قال البيهقي وروى الدارقطني من طريق أبي الأسود يتيم عروة ومن طريق مطر الورّاق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال . قال وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرماً أي في شهر حرام كما قال الشاعر :

قتلوا ابنَ عفّانَ الخليفةَ مُحْرِماً فدعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

أي في شهر حرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ، لأن الرواية متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ولا سيما قوله تزوجها وهو محرم وبنى بها وهو حلال ، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً وهو شهر حرام .
وقال محمد بن يحيى الذهلي : ثنا عبد الرزاق قال قال لي الثوري : لا يلتفت إلى قول أهل المدينة . أخبرني عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج وهو محرم ، قال أبو عبد الله قلت لعبد الرزاق روى سفيان الحديثين جميعاً عن عمرو بن أبي الشعثاء عن ابن عباس وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؟ قال نعم أما حديث ابن خثيم فحدثنا ها هنا - يعني باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم - يعني بمكة - وأخرجاه في الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به . وفي صحيح البخاري من طريق الأوزاعي أنبأنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٠ .

تزوج ميمونة وهو محرم . فقال سعيد بن المسيب : وهم ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما أحل . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثني بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته ، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فكان الحل والنكاح جميعاً فشبه ذلك على ابن عباس . وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت : تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلال بسرف . لكن قال الترمذي : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلاً أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الاصفهاني الزاهد ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا مطر الوراق عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما . وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذي حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلاً ، ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلاً .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ويقال سنة ستين رضي الله عنها .

ذكر خروجه ﷺ من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حويطب بن عبد العزى بعد مضي أربعة أيام[1] ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم وإنما أراد تأليفهم بذلك فأبوا عليه وقالوا بل اخرج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن اسحاق وقال البخاري حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال : اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، قالوا لا نقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله قال : « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلي بن أبي طالب « أمح رسول الله » قال لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة إلا السيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها ، فلما دخل ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج

(١) كذا في الأصل ، وفي سيرة ابن هشام : ثلاثة أيام وأتاه حويطب في اليوم الثالث .

النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك، فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنةعمي وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنةأخي فقضى بها النبيﷺ لخالتها وقال: «الخالةبمنزلةالأم» وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» قال علي ألا تتزوج ابنة حمزة، قال: «إنها ابنة أخي من الرضاعة». تفرد به البخاري من هذا الوجه وقد روى الواقدي قصة ابنة حمزة فقال حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأمها سلمى بنت عميس كانت بمكة، فلما قدم رسول الله ﷺ كلم علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال: علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين؟ فلم ينه النبي ﷺ عن إخراجها، فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة وكان وصي حمزة وكان النبي ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين، فقال أنا أحق بها ابنة أخي، فلما سمع بذلك جعفر قال: الخالة والدة وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس وقال علي: ألا أراكم تختصمون هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين. وليس لكم اليها سبب دوني وأنا أحق بها منكم فقال النبي ﷺ: «أنا أحكم بينكم، أما أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله، وأما أنت يا جعفر فتشبه خَلْقي وخُلُقي، وأنت يا جعفر أولى بها تحتك خالتها ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها» فقضى بها لجعفر. قال الواقدي: فلما قضى بها لجعفر قام جعفر (فحجل)[1] حول رسول الله ﷺ، فقال: «ما هذا يا جعفر؟» فقال يا رسول الله كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله، فقال للنبيﷺ تزوجها فقال: «ابنة أخي من الرضاعة» فزوجها رسول الله ﷺ سلمة بن أبي سلمة، فكان النبي ﷺ يقول: «هل جزيت أبا سلمة».

قلت: لأنه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوج رسول الله ﷺ بأمه أم سلمة، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة والله أعلم.

قال ابن اسحاق: ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة، وتولى المشركون تلك الحجة. قال ابن هشام: وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِيْنَ مُحْلِقِيْنَ رُؤُوسَكُمْ وَمقَصرِيْنَ لاَ تَخَافُوْنَ فَعِلمَ مَا لَمْ تَعْلموا فَجَعَلَ مِنْ دُوْنِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيْباً﴾[2] [يعني خيبر].

(١) حجل: مشى على رجل واحدة.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٧.

فصـــل :

ذكر البيهقي ها هنا سريـة ابن أبي العوجـاء السلمي الى بني سليم ، ثم ساق بسنـده عن الواقدي حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال : لما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضية رجع في ذي الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجـاء السلمي في خمسين فارساً فخرج العين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم فجمعوا جمعـاً كثيراً وجـاءهم ابن أبي العوجـاء والقوم معدون ، فلما أن رأوهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعوهم إلى الاسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه فرموهم ساعة وجعلت الامداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل جانب ، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتـل عامتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة فتحامل حتى رجع الى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدي في الحجة من هذه السنة ـ يعني سنة سبـع ـ رد رسول الله ﷺ ابنتـه زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع وقد قدمنا الكلام على ذلك ، وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعـة من عند المقـوقس ومعه مـارية وسيـرين وقد أسلمتـا في الـطريق ، وغـلام خصي . قـال الواقدي : وفيها اتخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعده ، قال والثبت عندنا أنه عمل في سنة ثمان .

بسم الله الرَّحْمٰن الرَّحيم

رب يسّر وأعنِ بحوْلك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن اسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي[1] وذلك في سنة خمس من الهجرة ، وإنما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضاء فروى من طريق الواقدي أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال عمرو بن العاص : كنت للاسلام مجانباً معانداً ، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحداً فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوت ، قال فقلت في نفسي كم أوضع والله ليظهرن محمداً على قريش فلحقت بمالي بالرهط وأقللت من الناس ـ

(١) واسمه سلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور قتله خمسة من أصحاب رسول الله بخيبر .

أي من لقائهم ـ فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله ﷺ في الصلح ، ورجعت قريش إلى مكة ، جعلت أقول يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج، وأنا بعد نائي عن الاسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم ، فقدمت مكة وجمعت رجالاً من قومي وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم ، فقلت لهم كيف أنا فيكم ؟ قالوا ذو رأينا (ومدرهنا)[1] في يمن نفسه وبركة أمر ، قال قلت تعلمون أني والله لأرى أمر محمد أمراً يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني قد رأيت رأياً قالوا وما هو ؟ قلت نلحق بالنجاشي فنكون معه، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي نكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا، قالوا هذا الرأي . قال قلت فأجمعوا ما نهديه له ـ وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم ـ فحملنا أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان[2] ، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو ابن أمية ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سرت قريش وكنت قد أجزأت عنها حتى قتلت رسول محمد، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال مرحباً بصديقي أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال قلت نعم أيها الملك أهديت لك أدما كثيراً ثم قدمته فأعجبه وفرق منه شيئاً بين بطارقته وأمر بسائره فأدخل في موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد (وترنا)[3] وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطنيه فاقتله ، فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراي فجعلت أتلقى الدم بثيابي فأصابني من الذل ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك ، قال فاستحيا وقال : يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى لتقتله ؟ قال عمرو فغير الله قلبي عما كنت عليه ، وقلت في نفسي عرف هذا الحق والعرب والعجم وتخالف أنت ثم قلت أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت اتبايعني له على الاسلام ؟ قال نعم فبسط يده فبايعني على الاسلام ، ثم دعا بطست فغسل عني الدم وكساني ثياباً ـ وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فألقيتها ـ ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك وقالوا هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت أعود إليه ، فقالوا الرأي ما رأيت . قال

---

(١) مدرهنا : سيدنا وزعيمنا .

(٢) هكذا في الأصل وفي ابن هشام كان قد جاء في شأن جعفر وأصحابه ، وفي السهيلي أنه جاء بكتاب النبي ﷺ وكان فيه دعوته الى الاسلام .

(٣) وترنا : أصابنا بظلم ومكروه .

ففارقتهم وكأني أعمد إلى حاجة فعمدت الى موضع السفن فأجد سفينة قد شحنت تدفع ، قال فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا الى الشعبة وخرجت من السفينة ومعي نفقة ، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى اذا كنت بالهدة فإذارجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحلتين ، قال فنظرت فإذا خالد بن الوليد ، قال قلت أين تريد ؟ قال محمداً ، دخل الناس في الاسلام فلم يبق أحد به طعم ، والله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها ، قلت وأنا الله قد أردت محمداً وأردت الاسلام ، فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي فنزلنا جميعاً في المنزل ، ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة فما أنس قول رجل لقيناه ببئر أبي عتبة يصيح : يا رباح يا رباح يا رباح ، فتفاءلنا بقوله وسرنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقادة بعد هذين ، وظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد وولى مدبراً الى المسجد سريعاً فظننت أنه بشر رسول الله ﷺ بقدومنا فكان كما ظننت ، وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودي بالعصر فانطلقنا على أظلعنا عليه ، وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان ابن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه . قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر، فقال: « إن الاسلام يجب ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها » قال فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزبه منذ أسلمنا ، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة وكان عمر على خالد كالعاتب . قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب فقال: أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي عن مولاه حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن راشد عن مولاه حبيب [قال] حدثني عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ما تقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع ، وسياق الواقدي أبسط وأحسن . قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب وقّت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال لا إلا أنه قال قبل الفتح ، قلت فإن أبي أخبرني أن عمراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان ، وسيأتي عند وفاة عمرو من صحيح مسلم ما يشهد لسياق اسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة مباشرته الامارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضي الله عنه .

طريق اسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرني

رشدي ، فقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ ، فليس في موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء ، وأن محمداً سيظهر ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان ، فقمت بازائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خيرة ـ فاطلع على ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا وقلت الرجل ممنوع فاعتزلنا ، وعدل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرواح قلت في نفسي أي شيء بقي ؟ أين أذهب الى النجاشي ! فقد اتبع محمد وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج الى هرقل فأخرج من ديني الىٰ نصرانية أو يهودية ، فأقيم في عجم ، فأقيم في داري بمن بقي فانا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضية فتغيبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضية ، فطلبني فلم يجدني فكتب الي كتاباً فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ؛ فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ! ومثل الاسلام جهله أحد ؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك وقال أين خالد ؟ فقلت يأتي الله به ، فقال « مثله جهل الاسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدمناه على غيره » فاستدرك يا أخي ما قد فاتك [من] مواطن صالحة . قال فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني ، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدبة فخرجت في بلاد خضراء واسعة فقلت إن هذه لرؤيا ، فلما أن قدمت المدينة قلت لاذكرنها لأبي بكر ، فقال مخرجك الذي هداك الله للاسلام . والضيق الذي كنت فيه من الشرك ، قال فلما أجمعت الخروج الى رسول الله ﷺ قلت من أصاحب الى رسول الله ﷺ ؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه إنما نحن كأضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فان شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الأباء فقال : لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا . فافترقنا وقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية ، قلت فاكتم علي قال لا أذكره . فخرجت الى منزلي فأمرت براحلتي فخرجت بها الى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت إن هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أن أذكره ، ثم قلت وما علي وأنا راحل من ساعتي فذكرت له ما صار الأمر اليه فقلت إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبي فأسرع الاجابة ، وقلت له اني غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو وهذه راحلتي بفج مناخة ، قال فاتعدت أنا وهو يأجج إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه ، قال فادلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا الى الهدة فنجد عمرو بن العاص بها ، قال مرحباً بالقوم فقلنا وبك ، فقال إلى أين مسيركم ؟ فقلنا وما أخرجك ؟ فقال وما أخرجكم ؟ قلنا الدخول في الاسلام واتباع محمد ﷺ ، قال وذاك الذي

أقدمني ، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فأخبر بنا رسول الله ﷺ فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله ﷺ فلقيني أخي : فقال أسرع فان رسول الله ﷺ قد أخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم اليّ حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق ، فقلت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال « تعال » ثم قال رسول الله ﷺ « الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير » قلت يا رسول الله إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادعو الله أن يغفرها لي ، فقال رسول الله ﷺ « الاسلام يجب ما كان قبله » قلت يا رسول الله على ذلك ، قال « اللهم إغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صدّ عن سبيل الله » قال خالد : وتقدّم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ ، قال وكان قدومنا في صفر سنة ثمان ، قال والله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه .

سرية شجاع بن وهب الأسدي الى هوازن

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى جاءهم وهم غارّين ، وقد أوعز الى أصحابه أن لا تمعنوا في الطلب ، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا كل رجل [وزعم غيره أنهم أصابوا سبيا أيضا وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة] ثم قدم أهلوهم مسلمين فشاور النبي ﷺ أميرهم في ردهن اليهم ، فقال نعم فردوهن وخير التي عنده الجارية فاختارت المقام عنده ، وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سرية قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال فاصبنا إبلا كثيرا فبلغت سهامنا إثنا عشر بعيراً ونفلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه [وقال أبو داود حدثنا هناد حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر] قال بعث رسول الله ﷺ سرية الى نجد فخرجت فيها فأصبنا نعماً كثيرا فنفلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله .

سرية كعب بن عمير الى بني قضاعة

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبد الله الزهري قال بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير

الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى ذات اطلاح من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعوهم إلى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا ، (فارتث)[1] منهم رجل جريح في القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فهم بالبعثة اليهم فبلغه انهم ساروا إلى موضع آخر .

غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف الى أرض البلقاء من أرض الشام .

قال محمد بن اسحاق بعد قصة عمرة القضية . فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة ، ـ وولى تلك الحجة المشركون ـ والمحرم وصفراً وشهري ربيع وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين اصيبوا بمؤتة . فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » فتجهز الناس ثم تهيّأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن عمرو بن الحكم عن أبيه قال : جاء النعمان بن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ « زيد بن حارثة أمير الناس ، فان قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فان قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم » . فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سمّيت من سميت قليلا أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ ان الأنبياء في بني اسرائيل كانوا اذا سموا الرجل على القوم فقالوا ان أصيب فلان ففلان ، فلو سموا مائة اصيبوا جميعاً ، ثم جعل يقول لزيد أعهد فانك لا ترجع أبدا إن كان محمد نبياً . فقال زيد : أشهد أنه نبي صادق بار . رواه البيهقي .

قال ابن اسحاق: فلما حضر خروجهم ودع الناس امراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم ، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى ، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال أما والله ما بي حبّ الدنيا ولا صبابة بكم . ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إلاَّ وَارِدَهَا كانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ﴾[2] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردّكم الينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكنّني أسألُ الرحمنَ مغفِرةً   وضربةً ذاتَ فرع تقذفُ الزبدا

---

(١) ارتث : حمل من المعركة وفيه رمق .

(٢) سورة مريم الآية : ٧١ .

أو طعنةً بيدي (حرّانَ)[1] مجهِزَةٍ ... بحربةٍ تنفذُ الأحشاءَ والكبِدا
حتى يُقالَ إذا مرُّوا على (جَدَثي)[2] ... أرشدَهُ الله من غازٍ وقدْ رشدا

قال ابن اسحاق: ثم أن القوم تهيّأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودعه ثم قال :

فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نصروا
إني تفرَّستُ فيكَ الخيرَ نافلةً ... اللهُ يعلم أني ثابتُ البصَر
أنتَ الرسولُ فمن يُحَرمْ نوافلَه ... والوجهَ منهُ فقدْ أزرى به القَدَرُ

قال ابن اسحاق: ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى اذا ودعهم وانصرف ، قال عبد الله بن رواحة :

خلْفَ السلام على آمرىءٍ ودّعْتُه ... في النّخل خيرُ مشيِّع وخَليل

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو خالد الأحمر عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث الى مؤتة فاستعمل زيداً ، فان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فابن رواحة : فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي ﷺ فرآه فقال « ما خلفك ؟ » فقال اجمع معك « قال لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها » . وقال أحمد ثنا أبو معاوية ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة ، قال فقدّم أصحابه وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم ، قال فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال « ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟ » فقال أردت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم ، فقال رسول الله ﷺ « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم » . وهذا الحديث قد رواه الترمذي من حديث أبي معاوية عن الحجاج ـ وهو ابن أرطاة ـ ثم علله الترمذي بما حكاه عن شعبة انه قال لم يسمع الحكم عن مقسم الا خمسة أحاديث وليس هذا منها .

قلت والحجاج بن أرطاة في روايته نظر والله أعلم ، والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضي أن خروج الأمراء الى مؤتة كان في يوم جمعة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضم اليه من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلى مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى ، ثم أحد اراشة يقال له مالك بن رافلة ، وفي رواية يونس عن ابن

---

(1) حران : ثابتة وأكيدة .

(2) جدثي : قبري .

اسحاق فبلغهم ان هرقل نزل بمآب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا ، فأما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له ، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة ، قال فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة في محبسهم ذلك :

جَلبْنا الخيلَ من أجأ[1] وفرع	تُغرُّ من الحشيشِ الى (العكوم)[2]
حَذوناها من الصَّوان سَبتاً	أزلَّ كأن صَفْحَته أديم
أقامتْ ليلتين على معانٍ	فأعقبَ بعدَ فترتها (جُموم)[3]
فَرُحْنا والجيادُ مسوَّماتٌ	تنفَّسُ في مناخِرِها سَموم
فلا وأبي مآب لنأتِيَنَّها	وإنْ كانتْ بها عرَبٌ ورُوم
فعبَّأنا أعنَّتَها فجاءتْ	عوابسَ والغُبارَ لها (يريم)[4]
بذي (لحبٍ)[5] كأن البِيضَ فيه	اذا برزت (قوانسُها)[6] النجوم
فراضيةُ المعيشة طلَّقتها	استَّتُنا[7] فتنكِحُ أو (تئيم)[8]

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال : كنت يتيما لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلتئذٍ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

اذا أدنيتَني وحملْتَ رحلي	مسيرةَ أربعٍ بعد الحساء
فشأنُك أنعمٌ وخلاكَ ذمّ	ولا أرجِعْ الى أهلي ورائي
وجاءَ المسلمونَ وغادَروني	بأرضِ الشام مستنْهى[9] الثواء
وردَّكَ كلُّ ذي نَسَبٍ قريبٍ	الى الرحمن مُنقطعَ الإخاء
هنالكَ لا أبالي طَلْعُ بَعْلٍ	ولا تخل أسافلُها رُواء

---

(١) أجا : أصل .

(٢) العكوم : ما شُدَّ وجُمعَ به .

(٣) جموم : كثرة .

(٤) يريم : يميل ويتباعد .

(٥) لحب : طريق واسع .

(٦) القوانس : أعلى بيضات الدروع .

(٧) في ابن هشام استنها .

(٨) تئيم : تقتل الرجال .

(٩) مستنهى : قال السهيلي مستنهى الثواء مستفعل من النهاية والانتهاء أي حيث انتهى مثواه ومن رواه مستنهى الشواء (كما في الأصل) أي لا أريد رجوعاً .

قال فلما سمعتهن منه بكيت ، فخفقني بالدرة وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل ؟ ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يـا زيدُ زيـدَ (اليَعْمَلاتِ) [١] الـذبَّل تـطَّاولَ الـليـلُ هُـدِيـتَ فـانـزِل

قال ابن اسحاق : ثم مضي الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتعبى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة ابن قتادة وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك . وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن المقبري عن أبي هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا مالا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصري ، فقال لي ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموع كثيرة ؟ قلت نعم ! قال إنك لم تشهد بدراً معنا ، إنا لم ننصر بالكثرة رواه البيهقي . قال ابن اسحاق ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخـذها جعفـر فقاتـل القوم حتى قتـل ، فكان جعفـر أول المسلمين عقر في الاسلام . وقال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكأني أنظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يـا حبَّـذَا الجنَّـةَ واقـتـرابُـهـا طـيِّـبـةٌ وبـارداً شـرابُـهـا

والرومُ رومٌ قد دَنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها عليّ إن لاقيتُها ضِرَابُها

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي اسحاق ولم يذكر الشعر ، وقد استدل من جواز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو كما يقول أبو حنيفة في الأغنام اذا لم تتبع في السير ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تذبح وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك والله أعلم . قال السهيلي ولم ينكر أحد على جعفر ، فدل على جوازه إلا اذا أمن أخذ العدو له ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثا . قال ابن هشام : وحـدثني من أثق به من أهـل العلم أن جعفر أخـذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء، ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين . قال ابن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم

---

(١) اليعملات : النبات المتراكم .

بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزِلَنَّه لتنزِلنَّ أو لتُكْرَهَنَّه
إن أجلبَ الناسُ وشدوا الرنَّه مالي أراكِ تكرهين الجنّه
قد طالَ ما قد كنتِ مطمئنّه هل أنتِ إلا نطفةٌ في شِنّه

وقال أيضاً :

يا نفسُ إن لا تُقْتَلي تموتي هذا حِمامُ الموتِ قد صَلِيتِ
وما تمنَّيتِ فقد أُعطيتِ إن تفعلي فِعْلَهما هُديتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً ، ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فأنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده (فانتهس)[1] منه نهسة ، ثم سمع (الحطمة)[2] في ناحية الناس فقال وانت في الدنيا ثم القاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. قال ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم اخو بني العجلان . فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى[3] بهم ثم انحازوا نحيز عنه حتى أنصرف بالناس . قال ابن اسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، قال ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بهـا حتى قتل شهيداً، ثم قال لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت عم هذا ؟ فقيل لي مضيا وتردّد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى . هكذا ذكر ابن اسحاق هذا منقطعاً، وقد قال البخاري ثنا أحمد بن واقد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر، فقال أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . تفرد به البخاري ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : وما يسرهم أنهم عندنا . وقال البخاري ثنا أحمد بن أبي بكير ثنا مغيرة ابن عبد الرحمن المخزومي وليس بالحرامي عن عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر .

(١) انتهس : أخذ بمقدم أسنانه . (٢) الحطمة : العراك والازدحام .

(٣) في السهيلي : المخاشاة : المحاجزة وهي مفاعلة من الخشية لأنه خشي على المسلمين لقلة عددهم ثم قال : ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الحشي وهي الناحية وقيل حاشى بهم انحاز بهم .

قال أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ ان قتل زيد فجعفر، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال عبد الله كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من ضربة ورمية تفرد به البخاري أيضاً. وقال البخاري أيضاً حدثنا احمد ثنا ابن وهب عن ابن عمرو عن أبي هلال ـ هو سعيد بن أبي هلال الليثي ـ قالا : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره ، وهذا أيضاً من أفراد البخاري. ووجه الجميع بين هذه الرواية والتي قبلها ان ابن عمر اطلع على هذا العدد، وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، وأن هذه في قبله أصيبها قبل أن يقتل، فلما صرع إلى الأرض ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعد ابن عمر ما كان في قبله وهو في وجوه الاعداء قبل أن يقتل رضي الله عنه. ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه. وهي ممسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخاري ثنا محمد بن أبي بكر ثنا عمر بن علي عن اسماعيل بن أبي خلاد عن عامر قال كان ابن عمر إذا حيّ ابن جعفرَ قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين . ورواه ايضاً في المناقب والنسائي من حديث يزيد بن هارون عن اسماعيل بن أبي خالد ، وقال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفيان بن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فيما بقي في يدي الا صفحة يمانية . ثم رواه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن اسماعيل حدثني قيس سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق في يدي يوم مؤته تسعة اسياف وصبرت في يدي صفحة يمانية انفرد به البخاري . قال الحافظ أبو بكر البيهقي ثنا ابو نصر بن قتادة ثنا أبو عمرو مطر ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ثنا سليمان بن حرب ثنا الاسود ابن شيبان عن خالد بن سمير قال: قدم علينا عبد الله بن رباح الانصاري وكانت الانصار تفقهه ، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه فقال ابو قتادة فارس رسول الله ﷺ قال بعث رسول الله ﷺ جيش الامراء وقال عليكم زيد بن حارثة ، وقال ان أصيب زيد فجعفر . فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال فوثب جعفر وقال يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً عليّ قال أمض فانك لا تدري أي ذلك خير ، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله فصعد رسول الله ﷺ المنبر فأمر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله ﷺ فقال أخبركم عن جيشكم هذا ، أنهم أنطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء هو امر نفسه ثم قال رسول الله ﷺ «اللهم أنه سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمى خالد سيف الله . ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو انه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع إليه الناس قال باب خير باب خير وذكر الحديث . وقال الواقد حدثني عبد الجبار بن عمارة

ابن غزية عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم . قال : لما التقى الناس بمؤتة؛ جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف الله ما له بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معتركهم ، فقال أخذ الراية زيد ابن حارثة فجاء الشيطان فحبب اليه الحياة وكره إليه الموت ، وحبب إليه الدنيا فقال الآن استحكم الايمان في قلوب المؤمنين تحبب إلى الدنيا ، فمضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال استغفروا له فقد دخل الجنة وهو شهيد . قال الواقدي وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكره إليه الموت ومناه الدنيا فقال الآن حين استحكم الايمان في قلوب المؤمنين يمنيني الدنيا، ثم مضى قدما حتى استشهد فصلّى عليه رسول الله ﷺ وقال استغفروا لاخيكم فأنه شهيد دخل الجنة وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء في الجنة ، قال ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضاً فشق ذلك على الانصار فقيل يا رسول الله ما أعترُضهُ ؟ قال لما اصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة فسرى عن قومه . قال الواقدي وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله ﷺ الآن حمي لوطيس. قال الواقدي فحدثني العطاف بن خالد قال لماقتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد فلما أصبح غداً وقد جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرته ، قال فانكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد، فرهبوا وانكشفوا منهزمين، قال فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه فأنه قال بعد عمرة الحديبية ثم صدر رسول الله ﷺ إلى المدينة بها ستة أشهر ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة وامرّ عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم ، فأن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم ، فأنطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فأغلق ابن أبي سبرةدون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا على زرع أحمر فاقتتلوا قتالا شديداً، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل، ثم اخذه جعفر فقتل ، ثم اخذه عبد الله بن رواحة فقتل ثم اصطلح المسلمون بعد امراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو واظهر المسلمين قال وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الاولى - يعني سنة ثمان - قال موسى بن عقبة: وزعموا ان رسول الله ﷺ قال مرّ عليّ جعفر في الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان . قال وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة فقال له رسو ل الله ﷺ أن شئت فأخبرني وأن شئت أخبرك ، قال أخبرني يا رسول الله قال فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله ﷺ « إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم » فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن اسحاق وفيه مخالفة لما ذكره ابن اسحاق من أن خالد إنما حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب

النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بأنهم هـزموا جمـوع الروم والعـرب الذين معهم وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه . ورواه البخاري وهذا هو الذي رجحه ومال إليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن اسحاق وبين قول الباقين وهو أن خالد لما أخذ الـراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكـافرين من الـروم والمستعربـة . فلما اصبـح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي . توهم الروم أن ذلك عن مدد مجاء الى المسلمين ، فلمـا حمل عليهم خـالد هـزموهم بـأذن الله والله أعلم . وقد قـال ابن اسحاق حدثني محمد بن جعفر عن عروة قال لما أقبل أصحاب مؤتة تلقـاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه [قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال : خذوا الصبيان فـأحملوهم وأعطوني ابن جعفـر فأتى بعبـد الله فأخـذه فحمله بين يديـه] فجعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون يافرار فررتم في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل » وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة، وعندي أن ابن اسحاق قد وهم في هذا السياق فظن ان هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأمـا بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ للمسلمين وهو على المنبر في قوله ثم أخـذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراماً واعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . قال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا زهير ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ (فحاص)[1] الناس (حيصة) وكنت فيمن حاص ، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنـا بالغضب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة قتلنا ، ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة والا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال من القوم ؟ قال قلنا نحن فرارون، فقال لا بل أنتم الكرارون أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين ، قال فأتيناه حتى قبلنا يده . ثم رواه غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر قال: كنا في سرية ففررنـا فاردنـا أن نركب البحر، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون، فقال لا بل أنتم العكارون رواه الترمذي وابن ماجة من حديث يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديثه . وقال أحمد حدثنا اسحاق بن عيسى وأسود بن عامر قالا : حدثنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن عمر قال: بعثنـا رسول الله ﷺ في سـرية ، فلمـا لقينا العـدو

---

(١) حاص : حاد وهرب .

انهزمنا في اول غادية ، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا ثم قلنا لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه ، فخرجنا إليه ثم ألتقيناه قلنا نحن الفرارون يا رسول الله قال « بل أنتم العكارون وأنا فئتكم » قال الأسود «وأنا فئة كل مسلم » وقال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو ابن حزم عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت لأمرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يا فرار فررتم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو على ما ذكروه مائتي الف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله ، ويؤيد ذلك ويشاكله بالصحة ما رواه الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الاشجعي : قال خرجت : مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤته ، ومدوى من اليمن ليس معه غير سيفه فنحر رجل من المسلمين جزوراً فسأله المدوي طابقة من جلده فاعطاه أياه فاتخذه كهيئة الدرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يغزي بالمسلمين، وقعد له المدوي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقبه فخر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد يأخذ من السلب، قال عوف فأتيته فقلت يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال بلى ولكني استكثر به، فقلت به؟ فقلت لتردنه إليه أولا عرفنكها عند رسول الله ﷺ ، فابى ان يرد عليه . قال عوف فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المدوى وما فعل خالد فقال رسول الله ﷺ «يا خالد رد عليه ما أخذت منه » قال عوف فقلت دونك يا خالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله ﷺ وما ذاك فأخبرته فغضب رسول الله ﷺ وقال «يا خالد لا ترد عليه هل أنتم تاركوا امرأئي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » قال الوليد سألت ثوراً عن هذا الحديث فحدثني عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عوف بنحوه . ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم، وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالداً رضي الله عنه قال أندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي الا صفحة يمانية، وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلا ولو لم يكن كذلك لما قد روا على التخلص منهم، هذا وحده دليل مستقل والله اعلم. وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي وحكاه ابن هشام عن الزهري . قال البيهقي رحمه الله : إن اختلف أهل المغازي في فرارهم وأنحيازهم، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين

وأن المشركين انهزموا . قال وحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن اسحاق أن قطبة بن قتادة العذري ـ وكان رأس ميمنة المسلمين ـ حمل على مالك بن زافلة ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابنَ رافلةَ بنَ الاراش	برمحٍ مضى فيه ثم انحطم
ضربتُ على جيدهِ ضربةً	فمال كما مال غُصن السَّلَم
وسُقنا نساءَ بني عمّهِ	غداةَ (رقوقين)[1] سَوْقَ النَّعَم

وهدا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله أعلم. وأما ابن اسحاق فأنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلص من أيدي الروم وسمى هذا نصراً وفتحاً أي باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى العادات أن يصطلحوا بالكلية ، فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام وهذا متحمل لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام « ففتح الله عليهم » والمقصود أن ابن اسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال : وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن المحسر اليعمري يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فوالَّلهِ لا تَنْفكُّ نفسي تلومني	على موقفي والخيلُ قابعةٌ قبل
وقفتُ بها لا مستجيزاً فَنَافذاً	ولا مانعاً من كان حُمَّ له القتل
على أنني آسيتُ نفسي بخالدٍ	ألا خالدٌ في القوم ليس له مِثْل
وجاشَتْ اليَّ النفسُ من نحو جعفرٍ	بمؤتةَ إذْ لا ينفعُ النَّابلُ النُّبل
وضمَّ إلينا حجزتيهم كليهما	مهاجِرَةً لا مشركون ولا عُزُل

قال ابن اسحاق : فبين قيس ما أختلف فيه الناس من ذلك في شعره أن القوم (جاحزوا)[2] وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه . قال ابن هشام : وأما الزهري فقال ـ فيما بلغنا عنه ـ أمرّ المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة .

---

(١) رقوقين : سبايا .

(٢) جاحزوا : نفروا .

فَصْــل :

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها اسماء بنت عميس قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناء وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم ، فقال رسول الله ﷺ « إئتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفروأصحابه شيء ؟ قال « نعم أصيبوا هذا اليوم » قالت فقمت أصيح واجتمع الى النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ورواه ابن اسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون . وقال الامام أحمد حدثنا سفيان ثنا جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي ﷺ « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم . أو أتاهم ما يشغلهم » وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة المخزومي المكي عن أبيه عن عبد الله بن جعفر وقال الترمذي حسن . ثم قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن . قالت فدخل عليه رجل فقال يا رسول الله[إن النساء] عييننا وفتننا ، قال « أرجع اليهن فاسكتهن » قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت [يقول] وربما ضر التكلف ـ يعني أهله ـ [قالت قال فاذهب] فأسكتهن فان أبين فاحثوا في أفواههن التراب » قالت [وقلت في نفسي أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ ، قالت وعرفت أنه لا يقدر يحثي في أفواههن التراب . إنفرد به ابن اسحاق من هذا الوجه وليس في شيء من الكتب وقال البخاري ثنا قتيبة ثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال أخبرتني عمرة قالت سمعت عائشة تقول : لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة وأنا أطلع من صاير الباب ـ شق ـ فأتاه رجل فقال : أي رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن ، فأمره أن ينهاهن قالت فذهب الرجل ثم أتى فقال والله لقد غلبتنا ، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال : فاحث في أفواههن من التراب » قالت عائشة رضي الله عنها فقلت أرغم الله أنفك ، فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله ﷺ من العناء .
وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة عنها .
وقال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن ابن سعد عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر ، فان قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة »

فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي ﷺ فخرج الى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال « لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، أدعوا لي بني أخي » قال فجيء بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا لي الحلاق » فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب ، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي » ثم أخذ بيدي فأشالها وقال « اللهم اخلف جعفرا في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات ، قال فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح[1] له فقال « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ » ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به ، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ثم نهاهم عنه بعدها . ولعله معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث الحكم ابن عبد الله بن شداد عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها لما أصيب جعفر « تسلبي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت » تفرد به أحمد فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الاحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الاحداد المعتاد والله أعلم . ويروى تسلي ثلاثاً ـ أي تصبري ثلاثاً ـ وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم . فأما الحديث الذي قال الامام أحمد حدثنا يزيد ثنا محمد بن طلحة ثنا الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال لا تحدي بعد يومك هذا . فانه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره لأنه قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام الا على زوج أربعة أشهر وعشراً » فان كان ما رواه الإمام أحمد محفوظا فتكون مخصوصة بذلك أو هو أمر بالمبالغة في الاحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم والله أعلم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فآليتُ لا تنفكُّ نفسي حزينة ... عليك ولا ينفكُّ جلدي أغبرا

فلله عيناً من رأى مِثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصْبرا

(١) في النهاية تفسير لهذا الخبر فهو من أفرحه إذا غمه وأزال عنه الفرح (ثم قال) وإن كان بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له حتى قال النبي ﷺ أتخافين العيلة وأنا وليهم .

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها فخطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة فكان فيهم علي بن أبي طالب ، فلما ذهب الناس استأذن على أبا بكر رضي الله عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها علي : ـ على وجه البسط ـ من القائلة في شعرها :

فـآليت لا تـنفـك نـفسي حـزينـة عليـك ولا ينـفـك جلدي أغبـرا ؟

قالت دعنا منك يا أبا الحسن فانك امرؤ فيك دعابة . فولدت للصديق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله ﷺ ذاهب الى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتهل وسيأتي في موضعه ، ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب وولدت له أولاداً رضي الله عنه وعنها وعنهم أجمعين .

فَصــل :

قال ابن اسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروةبن الزبير قال: فلما دنوا من المدينةتلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة، فقال«خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر»فأتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه، قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله ! قال فيقول رسول الله ﷺ«ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله»وهذا مرسل . وقد قال الامام أحمد ثنا أبو معاوية ثنا عاصم عن مؤرق العجلي عن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله ﷺ اذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته ، وأنه قدم من سفر فسبق بي اليه ، قال فحملني بين يديه ثم قال « جيء بأحد بني فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فاردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة . وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الأحول عن مؤرق به . وقال الامام أحمد ثنا روح حدثنا ابن جريج ثنا خالد بن سارة أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتني وقثما وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبي ﷺ على دابة فقال « ارفعوا هذا الي ، فحملني أمامه وقال لقثم « ارفعوا هـذا الي » فجعله وراءه ، وكان عبيـد الله أحب الى عباس من قثم فما استحى من عمه أن حمل قثما وتركه قال ، ثم مسح على رأسه ثلاثا وقال كلما مسح « اللهم اخلف جعفراً في ولده » قال قلت لعبد الله ما فعل قثم ؟ قال استشهد ؟ قال قلت الله ورسوله أعلم بالخير ؟ قال أجـل . ورواه النسائي في اليـوم والليلة من حديث ابن جريج به . [وهذا كان بعد الفتح فان العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح فأما الحديث رواه الامام أحمد ثنا اسماعيل ثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن أبي مليكة قال قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر اذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس ؟ قـال نعم فحملنا وتـركك . وبهـذا

اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الأجوبة المسكتة ،ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه والله أعلم] .

فصل :

في فضل هؤلاء الامراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم .

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان ابن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله ﷺ وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، وقيل اشتراه رسول الله ﷺ لها فوهبته من رسول الله ﷺ قبل النبوة فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالي ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُم ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ إدْعُوهُم لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُم ﴾[3] وقوله : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وتخْفي في نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾[4] الآية أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى أنعم الله عليه أي بالاسلام ، وأنعمت عليه أي بالعتق ، وقد تكلمنا عليها في التفسير . والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره ، وهداه الى الاسلام وأعتقه رسول الله ﷺ وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحب بن الحب ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش وآخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه في الأمرة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه . وقد قال الامام أحمد والامام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة ـ وهذا لفظه ـ ثنا محمد بن عبيد عن وائل بن داود سمعت البهي يحدث أن عائشة كانت تقول : ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية الا أمّره عليهم ، ولو بقي بعد لاستخلفه . ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان عن محمد بن عبيد الطنافسي به . وهذا اسناد جيد قوي على شرط الصحيح وهو غريب جدا والله أعلم . وقال الامام أحمد ثنا سليمان ثنا اسماعيل أخبرني ابن دينار عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً

---

(1) سورة الأحزاب الآية : الرابعة .
(2) سورة الأحزاب الآية : الخامسة .
(3) سورة الأحزاب الآية : ٤٠ .
(4) سورة الأحزاب الآية : ٣٧ .

وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس في أمرته ، فقام رسول الله ﷺ فقال « أن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس الي بعده » وأخرجاه في الصحيحين عن قتيبة عن اسماعيل ـ هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني ـ عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا عمر بن اسماعيل عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : لما أصيب زيد بن حارثة وجيء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فأخر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال « ألاقي منك اليوم ما لقيت منك أمس » وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم . وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب . ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » قال وإن عينيه لتذرفان ، وقال وما يسرهم أنهم عندنا . وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة . وقد قال حسان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة :

عينُ جُودي بدمعِك المنزورِ ... واذكُري في الرَّخاء أهلَ القبور
واذكري مُؤْتةً وما كانَ فيها ... يوم راحوا في وقعة التَّغْوير
حينَ راحوا وغادروا ثمَّ زَيداً ... نعْم مأوى الضَّريكِ[1] والمأسور
حبَّ خيرِ الأنام طُرّاً جَميعاً ... سيِّدَ الناسِ حُبُّه في الصُّدور
نَعاكمُ أحمدُ الذي لا سِواه ... ذاكَ حُزني لهُ معاً وسُروري
إن زيداً قد كانَ منّا بأمرٍ ... ليسَ أمرَ المكذِّبِ المغرور
ثم جُودي للخزرجيِّ بدمعٍ ... سيِّداً كانَ ثم غيرَ نزور
قد أتانا مِنْ قَتْلِهم ما كفانا ... فبِحُزنٍ نَبيتُ غير سرور

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله ﷺ وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، أسلم جعفر قديماً وهاجر الى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة ولله الحمدُ . وقد قدم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام « ما أدري أنا بأيهما أسر ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر » وقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية

(١) الضريك : الأحمق .

«اشبهت خَلقي وخُلقي» فيقال إنه حجل[1] عند ذلك فرحاً كما تقدم في موضعه ولله الحمد والمنة . ولما بعثه الى مؤتة جعل في الأمرة مصلياً ـ أي نائباً ـ لزيد بن حارثة ، ولما قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر ، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء فلما فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال إن رجلا من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله ، وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد ، فهو ممن يقطع له بالجنة . وجاء بالأحاديث تسميته بذي الجناحين . وروى البخاري عن ابن عمر أنه كان إذا سلم على أبنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا ابن ذي الجناحين ، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما في الصحيح عن ابن عمر . قالوا لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحيه في الجنة وقد تقدم بعض ما روي في ذلك . قال الحافظ أبو عيسى الترمذي : حدثنا علي بن حجر ثنا عبد الله بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال ﷺ «رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة» وتقدم في حديث أنه رضي الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثين سنة . وقال ابن الأثير في الغابة كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين ، قال وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسن من علي بعشر سنين يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرين سنة ، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة والله أعلم . وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيار لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لإحسانه إليهم . قال الإمام أحمد وحدثنا عفان بن وهيب ثنا خالد عن عكرمة عن أبي هريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة وكأنه إنما يفضله في الكرم ، فإما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، وأما أخوه علي رضي الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه ، وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم بدليل ما رواه البخاري ثنا أحمد بن أبي بكر ثنا محمد بن ابراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهني عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وأني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني خبز لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لاستقرىء الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب

(١) حجل : مشى على رجل واحدة .

بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج الينا العُكَّة[1] التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها . تفرد به البخاري . وقال حسان بن ثابت يرثي جعفراً :

ولقدْ بَكَيتُ وعزّ مَهْلَكِ جعفرٍ — حِبِّ النبي على البرية كلها
ولقد جَزِعتُ وقلتُ حين نُعيتَ لي — من للجِلادِ لدَى العُقابِ وظلها
بالبيض حين تُسَلُّ من أغمادِها — ضرباً وإنهالِ الرماح وعَلِّها
بعد ابنِ فاطمةَ المبارك جعفرٍ — خير البريّة كلّها وأجلِّها
رُزءاً[2] وأكرمها جميعياً مُحْتداً — وأعزّها متظلِّما وأذلها
للحقّ حين ينوبُ غيرَ تنحُّلٍ — كذباً وأنداها يدا وأقلّها
فُحشاً وأكثرها اذا ما يُجْتَدى — فَضلاً وأنداها يداً وأَبَلِّها
بالعُرفِ غيرُ محمدٍ لا مثلُه — حيٌّ من أحياءِ البرية كلِّها

وأما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس لا كبو بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمد ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو الأنصاري الخزرجي وهو خال النعمان بن بشير ، اخته عمرة بنت رواحة أسلم قديما وشهد العقبة وكان أحد النقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وكان يبعثه على خرصها كما قدمنا وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ وقيل بغرزها ـ يعني الركاب ـ وهو يقول : * خلوا بني الكفار عن سبيله * الأبيات كما تقدم . وكان أحد الامراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم وقد شجع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في ذلك وشجع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . ويروى أنه لما أنشد النبي ﷺ شعره حين ودعه الذي يقول فيه :

فثبتَ اللهُ ما آتاك من حسنٍ — تثبيت موسى ونصراً كالذي نُصروا

قال له رسول الله ﷺ « وأنت فثبتك الله » قال هشام بن عروة : فثبته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنة . وروى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول «أجلسوا » فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال «زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » وقال البخاري في صحيحه وقال ابن معاذ جلس بنانؤ من ساعة. وقد ورد الحديث المرفوع في

(١) العُكة : وعاء أصغر من القربة .

(٢) رزءا : مصابا .

ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد عن عمارة عن زياد النحوي عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة اذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي ﷺ «رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة» وهذا حديث غريب جداً. وقال البيهقي ثنا الحاكم ثنا أبو بكر ثنا محمد بن أيوب ثنا أحمد بن يونس ثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى نؤمن ساعة. قال أو لسنا بمؤمنين ؟ قال بلى ولكنا نذكر الله فنزداد إيماناً. وقد روى الحافظ أبو القاسم اللاكائي[1] من حديث أبي اليمان عن صفوان بن سليم عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول: قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر. وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة . وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر في حر شديد وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين، ومما نقله البخاري من شعره في رسول الله ﷺ .

وفينا رسولُ الله نتلوا كتابه	إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشِه	إذا استُثقِلتُ بالمشرِكين المضاجعُ
أتى بالهُدى بعد العَمى فقلوبُنا	به موقناتٌ أنّ ما قال واقِعُ

وقال البخاري حدثنا عمران بن ميسرة ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان ابن بشير قال : أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي ، واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئاً الا قيل لي أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ثنا خيثمة عن حصين عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: أغمي على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه وقد قدمناه مارثاه به حسان بن ثابت مع غيره. وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم .

كفى حزنا أني رجعتَ وجعفرٌ	وزيدٌ وعبدُ الله في رمس أقبُرِ
قضَوا نَحبهَم لمّا مضَوا لسبيلهم	وخُلِّفتُ للبلوى مَعَ المتغَيِّرِ

وسيأتي إن شاء الله تعالى بقية ما رثى به هؤلاء الامراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهما وأرضاهما .

---

(١) كذا في الأصل وفي الحلبية : اللاكاني والمحفوظ : اللالكائي .

فصل في من استشهد يوم مؤتة

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ، ومسعود بن الاسود ابن حارثة بن نضلة العدوي، ووهب بن سعد بن أبي سرح، فهؤلاء أربعة نفر. ومن الأنصار عبد الله بن رواحة، وعباد بن قيس الخزرجيان، والحارث بن النعمان بن اساف بن نضلة النجاري، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر . فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية على ما ذكره ابن اسحاق لكن قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهري أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى فهؤلاء أربعة من الانصار أيضاً فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلا وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا الف مقاتل ، من الروم مائة الف ، ومن نصارى العرب مائة الف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلا وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي الا صفحة يمانية فماذا ترى قد قتل بهذه الاسياف كلها ! دع غيره من الابطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن، في ذلك الزمان وفي كل أوان . وهذا مما يدخل في قوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُم آية فِي فِئَتَيْنِ التَقَتا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبْيلِ اللَّهِ وَأخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهمُ مِثْلَيْهِمَ رَأيَ العَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إنَّ في ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأولى الابَصَارِ ﴾[1] .

حديث فيه فضيلة عظيمة لامراء هذه السرية

وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم . قال الإمام العالم الحافظ أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازي نضر الله وجهه في كتابه دلائل النبوة ـ وهو كتاب جليل حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ثنا الوليد ثنا ابن جابر. وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ثنا الوليد وعمرو ـ يعني ابن عبد الواحد ـ قالا : ثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول أخبرني أبو أمامة الباهلي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بينا أنا نائم إذا أتاني رجلان فأخذا بضبعي[2] فأتيا بي جبلا وعراً فقالا اصعد، فقلت لا أطيقه فقالا إنا سنسهله لك قال فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة فقلت ما هؤلاء الاصوات ؟ فقالا

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣ .

(٢) ضبعي : ابطي .

عواء أهل النار ثم أنطلقنا بي فاذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما فقلت ما هؤلاء ؟ فقالا هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم فقال خافت اليهود والنصارى » قال سليم سمعه من رسول الله ﷺ أم من رأيه ؟ « ثم انطلقا بي فإذا قوم أشد شيء انتفاخاً وأنتن شيء ريحاً كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قالا هؤلاء قتلى الكفار ثم انطلقا بي فاذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن شيء ريحاً كان ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلقا بي فإذا بنساء ينهش ثديهن الحيات فقلت ما بال هؤلاء ؟ قالا هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن البانهن ثم أنطلقا بي فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت من هؤلاء قالا هؤلاء ذراري المؤمنين ثم أشرفا بي شَرفاً فاذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت من هؤلاء ؟ قالا هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ثم أشرفا بي شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة فقلت من هؤلاء قالا هذا ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

ما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة

قال ابن أسحاق: وكان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان :

تأوَبني ليل بيثرب أعسرُ ... وَهمٌ إذا ما نوّم الناس مسهرُ
لذكرى حبيبٍ هيجت ليَ عَبرة[1] ... سَفوحاً وأسبابُ البكاء التذكّر
بلى إن فقدانَ الحبيبِ بليَّةٌ ... وكم من كريم يبتلي ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا ... شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا[2] ... بمؤتةَ منهم ذو الجناحيْن جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمونُ النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبيٌ إذا سِيم[3] الظلامةَ مجسر
فطاعن حتى مال غيرَ مؤسد ... بمعترك فيه القنا متكسِّر
فصار مع المستشهَدين ثوابُهُ ... جِنانٌ وملتفُّ الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفرٍ من محمد ... وفاءً وأمراً حازماً حين يأمر
وما زالَ في الاسلامِ من آل هاشمٍ ... دعائمُ عزّ لا يَزُلْن ومفخَر
هُموا جبلُ الاسلام والناس حولهم ... رُضامٌ[4] الى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيْبَهر

---

(١) عبرة : دمعة .

(٢) في الأصول في الموضعين تبايعوا والتصحيح من ابن هشام .

(٣) سيم : اثار .

(٤) رضام : صخور أو حجارة عظيمة بعضها فوق بعض .

بهـا ليـلُ منهـم جعفـرٌ وابنُ أمِّـه ... علـيّ ومنـهُـم أحـمـدُ المـتـخيَّـر
وحمـزةُ والعبّـاسُ منهم ومنهـمـوا ... عَقيـلٌ وماء العُـودِ من حيثُ يعصر
بهم تُفرّج اللأواءُ[1] في كـل مأزقٍ ... عَماس[2] إذا ما ضاق بالناس مَصدر
هـمُ أولـيـاءُ الله أنـزلَ حُـكْـمَـهُ ... عليهم ، وفيهم ذا الكتـابُ المطهـر

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه :

نـامَ العيـونُ ودمـعُ عينـك يهمِـلُ ... سحـا كما وَكَفَ الطباب المخضل[3]
في ليـلة وردتْ علـيّ همـومُـهـا ... طـوراً أخـنُّ وتـارة أتـمـهـل[4]
واعتـادني حـزنٌ فبـتّ كـأنـني ... ببنـاتِ نعشٍ والسُّمـاكِ مـوكـل
وكـأنمـا بينَ الجـوانـح والحشـا ... ممـا تـأوَّبني شهـابٌ مـدخـل
وجـداً على النفَـر الَّـذين تتـابعـوا ... يـومـاً بمؤتـةَ أسنَـدوا لم ينقلوا
صلى الأله عليهـم مـن فِـتيـةٍ ... وسقى عـظامَهُمُ الغمـامُ المسبِـل
صبـروا بمؤتـةَ لـلأله نفـوسَهم ... حـذر الردى ومخـافـةً أن ينكلوا
فمضَـوا أمـام المسلمين كـأنهم ... فَنقٌ[5] عليهـنّ الحـديـدُ المـرفَـل
إذ يهتـدون بجعـفـرٍ ولـوائـه ... قـدام أوّلـهـم فـنـعْـمَ الأول
حتى تفـرّجتِ الصفـوفُ وجـعفـرٌ ... حيثُ التقى وعثُ[6] الصفوف مجدَّل
فتغيـر القمـر المنيـر لفقـده ... والشمسُ قـد كُسفت وكادت تـأفـل
قِـرم علـى بنيـانـه من هـاشـمٍ ... فـرعـاً أشـمَّ وسـؤدداً مـا ينقـل
قـومٌ بهـم عَـصَـمَ الالـهُ عبـادَه ... وعليهـم نـزلَ الكتـابُ المنـزل
فضُلوا المعـاشـرَ عـزَّةً وتكـرُّمـا ... وتعمّـدت أحـلامُـهم من يجهـل
لا يطلقـون الى السفـاه حباهمـوا ... فتـرى خطيبَـهُـمُ بحـقٍّ يفـصِـل
بيضُ الوجـوه تـرى بطونَ أكفِّهم ... تَنْـدَى اذا اعتـذرَ الـزمـانُ الممحـل
وبهـدْيـهـمْ رضـيَ الآلـهُ لخلقـه ... وبجـدِّهم[7] نُصـر النبيِّ المـرسـل

---

(1) اللأواء : وقت الشدة .
(2) عماس : مظلم والأعمس الضعيف البصر .
(3) في الأصل الظباء المخضل وهو تصحيف . والطباب كما في السهيلي جمع طبابة وهي سير بين خرزتين في المزادة فإذا كان غير محكم وكف منه الماء . وأيضا جمع طبة وهي شقة مستطيلة .
(4) كذا في الأصل وفي ابن هشام : اتململ .
(5) فنق : أصحاب نعيم بعد بؤس .
(6) وعث : كل أمرٍ شاق .
(7) كذا في الأصول وفي ابن هشام : بحدهم بالحاء المهملة .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بعث رسول الله ﷺ الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذي الحجة بعد عمرة الحديبية، وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله أعلم. ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول أبي سفيان لهرقل حين سأله هل يغدر فقال لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. وفي لفظ البخاري وذلك في المدة التي مادّ فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ. وقال محمد بن اسحاق: كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام. ونحن نذكر ذلك هاهنا وإن كان قول الواقدي محتملا والله أعلم. وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المْعنى عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كتب قبل مؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه. وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبدالله بن عباس حدثني أبو سفيان من فيه إلى فيّ قال: كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله ﷺ لا نأمن إن وجدنا أمناً، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلا إلا وقد حملني بضاعة، وكان وجه متجرنا من الشام غزة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الاعظم وقد كان استلبوه إياه، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام فخرج منها يمشي متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تبسط له البسط ويطرح عليها الرياحين، حتى انتهى إلى ايلياء فصلى بها فاصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء، فقالت له بطارقته أيها الملك لقد أصبحت مهموماً، فقال أجل، فقالوا وما ذاك؟ فقال أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر، فقالوا والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن الا اليهود وهم تحت يديك وفي سلطانك فان كان قد وقع ذلك في نفسك منهم فابعث في مملكتك كلها فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه، فتستريح من هذا الهم. فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع اليهم، فقال: أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن حدث كان ببلاده فأسأله عنه، فلما أنتهى إليه قال لترجمانه: سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده؟ فسأله فقال: هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد أتبعه أقوام وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن فخرجت من بلادي وهم على ذلك. فلما أخبره الخبر قال جردوه فإذا هو مختتن فقال هذا والله الذي قد رأيت لا ما تقولون، أعطه ثوبه. أنطلق لشأنك. ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له قلب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه، قال أبو سفيان فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم

علينا فسألنا ممن أنتم ؟ فاخبرناه فساقنا إليه جميعاً فلما انتهينا اليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الا غلف ـ يريد هرقل ـ قال فلما انتهينا اليه قال أيكم أمس به رحماً ؟ فقلت أنا ، قال ادنوه مني ، قال فأجلسني بين يديه ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي وقال : إن كذب فردوا عليه ، قال أبو سفيان فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا على ولكني كنت امرءاً سيداً أتكرم وأستحى من الكذب وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عني ثم يتحدثونه عني بمكة فلم أكذبه، فقال أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم ، فزهدت له شانه وصغرت له أمره ، فقلت سلني عما بدا لـك ؟ قال كيف نسبه فيكم ؟ فقلت محضاً من أوسطنا نسباً ، قال فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به؟ فقلت لا قال فأخبرني هل له ملك فأسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه ؟ فقلت لا قال فأخبرني عن أتباعه من هم ؟ فقلت الأحداث والضعفاء والمساكين فاما أشرافهم وذووا الانساب منهم فلا ، قال فأخبرني عمن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ قلت ما صحبه رجل ففارقه قال فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت سجال يدال[1] علينا وندال عليه . قال فأخبرني هل يغدر فلم أجد شيئاً أغره به إلا هي قلت لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غذره فيها. فوالله ما التفت اليها مني قال فأعاد على الحديث، قال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه الا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت لا ، وسألتك هل كان له ملك فاسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه فقلت لا ، وسألتك عن اتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتدالون عليه وكذلك يكون حرب الانبياء ولهم تكون العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر فلئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه، ثم قال الحق بشأنك قال فقمت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول : يا عباد الله لقد أمر [أمر ابن أبي كبشة ، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم. قـال ابن اسحاق : وحدثني] الزهري قال، حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دحية ابن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله ﷺ فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان أبيت فان إثم الأكاريين[2] عليك . قال فلما انتهى إليه كتابه وقرأه أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ بخبره عما جاء من رسول الله ﷺ فكتب إليه إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه ، فأمر بعظماء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم أمر بها

---

(١) يدال : يجعل الكرة . لنا ثم علينا .

(٢) الأكاريين : الحراث .

فأشرحت[1] عليهم واطلع عليهم من علية له وهو منهم خائف فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحمد وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر ومجمل ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته وزمانه فاسلموا واتبعوا تسلم لكم دنياكم وآخرتكم فنخروا[2] نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم ، فخافهم وقال ردوهم عليّ فردوهم عليه فقال لهم يا معشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقالةأختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم؟ فلقد رأيت منكم ما سرني فوقعوا له سجدا ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا. وقد روى البخاري قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أخر أحببنا أن نوردها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد .

قال البخاري قبل الايمان من صحيحه حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ثنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسباً ، قال أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه، فوالله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت لا قال فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤ هم ؟ قلت بل ضعفاؤ هم قال أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدونْ قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا قال فهل يغدر، قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال ولم يمكنى كلمةأدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة ، قال فهل قاتلتموه ؟ قلت نعم قال فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال ماذا يأمركم ؟ قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤ كم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت ان لا فقلت لو كان أحد قال هذا قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه [من ملك] فذكرت أن لا فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤ هم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك

---

(١) كذا بالأصل ولعلها فأسرجت عليهم .

(٢) نخروا : مدوا الصوت والنفس .

أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أني أخلص اليه لتجشمت[1] لقاءه ،ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه ؛ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ؛ فأني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين و ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُم أَنْ لاَ نَعْبُد إلا الله ولا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلّوا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2] قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصَخْب وارتفعت الاصوات وأخرجنا ، فقلت لاصحابي حين خرجنا لقد أمِّر أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الاسلام قال وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك ؟ قال ابن الناطور : وكان هرقل حَزَّاءَ ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه إني رأيت حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمم ؟ قالوا ليس يختتن الا اليهود ولا يهمنك شأنهم وأكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان فخبرهم عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال أذهبوا فأنظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب إلى صاحب له برومية ـ وكان نظيره في العلم ـ وسار هرقل إلى حمص فلم يرم بحمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ﷺ وهو نبي ، فآذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بابوابها فغلقت . ثم أطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم ؟ فتتابعوا لهذا النبي ، فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس[3] من الإيمان قال ردوهم عليّ ، وقال إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل . قال البخاري: ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهري . وقد رواه

---

(١) تجشمت : تكلفت على مشقة .

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

(٣) آيس : يئس .

البخاري في مواضع كثيرة في صحيحه بالفاظ يطول استقصاؤ ها . وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجة من طرق عن الزهري . وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لصحيح البخاري بما فيه كفاية وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية والله الحمد والمنة . وقال ابن لهيعة عن الأسود عن عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله ﷺ فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه يأمره أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان ابن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل . أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما أمره ؟ قالوا ساحر كذاب وليس بنبي ، قال فأخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله ، فلما أخبروه ذلك أمرّ بهم فأخرجوا عنه ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال اخبرني يا أبا سفيان ؟ فقال هو ساحر كذاب ، فقال هرقل إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال هو والله من بيت قريش ، قال كيف عقله ورأيه ؟ قال لم يغب له رأي قط . قال هرقل هل كان حلافاً كذاباً مخادعاً في أمره ؟ قال لا والله ما كان كذلك ، قال لعله يطلب ملكاً أو شرفاً كان لاحد من أهل بيته قبله ؟قالب أبو سفيان لا ،ثم قال من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال لا ، قال هرقل هل يغدر إذا عاهد ؟ قال لا إلا أن يغدر مدته هذه . فقال هرقل وما تخاف من مدته هذه ؟ قال إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة ، قال هرقل إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أغدر ، فغضب أبو سفيان وقال لم يغلبنا الامرة واحدة وأنا يومئذ غائب وهو يوم بدر ، ثم غزوته مرتين في بيوتهم نبقر البطون ونخدع الآذان والفروج ، فقال هرقل كذاباً تراه أم صادقاً فقال بل هو كاذب ، فقال إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه فإن أفعل الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان ففي هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن اسحاق ولا البخاري .وقد أورد موسى بن عقبة في مغازيه قريباً مما ذكره عروة بن الزبير والله أعلم . وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكالبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ والله إني لا أعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فأذهب إلى صفاطر الاسقف فأذكر له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجود قولا عندهم مني ، فأنظر ماذا يقول لك ؟ قال فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل وبما يدعو إليه ، فقال صفاطر والله صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه ، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه الى الله وأني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله . قال فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه قال فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا ، فصفاطر والله كان أعظم عندهم وأجوز قولا مني] وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن

عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت أستأذنوا لرسول الله ﷺ ، فأتى قيصر فقيل له إن على الباب رجلا يزعم أنه رسول الله ففزعوا لذلك وقال أدخله فأدخلني عليه وعنده بطارقته فاعطيته الكتاب فإذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم ،فنخر[1]ابن أخ له أحمر أزرق سبط فقال لا تقرأ الكتاب اليوم فانه بدأ بنفسه وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال فقرىء الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث إلي فدخلت عليه فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه ـ وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله ـ فلما قرأ الكتاب قال الاسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر . قال قيصر فما تأمرني ؟ قال الاسقف أما أنا فاني مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم وبه قال محمد بن اسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي ﷺ جمع الروم فقال : يا معشر الروم إني عارض عليكم أمراً فأنظروا فيما أردت بها ؟ قالوا ماهي ؟ قال تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده نعرفه بصفته التي وصف لنا فهلم فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فقالوا نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثره رجالاً . وأقصاه بلداً ،؟ قال فهلم أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه ، قالوا نحن نعطي العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكاً ، وأمنعه بلداً، لا والله لا نفعل هذا أبداً ، قال فهلم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام ، قال وكانت أرض سورية ؛ فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام . فقالوا نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها أرض سورية الشام لا نفعل هذا أبداً ، فلما أبوا عليه قال أما والله لتودن أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال ثم جلس على بغل له فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال: السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية والله أعلم .

إرساله ﷺ الى ملك العرب من النصارى بالشام

قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمة الى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق[2] . قال الواقدي : وكتب معه ؛ سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، وأدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك . فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إني سأسير اليه .

---

(١) نخر : مد الصوت.

(٢) كذا بالأصل وفي ابن هشام بعث شجاع بن وهب الأسدي الى الحارث بن شمر الغساني ملك تخوم الشام ، ثم جاء برواية أخرى أنه بعثه الى جبلة بن الأبهم الغساني .

بعثُه الى كسرى ملك الفرس

وروى البخاري من حديث الليث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل الى كسرى وأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزقه قال فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق . وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهري حدثني عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو اسرائيل على عيسى بن مريم » فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وابعثنا ، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا اليك كما أمرني رسول الله ﷺ ،فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فاذا فيه ؛ من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس . قال فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج ، فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال : والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله ﷺ . قال ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث الى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الحيرة فسبق ، فلما قدم شجاع على النبي ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ « مزق كسرى ملكه » وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ؟ فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال « مزق ملكه » وقال ابن جرير[1] حدثنا أحمد ابن حميد ثنا سلمة ثنا ابن اسحاق عن زيد بن أبي حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس ابن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه ؛ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فان تسلم تسلم وإن أبيت فان إثم المجوس عليك . قال فلما قرأه شقه وقال : يكتب إلي بهذا وهو عبدي ؟! قال ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائبه على اليمن أن أبعث الى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به ، فبعث بآذام قهرمانه ـ وكان كاتبا حاسباً ـ بكتاب فارس وبعث معه رجلا من

---

(١) في ابن جرير اختلاف في الأسماء فإنه سمي باذام باذان وأباذويه بأبويه وخرخره حرخرة الى غير ذلك مراجعة في السنة السادسة .

الفرس يقال له خرخرة ، وكتب معهما الى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى وقال: لأباذويه إيت بلاد هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف ـ يعني وقريش بهما ـ وفرحوا . وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل ، فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه أبا ذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذام يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنطلق معي ، فإن فعلت كتب لك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر اليهما وقال « ويلكما مَن أمركما بهذا ؟ » قالا أمرنا ربنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال رسول الله ﷺ « ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي » ثم قال « ارجعا حتى تأتياني غداً » قال وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال فدعاهما فأخبرهما فقالا هل تدري ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال « نعم أخبراه ذاك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي الى الخف والحافر ، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الابناء » ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول وليكونن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأياً . فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد ؛ فإني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم ، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانطلق الى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال وقد قال باذويه لباذام : ما كلمت أحداً أهيب عندي منه فقال له باذام هل معه شرط ؟ قال لا قال الواقدي رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها :

قلت : وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلُوا كسرى بليل محرِما ... فتولى لم يمتع بكفَن

وقال بعض شعراء العرب :

وكسرى إذ تقاسَمهُ بنوه ... بأسيافٍ كما اقتسم اللِّحام

تمخَّضتِ[1] المنونُ له بيومٍ أتى ولكل حاملةٍ تَمام

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبي بكر أن رجلا من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « إن ربي قد قتل الليلة ربك » قال وقيل له - يعني النبي ﷺ - إنه قد استخلف ابنته فقال « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » . قال البيهقي : وروى في حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني الى دينه ، لتكفينه أو لأفعلن بك ، فبعث اليه فقال لرسله « أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال . قال وروى داود بن أبي هند عن عامر الشعبي نحو هذا . ثم روى البيهقي من طريق أبي بكر بن عياش عن داود بن أبي هند عن أبيه عن أبي هريرة قال : أقبل سعد الى رسول الله ﷺ فقال : « إن في وجه سعد خبراً فقال يا رسول الله هلك كسرى » فقال « لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين يعني الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع جاء الى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البيهقي رحمه الله . ثم روى البيهقي من غير وجه عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قيض له - عارض يعرض عليه الحق فلم نفجأ كسرى إلا برجل يمشي وفي يده عصاً فقال : يا كسرى هل لك في الاسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى نعم لا تكسرها ، فولى الرجل فلما ذهب أرسل كسرى الى حجابه فقال من أذن لهذا الرجل علي ؟ فقالوا ما دخل عليك أحد ، فقال كذبتم ، قال فغضب عليهم وتهددهم ثم تركهم . قال فلما كان رأس الحول أتى بذلك الرجل ومعه العصا قال يا كسرى هل لك في الاسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال نعم لا تكسرها ، فلما انصرف عنه دعا حجابه قال لهم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له هل لك يا كسرى في الاسلام قبل أن أكسر العصا فقال لا تكسرها لا تكسرها فكسرها ، فأهلك الله كسرى عند ذلك . وقال الامام الشافعي : أنبأ ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » أخرجه مسلم من حديث ابن عيينة واخرجاه من حديث الزهري به . قال الشافعي ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزقه فقال رسول الله ﷺ « يمزق ملكه » وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مسك ، فقال رسول الله ﷺ « ثبت ملكه » قال الشافعي وغيره من العلماء ولما كانت

---

(1) تمخضت : انكشفت .

العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام الى رسول الله ﷺ فقال « اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » قال فباد ملك الأكاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية ، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عظموا كتابه والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يعود أبداً الى أرض الشام . وكانت العرب تسمي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن ملك الفرس ، والنجاشي لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند ولهم أعلام أجناس غير ذلك وقد ذكرناها في غير هذا الموضع والله أعلم . وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ « لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى في القصر الأبيض » وروى أسباط عن سماك عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

بعثه ﷺ الى المقوقس

صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : حدثني الزهري عن عبد الله بن عبد القاري ان رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية فمضى بكتاب رسول الله ﷺ اليه ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه الى النبي ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين احداهما أم ابراهيم وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبدي . رواه البيهقي ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال : بعثني رسول الله ﷺ الى المقوقس ملك الاسكندرية ، قال فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث الي وقد جمع بطارقته وقال : إني سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عني قال قلت هلم قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت بل هو رسول الله ، قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال فقلت عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال بلى قلت فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله الى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك الى محمد وأرسل معك ببذرقة[1] يبذرنونك الى مأمنك ، قال فأهدى الى رسول الله ﷺ

---

(١) ببذرقة : بحراس .

ثلاث جوار منهن أم ابراهيم بن رسول الله ﷺ ، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري ، وأرسل اليه بطرف من طرفهم . وذكر ابن اسحاق أنه أهدى الى رسول الله ﷺ أربع جوار احداهن مارية أم ابراهيم والأخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قلت : وكان في جملة الهدية غلام أسود خصي اسمه مابور وخفين ساذجين أسودين وبغلة بيضاء اسمها الدلدل ، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره بادىء الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصي حتى قال بعضهم إنه الذي أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتله فوجده خصيا فتركه والحديث في صحيح مسلم من طريق . . .[1] .

قال ابن اسحاق : وبعث سليط بن عمرو بن عبدود أخا بني عامر بن لؤي إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمي إلى جيفر بن الجلندي وعمار بن الجلندي الأزديين صاحبي عمان[2] .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص الى ذات السلاسل من مشارف الشام في بليّ وعبد الله ومن يليهم من قضاعة . قال عروة بن الزبير وبنو بلى أخوال العاص بن وائل ، فلما صار الى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث الى رسول الله ﷺ يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين ، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح . قال موسى بن عقبة فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم ، فقال المهاجرون بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال عمرو إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة - قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد الى رسول الله ﷺ أن قال : «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » . وإنك إن عصيتني لأطيعنك . فسلم أبو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص . وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب الى الاسلام[3] وذلك أن أم العاص بن

---

(١) بياض في الأصل الحلبي والمصرية وفي التيمورية اقتصر على قوله في صحيح مسلم .

(٢) ليست هذه الجملة في التيمورية وفي ابن هشام انه بعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين وعمرو بن العاص الى جيفر وعبد ابني الجندي وسليط الى ثمامه بن أثال وهوذة بن علي .

(٣) في ابن هشام : الى الشام (أحسبه خطأ) .

وائل كانت من بني بلي فبعثه رسول الله ﷺ اليهم يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل ـ وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ قال فلما كان عليه وخاف بعث الى رسول الله ﷺ يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجهه « لا تختلفا » فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مددا لي ، فقال له أبو عبيدة لا ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلا ليناً سهلا ، هيناً عليه أمر الدنيا . فقال له عمرو أنت مددي فقال له أبو عبيدة يا عمرو إن رسول الله ﷺ قد قال لي لا تختلفا » وإنك إن عصيتني أطعتك ، فقال له عمرو فاني أمير عليك وإنما أنت مدد لي ، قال فدونك فصلىٰ عمرو بن العاص بالناس . وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان أن أبا عبيدة لما آب الى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطىء بلاد بلي ودوخها ، وكلما انتهى الى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى الى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة ، وتراموا بالنبل ساعة ، وعمي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا ودوخ عمرو ما هناك أو قام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم . وقال أبو داود ثنا ابن المثنى ثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص . قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، قال فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت إني سمعت الله يقول : ﴿ وَلَا تَقْتِلُوا أنفسكُمْ إنَّ اللهَ كَانَ بِكُم رَحِيْماً ﴾[1] فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً . حدثنا محمد بن سلمة ثنا ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي انس عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ـ وكان على سرية ـ فذكر الحديث بنحوه قال فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمم . قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية وقال فيه فتيمم . وقال الواقدي : حدثني أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رقيش عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه ما ترون والله احتلمت فان اغتسلت مت ، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم ، فكان أول

---

(١) سورة النساء الآية ٢٩ .

من بعث عوف بن مالك بريداً ، قال عوف فقدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته فسلمت عليه فقال رسول الله ﷺ « عوف بن مالك ؟ » فقلت عوف بن مالك يا رسول الله ، قال « صاحب الجزور ؟ » قلت نعم ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ثم قال « أخبرني » فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان من أبي عبيدة وعمرو ومطاوعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله ﷺ « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » قال ثم أخبرته أن عمراً صلّى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ ، فسكت رسول الله ﷺ فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمت لم أجد برداً قط مثله . وقد قال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ قال فضحك رسول الله ﷺ ولم يبلغنا أنه قال شيئاً . وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الأشجعي قال كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص وهي غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعضوها وكنت امرءاً جازراً ، فقلت لهم تعطوني منها عشراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا نعم فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما فقالا لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيّآن ما في بطونهما منه ، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ فجئته وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فقال « أعوف بن مالك ؟ » فقلت نعم بأبي أنت وأمي فقال « صاحب الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً . هكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل . قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن زهدم أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال قد تعجلت أجرك ولم يأكله . ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ولم يذكر فيه أبا بكر وتمامه كنحو ما تقدم . وقال الحافظ البيهقي انبأ أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا يحيى بن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي سمعت عمرو بن العاص يقول بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، قال فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله من أحب الناس اليك قال « عائشة » ؟ قلت إني لست أسألك عن أهلك قال « فأبوها » قلت ثم من ؟ قال « عمر » قلت ثم من ؟ حتى عدد رهطاً قال قلت في نفسي لا أعود أسأل عن هذا ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل حدثني عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت أي

الناس أحب اليك ؟ قال « عائشة » قلت فمن الرجال ؟ قال « أبوها » قلت ثم من ؟ قال « ثم عمر ابن الخطاب» فعدد رجالا . وهذا لفظ البخاري وفي رواية قال عمرو . فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم .

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

قال الامام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة قال جابر وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله فكان مزودي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فنى ولم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة ، قال فقلت وما تغني تمرة ؟ فقال لقد وجدنا فقدها حين فنيت . قال ثم انتهينا الى البحر فإذا حوت مثل الظرب ، قال فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلته فرحلت ثم مر تحتها فلم يصبهما . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه وهو في الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في ثلثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط[1] ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط قال ونحر رجل ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثاً فنهاه أبو عبيدة ، قال وألقى البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر وادهنا حتى ثابت الينا أجسامنا وصلحت ثم ذكر قصة الضلع . فقوله في الحديث نرصد عيراً لقريش دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية والله أعلم والرجل الذي نحر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو بكر بن اسحاق ثنا اسماعيل بن قتيبة ثنا يحيى بن يحيى ثنا أبو خيثمة وهو زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال فقلت كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال فانطلقنا الى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا ، قال فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد كنا نغرف من رقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحّل أعظم بعير منها فمر تحتها وتزودنا من لحمها وشايق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم

---

(١) الخبط : ورق الشجر .

فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال فأرسلنا الى رسول الله ﷺ فأكل منه . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس وأبو داود عن النفيل ثلاثتهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الأنصاري به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها ها هنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله فإنه أوردها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح ، والله أعلم . وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد الى الحرقات من جهينة فقال حدثنا عمرو بن محمد ثنا هشيم أنبأنا حصين بن جندب ثنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا وجل من الانصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال لا إله إلا الله ، فكف الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال : « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قلت كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف . ثم روى البخاري من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما . ثم ذكر الحافظ البيهقي ها هنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الاسلام ونعى رسول الله ﷺ له إلى المسلمين وصلاته عليه . فروى من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلىٰ فصف بهم وكبر أربع تكبيرات أخرجاه من حديث مالك وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه . وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصخمة » وقد تقدمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها ولله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير فإن في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي وليس هو بالمسلم ، وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم . وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة عن أبيه عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة قال : « قد أهديت إلى النجاشي أواق من مسك وحلة وإني لأراه قد مات ، ولا أرى الهدية الا سترد علي فإن ردت علي ـ أظنه قال ـ قسمتها بينكن أو فهي لك » قال فكان كما قال رسول الله ﷺ ، مات النجاشي وردت الهدية فلما ردت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية ، من ذلك المسك ، وأعطى سائره أم سلمة ، وأعطاها الحلة والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . غزوة الفتح الأعظم وكانت في رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِيْنَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلوا وكلاً وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى﴾[1] الآية . وقال تعالى : ﴿إذا جاء نَصرُ اللَّهِ والفتحِ ورأيتَ النّاسَ يدخُلونَ في دِينِ اللَّهِ أفواجاً فسبِّحْ بحَمْدِ ربِّكَ واستغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تواباً﴾[2] .

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالا : كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم [فتواثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم] فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير وهو قريب من مكة ، وقالت قريش ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ ، وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشدها إياه :

يا ربِّ إني ناشدٌ محمداً ... حِلْفَ أبيه وأبينا الأتلدا[3]
قد كنتُموا ولداً وكنا والدا ... ثُمْتَ أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصرْ رسولَ الله نصراً أبدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجردا ... إن سِيم خسفاً وجهُه تربدا[4]
في فيلقٍ كالبحر يجري مُزبدا ... إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضُوا ميثاقَكَ المؤكَّدا ... وجَعلوا لي في كِداءٍ رَصَدا
وزعموا أن لستُ أدعو أحداً ... فهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيَّتونا بالوتير[5] هُجَّدا[6] ... وقتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

---

(١) سورة الحديد الآية ؛ العاشرة .

(٢) سورة النصر بكاملها .

(٣) الاتلد : صاحب الجاه .

(٤) تربد : تعبس .

(٥) الوتير : الأرض البيضاء .

(٦) هجدا : جمع هاجد وهو النائم أو المصلي ليلاً .

فقال رسول الله ﷺ : « نصرت يا عمرو بن سالم » فما برح حتى مرت بنا عنانة في السماء فقال رسول الله ﷺ : « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب » وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم .

قال ابن اسحاق : وكان السبب الذي هاجهم أن رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد من حلفاء الاسود بن رِزن خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدواً عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بني خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بني الاسود بن رزن الدئلي وهم مفخر بني كنانة وأشرافهم ؛ سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند انصاب الحرم .
قال ابن اسحاق: وحدثني رجل من الدئل قال كان بنو الاسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين قال ابن اسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الاسلام ، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وكانت الهدنة اغتنمها بنو الدئل من بني بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً من أولئك النفر، فخرج نوفل بن معاوية الدئلي في قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كل بني بكر تابعه ، فبيت خزاعة وهم على الوتير - ماء لهم - فأصابوا رجلاً منهم وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حاوزوا خزاعة الى الحرم ، فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة لا إله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثأركم فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم ؟ ولجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له رافع ، وقد قال الاخزر بن لعط الدئلي في ذلك :

ألا هـل أتى قُصـوى الأحـابيشِ أننا	رَدَدْنـا بني كعبٍ بـأفـوقَ[1] نـاصـل
حبسنـاهمُ فـي دارةِ العبـدِ رافـعٍ	وعنـدَ بـديـلٍ مَحْبِساً غيـرَ طـائـل
بـدارِ الذليـل الآخذِ الضيْمِ[2] بعـدما	شفَينـا النفـوسَ منهمُ بـالمنـاصـل
حبسنـاهمُ حتى إذا طـال يـومُـهم	نفحْنا لهم من كـلّ شِعب بـوابـل[3]
نُـذبِّـحهـم ذَبْـحَ التيـوس كـأننـا	أسـودُ نبارَى فيهمُ بـالقـواصـل[4]
همُ ظلمـونـا واعتَـدوا في مسيـرهم	وكـانـوا لـدى الانصابِ أول قـاتـل
كـأنـهمُ بـالجِـزْع إذ يـطردونـهـم	قفـا ثـور حفّـانِ النعـام الجـوافـل[5]

(١) أفوق : عظيم أو متقدم .
(٢) الضيم : الظلم .
(٣) وابل : العدد الكثير .
(٤) قواصل : السيوف القواطع .
(٥) الجوافل : الهاربة :

قال فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال :

تعاقدَ قومٌ يفخَرون ولم ندَعْ	لهم سيداً يندوهمُ غير نافل[1]
أمِنْ خيفةِ القوم الأولى تزدريهمُ	تُجيزُ الوتيرَ خائفاً غير آيل
وفي كل يوم نحنُ نحبوا حباءنا	لعقلٍ ولا يُحبى لنا في المعاقل
ونحن صَبَحْنا بالتلاعة[2] دارَكم	بأسيافنا يسبقْن لَوْمَ العواذل
ونحن منعنا بين بِيضٍ وعتودٍ	إلى خيف رضوى من مجرّ القبائل
ويوم الغميم قد تكفتّ ساعياً	عبيسَ[3] فجعناه بجَلْدِ حلاحل[4]
أإن أجمرت في بيتها أمُّ بعضِكم	بجعموسها[5] تنزُون إن لم نقاتل
كذبتم وبيتِ اللّهِ ما إن قتلتموا	ولكن تركنا أمركم في بلابل[6]

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة » قال ابن اسحاق : ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلما لقى أبو سفيان بديلاً قال من أين أقبلت يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ فقال: سرت في خزاعةفي هذا الساحل في بطن هذا الوادي. قال فعمد أبو سفيان الى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته ، فقال يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني ؟ فقالت هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه ، فقال يا بنية والله لقد أصابك بعدي شر ، ثم ذهب إلى أبي فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد لكم الا الذر لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها حسن غلام يدب بين يديهما ، فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة ، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً فاشفع لي الى رسول الله ﷺ ؟ فقال ويحك أبا سفيان والله لقد

---

(١) نافل : آخذ من الغنائم .
(٢) في الأصول بالبلاغة والتصحيح عن ابن هشام .
(٣) عبيس : شجاع كالح الوجه .
(٤) حلاحل : أسياد في العشيرة :
(٥) الجعموس : النخل .
(٦) بلابل : شدة الهموم .

عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ بنيّ ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على النبي ﷺ ، فقال يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني ؟ قال والله ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، فقال أو ترى مغنياً عني شيئاً ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد . فقال : أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره فانطلق فلما أن قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بأمر صنعته فوالله ما أدري هل يغني عنا شيئاً أم لا ؟ قالوا بماذا أمرك ؟ قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت ، قالوا هل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت ، فقال لا والله ما وجدت غير ذلك [فائدة] ذكرها السهيلي فتكلم على قول فاطمة في هذا الحديث ؛ وما يجير أحد على رسول الله ﷺ على ما جاء في الحديث « ويجير على المسلمين أدناهم » قال : وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحداً ونفراً يسيراً ، وقول فاطمة فمن يجير عدداً من غزو الامام إياهم فليس له ذلك . قال كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوف على إجازة الامام لقوله لأم هانىء « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » قال ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد وفي قوله عليه السلام « ويجير عليهم أدناهم » ما يقتضى دخول العبد والمرأة والله أعلم][1] وقد روى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قالت بنو كعب :

اللهم إني ناشدٌ محمداً ... حلفَ أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصراً عتَدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة : ثم إن بني نفاثة من بني الدئل أغاروا على بني كعب وهم في المدة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ ، كانت بنو نفاثة في صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بني نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق واعتزلتهم بنو مدلج ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ وفي بني الدئل رجلان هما سيداهم ؛ سلمى بن الاسود وكلثوم بن الاسود ، ويذكرون ان ممن أعانهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو ، فأغارت بنو الدئل على بني عمرو وعامتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال فألجؤهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بديل بن ورعة بمكة ، فخرج ركب من بني كعب حتى أتوا

---

(١) ما بين المربعين لم يرد في النسخة الحلبية .

رسول الله ﷺ فذكروا له الذي أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ارجعوا فتفرقوا في البلدان » وخرج أبو سفيان من مكة الى رسول الله ﷺ وتخوف الذي كان ، فقال : يا محمد اشدد العقد دون المدة ، فقال رسول الله ﷺ : « ولذلك قدمت ، هل كان من حدث قبلكم ؟ » فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل ، فخرج من عند رسول الله ﷺ وأتى أبا بكر فقال : جدد العقد وزدنا في المدة ؟ فقال أبو بكر : جواري في جوار رسول الله ﷺ ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم ، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله . وما كان منه مثبتاً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان جزيت من ذي رحم شراً ، ثم دخل على عثمان فكلمه فقال عثمان : جواري في جوار رسول الله ﷺ ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم فكلهم يقول عقدنا في عقد رسول الله ﷺ ، فلما يئس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلمها فقالت إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال لها فأمري أحد ابنيك ، فقالت إنهما صبيان ليس مثلهما يجير ، قال فكلمي علياً ، فقالت أنت فكلمه ، فكلم علياً فقال له يا أبا سفيان إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات[1] على رسول الله ﷺ بجوار، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها فأجر بين عشيرتك ، قال صدقت وأنا كذلك، فخرج فصاح ألا إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد، ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يا محمد إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد ولا يرد جواري ؟ فقال : « أنت تقول يا أبا حنظلة » فخرج أبو سفيان على ذلك فزعموا ـ والله أعلم ـ أن رسول الله ﷺ قال حين أدبر أبو سفيان « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعوا بنا الا فجأة » وقدم أبو سفيان مكة فقالت له قريش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال لا والله لقد أبى عليٌّ وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن علي بن أبي طالب قد قال لي التمس جوار الناس عليك ولا تجير أنت عليه وعلى قومك وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا تخفر جواره فقمت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أني قد أجرت بين الناس وقلت ما أظن أن تخفرني ؟ فقال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ، فقالوا ـ مجيبين له ـ رضيت بغير رضى ، وجئتنا بما لا يغني عنا ولا عنك شيئاً وإنما لعب بك علي لعمر الله ما جوارك بجائز وإن إخفارك عليهم لهين ، ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم فما جئت بخير ، قال ورأى رسول الله ﷺ سحاباً فقال : « إن هذه السحاب لتبض بنصر بني كعب » فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان، ثم أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفي ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى ، فقال

---

(١) يفتات : يقول سراً .

لها يا بنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت فقال أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت فقال يريد بني الأصفر ـ وهم الروم ـ ؟ فصمتت قال فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت قال فلعله يريد قريشاً ؟ فصمتت قال فدخل رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً ؟ قال نعم قال فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال لا : قال أتريد أهل نجد ؟ قال لا ، قال فلعلك تريد قريشاً ؟ قال نعم ، قال أبو بكر يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدة ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب » قال وأذن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب وذكر القصة كما سيأتي . وقال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة فقال ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت نعم فتجهز ، قال وإلى أين ؟ قالت ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز قال ابن اسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمر بالجد والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » فتجهز الناس فقال حسان يحرض الناس ويذكر مصاب خزاعة :

عناني ولم أشهدْ ببطحاء مكةٍ ... رجالُ بني كعبٍ تُحَزُّ رقابها
بأيدي رجال لم يَسُلوا سيوفَهم ... وقتلى كثيرٍ لم تجنّ ثيابها
ألا ليتَ شِعري هل تنالن نُصْرتي ... سهيل بن عمرو حرّها وعقابها
وصفوان عوداً حزَّمن شفرَ آسته ... فهذا أوانُ الحربِ شدَّ عصابها
فلا تأمنَّنا يا ابنَ أمِّ مُجالد ... إذا احتلبتْ صِرْفا وأعصلَ[1] نابها
ولا تجزعوا منها فإن سيوفَنا ... لها وقعةٌ بالموت بِفتح بابها

قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن اسحاق : حدثني محمد بن جعفرٍ عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير اليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد ابن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالحليفة حليفة بني أبي أحمد فاستنزلاها فالتمساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ،

(١) أعصل : إشتد .

فقال لها علي : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض ، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه ، فأتى به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ » فقال : يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ؟ فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله في حاطب ﴿ يَأَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إليهم بالمَوَدَّةِ ﴾[1] الى آخر القصة . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة مرسلة وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب حاطب أن رسول الله قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده . قال وفي تفسير ابن سلام أن حاطبا كتب ؛ إن محمداً قد نفر فأما اليكم وإما الى غيركم فعليكم الحذر . وقد قال البخاري ثنا قتيبة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع سمعت علياً يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة[2] معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا أخرجي الكتاب ، فقالت ما معي ، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . قال فأخرجته من عقاصها[3] فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تعجل علي إن كنت امرءاً ملصقا[4] في قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال « إنه قد شهد بدراً ما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله سورة : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ الى قوله : ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام أحمد ثنا حجين ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أن حاطب بن أبي بلتعة كتب الى أهل مكة يذكر أن

(١) سورة الممتحنة الآية : الأولى .
(٢) ظعينة : مسافرة .
(٣) العقاص : ضفائر الشعر .
(٤) كذا في الأصل وقال السهيلي : كنت عريراً وفسر العرير بالغريب .

رسول الله ﷺ أراد غزوهم ، فدل رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب فأرسل اليها فأخذ كتابها من رأسها وقال « يا حاطب أفعلت ؟ » قال نعم ، قال أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً . ، قد علمت أن الله مظهر رسول ومتم له أمره غير أني كنت غريبا بين ظهرانيهم وكانت والدتي معهم فأردت أن أتخذ يدا عندهم ، فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال « أتقتل رجلا من أهل بدر وما يدريك لعل الله قد اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم » تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الامام أحمد وإسناده على شرط مسلم ولله الحمد .

فَصل :

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر ألفا . وكذا قال الزهري وموسى بن عقبة ، فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخاري عن محمود عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وقد روى البيهقي من حديث عاصم بن علي عن الليث ابن سعدعن عقيل عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان . قال وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكديد ـ الماء الذي بين قديد وعسفان ـ أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن الليث غير أنه لم يذكر الترديد بين شعبان ورمضان . وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله ﷺ في رمضان ، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بأناء فشرب نهاراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس عن ابن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه حتى أتى الكديد بين عسفان وأمج فافطر ، ودخل معه مفطراً فكان الناس يرون آخر الأمرين من رسول الله ﷺ الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله . قال البيهقي : فقوله خرج لعشر من رمضان مدرج في الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن ادريس عن ابن اسحاق ، ثم روى

من طريق يعقوب بن سفيان عن جابر عن يحيى عن صدقة عن ابن اسحاق أنه قال : خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ثم روى البيهقي من حديث أبي اسحاق الفزاري عن محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان قال البيهقي : وهذا الادراج وهم إنما هو من كلام الزهري ، ثم روى من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري قال قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ـ فتح ـ مكة فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثماني سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة . وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان . وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر . فقال الزهري وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث . قال الزهري فصبح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، ثم عزاه في الصحيحين من طريق عبد الرزاق والله أعلم . وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن عطية بن قيس عن أبي سعيد الخدري قال : آذننا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر فأصبح الناس مرحى منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين . وقد رواه الامام أحمد عن أبي المغيرة عن سعيد بن عبد العزيز حدثني عطية بن قيس عمن حدثه عن أبي سعيد الخدري قال : آذننا رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر حتى إذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهري من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان يقتضي أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة . ولكن روى البيهقي عن أبي الحسين بن الفضل عن عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن سفيان عن الحسن بن الربيع غن ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين وعاصم بن عمر بن قتادة وعمرو بن شعيب وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان . قال أبو داود الطيالسي : ثنا وهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائما حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركبانا وذلك في شهر رمضان ، فقيل يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض حتى أخبر النبي ﷺ أن بعضهم صائم فقال رسول الله ﷺ « أولئك العصاة » وقد رواه مسلم من حديث الثقفي والدراوردي عن جعفر بن محمد . وروى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحاق حدثني بشير بن يسار عن ابن

عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى اذا كان بالكديد دعا بماء في قعب[1] وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون يعلمهم أنه قد أفطر فأفطر المسلمون ، تفرد به أحمد .

فَصــل :

في اسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهم الى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قال ابن اسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق ، قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله ﷺ عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهري . قال ابن اسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العُقاب فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله إن ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال « لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي . وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال »[2] . قال فلما خرج اليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بنى به فقال : والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض ثم نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك النبي ﷺ رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذر اليه مما كان مضى منه :

لعمرك أني يوم أحمل رايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللات خيلُ محمد
لكا لمُدْلِجِ[3] الحيرانِ أظلم ليلُه ... فهذا أواني حين أُهدى وأهتدي
هدا بي هادٍ غير نفسي ونالني ... مع الله من طَرَّدتُ كل مطرد
أصدُّ وأنأى[4] جاهداً عن محمد ... وأُدعى وإن لم أنتسب من محمد
هموا ما هموا من لم يقلْ بهواهم ... وإن كان ذا رأي يُلَمْ ويفنَّد[5]
أريد لأُرضيهم ولستُ بِلائطٍ[6] ... مع القوم ما لم أَهدِ في كل مقعد
فقل لثقيفٍ لا أريدُ قتالَها ... وقل لثقيفٍ تلك عِيرِيَ أوعِدي

---

(١) قعب : قدح .

(٢) قال السهيلي : يعني حين قال له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك .

(٣) مدلج : سائر ليلاً . (٤) أنأى : أبعد .

(٥) يفند : يخطىء في الرأي والقول . (٦) لائط : ملعون .

فما كنتُ في الجيش الذي نـال عامـرٌ   ومـا كان عن جـريٍ لسـاني ولا يـدي
قـبـائـلُ جـاءت من بـلادٍ بـعيـدة   نـزائعُ جـاءت من سِهـام وسُـرْدُد[1]

قال ابن اسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ ونالني مع الله من طردت كل مطرد ، ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال « أنت طردتني كل مطرد » .

فَصـــل :

ولما انتهى رسول الله ﷺ الى مر الظهران نزل فيه فأقام كما روى البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث ومسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب كلاهما عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهـران نجتني الكباث[2] ، وإن رسـول الله ﷺ قال « عليكم بالأسود منه فأنه أطيب » قالوا يا رسول الله أكنت ترعى الغنم ؟ قال « نعم وهل من نبي الا وقد رعاها » وقال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن سنان بن اسماعيل عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لما فرغ أهل مكة ورجعـوا أمرهم رسـول الله ﷺ بالمسير الى مكة ، فلما انتهى الى مر الظهران نزل بالعقبة فارسل الجُناة يجتنون الكباث ، فقلت لسعيد وما هو ؟ قال ثمر الأراك قال فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني ، قال فجعل أحدهم اذا أصاب حبة طيبة قذفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقي ابن مسعود وهو يرقى في الشجرة فيضحكون فقال رسول الله ﷺ « تعجبون من دقة ساقيه فوالذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد » وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيء جاء به وخياره الى رسول الله ﷺ فقال في ذلك :

هـذا جَـنـايَ وخِـيـارُه فيـهِ   إذ كـل جـانٍ يـدُهُ الـى فِـيـهِ

وفي الصحيحين عن أنس قال : أنفجنا[3] أرنباً ونحن بمر الظهران فسعى القـوم فلغبوا[4] فأدركتها فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها وفخذيها فقبله .
وقال ابن اسحاق : ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بـن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به .
وذكره ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة أن رسول الله ﷺ بعث بين يديه عيوناً خيلا يقتصـون العيـون وخزاعـة لا تدع أحـداً يمضي وراءها ، فلمـا جاء أبـو سفيان وأصحـابه أخـذتهم خيـل المسلمين وقام إليه عمر يجأ في عنقـه حتى أجاره العبـاس بن عبد المـطلب وكان صـاحباً لأبي

---

(1) سردد : دروع .
(2) الكباث : من الثمار .
(3) انفجنا : عدا أمامنا .
(4) لغبوا : تعبوا أشد التعب .

سفيان . قال ابن اسحاق : وقال العباس حين نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قلت و اصباح قريش لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ، قال فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ يخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة ، قال فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً . قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب ، قال يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي فقال أبو الفضل ؟ قال قلت نعم ، قال مالك فدى لك أبي وأمي ؟ قال قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس فقال واصباح قريش والله ، فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟ قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، قال فركب خلفي ورجع صاحباه[1] وقال عروة : بل ذهبا الى النبي ﷺ فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة . وقال الزهري وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ . [قال ابن اسحاق : قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا ؟ وقام إليَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله [الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ؟ وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ[2] في رقبة أبي سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمة جمالهم فقالوا من أنتم ؟ قالوا وفد رسول الله ﷺ فلقيهم العباس فدخل بهم على رسول الله فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا وأن محمداً رسول الله فشهد حكيم وبديل وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح ثم سألوه أن يؤمن قريشاً فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ـ وكانت باعلا مكة ـ ومن دخل دار حكيم ابن حزام فهو آمن ـ وكانت بأسفل مكة ـ ومن أغلق بابه فهو آمن » قال العباس :][3] ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلأضرب عنقه ؟ قال قلت يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست الى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دوني رجل ، فلما

---

(١) صاحباه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام .

(٢) وجأ : ضرب .

(٣) ما بين المربعين عن المصرية فقط .

أكثر عمر في شأنه قال قلت : مهلاً يا عمر فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ، فقال مهلاً يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب [لو أسلم] ، فقال رسول الله : « اذهب به يا عباس الى رحلك فإذا أصبحت فأتني به » قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما [رآه قال] « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد ، قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ » قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً ، فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ؟ قال فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً ؟ قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » [زاد عروة ومن دخل دار حكيم ابن حزام فهو آمن » وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري][1] « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن » فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها » [وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان وبديلاً وحكيم بن حزام كانوا وقوفاً مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الحرمة ، فشكى أبو سفيان الى رسول الله ﷺ فعزله عن راية الأنصار وأعطاها الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكة وغرزها بالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة فلقيه بنو بكر وهذيل فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا فقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد][2] قال العباس : فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه ، قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هؤلاء؟ فأقول سليم فيقول مالي ولسليم ، ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء؟ فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة، حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألني عنها فإذا أخبرته قال مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ، قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ! قال قلت يا أبا سفيان إنها النبوة ، قال فنعم إذن ، قال قلت النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلا صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت إليه

---

(١) ما ورد ضمن المربعين غير موجود في النسخة الحلبية .

هند بنت عتبة فأخذت بشار به فقالت اقتلوا الحميت[1] الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم ، فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا قاتلك الله وما تغنى عنا دارك ؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس الى دورهم وإلى المسجد]وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لما مر بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوهاً كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه علي ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقوني إذ كذبتموني ونصروني إذ أخرجتموني » ثم شكى إليه قول سعد بن عبادة حين مر عليه فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . فقال رسول الله : « كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة » وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف وقال العباس ما بالهم ؟ قال إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة ، فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ؟ قال نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه . وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضأ رسول الله ﷺ جعلوا يتكففون ، فقال يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصر][2] . وقد روى الحافظ البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكائي عن ابن اسحاق منقطعة فالله أعلم . على أنه قد روى البيهقي من طريق أبي بلال الاشعري عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ قال فذكر القصة إلا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان وما تسع داري ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال وما تسع الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال وما يسع المسجد فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان هذه واسعة . وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان ما هذه كأنها نيران عرفة ؟ فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو ، فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس « احبس

---

(١) الحميت : الشديد .

(٢) ما ورد بين المربعين غير موجود في النسخة الحلبية .

أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع رسول الله ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه ؟ قال هذه غفار قال ما لي ولغفار ، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال من هذه ؟ قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار[1] ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال : « كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون . قال عروة أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : ها هنا أمر رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال نعم قال وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلا مكة من كَدَاء ودخل رسول الله ﷺ من كُدَى فقُتِلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حنيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري . وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا إدريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله ﷺ مكة

ثبت في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر! فلما نزعه جاءه رجل فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال « اقتلوه » قال مالك ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى والله أعلم محرماً . وقال أحمد ثنا عفان ثنا حماد انبأ أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير احرام وروى مسلم من حديث أبي أسامة عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه . وروى مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي من حديث عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وروى أهل

(١) الذمار : كل ما يُحمى .

السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم عن شريك القاضي عن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر قال : كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة ابيض . وقال ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عائشة : كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من مرط[1] مرجل . وقال البخاري ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عبد الله بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع . وقال محمد بن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل . وقال الحافظ البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ أنبأ دعلج بن أحمد ثنا أحمد بن علي الابار ثنا عبد الله بن أبي بكر المقدسي ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً . وقال أنبأ أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر بن بالويه ثنا أحمد بن صاعد ثنا اسماعيل بن أبي الحارث ثنا جعفر بن عون ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن ابن مسعود أن رجلاً كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة ، فقال : « هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » قال وهكذا رواه محمد ابن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى بن زهير عن اسماعيل بن أبي الحارث موصولاً . ثم رواه عن أبي زكريا المزكى عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب عن محمد بن عبد الوهاب عن جعفر بن عون عن اسماعيل بن قيس مرسلاً وهو المحفوظ وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكة في مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم بخلاف ما اعتمده سفهاء بني اسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود - أي ركع - يقولون حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون حنطة في شعرة . وقال البخاري ثنا القاسم بن خارجة ثنا حفص بن ميسرة عن هشام ابن عروة عن أبيه أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي باعلا مكة ، تابعه أبو أسامة ووهب في كداء . حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلا مكة من كداء وهو أصح إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم انتظم الكلام والا فكداء بالمد هي المذكورة في الروايتين وهي في أعلا مكة وكُدَى مقصور في أسفل مكة وهذا هو المشهور والأنسب وقد تقدم أنه عليه السلام بعث خالد بن الوليد من أعلا مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كُدَى وهو في صحيح البخاري والله أعلم . وقد قال البيهقي أنبأ أبو الحسين بن عبدان أنبأ أحمد بن عبيد الصفار ثنا عبد الله بن ابراهيم بن المنذر الحزامي ثنا معن ثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن نافع عن ابن عمر قال : لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح وأتى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال

---

(١) مرط : كساء من صوف .

حسان ؟ » فأنشده أبو بكر رضي الله عنه :

عَـدِمْتُ بـنـيَّـتـي إن لـم تَـرَوْهـا   تُـثـيـرُ الـنَّـقـعَ مـن كَـنَـفـي كـداء
يـنـازعْـنَ الأعـنَّـةَ مـسـرجـاتٍ   يـلـطُّـمُـهُـنَّ بـالـخُـمُـرِ الـنـسـاء

فقال رسول الله ﷺ «ادخلوها من حيث قال حسان». وقال محمد بن اسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قال : لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده أي بنية أظهرى بي على أبي قبيس ، قالت وقد كف بصره، قالت فأشرفت به عليه فقال أي بنية ماذا ترين ؟ قالت أرى سواداً مجتمعاً قال تلك الخيل ، قالت وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال أي بنية ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت قد والله انتشر السواد ، فقال قد والله إذن دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت وفي عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بابيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟» قال أبو بكر يا رسول الله ﷺ هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه . فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال أسلم فأسلم ، قالت ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة[1] بياضاً فقال رسول الله ﷺ «غيروا هذا من شعره» ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخيه وقال : أنشد الله والاسلام طوق أختي ؟ فلم يجبه أحد قال فقال أي أخية احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم القليل . يعني به الصديق ذلك اليوم على التعيين لان الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربي والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي أنبا عبد الله الحافظ أنبا أبو العباس الأصم أنبا بحر بن نصر أنبا ابن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي ، ﷺ، فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال « غيروه ولا تقربوه سواداً » قال ابن وهب وأخبرني عمر بن محمد عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ هنأ أبا بكر باسلام أبيه قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذي طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء، وكان الزبير على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى ، قال ابن اسحاق [من المهاجرين]: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل . قال ابن هشام يقال إنه عمر بن الخطاب ، فقال يا رسول الله أتسمع ما يقول سعد بن عبادة ما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله ﷺ لعليّ « أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » .

---

(١) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر .

قلت : وذكر غير محمد بن اسحاق أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مر به ، وقال يأبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة - يعني الكعبة - فقال النبي ﷺ « بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة » وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال إنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة عن الزهري دفعها إلى الزبير بن العوام فالله أعلم .

[وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن اسحاق بن دينار ثنا عبد الله بن السري الانطاكي ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد . وحدثني موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة فجعل يهزها ويقول : اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة . قال فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم ، قال فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيرة وأنشأت تقول :

يا نبيّ الهدى اليكَ لَجَاحَيُّ	قريشٍ ولاتَ حينَ لَجَاءِ
حين ضاقتْ عليهمُ سعةُ الأر	ض وعاداهُمُ آلهُ السماء
[والتقت حلْقتا البِطان على القو	م ونُودوا بالصَّيْلم الصلعاء[1]]
إن سعداً يريدُ قاصِمةَ الظُّهـ	ر بأهل الحُجُون والبطحاء
خزرجيٌّ لو يستطيعُ من الغيـ	ظِ رَمانا بالنَّسْر والعَوَّاء
[فانْهَيْنهُ فانه الاسدُالاسـ	ودُ والليثُ والغُ[2] في الدماء]
فلئن أقحمَ اللواءَ ونادى	يا حماةَ اللواءِ أهلَ اللواء
لتكونَنَّ بالبطاح قريش	بُقعةَ القاعِ في أكفِّ الاماء
[إنه مصلَتٌ يريد لها الرأ	يَ صموتٌ كالحيَّةِ الصماء]

قال فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد ، قال فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا يخيبها إذ رغبت إليه واستغاثت به وأحب أن لا يغضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قال ابن اسحاق][3] وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب

---

(١) هذا البيت لم يرد في الأصل وإنما أورده السهيلي في الروض الآنف ونسب الشعر الى ضرار بن الخطاب ولم يورد البيتين المشار اليهما بعد هذا بمربعين ، مع تحوير بعض ألفاظ منها .

(٢) والغ : شرب بطرف لسانه .

(٣) ما بين المربعين المروي عن ابن عساكر لم يرد في نسخة دار الكتب المصريه .

لمكة بين يدي رسول الله ﷺ ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلا مكة فضربت له هنالك قبته . وروى البخاري من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال «لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر ». ثم قال البخاري ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا أبو الزبير عن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله ، الخيف حيث تقاسموا على الكفر » وقال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا ابراهيم ـ يعني ابن سعد ـ عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » ورواه البخاري من حديث ابراهيم بن سعد به نحوه. وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، فقالت والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه به شيء ، قال والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم. ثم قال :

إن يُقبِلوا اليومَ فما لي علَّه ... هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّه
وذو غرارَيْن سريعُ السَّلَّه[1]

قال ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئاً من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحنيش[2] بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ وكانا في جيش خالد ، فشذا عنه فسلكا غير طريقه فقتلا جميعاً ، وكان قتل كرز قبل حنيش[3] قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر انهزموا فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامرأته أغلقي عليّ بابي ، قالت فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدتِ يوم الخندمة ... إذ فرَّ صفوانُ وفرّ عِكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة ... واستقبلتْهم بالسيوفِ المسلمة
يقطعنَ كلَّ ساعد وجمجمه ... ضرباً فلا يُسمع إلا غمغمه
لهم نهيتٌ خلْفنا وهمهمه ... لم تنطقي في اللوْمِ أدنى كلمه

---

(١) السلة : الانتشال والسحب .

(٢) في الأصل حنيش وفي ابن هشام والتيمورية خنيس وقال السهيلي ان الصواب حبيش .

(٣) في ابن هشام أن خنيس بن خالد قتل فأخذه كرز فجعله بين رجليه ثم قاتل عنه حتى قتل .

قال ابن هشام : وتروي هذه الأبيات للرعاش الهذلي ، قال وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يا بني عبد الرحمن ، وشعار الخزرج يا بني عبد الله ، وشعار الأوس يا بني عبيد الله . وقال الطبراني ثناعليّ بن سعيد الرازي ثنا أبو حسان الزيادي ثنا شعيب بن صفوان عن عطاء بن السائب عن طاووس عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : «إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وأنه لا يحل لاحد قبلي وإنما حل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان » فقيل له هذا خالد بن الوليد يقتل ؟ فقال « قم يا فلان فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل » فأتاه الرجل فقال إن النبي ﷺ يقول أقتل من قدرت عليه ، فقتل سبعين إنساناً فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فأرسل الى خالد فقال «ألم أنهك عن القتل »؟ فقال جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه ، فأرسل إليه « ألم آمرك ؟» قال أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك، وما استطعت إلا الذي كان. فسكت عنه النبي ﷺ فما رد عليه شيئاً . قال ابن اسحاق . وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه أهدر دم نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم ؛ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال « نعم » فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صمت فيقتله » فقالوا يا رسول الله هلا أومأت الينا ؟ فقال « إن النبي لا يقتل بالاشارة » وفي رواية « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأ عين » قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاّه عمر بعض أعماله ثم ولاّه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته كما سيأتي بيانه .
قال ابن اسحاق: وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن غالب .

قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمى عبد الله[1] ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلاً من الانصار، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله، ثم ارتد مشركاً ، وكان له قينتان فرتني وصاحبتها فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو برزة الاسلمي وسعيد بن حريث المخزومي وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للأخرى. قال والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصي وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكة ، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة نخس[2]

---

(١) وقال السهيلي : وقد قيل في اسمه هلال وقيل ان هلالاً كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان .
(٢) نخس : غرز الدابة بمؤخرتها فهاجت.

بهما الحويرث هذا الجمل الذي هما عليه فسقطتا إلى الأرض، فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب، قال ومقيس بن صبابة لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية ثم ارتد مشركاً ، قتله رجل من قومه يقال له نميلة بن عبد الله قال وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل لانها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكة.

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة وكأنها عفى عنها أو هربت ثم أهدر دمها والله أعلم . فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمنها فعاشت إلى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت . وذكر السهيلي أن فرتني أسلمت أيضاً. قال ابن اسحاق : وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له سن رسول الله ﷺ فأمنه فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم. وقال البيهقي انبأ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمس الفقيه أنبأ أبو بكر محمد ابن الحسين القطان أنبأ حمد بن يوسف السلمي ثنا أحمد بن المفضل ثنا اسباط بن نصر الهمداني قال زعم السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: لما كان يوم مكة أمن رسول الله ﷺ الناس الا أربعة نفر وامرأتين . وقال « أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » وهم عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح . فاما عبد الله ابن خطل فأدرك وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فيسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله . وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف[1] فقال أهل السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فان آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينج في البحر إلا الأخلاص فانه لا ينجي في البر غيره، اللهم إن لك عليّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتى محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً ، فجاء فأسلم وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فانه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله بايع عبد الله ، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟» فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت الينا بعينك ؟ فقال « إنه لا ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنة الأعين» . ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو العباس الاصم أنبأ أبو زرعة الدمشقي ثنا الحسن بن بشر الكوفي ثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك قال : أمن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة الا أربعة ؛ عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صبابة . وعبد الله بن سعد

---

(١) قاصف : رياح قوية .

ابن أبي سرح ، وأم سارة ، فأما عبد العزى بن خطل فانه قتل وهو متعلق باستار الكعبة ، قال ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن أبي سرح إذا رآه وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فأتى به رسول الله ﷺ ليشفع له فلما أبصر به الانصاري اشتمل على السيف ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه، فبسط النبي ﷺ فبايعه، ثم قال للانصاري «قد انتظرتك أن توفي بنذرك ؟» قال يا رسول الله هبتك أفلا أو مضت اليّ ؟ قال « إنه ليس للنبي أن يومض » . وأما مقيس بن صُبَابة فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك ، قال وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش فأتت النبي ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئاً، ثم بعث معها رجل بكتاب إلى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة . وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن مقيس بن صبابة قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركا فقدم مقيس مظهراً للاسلام ليطلب دية أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركا ، فما أهدر رسول الله ﷺ دمه قتل وهو بين الصفا والمروة وقد ذكر ابن اسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شفى النفسَ مَن قد باتَ بالقاع مسنَداً	يـضـرِّجُ ثـوبَـيْـه دمـاءُ الاخـادع
وكـانت همومُ النفس من قبـلِ قتله	تُـلمُّ وتُنْسِيني وطـاءَ المـضـاجـع
قـتـلتُ بـه فـهـرا وغـرّمتُ عَـقـله	ســراةَ بني الـنجّـار أربـابَ فـارع
حـللتُ بـه نـذْري وأدركت ثـورتـي	وكـنـتُ الـى الأوثـان أولَ راجـع

قلت : وقيل إن القينتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابة هذا وأن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : حدَّثني سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانىء ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلا مكة فر إليّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم ـ قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ـ قال ابن اسحاق: وكانت عند هبيرة ابن أبي وهب المخزومي ، قالت : فدخل على أخي علي بن أبي طالب فقال والله لأقتلهما فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلَّى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إليّ فقال «مرحباً وأهلا بأم هانىء ما جاء بك »؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي ، فقال «قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا يقتلهما » وقال البخاري ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانىء فانها ذكرت يوم فتح مكة [أن النبي ﷺ] اغتسل في بيتها ثم صلَّى ثمان ركعات ، قالت ولم أره صلَّى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود. وفي صحيح مسلم من حديث الليث

عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن أبي هند أن أبا مرة مولى عقيل حدثه أن أم هانىء بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فرّ إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتهما، قالت : فدخل علي عليّ فقال أقتلهما ، فلما سمعته أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكةفلمّا رآني رحّب وقال «ما جاء بك ؟» قلت يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أحمائي فأرادعلي قتلهما ، فقال رسول الله ﷺ « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثـوبا فـالتحف به ثم صلّى ثمـاني ركعات سبحـة الضحى . وفي رواية أنهـا دخلت عليه وهـو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال «من هذه ؟» قالت أم هانىء قال «مـرحباً بـأم هانىء » قـالت يا رسول الله زعم ابن أم علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجرتهما ؟ فقال «قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » قالت ثم صلّى ثماني ركعات وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون بل كانت هذه صلاة الفتح وجاء التصريح بانه كان يسلم من كل ركعتين وهو يرد على السهيلي وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانيا بتسليمه واحدة ، وقد صلّى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثماني ركعـات يسلم من كل ركعتين ولله الحمد.

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن[1] في يده ، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد] . وقال موسى بن عقبة ثم سجد سجدتين ثم انصرف الى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ والناس يبتـدرون وضوءه والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون مـا رأينا ملكـا قط ولا سمعنا بـه ـ يعني مثل هـذا ـ وأخر المقام الى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت . قال محمد بن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة [2] البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل ، أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾[3] الآية كلها ثم قال « يا معشر قريش ما ترون أني فاعـل فيكم ؟ » قالـوا خيراً أخ

---

(١) محجن : عصا منعطفة الرأس .

(٢) سدانة : خدمة .

(٣) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

كريم وابن أخ كريم ، قال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام اليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله أجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء » وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الابل » وقال مرة أخرى « مغلظة فيها أربعون خلفة في بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى » وقال مرة « ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فانهما أمضيتهما لأهلهما على ما كانت » . وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني عن ابن عمر به . قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى ابراهيم مصورا في يده الأزلام يستقسم بها فقال « قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن ابراهيم والأزلام ؟ ﴿ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان أنبأ عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر قال : كان في الكعبة صور فأمر رسول الله ﷺ أن يمحوها قبل عمر ثوبا ومحاها به . فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء . وقال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد » . وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة . وروى البيهقي عن ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلثمائة صنم فأخذ قضيبه فجعل يهوي الى الصنم وهو يهوي حتى مر عليها كلها ، ثم يروى من طريق سويد بن[1] عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنما فأشار الى كل صنم بعصا وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فكان لا يشير الى صنم الا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه ، ثم قال وهذا وإن كان ضعيفاً فالذي قبله يؤكده . وقال حنبل بن اسحاق أنبأ أبو الربيع عن يعقوب القمي ثنا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبزي قال : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جاءت عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله ﷺ تلك نائلة

(١) كذا في الأصل بياض .

أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبدا » . وقال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل الرواية في اسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس] أنه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده الى الأصنام ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه الا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم الا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام مُعتَبَرٌ وعلَم ... لمن يرجو الثوابَ أو العقابا

وفي صحيح مسلم عن سنان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى الى صنم الى جنب البيت كانوا يعبدونه وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسيتها فلما أتى على الصنم فجعل يطعن في عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو . وقال البخاري ثنا اسحاق بن منصور ثنا عبد الصمد ثنا أبي ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزلام ، فقال « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط » ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل . تفرد به البخاري دون مسلم . وقال الامام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سواري ، فقام الى كل سارية ودعا ولم يصل فيه . ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بن يحيى العوذي عن عطاء به . وقال الامام أحمد حدثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكيراً حدثه عن كريب عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم فقال « أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا ابراهيم مصوراً فما باله يستقسم ؟ » . وقد رواه البخاري والنسائي من حديث ابن وهب به . وقال الامام أحمد ثنا عبد الرزاق أنبا معمر أخبرني عثمان الخزرجي أنه سمع مقسما يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه ثم خرج فصلَّى ركعتين . تفرد به أحمد وقال الامام أحمد : ثنا اسماعيل أنبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلَّى في البيت ركعتين . قال البخاري وقال الليث ثنا يونس أخبرني نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ في المسجد فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهاراً طويلا ثم

خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما ، فسأله أين صلّى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له الى المكان الذي صلّى فيه قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلّى من سجدة . ورواه الامام أحمد عن هشيم ثنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأمر بلالا فأجاف[1] عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج . قال ابن عمر فكان أول من لقيت منهم بلالا فقلت أين صلّى رسول الله ﷺ ؟ قال هاهنا بين الاسطوانتين .

قلت : وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أنه عليه السلام صلّى في الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربي مقدار ثلاثة أذرع [وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل أنبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلّى في البيت ركعتين] قال ابن هشام وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصا ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « قد علمت الذي قلتم » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . وقال يونس ابن بكير عن ابن اسحاق حدثني والدي حدثني بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أمر بلالا فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالا فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى الى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فان يكن الله يكرهه فسيغيره . وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ أمر بلالا عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين . وقال محمد بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حرب عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه لو جمعت لمحمد جمعاً ؟ فانه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال « إذاً يخزيك الله » قال فرفع رأسه فاذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة . قال البيهقي وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أنبأ أبو حامد أحمد بن الحسن المقري أنبأ أحمد بن يوسف السلمي ثنا محمد بن يوسف

---

(١) أجاف : رد .

الفريابي ثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي السفر عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطئون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال ؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال « إذاً يخزيك الله » فقال أتوب الى الله وأستغفر الله مما تفوهت به . ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبي حامد ابن الشرقي عن محمد ابن يحيى الذهلي ثنا موسى بن أعين الجزري ثنا أبي عن اسحاق بن راشد عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله ، قال ثم أصبح أبو سفيان فغدا الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « قلت لهند أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند . وقال البخاري ثنا اسحاق ثنا أبو عاصم عن ابن جريج أخبرني حسن بن مسلم عن مجاهد أن رسول الله ﷺ قال « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحلل لي الا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها ولا يعضد شوكها ولا يختلي خلاؤها ولا تحل لقطتها الا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب الا الأذخر يا رسول الله فانه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال « إلا الأذخر فانه حلال » وعن ابن جريج أخبرني عبد الكريم ـ هو ابن مالك الجزري ـ عن عكرمة عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ تفرد به البخاري من هذا الوجه الأول وهو مرسل ، ومن هذا الوجه الثاني أيضا . وبهذا وأمثاله استدل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة ، وللوقعة التي كانت في الخندمة كما تقدم . وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهي ظاهرة في ذلك وهو مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعي أنها فتحت صلحاً لأنها لم تقسم ، ولقوله ﷺ ليلة الفتح « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقال البخاري ثنا سعيد بن شرحبيل ثنا الليث عن المقبري عن أبي شريح الخزاعي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : إئذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرا فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لأبي شريح ماذا قال لك عمرو ؟ قال قال أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فارا بدم ، ولا فاراً بجزية . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد به نحوه . وذكر ابن اسحاق أن رجلا يقال له

ابن الأثوغ[1] وهو بمكة قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ « يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثر القتل إن نفع لقد قتلتم رجلا لأدينّه » قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال « إن خراشاً لقتال » وقال ابن اسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزاعي قالَ : لما قدم عمرو بن الزبير[2] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له يا هذا إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال « يأيها الناس إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحل لاحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع لقد قتلتم قتيلا لأدينه فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاؤ وا فدم قاتله وإن شاؤ وا فعقله » ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة . فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنت شاهداً وكنت غائبا وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك فأنت وشأنك . قال ابن هشام : وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جنيدب بن الأكوع قتله بنو كعب فوداه رسول الله ﷺ بمائة ناقة . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال « كفوا السلاح إلا خزاعة من بني بكر » فأذن لهم حتى صلّى العصر ثم قال « كفوا السلاح » فلقي رجل من خزاعة رجلا من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال ـ فرأيته وهو مسند ظهره الى الكعبة قال ـ « إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول[3] الجاهلية » وذكر تمام الحديث وهذا غريب جدا . وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث فأما ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر الى العصر من يوم الفتح فلم أره الا في هذا الحديث وكأنه إن صح من باب الاختصاص لهم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير

---

(١) كذا في الأصل ولم نقف عليه .

(٢) قال السهيلي هذا وهم من ابن هشام وصوابه عمر بن سعيد بن العاص بن أمية وهو الأشدق ويكنى أبا أمية وكان يُسمى لطيم الشيطان وكان جباراً شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة فقتله بحيلة وذكر لها خبراً طويلاً وهو الذي رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال الدم .

محمود الامام

(٣) ذحول : أثار الحقد والكراهية .

والله أعلم . وروى الامام أحمد عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن هارون ومحمد بن عبيد كلهم عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن الحارث بن مالك بن البرصا الخزاعي سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة « لا نعزي هذه بعد اليوم الى يوم القيامة » ورواه الترمذي عن بندار عن يحيى بن سعيد القطان به وقال حسن صحيح .

قلت : فإن كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفياً فقال البيهقي معناه على كفر أهلها وفي صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مطيع عن أبيه بن الاسود العدوي قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة « لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم الى يوم القيامة » والكلام عليه كالأول سواء . قال ابن هشام : وبلغني أن رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله ﷺ « معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم » وهذا الذي علقه ابن هشام قد أسنده الامام أحمد بن حنبل في مسنده فقال ثنا بهز وهاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت . وقال هاشم حدثني ثابت البناني ثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ، قال هاشم يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال فقلت ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي ؟ قال فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من العشاء قال قلت يا أبا هريرة الدعوى عندي الليلة قال استبقني[1] قال هاشم قلت نعم فدعوتهم فهم عندي ، فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار قال فذكر فتح مكة قال أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة قال فبعث الزبير على أحد المجنبتين وبعث خالداً على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر وأخذوا بطن الوادي ورسول الله ﷺ في كتيبته وقد وبشت قريش أوباشها[2] ، قال قالوا نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم وإن أصيبوا أعطيناه الذي سألنا ، قال أبو هريرة فنظر فرآني فقال : « يا أبا هريرة » فقلت لبيك رسول الله ، فقال « اهتف لي بالأنصار ولا يأتيني إلا أنصاري » فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله ﷺ قال فقال رسول الله ﷺ : « أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى « أحصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا » قال فقال أبو هريرة فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً ، قال فقال أبو سفيان : يا رسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، قال فقال رسول الله ﷺ : « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب اسبقتني أو اسبقني .
(٢) أوباش : خليط الناس .

أبي سفيان فهو آمن » قال فغلق الناس أبوابهم، قال وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت وقال وفي يده قوس آخذ بسية القوس ، قال فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه قال فجعل يطعن بها في عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » قال ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه ، قال والأنصار تحت قال يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته قال أبو هريرة : وجاء الوحي وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى . قال هاشم: فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال « يا معشر الأنصار أقلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا قلنا ذلك يا رسول الله ، قال : « فما أسمى إذا ، كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم » قال فأقبلوا إليه يبكون ويقولون والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن[1] بالله ورسوله ، قال فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة زاد النسائي وسلام بن مسكين ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثتهم عن ثابت عن عبد الله بن رباح الأنصاري نزيل البصرة عن أبي هريرة به نحوه . وقال ابن هشام : وحدثني ـ يعني بعض أهل العلم ـ أن فضالة بن عمير بن الملوح ـ يعني الليثي ـ أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ « أفضالة » ؟ قال نعم فضالة يا رسول الله ، قال « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ » قال لا شيء كنت أذكر الله ، قال فضحك النبي ﷺ ثم قال : « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب الي منه ، قال فضالة فرجعت الى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت هلم الى الحديث ؟ فقال لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلمّ إلى الحديثِ فقلتُ لا	يأبى عليكِ اللّهُ والاسلام
أو ما رأيتِ محمداً وقبيلَه	بالفتح يوم تُكسَّر الأصنام
لرأيتِ دينَ الله أضحى بَيْناً	والشِّرْكَ يغشى وجهه الاظلام

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمنه يا رسول الله صلى الله عليك فقال : « هو آمن » فقال يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك ؟ فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته

---

(١) الضن : النكس .

التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال : يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به ، قال ويلك أعزب[1] عني فلا تكلمني قال أي صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ؟ قال إني أخافه على نفسي ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ؟ قال « صدق » قال فاجعلني بالخيار فيه شهرين ؟ قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » ثم حكى ابن اسحاق عن الزهري ان فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم فلما أسلما أقرهما رسول الله ﷺ تحتهما بالنكاح الأول . قال ابن اسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسان بن الزبعري وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه :

لا تَعْـدَ مَنْ رَجُـلا أحلَّك بغضُـه ... نـجـرانَ في عـيشٍ أحـدُّ لئيـمِ

فلما بلغ ذلك ابن الزبعري خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال حين أسلم :

يـا رسـولَ الـمليـك إن لـسـاني ... راتـقٌ[2] مـا فَتَـقْـتُ إذْ أنـا بُـور
إذ أُبـاري الشيـطانَ في سَنَنِ الغـيِّ ومَـنْ مـال مِيـلُهُ مَـثْبـور[3]
آمـن الـلحـمُ والـعـظامُ لـربّـي ... ثـم قلبي الشهيـدُ أنتَ النـذيـر
إنـنـي عـنـك زاجـرٌ ثـمَّ حـيّـاً ... مـن لـؤيٍّ وكـلُّهـم مـغـرور

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن الزبعري أيضاً حين أسلم :

مَـنَـعَ الـرقـادُ بـلابـلٌ وهـمـوم ... والليـلُ مُعْتَلِجُ[4] الـرواق[5] بَهيم[6]
مـمـا أتـانيَ أن أحـمـدَ لامـني ... فـيـه فبـتّ كـأنـنـي مـحـمـوم
يـا خيرَ من حملتْ على أوصـالهـا ... عيـرانـةٌ[7] سـرحُ اليـدين غشـوم[8]
إني لـمعـتـذرٌ إلـيـك من الـذي ... أسـديتُ إذ أنـا في الـضـلال أهيم
أيـام تـأمُـرنـي بـأغْـوَى خـطةٍ ... سـهـمٌ وتـأمُـرنـي بـهـا مـخـزوم
وأمـدُّ أسـبـابَ الـردى ويـقـودُني ... أمـرُ الـغـواةِ وأمـرُهـم مـشـؤوم
فـالـيـومَ آمنَ بـالـنبيّ محـمـدٍ ... قَـلبي ومـخـطىء هـذه مـحـروم

---

(1) أعزب : ابتعد .
(2) راتق : مصلح .
(3) مثبور : هالك .
(4) معتلج : ملتطم .
(5) الرواق : مقدم الليل .
(6) بهيم : لا ضوء فيه إلى صباح .
(7) عيرانة : راحلة .
(8) غشوم : شجاع لا يثنيه أمر عن عزمه .

مضتِ العداوة وانقضَتْ أسبابُها ودعتْ أواصرُ بيننا وحلوم
فاغفر فدىً لك والديّ كلاهما زللي فإنك راحمٌ مرحوم
وعليكَ من عِلم المليكِ علامةٌ نورٌ أغرُّ وخاتَم مختوم
أعطاكَ بعد محبّةٍ برهانَهُ شَرَفا وبرهانُ الإلٰه عظيم
ولقد شهدتُ بأن دينك صادقٌ حقٌّ وأنك في المعاد جسيم
واللّهُ يشهدُ أن أحمد مصطفى مستقبلٌ في الصالحين كريم
قرمٌ علا بنيانَه من هاشم فرعٌ تمكَّن في الذرى وأروم[1]

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبعري السهمي من أكبر اعداء الاسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين، ثم من الله عليه بالتوبة والانابة والرجوع إلى الاسلام والقيام بنصره والذب عنه .

فصل :

قال ابن اسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبعمائة ويقول بعضهم ألف ومن بني غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة] ومن مزينة الف وثلاثة نفر وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عروة والزهري وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله ﷺ اثنا عشر الفاً فالله أعلم . قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذا الأصابع فالجواء[2] إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس[3] والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لَطيْفٍ يؤرقني إذا ذهب العشاء
لشعثاء[4] التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء
إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيّب الراح الفداء
نوليها الملامة أن ألمنا[5] إذا ما كان مغث أو لحاء[6]

---

(١) أروم : أصل .
(٢) مواضع بالشام وعذراء قرية عند دمشق .
(٣) الروامس : القبور .
(٤) شعثاء بنت سلام بن مشكم اليهودي .
(٥) قال السهيلي : اتينا بما نلام عليه صرفناه الى الخمر .
(٦) المغث : الضرب باليد واللحاء الملاحاة باللسان .

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا أن لم تروها تثير النقع[1] موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات يلطمهنّ بالخمر النساء
فأما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعز[2] الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة[3] فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركاً براً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء[4]

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجه لما في أثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . قال ابن هشام : وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه . قال ابن اسحاق : وقال أنس بن زنيم الدؤلي يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي ـ يعني لما جاء يستنصر عليهم ـ كما تقدم :

---

(١) النقع : موضع قرب مكة .
(٢) وفي رواية بعين الله .
(٣) مغلغلة : رسالة محمولة من بلد الى بلد .
(٤) وقد زاد السهيلي على هذه القصيدة أربعة أبيات .

أأنت الذي تهدي معد بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ[1] نائلا[2] ... إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال[3] قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركي ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر ... على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم أن الركب ركب عويمر ... هموا الكاذبون المخلفوا كل موعد
ونبوا رسول الله أني هجوته ... فلا حملت سوطي إليّ إذن يدي
سوى أنني قد قلت ويل أم فتية ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد
أصابهموا من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزت عبرتي وتبلدي
وإنك قد أخبرت أنك ساعياً ... بعبد بن عبد الله وابنة مهود
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعاً فإن لا تدمع العين أكمد[4]
وسلمى وسلمى ليس حي كمثله ... وأخوته وهل ملوك كأعبد
فإني لا ذنباً فتقت[5] ولا دماً ... هرقت تبين عالم الحق وأقصد

قال ابن اسحاق: وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح:

نفى أهل الحبلق[6] كل فج ... مزينة غدوة وبنو خفاف
ضربناهم بمكة يوم فتح النـ ... ـبي الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سليم ... وألف من بني عثمان واف
نطأ أكتافهم ضرباً وطعناً ... ورشقاً بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفاً ... كما انصاع الفواق[7] من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم ... بأرماح مقومة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا ... وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منّا ... مواثقنا على حسن التصافي
وقد سمعوا مقالتنا فهموا ... غداة الروع منا بانصراف

---

(١) اسبغ: أتم.
(٢) نائلاً: كثير العطاء كريم.
(٣) الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب. ولعله سمي بالخال من الخيلاء اهـ. عن السهيلي.
(٤) اكمد: الحزن والغم الشديد.
(٥) فتقت: اقترفت.
(٦) الحبلق: ارض يسكنها قبائل من قيس ومزينة.
(٧) الفواق: مشق رأس السهام.

وقال ابن هشام وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

منـا بـمكـة يـوم فتـح محمـد ... ألـف تسيـل بـه البـطاح مسـوّم
نصـروا الرسـول وشاهـدوا آياتـه ... وشـعـارهـم يـوم الـلقـاء مقـدم
في منـزل ثبتت بـه أقـدامهـم ... ضنـك[1] كأن الهـام فيـه الحنتم[2]
جـرت مسـابكهـا بنجدٍ قبلهـا ... حتى استقـام لهـا الحجـاز الأدهم
الله مـكـنـه لـه وأذلـه ... حكم السيـوف لنا وجـد مـزحم[3]
عـود الرياسـة شـامخ عـرنينه[4] ... متـطلع ثغـر المكـارم خضـرم

وذكر ابن هشام في سبب اسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له ضمار فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول :

قـل لـلقبـائـل مـن سليـم كـلهـا ... أودى ضمـار وعـاش أهـل المسجد
إن الـذي ورث الـنبـوة والـهـدى ... بعـد ابن مـريم من قـريش مهتـدى
أودى ضـمـار وكـان يـعـبـد مـدة ... قبـل الكتـاب إلى النبي محمـد

قال فحرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكمالها في باب هواتف الجان مع أمثالها وأشكالها ولله الحمد والمنة .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح الى بني جذيمة من كنانة

قال ابن اسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي قال بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكةداعياً ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب وسُلَيْم بن منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح الا الأسار ، وما بعد الأسار الا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً . قال فأخذه رجال من قومه فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن الناس ، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد قال ابن اسحاق: فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى

---

(١) ضنك : ضيق .
(٢) الحنتم : الجرة الخضراء .
(٣) مزحم : كثير الزحام .
(٤) العرنين : الأنف .

الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ « هل أنكر عليه أحد ؟» فقال نعم قَد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب: أما الاول يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة . قال ابن اسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال « يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم فأنظر في أمرهم وأجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى أنه ليدي ميلغة الكلب ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلاوداه بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أم مال لم يود لكم ؟ قالوا لا ، قال فأني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال « أصبت وأحسنت » ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول «اللهم إني إبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات . قال ابن اسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الاسلام . قال ابن هشام : قال أبو عمرو المديني: لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا صبأنا صبأنا[1] وهذه مرسلات ومنقطعات. وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الولبد إلى بني أحسبه قال جذيمة فدعاهم إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً ، قال ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره ، قال فقدموا على النبي ﷺ فذكروا صنيع خالد فقال النبي ﷺ ورفع يديه « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين. ورواه البخاري والنسائي من حديث عبد الرزاق به نحوه . قال ابن اسحاق : وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد : يا بني جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه . قال ابن اسحاق : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ـ فيما بلغني ـ كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية في الاسلام ؟ فقال إنما ثأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلتُ قاتل أبي ، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شر ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «مهلا يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته

---

(١) صبأنا : عدنا الى دين الصابئة .

في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته » ثم ذكر ابن اسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بارض بني جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهمت قريش بغزو بني جذيمة فبعث بنو جذيمة يعتذرون اليهم بانه لم يكن عن ملأ[1] منهم وودوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم ، يعني فلهذا قال خالد لعبد الرحمن إنما ثارت أبيك يعني حين قتلته بنو جذيمة ، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ورد عليه بأنه إنما ثار بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا في وقت المخاصمة فإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الاسلام وأهله وإن كان قد أخطأ في أمر وأعتقد أنهم ينتقصون الاسلام بقولهم صبأنا صبأنا ، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً. ومع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ بل استمر به أميرا وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك وودى ما كان جناه خطأ في دم أو مال ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله والله أعلم.

ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم فقال له عمر بن الخطاب: أعزله فان في سيفه رهقاً[2] فقال الصديق : لا أغمد سيفا سله الله على المشركين وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الزهري عن ابن أبي حدرد الأسلمي قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بني جذيمة وهو في سني وقد جمعت يداه الى عنقه برُمَّة[3] ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى قلت ما تشاء ؟ قال هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة فقائدي الى هذه النسوة حتى أقضي اليهن حاجة ثم تردني بعد فتصنعوا ما بدا لكم ؟ قال قلت والله ليسير ما طلبت فأخذت برمته فقدته بها حتى وقفته عليهن فقال : اسلمي حبيش على نفد العيش :

أريتك إذ طالبتُكم فوجدتُكم	بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يكُ أهلاً أن يُنَوَّل عاشق	تكلَّفَ إدلاجَ[4] السرى والودائق[5]

(١) ملأ : ناس .

(٢) رهقاً : ظلماً وفعلاً للقبائح .

(٣) رمة : حبل .

(٤) ادلاج : سير الليل .

(٥) الودائق : شدة الحر .

فـلا ذنبَ لي قـد قلتُ إذ أهلُنـا معـا	أثيبي بـودٍ قبـل إحـدى الصفـائـق
أثيبي بـودّ قبـل أن يـشحَطَ[1] النـوى	وينـأى الاميـرُ بـالحبيب المفـارق
فـأنـيَ لا ضيَّـعـتُ سـرَّ أمـانـة	ولا راقَ عـيني عنـكِ بـعـدك رائـق
سـوى أن مـا نـال العشيرةَ شـاغـلٌ	عن الـودّ إلا أن يكـونَ الـتـوامُق[2]

قالت : وأنت فحييت عشراً وتسعاً وتراً وثمانية تترى قال ثم انصرفت به فضربت عنقه . قال ابن اسحاق : فحدثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمي عن أشياخ منهم عمن كان حضرها منهم قالوا فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده . وروى الحافظ البيهقي من طريق الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق أنه سمع رجلا من مزينة يقال له ابن عصام عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحداً » قال فبعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا بذلك فخرجنا قبل تهامة فأدركنا رجلا يسوق بظعائن[3] فقلنا له أسلم ، فقال وما الاسلام ؟ فأخبرناه به فاذا هو لا يعرفه، قال أفرأيتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال قلنا نقتلك، فقال فهل أنتم منظري حتى أدرك الظعائن ؟ قال قلنا نعم ونحن مدركوك، قال فأدرك الظعائن فقال : أسلمي حبيش قبل نفاد العيش . فقالت الأخرى اسلم عشراً وتسعاً وترا وثمانيا تترى ثم ذكر الشعر المتقدم الى قوله : وينأى الأمير بالحبيب المفارق ، ثم رجع الينا فقال شأنكم قال فقدمناه فضربنا عنقه قال فانحدرت الأخرى من هودجها فجثت عليه حتى ماتت . ثم روى البيهقي من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ثنا محمد بن علي بن حرب المروزي ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل، فقال لهم إني لست منهم إني عشقت امرأة فلحقتها فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم، قال فاذا أمرأة أدماء طويلة فقال لها : أسلمي حبيش قبل نفاذ العيش . ثم ذكر البيتين بمعناهما. قال فقالت نعم فديتك، قال فقدموه فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ اخبروه الخبر فقال « أما كان فيكم رجل رحيم ».

بعث خالد بن الوليد لهدم العزىّ

قال ابن جرير : وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ . قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد الى العزى وكانت بيتا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر ، وكان

(١) يشحط : يبعد .
(٢) التوامق : الأحبة .
(٣) ظعائن : مسافرات .

سدنتها[1] وحجابها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم ، فلما سمع حاجبها السلمي بمسير خالد بن الوليد إليها علق سيفه عليها ثم اشتد في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

أيا عزَّ شدّي شدةً لا شوى لها ... على خالدٍ ألقي القناعَ وشمّري

أيا عزَّ إن لم تقتلي المرءَ خالداً ... فبوئي بإثمٍ عاجلٍ أو تنصّري

قال فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ. وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال «ما رأيت ؟» قال لم أر شيئاً فأمره بالرجوع فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول :

يا عُزَّى كفرانَك لا سبحانَكْ ... إني رأيتُ الله قد اهانك

ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضي الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال «تلك العزى ولا تعبد أبداً » وقال البيهقي أنبأ محمد بن أبي بكر الفقيه أنبأ محمد بن أبي جعفر أنبأ أحمد بن علي ثنا أبو كريب عن ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى ، فأتاها وكانت على ثلاث سمرات[2] ، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال « ارجع فأنك لم تضع شيئاً » فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمعنوا هربا في الجبل وهو يقولون: يا عزى خبليه[3] يا عزى عوريه والا فموتي برغم. قال فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال « تلك العزى ».

فصل في مدة اقامته عليه السلام بمكة

لاخلف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر، وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر اذا لم يجمع الاقامة فله أن يقصر الى ثمانية عشر يوما في أحد القولين وفي القول الآخر كما هو مقرر في موضعه. قال البخاري ثنا أبو نعيم ثنا سفيان ح وحدثنا قبيصة ثنا سفيان عن يحيى بن أبي اسحاق عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ عشراً يقصر

(١) سدنتها : خدامها .

(٢) سمرات : خشبات لا أجود منها .

(٣) خبليه : شليه عن الحركة .

الصلاة وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبي اسحاق الحضرمي البصري عن أنس به نحوه . قال البخاري ثنا عبدان ثنا عبد الله أنبأ عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين . ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر زاد البخاري وأبو حصين كلاهما وأبو داود والترمذي وابن ماجة من حديث عاصم بن سليمان الأحول عن عكرمة عن ابن عباس به وفي لفظ لأبي داود سبعة عشر يوما وحدثنا أحمد بن يونس ثنا أحمد بن شهاب عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة . قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة ، فإذا زدنا أتممنا. وقال أبو داود ثنا ابراهيم بن موسى ثنا ابن علية ثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح فأقام ثماني عشرة ليلةلا يصلي الا ركعتين يقول «يا أهل البلد صلوا أربعاً فانا سفر » وهكذا رواه الترمذي من حديث علي بن زيد بن جدعان وقال هذا حديث حسن . ثم رواه من حديث محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم قال رواه غير واحد عن ابن اسحاق لم يذكروا ابن عباس. وقال ابن أدريس عن محمد بن اسحاق عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل فيم حكم عليه السلام بمكة من الاحكام

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلم عن مالك بن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد الى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة ، وقال عتبة إنه ابني، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة فأقبل به إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه عبد بن زمعة فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن أخي عهد إلي أنه ابنه ، قال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا أخي هذا ابن زمعة ولد على فراشه، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعةفإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ، فقال رسول الله ﷺ « هو لك هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراشه » وقال رسول الله ﷺ « احتجبي منه يا سودة » لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص . قال ابن شهاب قالت عائشة قال رسول الله ﷺ «الولد للفراش وللعاهر الحجر » قال ابن شهاب كان أبو هريرة يصرح بذلك. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجة من حديثه وانفرد به البخاري بروايته له من حديث مالك عن الزهري. ثم قال البخاري ثنا محمد بن مقاتل أنبأ عبد الله أنا يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة ابن الزبير أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد

يستشفعونه قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ وقال « أتكلمني في حد من حدود الله ؟» فقال أسامة أستغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة : كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله ﷺ ». وقد رواه البخاري في موضع آخر ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة به وفي صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني قال : أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهى عنها. وفي رواية فقال «ألا أنها حرام حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة» وفي رواية في مسند أحمد والسنن أن ذلك كان في حجة الوداع فالله أعلم. وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن عبد الواحد بن زياد عن أبي العميس عن أياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه أنه قال : رخص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس في متعة النساء ثلاثا ثم نهانا عنه . قال البيهقي : وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبت النهي عنها في غزوة خيبر قال إنها أبيحت مرتين، وحرمت مرتين ، وقد نص على ذلك الشافعي وغيره . وقد قيل إنها أبيحت وحرمت أكثر من مرتين فالله أعلم. وقيل إنها إنما حرمت مرة واحدة وهي هذه المرة في غزوة الفتح ، وقيل إنها إنما أبيحت للضرورة فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت وهذا رواية عن الإمام أحمد وقيل بل لم تحرم مطلقا وهي على الاباحة هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحرير ذلك في الأحكام .

فَصــل :

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أنبأ عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد ابن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح ، قال جلس عند قرن مستقبله فبايع الناس على الاسلام والشهادة قلت وما الشهادة ؟ قال أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه بايعهم على الايمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله تفرد به أحمد وعند البيهقي فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الاسلام والشهادة . وقال ابن جرير : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الاسلام فجلس لهم ـ فيما بلغني ـ على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا قال فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متنقبة[1] متنكرة لحدثها لما كان من صنيعها بحمزة [فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها

(1) متنقِبّة : واضعة النقاب على وجهها .

ذلك ، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال « بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال ؟ « ولا تسرقن » فقالت والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة[1] بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالا أم لا ؟ فقال أبو سفيان ـ وكان شاهداً لما تقول ـ أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل ، فقال رسول الله ﷺ « وإنك لهند بنت عتبة ؟ » قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ثم قال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزني الحرة ؟ ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » قالت قد ربيناهم صغاراً حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كبارا[2] فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق ثم قال « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل ثم قال « ولا يعصينني » فقالت في معروف ، فقال رسول الله ﷺ لعمر « بايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » فبايعهن عمر وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ولا يمس الا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه . وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط وفي رواية ما كان يبايعهن الا كلاما ويقول « إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة » وفي الصحيحين عن عائشة أن هنداً بنت عتبة إمرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح[3] لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل علي من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك[4] »[وروى البيهقي من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خباء ـ الشك من أبي بكر ـ أحب إلي من أن يذلوا من أهل أخبائك ـ أو خبائك ـ ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك فقال رسول الله ﷺ « وأيضا والذي نفس محمد بيده » قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل علي حرج أن أطعم من الذي له؟ قال « لا بالمعروف » ورواه البخاري عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق بإسلام أبي سفيان[5]] وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم الا فانفروا » ورواه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة ومسلم عن يحيى بن يحيى عن جرير . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا وهب ثنا ابن طاوس عن أبيه عن صفوان بن أمية أنه قيل له إنه لا يدخل الجنة الا من هاجر فقلت له لا أدخل منزلي حتى أسأل رسول الله ما سأله فأتيته فذكرت له فقال « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن

---

(١) الهنة : المرّة . (٢) هذه رواية السهيلي وفي الأصول افتقتلهم فأنت وهم أعلم .

(٣) شحيح : مقتر ـ بخيل .

(٤) ما بين المربعين لم يرد في نسخه دار الكتب المصرية .

(٥) ما بين المربعين عن النسخة التيمورية ولم يرد في غيرها .

جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » تفرد به أحمد وقال البخاري ثنا محمد بن أبي بكر ثنا الفضيل بن سليمان ثنا عاصم عن أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبد إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرةفقال « مضت الهجرة لأهلها أبايعه على الاسلام والجهاد » فلقيت أبا معبد فسألته فقال صدق مجاشع . وقال خالد عن أبي عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد .
وقال البخاري ثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا عاصم عن أبي عثمان قال حدثني مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخي بعد يوم الفتح فقلت يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة قال « ذهب أهل الهجرة بما فيها » فقلت على أي شيء تبايعه ؟ قال « أبايعه على الاسلام والايمان والجهاد » فلقيت أبا معبد بعد وكان أكبرهما سناً فسألته فقال : صدق مجاشع وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر الى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولكن انطلق فأعرض نفسك فان وجدت شيئاً والا رجعت . وقال أبو النصر أنا شعبة أنا أبو بشر سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر فقال لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله ﷺ - مثله . حدثنا اسحاق بن يزيد ثنا يحيى بن حمزة حدثني أبو عمرو الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبير أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح . وقال البخاري ثنا اسحاق بن يزيد أنا يحيى بن حمزة أنا الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله عز وجل والى رسوله مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الاسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ولكن جهاد ونية .

وهذه الاحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الكاملة أو مطلقا قد انقطعت بعد فتح مكة لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وظهر الاسلام وثبتت أركانه ودعائمه فلم تبق هجرة اللهم الا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على اظهار الدين عندهم فتجب الهجرة الى دار الاسلام وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلا من الجهاد والانفاق في سبيل الله مشروع ورغب فيه الى يوم القيامة وليس كالانفاق ولا اجهاد قبل الفتح فتح مكة . قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِيْنَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحسنَى ﴾[1] الآية . وقد قال الامام أحمد : ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خير وأنا وأصحابي خير » وقال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » [فقال له مروان كذبت ، وعنده][2] . رافع بن خديج وزيد بن ثابت

(١) سورة الحديد الآية : العاشرة . (٢) ما بين المربعين لم يرد في الحلبية وفي نسخة دار الكتب والتيمورية بهذا السياق .

قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك . قالا : صدق . تفرد به أحمد . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال ما تقولون في قول الله عز وجل ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحِ ﴾[1] فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها الا ما يقول . تفرد به البخاري وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنعي رسول الله ﷺ في أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . فأما الحديث الذي قال الامام أحمد ثنا محمد بن فضيل ثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما : نزلت : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قال رسول الله ﷺ « نعيت الى نفسي » بأنه مقبوض في تلك السنة تفرد به الامام أحمد وفي إسناده عطاء بن أبي مسلم الخراساني وفيه ضعف تكلم فيه غير واحد من الأئمة وفي لفظه نكارة شديدة وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة، وهذا باطل فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها كما تقدم بيانه وهذا ما لا خلاف فيه . وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضا ، وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله ثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي ثنا أبي ثنا جعفر بن عون عن أبي العُميس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً إذا جاء نصر الله والفتح . فيه نكارة أيضاً وفي إسناده نظر أيضاً ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم . وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة . وقال البخاري ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو بن سلمة ـ قال لي أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته ـ قال كنا بماء ممر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله وأوحى اليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يغري في صدري ، وكانت العرب تلوّم باسلامهم الفتح فيقولون أتركوه وقومه فانه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم

(١) سورة النصر الآية الأولى .

بإسلامهم ، وبدر أبي قومي باسلامهم ، فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبي حقا . قال صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فاذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة اذا سجدت تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي : ألا تغطون عنا است[1] قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص . تفرد به البخاري دون مسلم .

غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُم اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُم كَثْرَتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِيْنَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلى المؤمِنِيْنَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِيْنَ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ واللهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ ﴾[2] . وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في كتابه أن خروج رسول الله ﷺ الى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه اليهم خمس عشرة ليلة وهكذا روى عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره أحمد وابن جرير في تاريخه . وقال الواقدي : خرج رسول الله ﷺ الى هوازن لست خلون من شوال فانتهى الى حنين في عاشره . وقال أبو بكر الصديق لن نغلب اليوم من قلة !! فانهزموا لمكان أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن اسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصري فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء . وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ولم يشهدها منهم أحد له اسم وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم ؛ وفي الاحلاف قارب ابن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصري ، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ أحضر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد به ، فلما نزل قال بأي واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ، مالي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس

---

(١) أست : دبر .

(٢) سورة التوبة الآيات ٢٥ - ٢٦ - ٢٧

أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال أين مالك ؟ قالوا هذا مالك ودعى له ، قال يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم ؟قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال فانقض به ، ثم قال راعي ضأن والله ، هل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، ثم قال ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال لم يشهدها منهم أحد ، قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذانك الجذعان[1] من عامر لا ينفعان ولا يضران ثم قال يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئاً ، ثم قال دريد لمالك بن عوف : ارفعهم الى متمنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من ورائك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك ، ثم قال مالك : والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ـ وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى ـ فقالوا : أطعناك فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتني :

يا ليتني فيها جَذَع ... أخبّ فيها وأضع
أقودُ وطفاء الزَمَع[2] ... كأنها شاةٌ صَدَع

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال ابن اسحاق : وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجالا بيضاً على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد . قال ابن اسحاق : ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث اليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فلما أجمع رسول الله ﷺ السير الى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحا فأرسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال « يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا » فقال صفوان أغصباً يا محمد ؟ قال « بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك » قال ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ،

(١) الجذعان : مفردها جذع وهو : صغير البهائم .

(٢) الزمع : شدة العزيمة .

فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا أورد هـذا ابن اسحاق من غير إسناد . وقد روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهري وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الادراع كما تقدم وفيه أن ابن أبي حدرد لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبي حدرد : لئن كذبتني يا عمر فربما كذبت بالحق ، فقال عمر ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال « قد كنت ضالا فهداك الله » . وقد قال الامام أحمد ثنا يزيد بن هارون أنبأ شريك بن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار من أمية يوم حنين أدراعاً فقال أغصباً يا محمد ؟ فقال « بل عارية مضمونة » قال فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الاسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هٰرون بـه . وأخرجه النسائي من رواية اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعاً فذكره . ورواه من حديث هشيم عن حجاج عن عطاء أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث . وقال أبو داود ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ قال « يا صفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال عارية أم غصباً ، قال « بل عارية » فأعاره ما بين الثلاثين الى الأربعين درعاً وغزا رسول الله ﷺ حنيناً فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله ﷺ لصفوان « قد فقدنا من أدراعك أدراعاً فهل نغرم لك ؟ » قال لا يا رسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن فيه يومئذ . وهذا مرسل أيضاً . قال ابن اسحاق . ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهري وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما الى هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم وأضيف ألفان من الطلقاء . وذكر ابن اسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال قال واستخلف على أهل مكة عتاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي .

قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة ، قال ومضى رسول الله ﷺ يريد لقاء هوازن وذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمي في ذلك[1] منها قوله :

أبلغ هوازنَ أعلاها وأسفلَها ... منّي رسالة نُصحٍ فيه تبيان

---

(١) وأولها :

صابتِ العامَ رعلًا غول قومهم ... وسط البيوت ولون الغول ألوان

إني أظن رسول الله صابحكم	جيشاً له في فضاء الأرضِ أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم	والمسلمون عبادُ الله غسان
وفي عضادته اليمنى بنو أسد	والأجر بان بنو عبس وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبته	وفي مقدَّمه أوسْ وعثمان

قال ابن اسحاق : أوس وعثمان قبيلا مزينة . قال وحدثني الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حنين ، قال وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً ، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » . وقد روى هذا الحديث الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان والنسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهري كما رواه ابن اسحاق عنه ، وقال الترمذي حسن صحيح . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعاً وقال أبو داود ثنا أبو توبة ثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلولي أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا[1] السير حتى كان العشية ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس فقال يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم وبنعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله ، قال فاركب فركب فرساً له وجاء الى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ الى مصلاه فركع ركعتين ثم قال « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا يا رسول الله ماأحسسنا، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلي ويلتفت الى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال « ابشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر الى خلال الشجر في الشعب وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلا هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله ﷺ « هل نزلت الليلة ؟ » قال لا إلا مصليا أو

(١) اطنبوا : أكثروا .

قاضي حاجة ، فقال له رسول الله ﷺ « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » وهكذا رواه النسائي عن محمد بن يحيى عن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة الربيع بن نافع به .

الوقعة وما كان أول الأمر من الفرار ثم العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن اسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : فخرج مالك بن عوف بمن معه الى حنين فسبق رسول الله ﷺ إليها فأعدوا وتهيئوا في مضايق الوادي وأحنائه وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح ، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول: أين أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » قال فلا شيء ، وركبت الابل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته علي بن أبي طالب ، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبي سفيان وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قثم بن العباس ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر والعباس آخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها ، قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه إذ أدرك طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه ، قال فبينما هو كذلك اذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه ، قال فيأتي علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن[1] قدمه بنصف ساقه فانجعف[2] عن رجله ، قال واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ ورواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم الزهري عن أبيه عن محمد بن اسحاق قال ابن اسحاق : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الاسلام حين أسلم وهو آخذ بثفر بغلة رسول الله ﷺ فقال : « من هذا ؟ » قال ابن أمك يا رسول الله . قال ابن اسحاق : ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الاعراب بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعني وكان اسلامه بعد مدخولاً وكانت الازلام بعد معه يومئذ - قال : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن . وقال الامام أحمد حدثنا

---

(١) أطن : قطع .

(٢) انجعف : اقلعت .

عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبأ اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والابل والغنم فجعلوها صفوفاً يكثرون على رسول الله ﷺ ، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله ﷺ: « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال : « يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله » قال فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح . قال وقال رسول الله ﷺ يومئذ « من قتل كافراً فله سلبه » قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم ، وقال أبو قتادة : يا رسول الله إني ضربت رجلاً على حبل العاتق وعليه درع له فأجهضت عنه فانظر من أخذها قال فقام رجل فقال أنا أخذتها فارضه منها وأعطنيها، قال وكان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئاً ألا أعطاه أو سكت فسكت رسول الله ﷺ ، فقال عمر : والله لا يفئها الله على أسد من أسد الله ويعطيكها ، فقال رسول الله ﷺ : « صدق عمر » قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال أبو طلحة ما هذا ؟ فقالت إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه ، فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم » وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله : « من قتل قتيلاً فله سلبه » كلاهما من حديث حماد بن سلمة به. وقول عمر في هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا أبي ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي : يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله ﷺ إذا بعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة ، قال ثم كان ماذا ؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال بسن أي الرجال هو يومئذ ؟ قال كأشب الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه ، قال يا أبا حمزة ، وهل غزوت مع رسول الله ﷺ ؟ قال نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل فهزمهم الله فولّوا ، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح فجعل يجاء بهم أسارى رجل رجل فيبايعونه على الاسلام ، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ إن علي نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه ، قال فسكت رسول الله ﷺ وجيء بالرجل فلما رأى نبي الله ﷺ قال : يا نبي الله تبت إلى الله ؟ قال وأمسك نبي الله ﷺ أن يبايعه ليوفي الآخر نذره ، قال وجعل ينظر الى النبي ﷺ ليأمره بقتله ويهاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى النبي ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بايعه فقال يا نبي الله نذري ؟ قال : « لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك » فقال يا رسول الله ألا أومأت إلي ؟ قال: « إنه ليس لنبي أن يومي » . تفرد به أحمد وقال أحمد حدثنا يزيد ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين « اللهم إنك إن تشاء لا تعبد في الأرض بعد اليوم » إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب

من هذا الوجه . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي اسحاق سمع البراء بن عازب ـ وسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ ـ فقال : لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، كانت هوازن رماة وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام . ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبي لاكذب ، ورواه البخاري عن أبي الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبيّ لا كذب أنا ابنُ عبد المطّلب

قال البخاري : وقال اسرائيل وزهير عن أبي اسحاق عن البراء ثم نزل عن بغلته . ورواه مسلم والنسائي عن بندار . زاد سلم ، وأبي موسى كلاهما عن غندر به . وروى مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحاق عن البراء قال ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

أنا النبي لاكذب أنا ابن عبد المطلب «اللهم نزل نصرك»

قال البراء ولقد كنا إذا حمى البأس نتقي برسول الله ﷺ وإن الشجاع الذي يحاذى به . وروى البيهقي من طرق أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : « أنا ابن العواتك » [وقال الطبراني : ثنا عباس بن الفضل الاسقاطي ثنا عمرو بن عوف الواسطي ثنا هشيم أنبأ يحيى بن سعيد عن عمرو ابن سعيد بن العاص عن شبابة عن ابن عاصم السلمي أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : « أنا ابن العواتك »] . وقال البخاري : ثنا عبد الله بن يوسف أنبأ مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل عليّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر ، فقلت ما بال الناس ؟ فقال أمر الله ، ورجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال : « من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه » فقمت فقلت من يشهد لي ، ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت من يشهد لي ، ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت من يشهد لي ثم جلست ، ثم قال رسول الله ﷺ مثله فقمت فقال : « مالك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل : صدق سلبه عندي فأرضه مني ، فقال أبو بكر : لاها الله إذاً تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟! فقال النبي ﷺ : « صدق فأعطه » فأعطانيه فابتعت به مخرافاً[1] في بني سلمة فإنه لأول مال تأثلته[2] في الاسلام . ورواه بقية الجماعة الا النسائي من حديث يحيى بن سعيد به . قال البخاري وقال الليث بن سعد حدثني يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة أن أبا قتادة قال : لما

(١) مخرافاً : ثماراً كثيرة . (٢) تأثلته : اكتسبته .

كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله ، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فأضرب يده فقطعتها ، ثم أخذني فضمني ضماًشديداً حتى تخوفت ثم ترك فتحلل فدفعته ثم قتلته ، وانهزم المسلمون فانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له ما شأن الناس ؟ قال أمر الله ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله : « من أقام بينة على قتيل فله سلبه » فقمت لألتمس بينة على قتيلي فلم أر أحداً يشهد لي فجلست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه مني . فقال أبو بكر : كلا لا يعطيه أُضَيْبع[1] من قريش ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال فقام رسول الله فأداه إلي فاشتريت به مخرافاً فكان أول مال تأثلته . وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، وقد تقدم من رواية نافع أبي غالب عن أنس أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعة لأبي بكر الصديق ومساعدة وموافقة له ، أو قد اشتبه على الراوي والله أعلم . وقال الحافظ البيهقي أنبأ الحاكم أنبأ الاصم أنبأ أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى « يا عباس ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه لبيك لبيك ، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع الى رسول الله ﷺ منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جعلت آخراً للخزرج وكانوا صبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله ﷺ في ركايبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال « الآن حمي الوطيس » قال فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالهم وأبناءهم . وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقرّ بها عينه ، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاة حتى خرج النساء يمشين على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه ، قالوا وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما ، قالوا وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النصري ومعه دريد بن الصمة يرعش[2] من الكبر، ومعه النساء والذراري والنعم ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد عيناً فبات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا أغماد سيوفكم واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً ، فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة وصف الناس بعضهم لبعض

---

(١) أصيبع : تصغير التصغير من ضبع .　　(٢) يرعش : يرتجف .

وركب رسول الله ﷺ بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشّرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد فجال المسلمون جولة ثم ولّوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرت من بقي مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس فقلت مائة رجل ، قالوا ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجتبرونها أبداً ، فقال له صفوان : تبشرني بظهور الأعراب فوالله لرب من قريش أحب إلى من رب من الأعراب ، وغضب صفوان لذلك . قال عروة وبعث صفوان غلاماً له فقال اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال سمعتهم يقولون : يا بني عبد الرحمن يا بني عبد الله ، يا بني عبيد الله ، فقال : ظهر محمد وكان ذلك شعارهم في الحرب . قالوا وكان رسول الله ﷺ لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة فرفع يديه الى الله يدعوه يقول : « اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا » ونادى أصحابه وزمرهم « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرة على نبيكم » ويقال حرضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادي بذلك ، قالوا وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال « شاهت الوجوه » وأقبل أصحابه اليه سراعاً يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « الآن حمى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذراريهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله ﷺ وإعزازه دينه . رواه البيهقي . وقال ابن وهب : أخبرني يونس عن الزهري أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب ، قال قال العباس : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه . ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى الناس ولّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ . وقال رسول الله ﷺ « أي عباس ناد أصحاب السمرة » قال فوالله لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيكاه يا لبيكاه ، قال فاقتتلوا هم والكفار والدعوة في الأنصار وهم يقولون : يا معشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال : « هذا حين حمى الوطيس » ثم أخذ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا ورب محمد » قال فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً . ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه . ورواه أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وروى مسلم من حديث عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الأكوع عن

أبيه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم ، وتوارى عني فما دريت ما صنع ثم نظرت الى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ فولى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزماً وعلى بردتان متزراً باحداهما مرتدياً بالأخرى ، قال فاستطلق إزاري فجمعتها جمعاً ومررت على النبي ﷺ وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء، فقال: « لقد رأى ابن الأكوع فزعاً » فلما غشوا رسول الله ﷺ نـزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تـراب من الأرض واستقبل بـه وجـوههم وقـال « شـاهت الوجوه » فما خلى الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة فولوا مدبرين : فهزمهم الله وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين . وقال أبو داود الـطيالسي في مسنـده ثنا حمـاد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار عن أبي عبد الرحمن الفهري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في حنين فسرنا في يوم قايظ شديد الحر فنزلنا تحت ظلال السمـر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الـرواح يا رسـول الله ؟ قال « أجـل » ثم قال رسـول الله ﷺ « يا بلال » فثار من تحت سمرة كأن ظله طائر فقال لبيك وسعـديك وأنـا فداؤك ؟ فقـال « أسرج لي فرسي » فأتاه بدفتين من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر . قال فركب فرسه فسرنا يومنا فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعـالى ، فجعل رسـول الله ﷺ يقول : « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » واقتحم رسول الله ﷺ عن فـرسه ، وحـدثني من كان أقرب اليه مني أنه أخذ حفنة من التراب فحثى بها وجوه العدو وقال : « شاهت الوجوه » قال يعلى ابن عطاء فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالـوا : ما بقي أحـد إلا امتلأت عينـاه وفمه من التـراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد فهزمهم الله عز وجـل . ورواه أبو داود السجستاني في سننه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا الحارث بن حصين ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال قال عبد الله بن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والانصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدماً ، فحادت به بغلته فمال عن السرج فقلت له ارتفع رفعك الله فقال : « ناولني كفاً من تراب » فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً قال « أين المهاجرين والأنصار » قلت هم أولاء قال : « أهتف بهم » فهتفت بهم فجاؤوا سيوفهم بأيمانهم كـأنها الشهب وولى المشـركون أدبـارهم . تفرد بـه أحمد . وقال البيهقي أنبأنا أبـو عبد الله الحـافظ أخبرني أبـو الحسين محمد بن أحـمـد بن تميم القنطري ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي أخبرني عبد الله بن عياض ابن الحارث الانصاري عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هـوازن في اثني عشر ألفـاً فقتل من أهـل

الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر ، قال وأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى فرمى بها في وجوهنا فانهزمنا ورواه البخاري في تاريخه ولم ينسب عياضاً . وقال مسدد ثنا جعفر بن سليمان ثنا عوف بن عبد الرحمن مولى أم برثن عمن شهد حنيناً كافراً قال: لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ حتى إذ غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه فارجعوا ، فهزمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقي وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو سفيان ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن ابراهيم ثنا الوليد بن مسلم حدثني محمد بن عبد الله الشعبي عن الحارث بن بدل النصري عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان الثقفي قالا : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله ﷺ الا عباس وأبو سفيان بن الحارث ، قال فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصباء فرمى بها في وجوههم ، قال فانهزمنا فما خيل الينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا ، قال الثقفي : فأعجزت على فرسي حتى دخلت الطائف . وروى يونس بن بكير في مغازيه عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد . وروى البيهقي من طريق الكديمي ثنا موسى ابن مسعود ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال عند انكشافة انكشفها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا شاهت الوجوه » فما أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذى في عينيه . ثم روى من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي حدثني أبي السائب بن يسار سمعت يزيد بن عامر السوائي ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد ـ قال : فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال فكان يأخذ لنا بحصاة فيرمى بها في الطست فيطن ، قال كنا نجد في أجوافنا مثل هذا . وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي ثنا أبو أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به . ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلاً بلقاً ، « يا شيبة إنه لا يراها الا كافر » فضرب يده في صدري ثم قال : « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثالثة ثم قال: « اللهم أهد شيبة » قال فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إليّ منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين وقال البيهقي أنبأ أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني ثنا يوسف بن موسى ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم

حنين قد عرى ، ذكرت أبي وعمى وقتل علي وحمزة إياهما ، فقلت اليوم أدرك ثأري من رسول الله ﷺ ، قال فذهبت لأجيئه عن يمينه فإذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفت أن يمحشني[1] ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى فالتفت رسول الله ﷺ وقال : « يا شيب أدن مني ، اللهم اذهب عنه الشيطان » قال فرفعت اليه بصري ولهو احب إليَّ من سمعي وبصري ، فقال « يا شيب قاتل الكفار » وقال ابن اسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة اخو بني عبد الدار قلت اليوم أدرك ثأري ـ وكان أبوه قد قتل يوم أحد ـ اليوم أقتل محمداً ، قال فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذاك وعلمت أنه ممنوع مني . وقال محمد بن اسحاق : وحدثني والدي اسحاق بن يسار عمن حدثه عن جبير بن مطعم قال : إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتتلون إذا نظرت إلى مثل البجاد الاسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي فلم يكن الا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة . ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق به . وزاد فقال خديج بن العوجا النصري ـ يعني في ذلك ـ :

ولما دنَونا من حُنين ومائِه ... رأينا سواداً منكَرَ اللون أخصفا[2]
بملمومةٍ شهباءَ لو قذفوا بها ... شماريخَ[3] من عَروى اذاً عادَ صفصفا[4]
ولو أن قومي طاوعتني سراتُهم ... إذاً ما لقينا العارضَ المتكشفا
إذاً ما لقينا جندَ آلِ محمدٍ ... ثمانين ألفاً واستمدوا بخندفا

وقد ذكر ابن اسحاق من شعر مالك بن عوف النصري رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغا يرتجز ويقول :

أقدمْ مجاجُ إنه يومُ نَكِرْ ... مِثلي على مثلِك يحمي ويكرِ
إذا أُضيع الصفُ يوما والدبُر ... ثم احزألّت[5] زمَرَ بعد زمر
كتائبُ يكلُّ فيهنّ البصَر ... قد أطعنَ الطعنةَ تقذى بالسبر[6]
حين يُذَمّ المستكنّ المنْجَحِر ... وأطعنُ النجلاء[7] تعوي وتهز

---

(١) يمحشني : يحرقني .
(٢) اخصفا : ما جمع اللونين الأسود والأبيض .
(٣) شماريخ : متعالون .
(٤) صفصفا : المستوي من الأرض .
(٥) احزألت : اجتمعت .
(٦) السبر : الوجوه الحسنة .
(٧) النجلاء : الواسعة .

لهـا من الـجـوفِ رشـاشٌ منهمِـر | تفهـقُ[1] تـاراتٍ وحـينـاً تـنـفـجـر
وثعلبُ الـعـامـلُ فيهـا منكسِـر | يـا زينُ يـا ابنَ همّـهم أين تَفِـرّ
قـد أنفـذ الضـرسُ وقـد طـال العمر | قـد عَلِم البِيضُ الـطويـلاتُ الخُمـر
أنـيَ في أمـثـالـهـا غـيـرُ غَـمِـر[2] | إذ تخـرجُ الحـاضنُ من تحت السُتُـر

وذكر البيهقي من طريق يونس بن بكير عن أبي اسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هي لغيره :

أذكُـر مسـيـرَهـمُ والنـاسُ كـلهـم | ومـالـكٌ فـوقـه الـرايـات تختفقُ
ومـالـكٌ مـالـك مـا فـوقـه أحـد | يـوم حـنـينٍ عليـه الـتـاج يـأتـلق
حتى لقُوا الناس حين البأس يقدُمهم | عليهم البَيضُ والأبـدان والـدرق[3]
فضـارَبـوا النـاس حتى لم يـروا أحَـدا | حـول الـنبي وحتـى جُنّـهُ الـغسـقُ
حتى تـنـزّلَ جبـريـلٌ بـنـصـرهـم | فـالـقـومُ منـهـزمٌ منّـا ومعـتَـلِق
منّـا ولـو غيـرَ جبـريـلٍ يقـاتلنـا | لـمنّـعتـنـا إذاً أسيـافنـا الـفـلق
وقـد وفى عمـرُ الفـاروقُ إذ هُـزمـوا | بـطعنـةٍ كـان منهـا سـرجُـه العَلِق

قال ابن اسحاق : ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت آمرأة من المسلمين :

قـد غلبتْ خيـلُ الله خيـلَ الـلاتِ | والله أحـقُّ بـالـثـبـات

قال ابن هشام : وقد أنشدنيه بعض أهل الرواية للشعر :

قـد غـلـبـتْ خيل الله خيلُ الـلاتِ | وخـيـلُهُ أحـقُّ بـالـثـبـات

قال ابن اسحاق: فلما انهزمت هـوازن استحر القتـل من ثقيف في بني مالـك فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم وكانت مع ذي الخمار، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرني عامر بن وهب بن الاسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال «أبعده الله فانه كان يبغض قريشاً» وذكر ابن اسحاق عن يعقوب بن عتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصراني ، فجاء رجـل من الانصار ليسلبه فاذا هـو أغرل[4] ، فصـاح بأعـلا صوته : يا معشر العرب إن ثقيفاً غرل ، قال المغيرة بن شعبة الثقفي: فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت لا تقل كذلك فداك أبي وأمي إنما هو غلام لنا نصراني ، ثم جعلت

---

(1) فهق : امتلأ .
(2) غمر : غير مجرب .
(3) الدرق : تروس من جلد ليس فيها خشب .
(4) أغرل : غير مختون .

أكشف له القتلى فأقول له ألا تراهم مختتنين كما ترى ؟ قال ابن اسحاق : وكانت راية الاحلاف مع قارب بن الاسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل من الاحلاف غير رجلين ؛ رجل من بني غيرة يقال له وهب ورجل من بني كبة يقال له الجلاح، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح «قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيدة» يعني الحارث بن أويس. قال ابن اسحاق فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الاسود وفراره من بني أبيه وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت :

ألا من مبلغٌ غيلان عني ... وسوف أخالُ يأتيه الخبير
وعروة إنما أهدى جواباً ... وقولاً غيرَ قولكما يسير
بأنّ محمداً عبدٌ رسولَ ... لربٍّ لا يُضِلُّ ولا يجور
وجدناه نبياً مثل موسى ... فكلُّ فتى بِخَايرِه مخير
وبئسَ الأمر أمرُ بني قسيٍّ ... بوجٍ[1] إذا تقسَّمت الأمور
أضاعوا أمرُهم ولكل قومٍ ... أمير والدوائر قد تدور
فجئنا أسدَ غاباتٍ اليهم ... جنودُ الله ضاحيةً تسير
نؤم الجمعَ جمعَ بني قسي ... على حنقٍ[2] نكادُ له نَطير
وأقسم لو هموا مكثوا لسِرنا ... اليهم بالجنودِ ولم يغوروا
فكُنا أسدلية ثَم حتى ... أبحناها وأسلمتِ النصور
ويومٍ كان قبلُ لدى حنينٍ ... فأقلعَ والدماءُ به تمور[3]
من الأيام لم تَسمع كيومٍ ... ولم يَسمع به قوم ذكور
قتلنا في الغبار بني حَطيط ... على راياتها والخيلُ زور[4]
ولم يكُ ذو الخمار رئيسَ قوم ... لهم عقلٌ يعاقِبُ أو نكيرٌ[5]
أقام بهم على سَنَن المنايا ... وقد بانتْ لمُبصِرِها الأمور
فأفلتَ من نجا منهم حَريضاً[6] ... وقُتّل منهم بشرٌ كثير
ولا يغني الأمورَ أخو التواني ... ولا الغَلِقُ الصُرَيِّرةُ الحصور
أحانَهم وحانَ وملّكوه ... أمورَهم وأفلتتِ الصقور
بنو عوفٍ يميحَ[7] بهم جيادَ ... أهينَ لها الفصافِصَ[8] والشعير
فلولا قاربٌ وبنو أبيه ... تقسَّمتِ المزارعَ والقصور

---

(١) وج : سرعة .
(٢) حنق : غيظ وغضب .
(٣) تمور : تسيل .
(٤) زور : مشدودة بالأعنة .
(٥) نكير : فطن .
(٦) حَريضا : لا يستطيع النهوض .
(٧) يميح : يتمايل أو يتبختر .
(٨) الفصافص : أعشاب للدواب تسمى كذلك ما دامت رطبة .

ولكنّ الرياسة عمّموها / على يمنٍ أشار به المشير
أطاعوا قاربا ولهم جدود / وأحلام إلى عزٍ تصير
فان يَهدون إلى الاسلامُ يُلفَوا / أنوفَ الناس ما سَمَر السمير
فان لم يسلموا فهموا أذانٌ / يحربِ الله ليس لهم نصير
كما حكمتْ بني سعد وجرُت / برهطِ بني غَزَيَّة عنقفير(١)
كأنّ بني معاوية بن بكرٍ / الى الاسلام ضائنةٌ(٢) تخور
فقلنا أسلموا إنّا أخوكم / وقد برأت من الإحَنِ(٣) الصدور
كأن القوم اذ جاؤا الينا / من البغضاء بعد السُلم عور

فصل :

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصري على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال : قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم . قال ابن اسحاق : فبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لاصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم ، فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوماً عارضي رماحهم اغفالاً على خيلهم ، فقال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ فقالوا نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحه على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء ، قال : هذا الزبير بن العوام وأقسم باللات ليخالطنكم فأثبتوا له ، فلما انتهى الزبير الى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق إلى الجعرانة فتحبس هناك ، قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري .

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون(٤) عليها فقال لبعض أصحابه «أدرك خالداً فقل له إن رسول الله ﷺ ـ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً(٥) » هكذا رواه ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الإمام أحمد ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد حدّثني المرقع بن صيفي

(١) عنقفير : امرأة متسلطة ـ عجوز داهية .
(٢) ضائنة : حية منقبضة .
(٣) الإحن : العلل .
(٤) متقصفون : متجمعون .
(٥) عسيفاً : أجيراً .

عن جده رباح بن ربيع أخي بني حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه رجع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فمر رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة ، فوقفوا ينظرون اليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال « ما كانت هذه لتقاتل » فقال لأحدهم «الحق خالداً فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً » وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث المرقع بن صيفي به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصري فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا بها، وسارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له أوطاس فبعث اليهم رسول الله ﷺ سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلوهم فغلبوهم ، سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف كما سيأتي. قال ابن اسحاق: ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس،وتوجهبعضهم إلى نخلةولم يكن فيمن توجه نحو نخلة الا بنووغيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك الثنايا قال فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهان السلمي ويعرف بابن الدغنة ـ وهي أمه ـ دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه في شجار لهم ، فإذا برجل فأناخ به فاذا شيخ كبير واذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال أقتلك، قال ومن أنت ! قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً ، قال : بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فأنى كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربته فوقع تكشف فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً . ثم ذكر ابن اسحاق ما رثت به عمرة بنت دريد أباها فمن ذلك قولها :

قالوا قتلْنا دريداً قلتُ قد صدقوا ... فظلَّ دمعي على السِّربال منحدر
لولا الذي قهرَ الأقوامَ كلَّهم ... رأتْ سليمُ وكعبٌ كيف يأتمر
إذنْ لصبَّحهم غِبّاً وظاهرةً ... حيثُ استقرّت نَواهم جَحْفلٌ ذفر[1]

قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري

---

(١) ذفر : كُثُر .

فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الاشعري وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر الاشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عني فأني سَلمه ابنُ سَمادِيرَ لمن توسمه
أضربُ بالسيف رؤوس المُسْلِمة

قال ابن اسحاق : وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الاشعري لقي يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم أشهد عليه فقتله أبو عامر، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم أشهد عليه فقتله أبو عامر، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه ، فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليّ فكف عنه أبو عامر فأفلت فأسلم بعد فحسن إسلامه، فكان النبي ﷺ إذا رآه قال : «هذا شريد أبي عامر» قال ورمى أبا عامر؛ أخوان العلاء وأوفى أبناء الحارث من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه، وولىَّ الناس أبا موسى فحمل عليهما فقتلهما، فقال رجل من بني جشم يرثيهما :

إن الرزيّة قَتْلُ العلا ء وأوفى جميعاً ولم يسندا
هما القاتلانِ أبا عامرٍ وقد كان داهيةً أربدا
هما تركاه لدى معْرَكٍ كأنّ على عِطفه مجسدا
فلم يُرَ في الناس مِثْلَيْهما أقلّ عَثاراً[1] وأرمى يدا

وقال البخاري : ثنا محمد بن العلاء وحدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد ابن الصمة فقُتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى : وبعثني مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته، قال فانتهيت اليه فقلت يا عم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال ذاك قاتلي الذي رماني ، فقصدت له فلحقته فلما رآني ولى فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي ألا تثبت ؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبي عامر قتل الله صاحبك ، قال فانتزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. قال يا ابن أخي اقرىء رسول الله ﷺ السلام وقل له استغفر لي ، واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا

(١) العثار : الزلل .

وخبر أبي عامر وقوله قل له استغفر لي قال فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال «اللهم أغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض إبطيه ثم قال «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ـ أو من الناس » فقلت ولي فاستغفر ، فقال «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما » قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضي الله عنهما . ورواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن أبي براد عن أبي أسامة به نحوه وقال الإمام أحمد حدَّثنا عبد الرزاق أنبأ سفيان ـ هو الثوري ـ عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال . أصبنا نساء من سبى أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج، فسألنا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿وَالْمُحصِنَاتُ مِنَ النِسَاءِ إلاَّ مَا مَلَكَتْ أيْمانُكُم ﴾[1] قال فاستحللنا بها فروجهن . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان البتي به . وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري . وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة، زاد مسلم وشعبة والترمذي من حديث همام عن يحيى ثلاثتهم عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك فكان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأثموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك ﴿والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم ﴾ وهذا لفظ أحمد بن حنبل فزاد في هذا الاسناد أبا علقمة الهاشمي وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم. وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الأمة طلاقها. روى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصري وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بربرة حيث بيعت ثم خيرت في فسخ نكاحها أو إبقاءه ، فلو كان بيعها طلاقها لما خيرت ، وقد تقصينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية وسنذكره إن شاء الله في الأحكام الكبير ، وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذا الحديث في سبايا أوطاس وخالفهم الجمهور وقالوا هذه قضية عين فلعلهن أسلمن أو كن كتابيات ، وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

من استشهد يوم حنين وأوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جمح به فرسه الذي يقال له الجناح فمات ، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدي الانصاري من بني العجلان ، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أوطاس، فهؤلاء أربعة رضي الله عنهم.

---

(١) سورة النساء الآية : ٢٤ .

ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بجير بن زهير بن أبي سلمى :

لولا الالهُ وعبدُه ولَّيتم ... حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبان
بالجِزْع يومَ حيالنا أقراننا ... وسوابحٍ يكبُون للأذقاق[1]
من بين ساعٍ ثوبَه في كفِّه ... ومقطَّرٍ بسنابكٍ ونبان
واللَّهُ أكرمَنا وأظهرَ ديننا ... وأعزَّنا بعبادة الرحمن
واللَّهُ أهلكهم وفرّق جمعَهم ... وأذلَّهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام ويروي فيها بعض الرواة :

إذ قام عمّ نبيِّكم ووليُّه ... يدْعون يَالَكتيبة الإيمان
أينَ الذين همُ أجابوا ربَّهم ... يومَ العريضِ وبَيْعةِ الرضوان

وقال عباس بن مرداس السلمي :

فأني والسوابحُ يومَ جمعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتاب
لقد أحببتُ ما لقيتْ ثقيفٌ ... بجنب الشِّعب أمسِ من العذابْ
همُ رأس العدوّ من أهلِ نجدٍ ... فقتْلُهم ألذّ من الشراب
هزْمنا الجمعَ جمعَ بني قسيّ ... وحلّت بركِها ببني رئاب
وصِرماً[2] من هلالٍ غادرْتهم ... بأوطاسٍ تعفَّر بالتراب
ولو لاقينَ جمعَ بني كلاب ... لقامَ نساؤهُم والنقع كابي
ركضنا الخيلَ فيهم بين بَسٍ ... إلى الأوراد تنحَطُ بالنهاب
بذي لجبٍ رسولُ الله فيهم ... كتيبتُه تَعَرَّضُ للضِّراب

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتَم النبَّاءِ إنك مرسَلٌ ... بالحقّ كلّ هُدى السبيل هداكا
إنّ الإلهَ بنى عليك محبَّة ... في خلقِه ومحمداً سمَّاكا
ثم الذين وفَوا بما عاهدتُمُ ... جندٌ بعثتَ عليهم الضحاكا
رجلاً به ذَرَبُ السلاح كأنه ... لمّا تكنَّفه العدو يراكا
يغشى ذوي النسبِ القريبِ وإنما ... يبغي رضا الرحمن ثم رضاكا

---

(١) الأذقاق : الخيول .

(٢) الصرم : جماعة .

أنبئْكَ أني قد رأيتُ مَكَرَّه ... تحت العَجاجةِ[1] يدمغُ الإشراكا
طوراً يعانِق باليدين وتارةً ... يفري[2] الجماجمَ صارماً فتّاكا
يغشى به هامَ الكُماةِ[3] ولو ترى ... منه الذي عاينتُ كان شَفاكا[4]
وبنو سليمٍ مُعنِقونَ أمامه ... ضَرباً وطعناً في العدوّ دِراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم ... أُسدُ العرين أرَدْن ثَمَّ عِراكا
ما يرتجون من القريبِ قرابةً ... إلا لطاعةِ ربِّهم وهواكا
هذي مشاهدُنا التي كانت لنا ... معروفةً ووليُّنا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً[5] :

عفا مجدلٌ من أهله فَمَتالعٌ ... فَمَطلاً أريكٍ قد خلا فالمصانعُ[6]
ديارُ لنا يا جَمْلُ إذ جُلُّ عيشِنَا ... رخيٌّ وصَرْفُ الدهر للحيِّ جامع
حبيِّبةٌ ألوتْ بها غُربةُ النوى ... لبينٍ فهل ماضٍ من العيشِ راجع
فإن تبتغي الكفّارُ غيرَ ملومةٍ ... فإني وزيرٌ للنبي وتابع
دعانا اليه خيرُ وفدٍ علمتُهم ... خزيمةُ والمرّارُ منهم وواسع
فجئنا بألف من سليمٍ عليهمُ ... لَبوسٌ لهم من نَسْجِ داودَ رائع
نبايعه بالأخشَبيْنِ وإنما ... يَدُ الله بينَ الأخشَبيْن نُبايع
فجسْنا مع المهديّ مكةَ عَنوةً ... بأسيافنا والنقع كابٍ وساطع
علانيةً والخيلُ يغشى متونَها ... حميمٌ وآنٌ من دمِ الجوفِ ناقع
ويوم حنينٍ حينَ سارت هوازنٌ ... الينا وضاقت بالنفوسِ الأضالع
صبرنا مع الضحّاك لا يستفزُّنا ... قِراعُ الأعادي منهمُ والوقائع
أمامَ رسولِ الله يخفُقُ فوقَنا ... لواءٌ كخُذْروفِ[7] السَّحابَةِ لامع
عشيَّةَ ضحّاكُ بنُ سفيانَ معْتَصٍ ... بسيفِ رسولِ الله والموتُ كانع[8]
نذودُ أخانا عن أخينا ولو نرى ... مَصَالاً[9] لكنّا الأقربين نتابع
ولكنّ دينَ الله ، دينَ محمد ... رضينا به فيهِ الهدى والشرائع
أقامَ به بعدَ الضلالة أمرَنا ... وليس لأمرٍ حمَّهُ الله دافع

(١) العجاجة : غبار المعركة .
(٢) يفري : يقطع .
(٣) الكماة : الأبطال .
(٤) هذا البيت زدناه من سيرة ابن هشام .
(٥) سقط من التيمورية هذه العقائد الى آخر الفصل .
(٦) أسماء مواقع .
(٧) خذروف : سريع المشي .
(٨) كانع : قريب .
(٩) مصالاً : اختياراً .

وقال عباس أيضاً :

تقطّع باقي وصل أم مؤمّل ... بعاقبةٍ واستبدلتْ نِيّةً خلفا
وقد حلفتْ بالله لا تقطعُ القُوى ... فما صدقتْ فيه ولا بَرَّتِ الحلْفا
خُفافيّةٌ [1] بطنُ العقيقِ مَصِيفُها ... ونحتلُّ في البادِينَ وَجْرَةَ [2] فالعَرفا
فان تتبع الكفّارُ أمُّ مؤمل ... فقد زوَّدتْ قلبي على نأيها شَغْفا
وسوف ينبّئها الخبيرُ بأننا ... أَبينا ولم نطلب سوى ربّنا حِلفا
وإنا مع الهادي النبيّ محمدٍ ... وفينا ولم يستوفِها معشرٌ ألفا
بفتيانِ صدقٍ من سليمٍ أعزّةٍ ... أطاعوا فما يعصُون من أمره حرفا
خفافٌ وذكوانٌ وعوفٌ تَخالُهم ... مصاعبُ زافَتْ[3] في طَروقتها كُلْفا
كأنّ نسيجَ الشُّهب والبيضِ ملبسٌ ... أسوداً تلاقت في مراصِدها غُضفا[4]
بنا عزَّ دين الله غيرَ تنحُّلٍ ... وزِدنا على الحي الذي معه ضِعْفا
بمكةَ إذ جئنا كأنّ لواءَنا ... عُقابٌ أرادتْ بعد تحليقها خَطفا
على شُخَّصِ الأبصار تحسَبُ بينَها ... إذا هي جالتْ في مراودها عزفا[5]
غداةَ وطئنا المشركينَ ولم نَجِدْ ... لأمر رسول الله عَدْلا ولا صَرْفا
بمعتَرَكٍ لا يسمع القومُ وسطَهُ ... لنا زَحْمةً إلا التّذامر والنقفا[6]
بِبِيضٍ تُطير الهامَ عن مُستقرِّها ... وتقطِفُ أعناقَ الكُماةِ[7] بها قطفا
فَكائنْ تركْنا من قتيلٍ ملحَّبٍ ... وأرملةٍ تدعو على بعلها لهفا
رضَا الله ننوي لا رضا الناسِ نبتغي ... ولله ما يبدُو جَميعاً وما يخفى

وقال عباس أيضاً رضي الله عنه :

ما بالُ عينِك فيها عائرٌ[8] سَهِرُ ... مثل الحماطة[9] أغضى فوقَها الشُّفر[10]
عينٌ تأوَّبها من شجوها أَرَقٌ ... فالماء يغمرها طورا وينحدر
كأنه نظمُ درٍّ عند ناظمه ... تقطَّعَ السِّلكُ منه فهو منتثر
يا بُعدَ منزلِ مَن ترجو مودّته ... ومن أتى دونه الصُّمّان[11] فالحُفَر

---

(١) خفافية : نسبة الى الخفين .
(٢) وجرة : حفرة تقع فيها الماشية .
(٣) زافت : تبخترت .
(٤) غُضفا : مائلة .
(٥) عزفا : أصوات الرياح .
(٦) النقفا : ضرب السيوف .
(٧) الكماة : الابطال .
(٨) عائر : فيها رمد أو قذي .
(٩) الحماطة : حرقه في الحلق .
(١٠) الشفر : الشفاه .
(١١) الصمان : الصخور القاسية .

دعْ ما تقدّمَ من عهد الشباب فقد ... ولّى الشبابُ وزار الشَّيب والزَعَر
واذكُرْ بلاءَ سليمٍ في مواطنها ... وفي سليمٍ لأهلِ الفخر مفتخَر
قومٌ هموا نصروا الرّحمنَ واتّبعوا ... دينَ الرسول وأمرُ الناس مشتجر
لا يغرسون فسيلَ النخل وسْطَهم ... ولا تَخاوَرُ في مشتاهُمُ البَقَر
إلا سوابحَ كالعَقبان مغريةً ... في دارةٍ حولها الأخطارُ والعَكَرُ
تدعى خفافُ وعوفٌ في جوانبها ... وحيٌّ ذكوان لا مِيلٌ ولا ضُجُر
الضاربون جنودَ الشِّرك ضاحية ... ببطن مكةَ والأرواحُ تُبْتَدَر
حتى رَفعنا وقتلاهم كأنهمُ ... نخلٌ بظاهرةِ البطحاء منقعِر
ونحن يومَ حنينٍ كان مشهدُنا ... للدين عزاً وعند الله مدَّخَر
إذ نركبُ الموتَ مخضرّا بطائنُه ... والخيلُ ينجاب عنها ساطِعٌ كَدِر
تحتَ اللواء مع الضحّاك يَقْدُمنا ... كما مشى الليثُ في غاباته الخدر[1]
في مأزقٍ من مجرّ الحربِ كلكلُها[2] ... تكاد تأفُلُ منه الشمسُ والقمر
وقد صبرنا بأوطاسٍ أسنَّتَنا ... لله ننصرُ من شِئنا وننتصر
حتى تأوَّبَ أقوامٌ منازلُهم ... لولا المليكُ ولولا نحنُ ما صَدَروا
فما ترى معشراً قلُّوا ولا كثُروا ... إلا وقد أصبحَ منّا فيهمُ أثر

وقال عباس أيضاً رضي الله عنه :

يا أيها الرجلُ الذي تهوي به ... وجناءُ[3] مجمّرة المناسم[4] عِرْمِسُ[5]
إمّا أتيتَ على النبي فقلْ له ... حقاً عليكَ اذا اطمأنَّ المجلس
يا خير من ركِبَ المطيّ ومن مشى ... فوقَ الترابِ اذا تُعَدُّ الأنفس
إنّا وفَيْنا بالذي عاهدتَنا ... والخيلُ تَقدَعُ[6] بالكُماةِ وتضرس
إذ سالَ من أفناءِ بهثَةَ كلّها ... جمعٌ تَظَلُّ به المخارمُ[7] ترجس
حتى صبَحْنا أهلَ مكة فيلقاً ... شهباءَ يقدُمها الهمامُ الأشْوَس[8]
من كل أغلبَ من سليمٍ فوقَه ... بيضاءُ محكَمَةَ الدِّخَال وقَوْنس[9]
يروي القناةَ اذا تجاسرَ في الوغى ... وتخالُهُ أسَداً اذا ما يعبِس

---

(١) الخدر : أجمة الأسد .
(٢) الكلكل : غمارها .
(٣) وجناء : عظيمة الوجنات .
(٤) المناسم : الخدين .
(٥) عرمس : ناقة صلبة/قوية .
(٦) تقدع : تدفع .
(٧) المخارم : الطرق في الجبال .
(٨) الاشوس : البطل .
(٩) قونس : بيضة الدرع .

يغشى الكتيبة معْلَماً ويكفه عضبٌ[1] يقدّ به ولدنٌ مدعس[2]
وعلى حنينٍ قد وَفَى من جمعنا ألفٌ أمدَّ به الرسولَ عرندس [3]
كانوا أمام المؤمنين دريئةً والشمسُ يومئذ عليهم أشْمُس
نمضي ويحرُسنا الإلهُ بحفظِهِ واللهُ ليسَ بضائعٍ من يحرس
ولقد حبسْنا بالمناقِبِ مَحْبساً رضيَ الإلَهُ به فنِعْم المحبس
وغداة أوطاسٍ شددنا شدةً كفتِ العدوَ وقيل منها يا احبسوا
تدعو هوازنُ بالأخوَّةِ بيننا ثديٌ تمدُّ به هوازنُ أيبس
حتى تركنا جمعَهم وكأنه عِيرٌ تَعاقَبُه السِّباع مفرَّس

وقال أيضاً رضي الله عنه :

من مبلغُ الأقوامَ أن محمداً رسولُ الإلَه راشدٌ حيث تمما[4]
دعا ربَّه واستنصرَ اللهَ وحدَه فأصبحَ قد وفّى اليه وأنعما
سرينْا وواعدْنا قديداً محمداً يؤمُّ بنا أمراً من الله محكَما
تمارَوا[5] بنا في الفجر حتى تبيَّنوا مع الفجرِ فتياناً وغاباً مقوما
على الخيلِ مشدوداً علينا دروعُنا ورَجْلاً كدفّاع الأتيّ عرمرما[6]
فإن سَراةَ الحي إن كنتَ سائلاً سليمٌ وفيهم منهمُ من تسلما
وجندٌ من الأنصارِ لا يخذِلونه أطاعوا فما يعصُونه ما تكلّما
فان تكُ قد أمّرتَ في القومِ خالداً وقدّمتَه فإنه قد تقدما
بجندٍ هداهُ اللهُ أنتَ أميرُه تصيبُ به في الحقّ مَن كان أظلما
حلفتُ يميناً برةً لمحمد فأكملتُها ألفاً من الخيل ملجما
وقال نبيّ المؤمنين تقدّموا وحُبَّ إلينا أن نكونَ المقدما
وبِتْنا بنهيِ المستديرِ ولم يكُن بنا الخوفُ إلا رغبةً وتحزما
أطعناكَ حتى أسام الناسُ كلّهم وحتى صبَحْنا الجمعَ أهلُ يلملما
يظل الحصانُ الأبلقُ الورْدُ وسطه ولا يطمئن الشيخُ حتى يُسوَّما[7]
سمونا لهم وردَ القَطا زفَّه ضُحى وكلاً تراه عن أخيه قد أحجما
لدنْ غدوةٍ حتى تركنا عشيةً حنيناً وقد سالتْ دوامعُه دما

---

(١) عضبٌ : حديد الرماح .
(٢) مدعس : طعّان .
(٣) عرندس : أسد عظيم .
(٤) يمم : توجه .
(٥) تماروا : شكوا .
(٦) عرمرم : جيش كثير .
(٧) يسوم : يوسم بعلامة .

إذا شئتَ من كل رأيتَ طمِّرة (1) وفارسَها يهوي ورمحاً محطما
وقد أحرزتْ منا هوازنَ سِربها وحبُّ اليها أن نَخيبَ ونُحرَما

هكذا أورد الامام محمد بن اسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الاطالة وخوف المَلالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضا وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم ـ غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبه عن الزهري : قاتل رسول الله ﷺ يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان : وقال محمد بن اسحاق : ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور[2] : قال ثم سار رسول الله ﷺ الى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك في ذلك :

قضينا من تهامةَ كل ريْبٍ وخيبرَ ثم أجمعْنا السيوفا
نخبِّرها ولو نطقتُ لقالت قواطعُهن دَوساً أو ثقيفا
فلستُ لحاضنٍ إن لم تروُها بساحةِ داركم منا ألوفا
وننتزعُ العروشَ ببطنِ وجّ (3) وتصبحُ دورُكم منكم خُلوفا
ويأتيكم لنا سرعانُ خيلٍ يغادر خلفه جمعاً كثيفا
اذا نزلوا بساحتكم سمعتم لها مما أناخَ بها رجيفا
بأيديهم قواضبُ مرهفاتٌ يزرْنَ المصطَلينَ بها الحتوفا (4)
كأمثالِ العقائقِ أخلَصَتْها قيونُ الهند لم تضرب كتيفا (5)
تخالُ جديَّة الأبطالِ فيها غداةَ الزحف جادِيّاً مدوفا (6)
أجدّهمُ أليسَ لهم نصيحٌ من الأقوام كان بنا عريفا
يخبِّرهم بأَنا قد جمعنا عتاقَ الخيل والنُجُبَ الطروفا (7)
وأنا قد أتيناهم بزحفٍ يحيطُ بسورِ حصنهُم صفوفا
رئيسُهم النبيّ وكان صُلْبا نقيّ القلبِ مصطبراً عزوفا (8)

---

(1) طمرة : فرس طويل القوائم .
(2) الضبور : آلات تستعمل في الحرب كالدبابات اليوم .
(3) وجّ : سرعة .
(4) الحتوف : المنايا .
(5) كتيفا : السيف الصفيح .
(6) مدوفا : خليطاً .
(7) الطروف : النادر المستحسن .
(8) عزوف : مترفعاً .

رشـيـدَ الأمـر ذا حـكـم وعـلـم   وحِلم لـم يكـن نَـزِقـاً خـفـيـفـا
نـطيـع نـبـيّـنـا ونـطيـع ربـاً   هـو الـرحـمـنُ كـانَ بـنـا رؤ وفـا
فـان تُـلقـوا الينـا السلم نُـقَّـبـلْ   ونجـعـلْكـم لـنـا عضُـداً وريـفـا
وإن تـأبـوا نـجـاهـدْكم ونـصبـر   ولا يـكُ أمـرُنـا رَعِشـاً ضعيـفـا
نجـالـدُ مـا بقينـا أو تُنـيـبـوا   الـى الاسـلام إذعـانـاً مضـيـفـا
نجـاهـدُ لا نـبـالـي مـا لـقـيـنـا   أأهلكنـا التـلادَ[1] أم الـطريـفـا[2]
وكـم مـن مـعشـرٍ ألـبـوا علينـا   صميمَ الجـذم[3] منهـم والحليفـا
أتـوْنـا لا يـرون لـهـم كـفـاءً   فـجـدَّعْـنـا الـمـسـامـعَ والأنـوفـا
بـكـلّ مـهـنـدٍ لَـيْـنٍ صـقـيـل   نـسـوقـهُـم بـهـا سَـوْقـا عـنيـفـا
لأمـرِ الله والإسـلام حـتـى   يـقـومَ الـديـن مـعـتـدلا حـنـيـفـا
وتُـنـسـى الـلاتُ والـعـزّى ودٌّ   ونـسلبُـهـا القـلائـدَ والشنـوفـا[4]
فـأمـسَـوا قـد أقـروا واطـمـأنـوا   ومـن لا يمـتـنـعْ يَقْـبـلْ خسـوفـا

وقال ابن اسحاق : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي :

قلت : قد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد ثقيف فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة وأبو اسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد ، وزعم المدايني أنه لم يسلم بل صار الى بلاد الروم فتنصر ومات بها :

مَن كـان يبـغينـا يـريـدُ قتـالَـنـا   فـإنّـا بـدارٍ مـعـلَم لا نـريـمـهـا
وجـدنـا بهـا الآبـاءَ من قبـل مـا تـرى   وكـانـت لنا أطـواؤ هـا[5] وكـرومها
وقـد جـرَّبْتنا قبـلَ عمـرو بن عـامـر   فـأخـبـرَهـا ذو رأيهـا وحـليـمُـهـا
وقـد علمتْ ـ إن قـالتِ الحق ـ أننـا   اذا مـا أتت صُعْـرٌ[6] الخـدودِ نقيمها
نـقـوّمهـا حتى يلينَ شَـريـسُـهـا   ويَعـرِفَ للحقّ المبيـن ظُـلومـهـا
علينـا دِلاصٌ[7] مـن تـراب محـرَّقٍ   كـلونِ السـمـاء زينتهـا نجـومهـا
نـرفَـعـهـا عـنّـا بِـبـيضٍ صـوارمٍ   اذا جُـرِّدت في غَمـرةٍ لا نـشيـمهـا

---

(١) التلاد : المقيمون بالمكان قديماً .
(٢) الطريفا : المقيم بالمكان حديثاً .
(٣) الجذم : القطع بسرعة .
(٤) الشنوف : ما علق في الأذن من الحلي .
(٥) اطواء : الحزم من المحصول .
(٦) صعر : أصحاب الكبر والابهة .
(٧) دلاص : دروع لينة .

قال ابن اسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله ﷺ الى الطائف :

لا تنصـروا الـلاتَ إن الله مهلكُـهـا　　وكيفَ يُنصَـرُ من هـو ليسَ ينتـصـر
إن التي حُـرقتْ بـالسـدِّ فـاشتعلت　　ولم تقـاتـلْ لـدى أحجارِهـا هـدر
إن الـرسـولَ متى يَنـزلْ بـلادكـم　　يـظعنْ وليس بهـا من أهـلهـا بَشَـر

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله ﷺ ـ يعني من حنين إلى الطائف ـ على نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على المليح ثم على بحرة الرغاء من لية فآبتنى بها مسجـداً فصلّى فيه قـال ابن اسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب انه عليه السلام أقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم أقيد به في الاسلام رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به وأمر رسول الله ﷺ وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم. قال ابن اسحاق: ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة فلما توجـه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال ما اسم هذه الطريقة فقيل الضيقة فقال بل هي اليسرى، ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله ﷺ باخراجه. وقال ابن اسحاق: عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنـا بقبر فقـال رسول الله ﷺ «هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنـه فلما خـرج أصابتـه النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآيـة ذلك أنـه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » قال فابتدره الناس فاستخرجـوا معه الغصن . ورواه أبـو داود عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به. ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن اسماعيل بن أمية به . قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبـل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فتأخروا الى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنته ثقيف بعد اسلامها ، بناه عمرو بن أمية بن وهب وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم الا سمع لها نقيض[1] فيما يذكرون، قال فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ، قال ابن هشام ويقال سبع عشرة ليلة ، وقال عـروة وموسى بن عقبـة عن الزهـري: ثم سار رسـول الله ﷺ إلى الطائف وترك السبي بالجعرانة وملئت عرش مكة منهم فنزل رسـول الله ﷺ بالاكمـة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكرة ابن مسروح أخي زياد لأمه ، فأعتقـه رسول الله ﷺ وكثـرت الجراح وقـطعوا طـائفة من أعنـابهم

---

(١) النقيض : الصوت .

ليغيظوهم بها فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فأنها لنا أو لكم . وقال عروة أمر رسول الله ﷺ كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات وبعث منادياً ينادي من خرج الينا فهو حر ، فأقتحم اليه نفر منهم فيهم أبو بكرة بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لامه فـأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يعوله ويحمله . وقال الإمام أحمد ثنا يزيد ثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم اذا أسلموا، وقد أعتق يـوم الطائف رجلين وقـال أحمد ثنـا عبد القـدوس بن بكر بن خنيس ثنـا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فخرج إليه عبدان فأعتقهما أحدهما أبو بكرة وكان رسول الله ﷺ يعتق العبيد إذا خرجوا إليه وقال أحمد أيضاً ثنا نصر بن رئاب عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله ﷺ يوم الطائف «من خرج الينا من العبيد فهو حر » فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله ﷺ هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرطاة وهـو ضعيف ، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الاسلام عتق حكماً شرعيـاً مطلقـاً عاما ، وقال آخرون إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عاماً ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام «من قتل قتيلا فله سلبه » وقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن المكرم الثقفي قال : لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم أبو بكرة عبداً للحارث بن كلدة والمنبعث وكان اسمه المضـطجع فسمَّـاه رسول الله ﷺ المنبعث ، ويحنس ووردان في رهط من رقيقهم فأسلموا. فلما قدم وفد أهل الـطائف فأسلمـوا قالوا يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك ؟ قال «لا أولئك عتقاء الله » ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله له . وقال البخاري ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبـة عن عاصم سمعت أبـا عثمان قال سمعت سعـداً ـ وهو أول من رمى بسهم في سبيـل الله وأبا بكـرة وكان تسـور حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله ﷺ ـ قالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام » ورواه مسلم من حديث عاصم به . قال البخاري : وقال هشام أنبأ معمر عن عاصم عن أبي العالية أو أبي عثمان النهدي قال سمعت سعداً وأبا بكرة عن النبي ﷺ قال عاصم : قلت لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما ، قال أجل أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف. قـال محمد بن اسحاق : وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين فكان يصليّ بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتالا شـديداً وتراموا بـالنبل قـال ابن هشام : ورمـاهم بالمنجنيق. فحدثني من أثق بـه أن النبي ﷺ أول من رمى في الاسلام بـالمنجنيق رمى به أهـل الطائف. وذكر ابن اسحاق أن نفراً من الصحابة دخلوا تحت دبابة ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهـل الطائف فأرسلت عليهم سكك الحديد محماة فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم

رجالا، فحينئذ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون ، قال وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالامان حتى يكلموهم فأمنوهم فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن اليهم وهما يخافان عليهن السباء إذا فتح الحصن ، فأبين فقال لهما أبو الأسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال أبي الأسود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله ﷺ نازلاً بواد يقال له العقيق وهو بين مال بني الاسود وبين الطائف وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤونة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم . فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم . وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده وقيل قدم به وبدبابتين فالله أعلم. وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل ، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ «ما قلت لهم» قال دعوتهم إلى الاسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة، فقال «كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله وإليك من ذلك . وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ابن أبي نجيح السلمي وهو عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف فسمعت رسول الله ﷺ يقول «من بلغ بسهم فله درجة في الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعته يقول « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوْراً يوم القيامة وأيما رجل أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بعظم وأيما امرأة مسلمة أعتقت أمرأة مسلمة فإن الله جاعل كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها من النار » . ورواه ابو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث قتادة به . وقال البخاري ثنا الحميدي سمع سفيان ثنا هشام عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وعندي مخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال رسول الله ﷺ « لا يدخلن هؤلاء عليكن » قال ابن عيينة وقال ابن جريج : المخنث هيت . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به وفي لفظ وكانوا يرونه . من غير أولي الأربة من الرجال ، وفي لفظ قال رسول الله ﷺ « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكن هؤلاء » يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل في قوله تعالى : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[1] والمراد بالمخنث في عرف

(١) سورة النور الآية : ٣١ .

السلف الذي لاهمة له إلى النساء وليس المراد به الذي يؤتى إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتما كما دل عليه الحديث وكما قتله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومعنى قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان يعني بذلك عكن بطنها فإنها تكون أربعا إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أدبرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف ، وهذا المخنث قد ذكر البخاري عن ابن جريج أن اسمه هيت وهذا هو المشهور لكن قال يونس عن ابن اسحاق قال : وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته بنت عمرو بن عايد مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته ولا نرى أنه يفطن لشيء من أمور النساء مما ينظر اليه رجال، ولا يرى أن له في ذلك إرباً فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتن بمتهمكم بادية بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان، فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه «ألا أرى هذا يفطن لهذا » الحديث ثم قال لنسائه «لا يدخلن عليكم » فحجب عن بيت رسول الله ﷺ.
وقال البخاري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان عن عمرو عن أبي العباس الشاعر الأعمى عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال «إنا قافلون غداً إن شاء الله » فنقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتح ؟ فقال «اغدوا على القتال » فغدوا فأصابهم جراح فقال «إنا قافلون غدا إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبي ﷺ وقال سفيان مرة فتبسم ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف في نسخ البخاري ففي نسخة كذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص والله أعلم . وقال الواقدي حدثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدؤلي فقال «يا نوفل ما ترى في المقام عليهم ؟» قال يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك. قال ابن اسحاق : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لابي بكر وهو محاصر ثقيفاً «يأبا بكر إني رأيت أني أهديت لي قعبة[1] مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها » فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد ، فقال رسول الله ﷺ «وأنا لا أرى ذلك » قال ثم إن خولة بنت حكيم السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك حلى بادية بنت غيلان بن سلمة أو حلى الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف - فذكر أن رسول الله ﷺ قال لها «وإن كان لم يؤذن في ثقيف ياخويلة » فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت أنك قلته ؟ قال «قد قلته» قال أو ما أذن فيهم ؟ قال لا ، قال أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال بلى ، فأذن عمر بالرحيل فلما استقبل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الحي مقيم ، قال يقول عيينة

---

(١) قعبة : قدح ضخم .

ابن حصن أجل والله مجدة كراماً ، فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله يا عيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلها تلد لي رجلا فإن ثقيفاً مناكير . وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قصة خولة بنت حكيم وقول رسول الله ﷺ ما قال. وتأذين عمر بالرحيل ، قال وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرحوا ظهرهم فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ودعا حين ركب قافلا فقال « اللهم أهدهم واكفنا مؤنتهم » وروى الترمذي من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قالوا : يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم فقال «اللهم أهد ثقيفاً » ثم قال هذا حديث حسن غريب . وروى يونس عن ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المكرم عمن أدركوا من أهل العلم قالوا : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم يوذن فيهم ، فقدم المدينة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا وسيأتي ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله. وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن اسحاق فمن قريش ، سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية، وعرفطة بن حُباب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رمى بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي من رمية رميها يومئذ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدي ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي وأخوه عبد الله ، وجليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليث ، ومن الانصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمي ، والحارث ابن سهل بن أبي صعصعة المازني ، والمنذر بن عبد الله من بني ساعدة ، ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فقط ، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن اسحاق : ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف .

كانت علالةُ يومَ بَطنِ حنينِ ... وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبرق
جمعت باغواءَ هوازنُ جَمعها ... فتبدّدوا كالطائر المتمزِّق
لم يمنعوا منا مقاما واحداً ... إلا جدارَهُمُ وبطنَ الخندق
ولقد تعرَّضْنا لكيما يَخْرُجوا ... فاستحصنوا منا بباب مُغلقَ
ترتدّ حسراناً[1] الى رجراجةٍ[2] ... شهباء تلمَعُ بالمنايا فيلق
ملمومةً خضراءَ لو قَذفوا بها ... حِصناً لظلّ كأنه لم يخلق

(١) حسرانا : متأسفاً على أيام مضت .
(٢) رجراجة : جماعة كثيرة في الحرب .

مشْيَ الضِّــراءِ[1]على الهـراس[2]كأننـا | قَــدرٌ تـفــرَّقَ في الـقِـيــاد ويـلتـقـي
في كــل سـابـغــةٍ إذا مــا استحصنتْ | كــالنّهْي هبتْ ريحــهُ الـمتــرقــرق
جُــدُلٍ[3]نـمسٌّ فضــولُـهـن نـعــالَـنــا | مــن نــسّــجِ داودَ وآلِ مُـحــرَّق

وقال أبو داود ثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ثنا الفريابي ثنا أبان ثنا عمرو ـ هو ابن عبد الله ابن أبي حازم ـ ثنا عثمان بن أبي حازم عن أبيه عن جده صخر ـ هو أبي العيلة الأحمسي ـ أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يمد النبي ﷺ فوجده قد انصرف ولم يفتح، فجعل صخر حينئذ عهد وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وكتب إليه صخر ؛ أما بعد فإن ثقيفا قد نزلت على حكمك يا رسول الله وأنا مقبل بهم وهم في خيلي فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعة فدعا لأحمس عشر دعوات «اللهم بارك لاحمس في خيلها ورجالها» . وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبة فقال : يا رسول الله إن صخراً أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، فدعاه فقال «يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع الى المغيرة عمته» فدفعها اليه وسأل رسول الله ﷺ ماء لبني سليم قد هربوا عن الاسلام وتركوا ذلك الماء فقال: يا رسول الله أنزلنيه أنا وقومي ؟ قال «نعم» فأنزله وأسلم ـ يعني الاسلميين ، فأتوا صخرا فسألوه أن يدفع اليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وأتينا صخرا ليدفع الينا ماءنا فأبى علينا ، فقال «يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم» قال نعم يا نبي الله فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذه الماء . تفرد به أبو داود وفي اسناده اختلاف .

قلت : وكانت الحكمة الالهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلا لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج الى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموماً فلم يستفق الا عند قرن الثعالب، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل فناداه ملك الجبال فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله ﷺ «بل أستأني[4] بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً» فناسب قوله بل أستأني بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى .

---

(1) الضِّراء : الجمع .
(2) الهراس : الأسد الشديد الأكل .
(3) جدُل : مرميون على الأرض .
(4) استأني : تمهل .

مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن

قال ابن اسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبى كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم فقال « اللهم أهد ثقيفا وائت بهم » قال ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله ﷺ من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء ومن الابل والشاء مالا يدرى عدته. قال ابن اسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب وفي رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كنا مع رسول الله ﷺ بحنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منَّ الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وأنت رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول :

أُمنُنْ علينا رسولَ الله في كَرمٍ	فإنّك المرءُ نرجوه وننتظر
أمنن على بيضةٍ قد عاقها قَدَر	ممزّقٍ شملُها في دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهرَ هتّافاً على حَزَنٍ	على قلوبهمُ الغمّاءُ[1] والغمر[2]
[يا خير طفلٍ ومولودٍ ومنتجب	في العالمين اذا ما حصّل البشر[3]
إن لم تداركَها نعماءُ تنشرُها	يا أرجحَ الناس حِلماً حين يُختبر
أمنن على نسوة قد كنتَ ترضعها	إذ فوكَ تملؤه من مخضِها الدُّرَرَ
أمنن على نسوة قد كنتَ ترضعها[4]	وإذ يزنيك ما تأتي وما تذَرِ
لا تجعلَنّا كمن شالتْ نعامته	واستبقِ منّا فإنا معشرٌ زُهُر
إنا لنشكر آلاء وإن كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

قال فقال رسول الله ﷺ : « نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا ، فقال رسول الله ﷺ : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين ؛ وبالمسلمين الى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » فلما صلَّى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فقال : « أما

---

(١) الغماء : الحزن والكرب .

(٢) الغمر : الحقد .

(٣) هذا البيت زيادة من السهيلي وزاد عليها ثلاثة أبيات أخر .

(٤) في السهيلي : إذا كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها .

ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وقالت الأنصار وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال العباس بن مرداس السلمي : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، قال يقول عباس بن مرداس لبني سليم وهنتموني ؟ فقال رسول الله ﷺ « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه» فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم ثم ركب رسول الله ﷺ وأتبعه الناس يقولون : يا رسول الله أقسم علينا فيأنا ، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال : « أيها الناس ردوا عليَّ ردائي فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامةنعماً لقسمته عليكم ثم ما الفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال : « أيها الناس والله ما لي في فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فإن الغلول[1] عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة » فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لي دبر ، فقال رسول الله ﷺ : « أما حقي منها فلك » فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لي بها فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضي أنه عليه السلام رد اليهم سبيهم قبل القسمة كما ذهب إليه محمد بن اسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره . وفي صحيح البخاري من طريق الليث عن عقيل عن الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن ترد اليهم أموالهم ونساؤهم فقال لهم رسول الله ﷺ « معي من ترون وأحب الحديث إليّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال ؟ وقد كنت أستأنيت بكم » وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا إنا نختار سبينا ، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤوا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب أن يطيّب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفيء الله علينا فليفعل » فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال لهم : « إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بأنهم قد طيبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن ولم يتعرض البخاري لمنع الأقرع وعيينة وقومهما بل سكت عن ذلك والمثبت مقدم على النافي فكيف الساكت . وروى البخاري من حديث الزهري أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ومعه

(١) الغلول : الخيانة والابتعاد عن الصواب .

الناس مقفلة من حنين علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطوني ردائي فلو كان عدد هذه العضاة[1] نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » تفرد به البخاري . وقال ابن اسحاق : وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي أن رسول الله ﷺ أعطى علي بن أبي طالب جارية يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو ابن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد الله وقال ابن اسحاق : فحدثني نافع عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح ليصلحوا لي منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال فجئت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدون فقلت ما شأنكم؟ قالوا رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا ، قلت تلكم صاحبتكم في بني جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا اليها فأخذوها . قال ابن اسحاق : وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها أوى عجوزاً إني لأحسب لها في الحي نسباً وعسى ان يعظم فداؤها ، فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض أبى أن يردها ، فقال له زهير بن صرد : خذها عنك فوالله مافوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بماكد ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفا وثيرة [فردها بست فرائض] قال الواقدي : ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة أصاب كل رجل أربع من الابل وأربعون شاة . وقال سلمة عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً ممن شهد حنين قال والله إني لأسير الى جنب رسول الله ﷺ على ناقة لي وفي رجلي نعل غليظة إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ﷺ ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه ، فقرع قدمي بالسوط وقال : « أوجعتني فتأخر عني » فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني قال قلت هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس ، قال فجئته وأنا أتوقع فقال : « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني ، والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ رد الى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن اسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبي وركب علقت الاعراب برسول الله ﷺ يقولون له اقسم علينا فيأنا حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فقال : « ردوا علي ردائي أيها الناس فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاة نعماً لقسمته فيكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه . وكأنهم خشوا أن يرد الى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم فسألوه قسمة ذلك فقسمها عليه

---

(١) العضاة : ما صغر من شجر الشوك .

الصلاة والسلام بالجعرانة كما أمره الله عز وجل وآثر أناساً في القسمة وتألف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطييباً لقلوبهم ، وتنقد بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذي الخويصرة وأشباهه قبحه الله كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان . قال الامام أحمد حدثنا عارم ثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يقول ثنا السميط السدوسي عن أنس بن مالك قال: فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم، قال ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا قال فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرت الاعراب ومن نعلم من الناس ، قال فنادى رسول الله ﷺ يا للمهاجرين يا للمهاجرين يا للأنصار ؟ ـ قال أنس هذا حديث عمته ـ قال قلنا لبيك يا رسول الله قال وتقدم رسول الله ﷺ قال وأيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله قال فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا الى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا إلى مكة ، قال فنزلنا فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة ويعطي الرجل المائتين ، قال فتحدث الأنصار بينها أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه !؟ فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال : « لا يدخلن عليَّ إلا أنصاري ـ أو الأنصار » قال فدخلنا القبة حتى ملأناها قال نبي الله ﷺ : « يا معشر الأنصار » أو كما قال : « ما حديث أتاني ؟ » قالوا ما أتاك يا رسول الله قال : « ما حديث أتاني » قالوا ما أتاك يا رسول الله ، قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم » ؟ قالوا رضينا يا رسول الله ، قال فرضوا أو كما قال . وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان وفيه من الغريب قوله أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما في كانوا اثني عشر الفاً ، وقوله إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة فالله أعلم . وقال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام ثنا معمر عن الزهري حدثني أنس بن مالك قال قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الابل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ قال أنس بن مالك فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة أدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال : « ما حديث بلغني عنكم؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً ! وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال رسول الله ﷺ « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا يا رسول الله قد رضينا فقال لهم النبي ﷺ « فستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على

الحوض » قال أنس : فلم يصبروا . تفرد به البخاري من هذا الوجه ، ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد عن جده أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله ﷺ فقال : « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبته فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » ﷺ [قالوا بلى] فقال رسول الله ﷺ : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الانصار » . وفي رواية للبخاري من هذا الوجه قال لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار ؟ » قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار ؟ » فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء فنزل فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مغانم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطي الغنيمة غيرنا فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال : « يا معشر الأنصار ما حديث بلغني ؟ » فسكتوا فقال : « يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى فقال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » . قال هشام : قلت يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال وأين أغيب عنه ؟ ثم رواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال : « إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى ، قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار » . وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا لتقطر من دمائهم والغنائم تقسم فيهم ، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم . وقال الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال : « فيكم أحد من غيركم » ؟ قالوا لا الا ابن اختنا ، قال : « ابن أخت القوم منهم» ثم قال « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا نعم ، قال : « أنتم الشعار والناس الدثار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم ؟ » قالوا بلى ، قال : « الأنصار كرشي وعيبتي لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » وقال قال حماد

أعطى مائة من الابل فسمى كل واحد من هؤلاء . تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم اعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال : « أفلا تقولون جئتنا خائفاً فأمناك ، وطريداً فأويناك ، ومخذولاً فنصرناك ؟ » قالوا بل لله المن علينا ولرسوله. وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالك . وقد روى عن غيره من الصحابة قال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أمن ، قال : « لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار[1] ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » . ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله قومه، فمشى سعد ابن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ؟ فقال « فيم ؟ » قال فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء ، فقال رسول الله ﷺ : «فأين أنت من ذلك يا سعد ؟» قال ما أنا الا امرؤ من قومي ، قال فقال رسول الله ﷺ : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فاعلمني » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فردهم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم ، فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى ثم قال رسول الله ﷺ « ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ » قالوا وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المن لله ولرسوله قال : «والله لو

(١) الدثار : الثوب الذي يُستدفأ به .

شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك، وخائفاً فأمناك ، ومخذولاً فنصرناك » فقالوا المن لله ولرسوله فقال رسول الله ﷺ : « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة[1] من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار ان يذهب الناس الى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قسماً ثم انصرف وتفرقوا . وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح وقد رواه الامام أحمد عن يحيى بن بكير عن الفضل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري قال رجل من الانصار لأصحابه : أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو استقامت الأمور قد آثر عليكم ، قال فردوا عليه رداً عنيفاً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها قالوا بلى يا رسول الله ، قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم شيئاً قالوا بلى يا رسول الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم . تفرد به أحمد أيضاً . وهكذا رواه الامام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بنحوه ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً وقال سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من سبي حنين مائة من الابل، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة . وأعطى صفوان بن أمية مائة ، وأعطى عيينة بن حصن مائة . واعطى الأقرع بن حابس مائة ، وأعطى علقمة بن علاثة مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول :

أتجعل نهبي ونهبَ العبيـ ـيد بين عُيَيْنَةَ والأقرعِ
فما كان حصن ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمع
وما كنتُ دون امرىءٍ منهما ومن تَخْفِضِ اليوم لا يُرفع
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرىءٍ فلم أُعطَ شيئاً ولم أُمنع

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة . رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن اسحاق فقال :

كانت نهاباً تلافيتُها بكرّي على المهرِ في الأجرع[2]

---

(١) لعاعة : بقية يسيرة .

(٢) الأجرع : رملة مستوية لا تنبت شيئاً .

وإيقاظيَ الحيَّ أن يرقُدوا إذا هَجَعَ الناس لم أهجع
فأصبحَ نهبي ونهبُ العبيدِ بين عيينةَ والأقرع
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرىء فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أفَايلَ[1] أعطيتُها عديدُ قوائمها الأربع
وما كان حِصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمع
وما كنتَ دونَ امرىءٍ منهما ومن تضعِ اليومَ لا يُرفع

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : « أنت القائل أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ » فقال أبو بكر ما هكذا قال يا رسول الله ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغي لك . فقال : « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله ﷺ « هما سواء ما يضرك بأيها بدأت » ثم قال رسول الله ﷺ « اقطعوا عني لسانه » فخشي بعض الناس أن يكون أراد المثلة به وإنما أراد النبي ﷺ العطية ، قال وعبيد فرسه . وقال البخاري حدثنا محمد بن العلاء ثنا أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال : الا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له : « ابشر » فقال قد أكثرت علي من أبشر ! فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال : « رد البشرى فاقبلا أنتما » ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال « اشربا منه وافرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا » فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما . فأفضلا لها منه طائفة . هكذا رواه . وقال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء . وقد ذكر ابن اسحاق الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذ مائة من الابل وهم أبو سفيان صخربن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بنْ كلدة أخو بني عبد الدار ، وعلقمة بن علاثة ، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ، والحارث بن هشام ، وجبير ابن مطعم ، ومالك بن عوف النصري ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع بن حابس ، قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي ان قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه : يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري ؟! فقال رسول الله ﷺ : « أما والذي نفس محمد بيده لجعيل خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتهما ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى

---

(١) أفايل : جمع فيل .

اسلامه » ثم ذكر ابن اسحاق من أعطاه رسول الله ﷺ دون المائة ممن يطول ذكره . وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إليّ حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه .

قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول

قال ابن اسحاق : وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال « أخبروه إنه إن أتاني مسلماً رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » فلما بلغ ذلك مالكا انسل من ثقيف حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة ـ أو بمكة ـ فأسلم وحسن إسلامه ، فرد عليه أهله وماله ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف رضي الله عنه :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ... في الناس كلهمِ بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيلِ إذا اجتدَى ... ومتى تشأْ يخبرْك عمّا في غد
وإذا الكتيبةُ عرَّدتْ[1] أنيابها ... بالسمهريّ وضَرْبِ كل مهند
فكأنه ليثٌ على أشباله ... وسْطَ الهباءةِ[2] خادرٌ[3] في مرصد

قال واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمالة وسلمة وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا جرير بن حازم ثنا الحسن حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال « إني أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » قال عمرو : فما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم ، زاد أبو عاصم عن جرير سمعت الحسن ثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أتى بمال ـ أو سبي ـ فقسمه بهذا . وفي رواية للبخاري قال أتى رسول الله بمال ـ أو بشيء ـ فأعطى رجالا وترك رجالا فبلغه أن الذين ترك عتبوا فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد » فذكر مثله سواء . تفرد به البخاري[4] وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنيمة :

[ذر الهمومَ فماءُ العين منحدرُ ... سحّاً[5] إذا حَفَلتهُ عَبرة دَرَر]
وجداً بشمّاءَ إذ شماءُ[6] بهكنةٌ ... هيفاءُ لا ذَنَنٌ[7] فيها ولا خَوَر[8]

---

(١) عردت : خرجت واشتدت .
(٢) الهباءة : الغبار .
(٣) خادر : متحير .
(٤) هذا الحديث مؤخر في التيمورية بعد قصيدة حسان .
(٥) سحاً : غزيراً .
(٦) في الحلبية : شنباء .
(٧) ذنن : قذارة .
(٨) خور : ضعف .

دع عنـكَ شمـاءَ إذ كـانت مـودَّتُهـا	نـزراً وشرُّ وِصـال الـواصـلِ النَزَرُ
وائت الـرسـولَ وقـل يـا خيـرَ مؤتمنٍ	لـلمـؤمـنيـنَ إذ مـا عـدِّد الـبـشـر
عـلامَ تُـدعـى سليمٌ وهي نـازحـة	قُـدّامَ قـومٍ همـوا آووا وهمْ نصَـروا
سمّـاهـم الله أنـصـاراً بـنـصـرهـم	دينَ الهـدى وعـوانُ الحـرب تستعر
وسارَعـوا في سبيـلِ الله واعتـرضـوا	للنـائبـاتِ ومـا خَـانـوا ومـا ضَجِـروا
والنـاس إلبٌ علينـا فيـكَ ليس لنـا	إلا الـسيـوفُ وأطـرافُ الـقـنـاوَزَر
تجـالـدُ النـاس لا نُبقي على أحـدٍ	ولا نضيِّـع مـا تـوحـي بـه الـسـوَر
ولا تـهـرّ جُنـاة الحرب نـادَينـا	ونـحن حيـن تـلظّى نـارُهـا سُـعُـر
كمـا رددنـا ببـدرٍ دونَ مـا طـلبـوا	أهـلَ النفـاق وفينـا ينـزل الـظفـر
ونحن جنـدُك يـوم النعفِ(١) من أُحـد	إذ حـزّبت بَـطَراً أحـزابَهـا مُـضَـر
فمـا ونَيْنـا ومـا خِمنـا(٢) ومـا خَبَـروا	منـا عِثارا(٣) وكـلُّ النـاسِ قـد عَثـروا

اعتراض بعض أهل الشقاق على الرسول

قال البخاري : ثنا قبيصة ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار : مـا أراد بها وجـه الله ، قال فـأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فتغير وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قال البخاري ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ نـاسا أعـطى الأقرع بن حـابس مائـة من الابل ، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناسا فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت لأخبـرن النبي ﷺ ، [فأخبرته] فقال « رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به . وفي رواية للبخاري فقال رجل والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ، فقلت والله لأخبرن رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال « من يعـدل اذا لم يعدل الله ورسوله ؟! رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . وقال محمد بن اسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده ، فقلنا له هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال نعم جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس فقال له : يا محمد

(١) النعف : المكان المرتفع في الرمال .
(٢) خمنا : ضعفنا وتوانينا .
(٣) عثار : اصابنا شر أو هلكة .

قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله ﷺ « أجل فكيف رأيت ؟ » قال لم أرك عدلت ، قال فغضب النبي ﷺ فقال « ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ » فقال عمر بن الخطاب : ألا نقتله ؟ فقال « دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم » وقال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجعرانة النبي ﷺ منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس ، فقال : يا محمد أعدل ، قال « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » ورواه مسلم عن محمد بن رمح عن الليث . وقال أحمد ثنا أبو عامر ثنا قرة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بينما رسول الله ﷺ يقسم مغانم حنين إذ قام اليه رجل فقال أعدل ، فقال « لقد شقيت اذ لم أعدل » ورواه البخاري عن مسلم بن ابراهيم عن قرة بن خالد السدوسي به . وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما إذ أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله أعدل ، فقال رسول الله ﷺ « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إيذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال رسول الله ﷺ « دعه فان له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم الى رُصافه[1] فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى نصبه ـ وهو قدحه ـ فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت . ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد به نحوه .

مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة عليه بالجعرانة

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن « إن قدرتم على نجاد ـ رجل من بني سعد بن بكر ـ فلا يفلتنكم » وكان قد أحدث حدثا ، فلما ظفر به

---

(١) الرصاف : مدخل النصل في السهم .

المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، قال فعنفوا عليها في السوق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة ؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ . قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي ـ هو أبو وجزة ـ قال فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله إني أختك من الرضاعة ، قال « وما علامة ذلك ؟ » قالت عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك ، قال فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال « إن أحببت فعندي محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت ؟ » قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، فمتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية . وروى البيهقي من حديث الحكم ابن عبد الملك عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا أختك أنا شيماء بنت الحارث ، فقال لها « إن تكوني صادقة فان بك مني أثر لا يبلى » قال فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعضضتني هذه العضة ، قال فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ثم قال « سلي تعطي واشفعي تشفعي » . وقال البيهقي أنبأ أبو نصر بن قتادة أنبأ عمرو بن اسماعيل بن عبد السلمي ثنا مسلم ثنا أبو عاصم ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان أخبرني عمي عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم نعما بالجعرانة ، قال فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت من هذه ؟ قالوا أمه التي أرضعته . هذا حديث غريب ولعله يريد أخته وقد كانت تحضنه مع أمها حليمة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عمرت حليمة دهراً فان من وقت أرضعت رسول الله ﷺ الى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته ﷺ ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك ، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه والله أعلم بصحته . قال أبو داود في المراسيل ثنا أحمد بن سعيد الهمداني ثنا ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن عمر ابن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه ، وقد تقدم أن هوازن بكمالها متوالية برضاعته من بني سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامنن علينا منّ الله عليك وقال فيما قال :

أمننْ على نسوةٍ قد كنت ترضَعها ... إذ فُوك يملؤه من محضِها دَرَر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يزينَك ما تأتي وما تَذَر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً

خصوصاً وعموماً . وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال : كان النضير ابن الحارث بن كلدة من أجمل الناس فكان يقول : الحمد لله الذي منَّ علينا بـالاسلام ، ومنّ علينا بمحمد ﷺ ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الأخوة ، وبنو العم ، ثم ذكر عداوته للنبي ﷺ وأنه خرج مع قومه من قريش الى حنين وهم على دينهم بعد ، قال ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نغير عليه فلم يمكنا ذلك ، فلما صار بالجعرانة فوالله إني لعلي ما أنا عليه إن شعرت إلاّ برسول الله ﷺ فقال « أنضير ؟ » قلت لبيك ، قال « هل لك الى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه ؟ » قال فأقبلت اليه سريعاً فقال « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع » قلت قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم زده ثباتاً » قال النضير : فوالذي بعثه بالحق لكأن قلبي حجر ثباتا في الدين ، وتبصرة بالحق . فقال رسول الله ﷺ « الحمد لله الذي هداه » .

عمرة الجعرانة في ذي القعدة

قال الامام أحمد ثنا بهز وعبد الصمد الْمُعْنى قالا : ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك قلت كم حج رسول الله ﷺ ؟ قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات . عمـرته زمن الحديبية وعمرته في ذي القعدة من المدينة ، وعمرته من الجعرانـة في ذي القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته . ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذي حسن صحيح . وقال الامام أحمد ثنا أبو النضر ثنا داود ـ يعني العـطار ـ عن عمرو عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال : اعتمـر رسول الله ﷺ أربـع عمر ؛ عمـرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثـالثة من الجعـرانة ، والـرابعة التي مـع حجته . ورواه أبـو داود والترمذي وابن ماجه من حـديث داود بن عبد الـرحمن العطار المكي عن عمـرو بن دينار بـه . وحسنه والترمذي . وقال الامام أحمد ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ثنا حجاج بن أرطـأة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ قال : اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر ، كل ذلك في ذي القعـدة يلبي حتى يستلم الحجر . غـريب من هذا الـوجه وهـذه الثلاث عمر اللاتي وقعن في ذي القعدة ما عدا عمرته مع حجته فانها وقعت في ذي الحجة مع الحجة وان أراد ابتداء الاحرام بهن في ذي القعدة فلعله لم يرد عمرة الحديبية لأنه صد عنها ولم يفعلها والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسـول الله ﷺ اعتمر من الجعـرانة بالكلية وذلك فيما قال البخاري ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان عليّ اعتكاف يوم في الجاهلية فأمره أن يفي به ، قال

وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة ، قال فمنّ رسول الله ﷺ على سبي حنين فجعلوا يسعون في السكك ، فقال عمر : يا عبد الله أنظر ما هذا ؟ قال منّ رسول الله ﷺ على السبي ، قال اذهب فأرسل الجاريتين . قال نافع ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ولو اعتمر لم يخف على عبد الله ، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر به . ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبدة الضبي عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع قال ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة فقال : لم يعتمر منها وهذا غريب جدا عن ابن عمرو عن مولاه نافع في إنكارهما عمرة الجعرانة وقد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وذكر ذلك أصحاب المغازي والسنن كلهم . وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله إن رسول الله ﷺ اعتمر في رجب وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ الا وهو شاهد ، وما اعتمر في رجب قط . وقال الامام أحمد ثنا ابن نمير ثنا الأعمش عن مجاهد قال سأل عروة بن الزبير بن عمر في أي شهر اعتمر رسول الله ﷺ ؟ قال في رجب ، فسمعتنا عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط إلا في ذي القعدة ، وأخرجه البخاري ومسلم سن حديث جرير عن منصور عن مجاهد به نحوه . ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث زهير عن أبي اسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال مرتين ، فقالت عائشة لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجة الوداع . قال الامام أحمد ثنا يحيى بن آدم ثنا مفضل عن منصور عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلون الضحى ، فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال بدعة ، فقال له عروة أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ فقال أربعاً إحداهن في رجب ، قال وسمعنا استنان عائشة في الحجرة ، فقال لها عروة إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداهن في رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر النبي ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجب قط ، وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن الحسن بن موسى عن شيبان عن منصور وقال حسن صحيح غريب ، وقال الامام أحمد ثنا روح ثنا ابن جريج أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله عن مخرش الكعبي أن رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة ليلا حين أمسى معتمرا فدخل مكة ليلا يقضي عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف ، حتى جاء مع الطريق ـ طريق المدينة ـ بسرف قال مخرش : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس . ورواه الامام أحمد عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج كذلك وهو من أفراده والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ومن نفاها لا حجة معه في مقابلة

من أثبتها والله أعلم . ثم وهم كالمجمعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين ، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير قائلا : حدثنا الحسن بن اسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن الحسن الأسدي ثنا ابراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن عمير مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة فقسّم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال فانه غريب جداً وفي إسناده نظر والله أعلم . وقال البخاري ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا إسماعيل ثنا ابن جريج أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه ، قال فبينا رسول الله ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه اعرابي عليه جبة متضمخ بطيب ، قال فأشار عمر بن الخطاب الى يعلى بيده أن تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فاذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال « أين الذي يسألني عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال « أما الطيب الذي بك فأغسله ثلاث مرات ، وأما الجبةفأنزعها ثم أصنع في عمرتك كما تصنع في حجك » ورواه مسلم من حديث ابن جريج وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به . وقال الامام أحمد ثنا أبو أسامة أنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل في العمرة من كدى . وقال أبو داود ثنا موسى أبو سلمة ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثا ومشوا أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى . تفرد به أبو داود ورواه أيضاً وابن ماجه من حديث ابن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس مختصرا . وقال الامام أحمد ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج حدثني الحسن بن مسلم عن طاوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقص أو قال : رأيته يقصر عنه بمشقص عند المروة . وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن جريج به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس عن معاوية به ، ورواه أبو داود والنسائي أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به . وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثني عمرو بن محمد الناقد ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال : قصرت عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة . والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صدُّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله ﷺ بل خرجوا منها ، وتغيبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ، فتعين أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من رأس رسول الله ﷺ عند

المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا والله تعالى أعلم . وقال محمد بن اسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء الفيء فحبس بمجنّة بناحية مر الظهران .

قلت : الظاهر أنه عليه السلام انما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة . قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً الى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن . وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ خلف معاذا مع عتاب بمكة قبل خروجه الى هوازن ثم خلفهما بها حين رجع الى المدينة . وقال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله ﷺ درهما كل يوم فليست لي حاجة الى احد . قال ابن اسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . قال ابن هشام : قدمها لست بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المديني . قال ابن اسحاق : وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهي سنة ثمان . قال وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى وذكر قصيدته : بانت سعاد

قال ابن اسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى الى أخيه لابويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش ؛ ابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله ﷺ فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً وإن أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الأرض . وكان كعب قد قال :

ألا بلِّغا عني بُجَيْراً رسالةً ... فويحكَ[1] فيما قلتَ ويحك هل لكا
فبيِّنْ لنا إن كنتَ لستَ بفاعلٍ ... على أي شيء غيرَ ذلك دلّكا
على خُلُق لم ألفَ يوماً أباً له ... عليه وما تلقى عليه أباً لكا
فإنْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائلٍ إمّا عثرتَ لَعاً لكا
سقاكَ بها المأمونُ كأساً رويّةً ... فأنهلَكَ المأمونُ منها وعلّكا

قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغٌ عني بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلتَ ويحك هل لكا

(١) كذا في الأصل وفي ابن هشام والتيمورية : فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا .

شـربتُ مع المـأمـونِ(١) كـأسـاً رويّـةً   فـأنهلَكَ(٢) المـأمـونُ منهـا وعلَّكـا(٣)
وخـالفتَ أسبـاب الهـدى واتبعتَـه   على أي شيء ويْبَ(٤) غيـرِك دلكـا
عـلى خُلُق لـم تـلفَ أمـاً ولا أبـاً   عليـه ولم تُـدركْ عـليـهِ أخـاً لكـا
فـإنْ أنتَ لم تفعـل فلستُ بـآسـف   ولا قـائـلٍ إمّـا عثـرتَ لعـاً لكـا

قال ابن اسحاق : وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع سقاك بها المأمون « صدق وإنه لكذوب أنا المأمون » ولما سمع على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه قال « أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه » قال ثم كتب بجير إلى كعب يقول له :

من مبلغٌ كعبـاً فهـل لـكَ في التي   تـلوم عـليهـا بـاطـلاً وهي أحـزَمُ
إلى الله لا العـزىّ ولا الـلاتِ وحـدِه   فتنـجُـو إذا كـان الـنَّجـاءُ وتسـلَمُ
لـدى يـومَ لا ينجـو ولـيس بمـفلتٍ   مـن النـاس إلاّ طاهرُ الـقـلبِ مسـلمُ
فـديـن زهيـرٍ وهـو لا شـيء دينُـه   وديـنُ أبي سُـلمى عـليَّ محـرّمُ

قال فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت بـه الأرض وأشفق على نفسه وأرجف بـه من كان في حاضره من عدوه وقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي فغدا به الى رسول الله ﷺ في صلاة الصبح فصلى مع رسول الله ﷺ ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ فقال هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه ، فذكر لي أنه قام الى رسول الله ﷺ فجلس إليه ووضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم » فقال إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الانصار فقال : يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه ؟ فقال رسول الله ﷺ « دعه عنك فإنه جاء تائباً نازعاً » قال فغضب كعب بن زهير على هذا الحي من الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ :

بـانتْ(٥) سعـادُ فقلبي اليـوم متبـولُ(٦)   متيمٌ عنـدهـا لـم يفـدَ مكبـولُ(٧)

---

(١) المأمون : الرسول وقيل أبا بكر .
(٢) النهل : الشرب الأول .
(٣) العلل : الشرب الثاني .
(٤) ويب غيرك : هلكت هلاك غيرك .
(٥) بانت : فارقت .
(٦) متبول : مغرم .
(٧) مكبول : مقيد .

وما سعادُ غداةَ البيْنِ[1] إذ رحلوا   إلا أغنّ[2] غضيضٌ[3] الطَّرْف مكحول

هيفاءُ مقبلةً عجزاء مدبرة   لا يشتكي قِصر منها ولا طول

تجلو عوارض[4] ذي ظلم[5] اذا ابتسمتْ   كأنه مُنهلٌ بالراح معلول[6]

شجتْ بذي شبمٍ[7] من ماء محنية   صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول

تنفي الرياحُ القذى عنه وأمرحه   من صوب عاديةٍ بِيضٌ يعاليل[8]

فيالها خلةً لو أنها صدقتْ   بوعدها أو لو آن النُّصحَ مقبول

لكنها خلةٌ قد سِيط من دمها   فجعٌ وولع وإخلافٌ وتبديل

فما تدوم على حالٍ تكون بها   كما تلوَّنَ في أثوابها الغول

وما تمسّكُ بالعهد الذي زعمتُ   الا كما يمسكُ الماءَ الغرابيل

فلا يغرَّنْكَ ما منّتْ وما وعدت   إن الأمانيّ والأحلامَ تضليل

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ[9] لها مثَلا   وما مواعيدها الا الأباطيل[10]

أرجو وآمل أن تدنو مودّتها   وما لهنَّ أخانْ الدّهرُ تعجيل

أمستْ سعادُ بأرضٍ لا تبلّغها   الا العتاق[11] والنجيبات المراسيل[12]

ولن يبلّغها إلا عذافرة[13]   فيها على الأيْن[14] إرقال[15] وتبغيل[16]

من كل نضاحة الذِّفري إذا عرقت   عرِّضتها طامسَ[17] الأعلام مجهول

ترمي الغيوبَ بعينيْ مفردٍ لَهِقٍ[18]   اذا توقّدت الحزّان والمِيل

ضخم مقلّدها فعمٌ مقيّدها   في خَلقها عن بنات الفحل تفضيل

حرفٌ أخوها أبوها من مهجّنةٍ[19]   وعمها خالها قَوْداء شمليل[20]

يمشي القُراد عليها ثم يزلقه[21]   منها لَبانٌ وأقرابٌ زهاليل[22]

---

(١) البين : الفراق .

(٢) أغن : صفة للغزال الذي في صوته غنّة .

(٣) عضيض : فاتر ، ومنكسر .

(م) لم يورد المصنف هذا البيت واختصر بعض أبيات منها مع تقديم وتأخير وهي مشهورة فلتراجع .

(٤) العوارض : الضواحك من الاسنان .

(٥) الظلم : ماء الاسنان وبياضها وبريقها .

(٦) معلول : مسقي الخمر مرة بعد مرة .

(٧) الشبم : البرد .

(٨) يعاليل : مفردها يعلول وهو القطر بعد المطر .

(٩) عرقوب : رجل من يثرب يضرب المثل به بإخلافه في الوعد

(١٠) تنويل : عطاء .

(١١) العتاق : النوق الكرام الأصول .

(١٢) النجيبيات المراسيل : السريعة .

(١٣) العذافرة : الشديد من الابل .

(١٤) الاين : التعب .

(١٥) ارقال : نسبة الى النوق المراقيل .

(١٦) تبغيل : نسبة الى البغال .

(١٧) طامس : لا أثر له .

(١٨) لهق : شديد البياض .

(١٩) مهجنة : الناقة الممنوعة إلا من فحول بلادها لعتقها .

(٢٠) شمليل : سريعة .

(٢١) يزلقها : يبعدها وينحيها .

(٢٢) زهاليل : مفردها زهلول وهو الأملس .

عيرانةٌ قذفتْ بالنَّحض [1] عن عَرَض ... مرفقها عن بنات الزور مفتول
قَنواءُ في حربتَيْها للبصير بها ... عِتقٌ مبين وفي الخدَّين تسهيل
كأنما فاتَ عينيها ومذبحها ... من خطمها [2] ومن اللَّحيين برطيل [3]
تمر مثلَ عسيب [4] النخل ذا خُصَل ... في غادرٍ [5] لم تخوِّنه الأحاليل
تهوي على يَسُراتٍ وهي لاهية ... ذوابلٌ وقْعُهن الأرض تحليل
يوماً تظلُّ به الحرباء [6] مصطخدا [7] ... كأن ضاحِيَهُ بالشمس محلول
وقال للقوم حاديهم وقد جَعلت ... ورُقُ الجنادب يركضْن الحصا قيلوا
أوْبَ بذي فاقدٍ سمطاً معوله ... قامت فجاءَ بها نُكر مثاكيل[8]
نواحةٌ رخوةُ الضبعين ليس لها ... لما نعى بَكرها الناعون معقول
تفري اللبانَ بكفيها ومَدرَعها ... مشقَّق عن تَراقيها رعابيل [9]
تسعى الغواةُ جنابيها[10] وقولهم ... إنك يا ابنَ أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديقٍ كنتُ آمُله ... لا أُلهينَّك إني عنك مشغول
فقلتُ خلُّوا سبيلي لا أبالكم ... فكل ما قدّر الرحمنُ مفعول
كل ابنِ أنثى وإن طالت سلامتُه ... يوماً على آلةٍ حدباء [11] محمول
نُبئت أن رسولَ الله أوعدَني [12] ... والعفوُ عند رسول الله مأمول[13]
مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ[14] الـ ... ـقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيل[15]
لا تأخذنّي بأقوال الوشاةِ ولم ... أُذنب ولو كثرتْ فيَّ الأقاويل
لقد أَقُوم مقاماً لو يقوم به ... أرى واسمعُ ما قد يَسْمَع الفيل
لظلَّ يُرعِدُ[16] من وَجْدٍ موارده ... من الرسول بإذْن الله تنويل[17]
حتى وضعتُ يميني ما أنازِعُها ... في كفِّ ذي نَقَمات[18] قولُه القِيل[19]
فلهوَ أخوفُ عندي إذ أكلمه ... وقيلَ إنك منسوبٌ ومسؤول

---

(١) النحض : اللحم الكثير .
(٢) الخطم : مقدم الاسنان والأنف .
(٣) برطيل : حديد تنقر به الرحى .
(٤) عسيب : ورق النخل والجريد .
(٥) غادر وخوّان .
(٦) الحرباء : الشمس القوية .
(٧) مصطخدا : ملتهباً .
(٨) مثاكيل : هالكون .
(٩) رعابيل : ثوب ممزق .
(١٠) جنابيها : حواليها .
(١١) حدباء : مذكرها أحدب وهو منقوس الظهر والمقصود هنا النعش .
(١٢) أوعدني : هددني .
(١٣) مأمول : متوقع .
(١٤) النافلة : العطية الزائدة .
(١٥) تفضيل : تبيين وتوضيح .
(١٦) يرعد : يفزع .
(١٧) التنويل : العطاء الزائد .
(١٨) ذي نقمات : صاحب سطوة .
(١٩) قوله القيل : قوله القول النافذ .

من ضيغمٍ[1] بضراءِ الأرض مخدرة ... في بطنِ عثَّر[2] غيلٌ[3] دونَهُ غيل
يغدو فيُلحِم ضِرغامين عيشُهما ... لحمٌ من الناس معفورٌ[4] خراديل[5]
إذا يساورُ قِرناً لا يحلُّ له ... أن يتركَ القِرنَ إلا وهو مغلول
منه تظلُّ حميرُ الوحشِ نافرةً ... ولا تمشّى بواديه الأراجيل[6]
ولا يزالُ بواديه أخو ثقة ... مضرَّجَ البز[7] والدرسان مأكول
إن الرسولَ لنورٌ يُستضاء به ... مهندٌ من سيوف الله مسلول
في عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم ... ببطنِ مكةَ لما أسلموا زولوا[8]
زالوا فما زال أنكاسٌ[9] ولا كشُف[10] ... عند اللقاء ولا ميلٌ[11] معازيل[12]
يمشون مشْيَ الجمال الزُّهرِ[13] يَعصِمُهم ... ضربٌ إذا عرَّدُ[14] السودُ التنابيل[15]
شُمُّ العرانينِ[16] أبطالٌ لَبوسهم ... من نسْجِ داودَ في الهيجا[17] سرابيل[18]
بيضٌ سوابغُ قد شُكَّت لها حَلَق ... كأنها حَلَقُ القفعاءِ[19] مجدول
ليسوا معاريج[20] إن نالتْ رماحُهم ... قوماً وليسوا مجازيعاً[21]، اذا نيلوا[22]
لا يقعُ الطعنُ الا في نحورِهم ... ولا لهمْ عن حِياضِ الموتِ تهليل

قال ابن هشام هكذا أورد محمد بن اسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً ، وقد رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوة باسناد متصل فقال أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو القاسم عبد الرحمن ابن الحسن بن أحمد الأسدي بهذان ثنا ابراهيم بن الحسين ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا الحجاج بن ذي الرقيبة ابن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمي عن أبيه عن جده قال : خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب أثبت في هذا المكان حتى آتي هذا الرجل ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فأسمع ما يقول فثبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله ﷺ

---

(١) ضيغم : أسد .
(٢) عثر : مكان تكثر فيه الأسود .
(٣) الغيل : أجمة الأسد .
(٤) معفور : ملوث بالتراب .
(٥) خراديل : مُقطع .
(٦) الأراجيل : الصيادون .
(٧) البز : السلاح أو الثياب من الكتان والصوف .
(٨) زولو : هاجروا من مكة الى المدينة .
(٩) انكاس : جبناء .
(١٠) كشف : من لا ترس له .
(١١) ميل : من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب .
(١٢) معازيل : من لا سلاح لهم .
(١٣) الزهر : البيض .
(١٤) عرد : نكل وجبن .
(١٥) التنابيل : القصار يقصد الانصار.
(١٦) العرانين : الأنوف .
(١٧) الهيجا : الحرب .
(١٨) سرابيل : دروع .
(١٩) القفعاء : شجرة ينبت فيها حلق كحلق الخواتم .
(٢٠) معاريج : اصحاب النواء .
(٢١) مجازيعاً : جمع مجزاع وهو الشديد الخوف .
(٢٢) نيلوا : أصيبوا .

فعرض عليه الاسلام فاسلم فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالةً … على أي شيء ويبَ غيرِك دلَّكا
على خُلُقٍ لم تلفِ أماً ولا أباً … عليه ولم تُدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويَّة … وأنهلَك المأمونُ منها وعلَّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه وقال « من لقى كعباً فليقتله » فكتب بذلك بجيراً إلى أخيه وذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له النجاء وما أراك تنفلت ، ثم كتب اليه بعد ذلك إعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل ، قال فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم قال كعب : فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة حتى جلست اليه فأسلمت وقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله الأمان يا رسول الله ، قال « ومن أنت ؟ » قال كعب بن زهير ، قال « الذي يقول » ثم التفت رسول الله ﷺ فقال « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فأنشده أبو بكر :

سقاك بها المأمون كأسا روية … وأنهلك المأمون منها وعلّكا

وقال يا رسول الله ما قلت هكذا ، قال « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سقاك بها المأمون كأسا روية … وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله ﷺ مأمون والله ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهي هذه القصيدة :

بانت سعاد فقلبي اليومَ متبول … متيَّم عندها لم يفدَ مكبول

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن اسحاق والبيهقي رحمهما الله عز وجل وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إن الرسولَ لنورٌ يُستضاء به … مهندٌ من سيوف الله مسلولُ
نُبئتُ أن رسولَ الله أوعدَني … والعفُو عندَ رسولِ الله مأمولُ

قال : فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في مغازيه ولله الحمد والمنة .

قلت : ورد في بعض الروايات أن رسول الله ﷺ أعطاه بردته حين أنشده القصيدة وقد نظم ذلك الصرصري في بعض مدائحه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة قال وهي البردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه فالله أعلم . وقد روى أن رسول الله ﷺ قال له لما قال بانت سعاد ومن سعاد ؟ قال زَوْجَتي يا رسول الله ، قال لم تبن ولكن لم يصح ذلك وكأنه على ذلك توهم أن بإسلامه تبين امرأته والظاهر أنهْ إنما أراد البينونة الحسية لا الحكمية والله تعالى أعلم . قال ابن اسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب ـ يعني في قصيدته ـ اذا عرد السود التنابيل وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليُمن :

مَن سَره كرمُ الحياة فلا يزل ... في مِقْنبٍ من صالحي الأنصارِ
ورِثوا المكارمَ كابراً عن كابر ... إن الخيارَ همو بنوا الأخيارِ
المكْرِ هينَ السمهريَّ[1] بأذرُعٍ ... كسوالفِ الهنديِّ غيرِ قِصارِ
والناظرينَ بأعينٍ محمرةٍ ... كالجمرِ غيرِ كليلةِ[2] الأبصارِ
والبائعينَ نفوسَهم لنبيِّهم ... للموتِ يومَ تعانُقٍ وَكِرارِ
[والقائدينَ الناس عن أديانهم ... بالمشرفيِّ وبالقَنا الخطارِ]
يتطهرونَ يَروْنه نُسكاً لهم ... بدماءِ من عَلِقوا من الكفارِ
دَربوا كما دَربتْ بطونُ خفيةٍ ... غلبُ الرقاب من الأسودِ ضواري
وإذا حللتَ اينعوك اليهمُ ... أصبحتَ عند معاقلِ الأغفارِ
ضربوا عليًّا يوم بدرٍ ضربةً ... دانتْ لوقعتِها جميعُ نزارِ
لو يعلمُ الأقوامُ علمي كلَّه ... فيهمْ لصدّقني الذين أُماري
قومٌ إذا خَوَتِ النجومُ فإنهم ... للطارقينَ النازلينَ مَقاري[3]

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد « لولا ذكرت الأنصار بخير فانهم لذلك أهل » فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له قال وبلغني عن علي بن زيد ابن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد بانت سعاد فقلبي اليوم متبول . وقد

---

(١) السمهري : الرمح الصلب .

(٢) كليلة : ضعيفة ومحدودة .

(٣) مقاري : أهلُ قِري (يطعمون الجائع) .

رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني معن بن عيسى حدثني محمد بن عبد الرحمن الأفطس عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل . وقال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب ابن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقته هو وأخوه بجير وكعب أشعرهما وأبوهما زهير فوقعهما ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لـو كنت أَعجبُ من شيء لأعـجبني ... سعيُ الفتى وهـو مخبوءٌ لـه القَـدَرُ
يسعى الفتى لأمـورٍ ليس يُـدركهـا ... فـالـنفسُ واحـدةٌ والـهمُّ مـنـتـشـرُ
والمـرءُ مـا عـاشَ ممـدودٌ لـه أملٌ ... لا تنتهي العـينُ حتى ينتهي الأثَـرُ

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب الغابة في معرفة الصحابة ولكن حكى أن أباه توفي قبل المبعث بسنة فالله أعلم . وقال السهيلي ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله ﷺ :

تجـري بـه النـاقـةُ الأدمـاءُ معتَجِـرا ... بـالبُـرْدِ كـالبـدرِ جَلىّ ليلة الـظُّلَمَ
فـفـي عِـطافـيـه أو أثـنـاءَ بُـرْدَتِـهِ ... مـا يـعـلَم اللهُ مـن دِيـنٍ ومـن كَـرَمِ

الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هوازن بحنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجعرانة في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة . قال الواقدي : رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليالي بقين من ذي الحجة في سفرته هذه . قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجلندي من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولهما من الأعراب ، قال وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي في ذي القعدة فاستعاذت منه عليه السلام ففارقها ، وقيل بل خيرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال وفي ذي الحجة منها ولد ابراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً وكانت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فخرجت الى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله ﷺ فأعطاه مملوكا ودفعه رسول الله ﷺ الى أم برة بنت المنذر بن أسيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وزوجها البَراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول ، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف وذلك لخمس بقين من رمضان منها . قال الواقدي : وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبده هذيل برهاط ، هدمه عمرو بن العاص رضي

الله عنه ولم يجد في خزانته شيئاً ، وفيها هدم مناة بالمشلل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه هدمه سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم اللاَّتَ والعُزىَّ وَمُنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرَى ﴾[1] .

قلت : وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبده ويسمونه لكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية ولتلك ـ الكعبة اليمانية فقال البخاري : ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو أسامة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير قال قال لي رسول الله ﷺ « ألا تريحني من ذي الخلصة ؟ » فقلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » قال فما وقعت عن فرس بعد . قال وكان ذو الخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية . قال فأتاها فحرقها في النار وكسرنها ، قال فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالازلام فقيل له إن رسول رسول الله ﷺ هاهنا فان قدر عليك ضرب عنقك ، قال فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال لتكسرنها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك ؟ فكسرها وشهد . ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أرطاة الى النبي ﷺ يبشره بذلك ، قال فلما أتى رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، قال فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات . ورواه مسلم من طرق متعددة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه .

تم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات الجزء الرابع

من تاريخ البداية والنهاية لابن كثير ويتلوه

الجزء الخامس وأوله ذكر غزوة

تبوك في رجب منها

---

(١) سورة النجم الآية : ١٩ .

فهرس الجزء الرابع
من البداية والنهاية

الصفحة

الصفحة

الصفحة

صفحة

